



السيلماريلين  
The Silmarillion

تأليف جي آر آر، تولكين

أسامة أبو ترابة

أسامة أبو ترابة

## السيلماريلين **The Silmarillion**

تأليف جي. آر. آر. تولكين

**Noor Publishing**

## Impressum

Bibliografische Information der Deutschen Nationalbibliothek: Die Deutsche Nationalbibliothek verzeichnet diese Publikation in der Deutschen Nationalbibliografie; detaillierte bibliografische Daten sind im Internet über <http://dnb.d-nb.de> abrufbar.

Alle in diesem Buch genannten Marken und Produktnamen unterliegen warenzeichen-, marken- oder patentrechtlichem Schutz bzw. sind Warenzeichen oder eingetragene Warenzeichen der jeweiligen Inhaber. Die Wiedergabe von Marken, Produktnamen, Gebrauchsnamen, Handelsnamen, Warenbezeichnungen u.s.w. in diesem Werk berechtigt auch ohne besondere Kennzeichnung nicht zu der Annahme, dass solche Namen im Sinne der Warenzeichen- und Markenschutzgesetzgebung als frei zu betrachten wären und daher von jedermann benutzt werden dürften.

## البيانات القانونية

معلومات بليوجرافية للمكتبة الوطنية الألمانية : المكتبة الوطنية الألمانية تسجل هذا تفاصيل البيانات: <http://dnb.d-nb.de> المنشور في البليوجرافيا الوطنية الألمانية البليوجرافية موجودة على شبكة الإنترنت تحت الموقع التالي جميع العلامات التجارية والمنتجات المستخدمة في هذا الكتاب تخضع لقانون براءة اختراع ، وهي علامات تجارية مسجلة لأصحابها. استنساخ الأسماء التجارية، أسماء المنتجات ، أسماء مشتركة في هذا المنشور ، حتى من دون وضع العلامات الخاصة لا يعني أن هذه الأسماء هي معفاة من التشريعات التجارية لحماية العلامة ، وبالتالي يمكن استخدامها من طرف أي شخص.

صورة الغلاف / Coverbild

[www.ingimage.com](http://www.ingimage.com)

دار النشر / Verlag

Noor Publishing

ist ein Imprint der / is a trademark of

OmniScriptum GmbH & Co. KG

Bahnhofstraße 28, 66111 Saarbrücken, Deutschland / Germany

البريد الإلكتروني / Email

[info@omniscryptum.com](mailto:info@omniscryptum.com)

Herstellung: siehe letzte Seite /

طبع : انظر آخر صفحة

**رقم دولي معياري للكتاب / ISBN:**

978-3-330-79816-8

أسامة أوتراية © Copyright

© / t Copyright حقوق التأليف و النشر

2016 OmniScriptum GmbH & Co. KG

. جميع الحقوق محفوظة. / Alle Rechte vorbehalten.

Saarbrücken 2016

## فهرس المحتويات

- مقدمة المُترجم ..... (٥)
- مقدمة المُحرر ..... (٦)
- آيتولينيدالي ..... (٩)
- فالا كوينتا ..... (١٨)
- (الفصل الأول) .. كوينتا سيلماريلين (تاريخ السيلماريليس) ..... (٢٩)
- (الفصل الثاني) .. أوليي و ياقانا ..... (٣٩)
- (الفصل الثالث) .. مجيء الجان وأمر ميلكور ..... (٤٤)
- (الفصل الرابع) .. ثينغول و ميليان ..... (٥٤)
- (الفصل الخامس) .. إيلدامار وأمرء إيلدالي ..... (٥٦)
- (الفصل السادس) .. فيانور وتحرير ميلكور ..... (٦٣)
- (الفصل السابع) .. السيلماريليس والفتنة في نولدور ..... (٦٩)
- (الفصل الثامن) .. تعميم فالينور ..... (٧٦)
- (الفصل التاسع) .. هروب نولدور ..... (٨١)
- (الفصل العاشر) .. سيندار ..... (٩٦)
- (الفصل الحادي عشر) .. الشمس والقمر وإخفاء فالينور ..... (١٠٤)
- (الفصل الثاني عشر) .. البشر ..... (١١٠)
- (الفصل الثالث عشر) .. عودة نولدور ..... (١١٣)
- (الفصل الرابع عشر) .. بيلرياند ومالكها ..... (١٢٦)
- (الفصل الخامس عشر) .. نولدور في بيلرياند ..... (١٣٥)
- (الفصل السادس عشر) .. مايغلين ..... (١٤١)
- (الفصل السابع عشر) .. مجيء البشر إلى الغرب ..... (١٥١)
- (الفصل الثامن عشر) .. خراب بيلرياند وسقوط فينغولفين ..... (١٦١)
- (الفصل التاسع عشر) .. بيرين و لوثاين ..... (١٧٣)
- (الفصل العشرين) .. المعركة الخامسة: نيرنايث أرنوي ديداد ..... (٢٠١)
- (الفصل الحادي والعشرين) .. تورين تورامبار ..... (٢١٢)

- (الفصل الثاني والعشرون) .. خراب دوريات ..... (٢٤٢)
- (الفصل الثالث والعشرون) .. تور ومسقوط غوندولين ..... (٢٥٣)
- (الفصل الرابع والعشرون) .. رحلة إيارينديل البحرية وحرب الغضب ..... (٢٦١)
- أكالايبست ( غـرق نوميـنـور ) ..... (٢٧٢)
- خواتم القوة والعصر الثالث . ( هنا تصل الحكايات إلى نهايتها ) ..... (٢٩٧)

## مقدمة المترجم

يُطلقُ البعضُ على هذه الرواية اسماً معرّباً وهو (السليمانية)، ولم آخذ بهذا الاسم، بل فضلت أن يبقى الاسم كما هو بالإنكليزية **Silmarillion**، سيلماريلين، ياء مضمومة. أو تكتب هكذا سيلماريليون، بواو مخففة. وهو اسم يشير إلى الجواهر الثلاث التي صنعها فيانور، والواحدة منها تسمى سيلماريل.

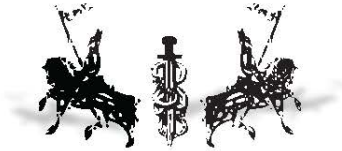
لا تشبه السيلماريلين رومانسيات القرون الوسطى وقصص البطولة والحب، بل تشبه كتب التاريخ، والملاحم، لكثرة ما تحويه بين جنباتها على أسماء أشخاص وأماكن وتفصيل دقيقة. وتبدأ من فكرة خلق العالم، وسلطات العالم والجان والبشر والأقزام، عبارة الأحداث الجسام مروراً بكل العصور حتى النهاية.

تحتوي السيلماريلين على أربعة وعشرين فصلاً. وأضيف إليها من قبل المحرر كريستوفر تولكين أربعة أجزاء رئيسية، اثنتان قبل البداية. اينوليندالي، موسيقى آينور، وقالا كوينتا، لتوضيح تاريخ السيلماريلين، وجزأين بعد النهاية، وهما، أكالايت، الطوفان وغرق نومينور، والأخير عن حواتم القوة والعصر الثالث.

نظراً لاحتواء الكتاب على عدد ضخم من الأسماء وأحياناً نفس الشخص قد يحمل أكثر من اسم مما يؤدي للقارئ إلى الملل والإحباط أحياناً، حتى مع وجود دليل الأسماء، فستكون عملية القراءة صعبة، وكذلك الأمر بالنسبة للأماكن والبلدان. لذلك حاولت قدر المستطاع، تبسيط السرد والاشارة إلى بعض الأسماء والأماكن.

ولكي لا تكون المقدمة طويلة ومملة، فقد حاولت الإشارة إلى أغلب الأسماء والأعراق والأجناس، دون إضافة ملحقي للأسماء في الختام. لكي لا يضيع القارئ في تقليب الصفحات والعودة إلى الخلف كثيراً. بالإضافة إلى بعض الخرائط عند اللزوم.

أسامة أيوب تربية



## مقدمة المحرر

نُشرت السيلماريلين بعد موت مؤلفها بأربع سنّوات، وهي التاريخ الأقدم للأيام والعصور الأولى للعالم المعرّف في رواية سيّد الخواتم، وتاريخ الأحداث العظيمة في نهاية العصر الثالث. تعتبر حكايات السيلماريلين كاشتقاق لأساطير من الماضي السحيق. عندما سكن مورغوث سيّد الظلام الأول في الأرض الوسطى، وشنّ الحرب عليه الجانّ العلويين. ليس ذلك وحسب. فعلى أية حال، إن عمل السيلماريلين يتعلق بأحداثٍ سابقة. أقدم من زمن سيد الخواتم. وهي ضرورة لفهم العمل السابق. على الرغم من أنّها كانت قبله بنصف قرن. وسميت فيما بعد السيلماريلين. وفي دفاتر الملاحظات القديمة التي تمتد منذ منتصف ١٩١٧، والتي يُمكنُ أن أكونُ قد قرأتُ النسخ الأقدم منها بعجالةٍ في أغلب الأحيان. وهي تلك القصص المركزية لعلم الأساطير، لكنّها لم تنشر أبداً (مع بعض الإشارة إلى محتواها الذي يُمكنُ أن يُجمَع من سيّد الخواتم). وفي كافة الأحوال، فلم أتوقف في السنوات الماضية، من العمل على كل ما تركه أبي في عمرة الطويل والأوقات التي كان يورخ فيها. اعتبرت السيلماريلين ببساطة كتكيب قصصي مرّ بتغيّراتٍ جذرية حتى أصبحت نسبياً، وإلى حدّ ما، خلفية تاريخية للكتابات اللاحقة. لكنها كانت بعيدةً عن أن تكون مثبتةً بنص كامل من دون تغيير. حتى في بعض الأفكار الأساسية التي تتعلق بطبيعة العالم الذي كان في طور التشكيل وقتها. بينما جاءت نفس الأساطير لتخبرنا ثانية وبأساليب مختلفة عن الشكل، والطول، والقصر. أضف إلى ذلك، طول السنوات التي غيرت كثيراً بالتفاصيل، وغيّرت أكثر بالمنظورات. لذا أصبحت السيلماريلين مركب ضخمٍ جداً وذو عددٍ هائل من الصفحات. بحيث أن جمع نسخة نهائية وجازمة منه بدت عملية مستحيلة. علاوة على ذلك فقد أصبحت السيلماريلين مستودعاً لكل الأساطير القديمة وانعكاساتها العميقة (قديمة). ليس فقط في اشتقاقهم من العصر الأول البعيد، لكن أيضاً من ناحية حياة أبي).

مسيح تولكين في علم الأساطير وفي كتاباته الشعرية، أكثر وراء انشغالات فلسفية لاهوتية. وهو ما أظهر منه أحياناً عدم موافقة النغمة. وبعد وفاته سعيث لكي يكون العمل صالحاً للنشر. وأصبح واضحاً لدي أن محاولة تقديم كتاب وحيد متنوع الموارد والمواد يستدعي مراجعة السيلماريلين كما هي في الحقيقة. ومع التغيير الذي حدث لها على مدى نصف

قرن من الزمن، وما يؤديه ذلك من التشويش والغوص في أشياء غير ضرورية. لذلك حذمت أمرى على اختيار وتركيب النص الوحيد بطريقة - كما بدا لي - ليكون القصة الأكثر تماسكاً وانسجاماً ذاتياً وداعلياً. ففي هذا العمل، نجد أن الفصول الختامية (من موت تورين تورمبار) تقدّم صعوبات غريبة، لأنهم بقوا بدون تغييرٍ لعدّة سنّوات، وكان هناك تنافرٍ جدّي من بعض النواحي بالمفاهيم الأكثر تقدّمًا، في أجزاء أخرى من الكتاب لكي تكمل نفس النسق (إنما ضمن بوصلة السيلماريلين نفسها أو بين السيلماريلين وكتابات أخرى منشورة من قبل أبي). لذا فإن هذه الكلفة الثقيلة وغير الضرورية لن تكون في الإنجاز وإنما يمكن أن تكون في البحث فقط. علاوة على ذلك. عمل أبي لجعل السيلماريلين كتجميع، قصة موجزة، ثم جعلها ولمدة طويلة بعد ذلك مصدرًا من مصادر التنوع الكبيرة، (قصائد، وسجلات، وحكايات شفوية) والتي بقيت كذلك لفترة طويلة. وفي الحقيقة فإن هذا المفهوم متوازي مع التاريخ الفعلي للكتاب، فالكثير من الشر السابق والشعر الذي أتى بعده، هما بالحقيقة خلاصة. ولا ينسبوا فقط نظرياً إلى السرعات المختلفة للقصة وامتلاء الفصل في أجزائها المختلفة، مقارنة (على سبيل المثال) التذكّر الدقيق للمكان والدافع في أسطورة تورلين تورمبار بجانب الحساب العالي والبعيد لنهاية العصر الأول، عندما انكسر ثانغورودريم وهزم مورغوث. وأيضاً بعض اختلافات النغمة والتصوير، وبعض الغموض هنا وهناك وبعض قلة التماسك. كما في حالة فالكويتا (على سبيل المثال).

لذلك يجب أن نفترض بأنه يحتوي الكثير من الأحداث التي يجب أن تعود إلى الأيام الأولى لإيلدار في فالينور. وهذا ما أعيد تشكيله في الأوقات اللاحقة. وهو الذي يوضّح انتقاله المستمر بالأزمة ووجهة النظر، لكي تبدو السلطات القدسية حالية ونشيطة في العالم الآن. وكان هناك طلب مخفي مدون فقط في الذاكرة، ومعنون في الكتاب باسم كويتا سيلماريلين. بينما هو يجب أن يكون مع السيلماريلين، ولا يحتوي فقط على كويتا سيلماريلين، أو السيلماريلين، لكنه يحتوي أيضاً على أربعة أعمال قصيرة أخرى وهي: اينوليندالي وفالكويتا، للموجودين في البداية، وهما بالحقيقة على صلة وثيقة بالسيلماريلين. لكن أكالايت وحوام القوّة، اللذان يظهرا في النهاية، فهما بالتأكيد منفصلين ومستقلين تماماً. ويتضمنان طبقاً لنية أبي الواضحة بإدراجهم في هذا الكتاب. الذي يبدأ من عرض التاريخ الكامل من موسيقى آينور، الذي بدأ فيها صياغة العالم وحتى الوصول إلى عبور حاملي الحوام من مرفأ ميثلوند في نهاية العصر الثالث. إن عدد الأسماء الموجود في



الكتاب كبيرٌ جداً، وقد زودته بدليل كامل. لكن عدد الأشخاص (من الجان والبشر) الذي يُلعبُ دوراً مهماً في قصة العصر الأول صغير جداً. وكلُّها موجودةٌ في الملاحق، بالإضافة إلى الملاحق المجهزة والتي تُعرضُ التسمية المعقَّدة. من لغات شعوب الجان المختلفة، وملاحظات حول كيفية لفظ الأسماء الجنيّة، وقائمة لبعض العناصر الرئيسيّة الموجودة في هذه الأسماء. أما في الخريطة فقد يُلاحظُ بأنَّ إيريد لوبين أو إيريد ليندون، الجبال الزرقاء وهي السلسلة الجبلية العظيمة في الشرق. تظهرُ في غرب الخريطة في سيد الخواتم. وفي جسم الكتاب هناك خريطة أصغر. والغاية من هذه الخريطة هي التوضيح وبنظرة خاطفة أماكن تمتد ممالك الجان بعد عودة نولدور إلى الأرض الوسطى. ولم أتقل على الكتاب كثيراً بأيّ نوع من التعليق أو التذييل. فهناك في الحقيقة ثروة كبيرة من الكتابات غير المنشورة من قِبل أيّ والمتعلقة بالعصور الثلاثة، فلسفية وتاريخية ولغوية وقصصية. وأتمنى أن يكون باستطاعتي نشر بعضها في وقت لاحق. وفي هذه المهمة الصعبة والمريية لتَهَيِّمَة نصّ الكتاب فقد تلقيت مساعدات كبيرة من قِبل السيد غاي كاي، الذي عمَلَ معي في الأعوام ١٩٧٤ و ١٩٧٥.

كريستوفر تولكين



## أينوليندالي

### موسيقى أينور<sup>١</sup>

في البدء كان إيرو<sup>٢</sup>، الواحد، الذي يدعونه في أردا<sup>٣</sup> إلفاتار<sup>٤</sup>. خلق إلفاتار أولاً أينور المقدّمين، نسل فكره الذي كان معه قبل أيّ شيء آخر. خاطبهم واضعاً أمامهم الأفكار الرئيسية للموسيقى، فعنّوا أمامه وكان سعيداً. لمدة طويلة غنّوا كل واحد على حده، وفي بعض المرات غنّى قلة مع بعضهم مجتمعين، بينما ضلّ البقية منصتين. لأن كل واحد منهم استوعب فقط ذلك الجزء من ذات عقل إلفاتار الذي منه جاء، وفي الفهم لأخويتهم غموا لكن ببطء. هكذا كانوا دائماً، كما أنصتوا بلغوا أعماق الفهم وزيادة التألف والانسجام.

نادى إلفاتار إلى كل أينور قاطبة وأظهر لهم الصيغة الموسيقية الهائلة، كاشفاً لهم بها أشياء أعظم وأروع مما كشفَ لحد الآن. فمجد بدايتها وروعة نهايتها أدهشت أينور وجعلتهم يحنونوا أمام إلفاتار خاشعين.

بعد ذلك قال لهم إلفاتار: أريد منكم أن تخلقوا من هذا الانسجام الموجود بينكم موسيقى عظيمة، مستندين بذلك على الفكرة الرئيسية التي أظهرتها لكم. فمنذ أن أوقدتكم بالشعلة الخالدة وأنتم مجهزون لإظهار قدراتكم في زخرفة هذه الصيغة. كل واحد بأفكاره وحيئلها الخاصة، إن أراد. أما مكسبي فهو أن أجلس وأصغي. وأكون مسروراً فقد استفاق جمالكم العظيم في أغنية.

<sup>١</sup> أينور، Ainur، جمع مفرد أيتور، لا يتكلمون هيئة أو شكل مرئي، وهم أشبه ما يكونوا باللائكة، لأنهم أوصياء العالم، والمشتقون بموسيقى الخلق.

<sup>٢</sup> إيرو، Eru، هو الرب الواحد، ويسمونه في أردا إلفاتار Ilúvatar

<sup>٣</sup> أردا، Arda، أي الأرض.

<sup>٤</sup> إلفاتار، Ilúvatar، وهو اسم إيلو باللغة الجان، وهو خالق الخلق، وإله المصور.

في ذلك الحين أخذت أصوات آينور تصدح مثل القيضات والأعواد، والنبايات والأبواق، والكمانات والأرغن، ومثل جوقاتٍ لا حصر لها تنشد وتغني. عندها بدأ آينور بصياغة أفكار إلفاتار وتحويلها إلى موسيقى عظيمة. فظهرت أصوات اللحن المنسوج بتعاقب وتوافق لانهائي. غيرَ خارج الأسماع إلى المرتفعات والأعماق. فامتلات أماكن سكن إلفاتار وفاضت. وخرجت الموسيقى وصداها إلى الفراغ، ولم يعد فراغاً بعد ذلك. فمنذ أن بدأ آينور بخلق الموسيقى لم يودوا أبداً مثل هذه الموسيقى. على الرغم من أنه قيل بأن الأعظم سوف يؤدي أمام إلفاتار بجوقات آينور وأبناء إلفاتار بعد ثمانية الأيام. عندها ستكون صيغ إلفاتار معروفةً بشكلها الأملل، والوارد أن يكون ذلك في لحظة نطقهم. لأن الجميع عندها سيفهم في أي جزء منهم كانت نيته. وسيتعرف كل واحدٍ على مدى اشتغال كلٍ منها، ولأفكارهم سيمنح إلفاتار حماسةً سرية، لكونهم راضين جداً.

جلس إلفاتار يصغي وقد بدا العظيم جيداً إليه. ولم يكن في موسيقاهم عيوب. لكن مع تطور الصيغة، فقد جاءت إلى قلب ميلكور<sup>١</sup> وكأنها تمازج أموراً خاصةً بتخيلاته، والتي لم تكن متطابقةً مع أفكار إلفاتار. لأنه سعى في تلك المسألة لزيادة قوة ومجد الجزء المستند إلى نفسه. وكان ميلكور قد أعطى أعظم صفات القدرة والمعرفة من بين كل آينور. ودائماً كان له نصيبٌ من كلِّ صفةٍ من صفات إخوته. وفي أغلب الأحيان كان ميلكور يذهب لوحده إلى أماكن الفراغ ساعياً وراء الطاقة الخالدة. وبسبب رغبته فقد زادت حماسته، وراح يرنو إلى استحضار أشياء من تلقاء نفسه وجلبها إلى حيز الوجود. وبدا له بأن إلفاتار يوجه أفكاره نحو الباطل. لأنه كان قليل الصبر من حماقه. رغم كل ذلك فلم يجد الطاقة، لأنها مع إلفاتار. لكنه وأثناء خلوته أصبح يتخيل أفكاراً من تلقاء نفسه بخلاف إخوته.

قام ميلكور بمنح بعض أفكاره الخاصة وأدخلها إلى موسيقاه، فظهر مباشرةً تنافره عما حوله. وغما اليأس لدى غالبية الذين غنّوا بالقرب منه، فأبدوا انزعاجهم، واضطربت أفكارهم وتخرت موسيقاهم. لكن بعضهم بدأ بمناغمة موسيقاه لموسيقى ميلكور بدلاً من مناغمة الأفكار التي كان يملكها منذ البداية. عندها أصبح التنافر مع ميلكور واسع الانتشار، والألحان التي سمعت من قبل غرقت في بحرٍ من الصوت الهائج. لكن إلفاتار جلس يستمع حتى بدأ ذلك حول عرشه كعاصفة هوجاء، ومياه مظلمة تشق حروباً فيما بينها بغضبٍ أبدي، لن يهدأ مطلقاً.

<sup>١</sup> ميلكور، Melkor، سيد الظلام.

عندها تمض إلفاتار، ولاحظ آينور بأنه يتسم، فرفع يده اليسرى، وبدأت الصيغة الجديدة وسط العاصفة. لكنها تشبه أو لحد ما لا تشبه الصيغة السابقة. وقد جمعت قوةً وجمالاً جديدين. لكن تناورها مع ميلكور ارتفع بصخبٍ وبدأ يتنافس معه. ومرة أخرى كانت هناك حربٌ أكثر عنفاً من ذي قبل. حتى أن الكثير من آينور فرغوا وأوقفوا غناءهم. أما ميلكور فقد كان بارعاً. ثم وقف إلفاتار ثانيةً، ولاحظ آينور بأن ملامحه أصبحت صارمة، فرفع يده اليمنى. واستهل نشوء الصيغة الثالثة، التي غت في حضم التشويش والارتباك. ولم تكن هذه الصيغة تشبه سابقتها. لأنها ظهرت في البداية ناعمةً وحلوة، وكأنها مجرد امتدادٍ لصوت أنيق في الألسان المرهف. لكنه لا يمكن أن يهدأ، وقد أخذ نفسه قوةً وعمقاً. وفي نهاية المطاف بدأ بأن هناك موسيقتان تتقدمان في وقت واحد أمام مجلس إلفاتار، وكانتا متباينتين تماماً. واحدة عميقة وواسعة وجميلة، لكنها بطيئة ومزوجة بحزن غير محدود، وهذا الحزن هو ما أضفى عليها جمالاً خاصاً. أما الأخرى فقد حققت من تلقاء نفسها تماسكاً صاحباً متهوراً وبتكرار لا نهائي، مع القليل من التوافق، أو بالأحرى كانت عبارة عن امتزاجٍ صاحب لعددٍ من الأبواق التي راحت تجرش بضعة نغمات. محاولةً حجب الموسيقى الأخرى بشدة صوتها، لكن بدأ بأن أكثر نغماتها المنتصرة كانت قد أخذت من الأخرى، ثم نسجت بنمطٍ مهيّب خاص بها.

في حضم هذا الصراع اهتزت قاعات إلفاتار، هزةً قادت إلى صمتٍ راسخ. ثم تمض إلفاتار مرة ثالثة، وكان وجهه فظيلاً للظنن. ورفع كلنا يديه للأعلى، وفي تناغمٍ واحد، أعماق من الهاوية، أعلى من السماء، ثاقبٌ كنور عين إلفاتار، انقطعت الموسيقى. تكلم إلفاتار قائلاً: هائلٌ وجزائز آينور والأقندر بينهم ميلكور، لكن هل تعلم هو وكل آينور أيضاً بأنني أنا إلفاتار الذي سأظهر لكم تلك الأشياء التي أنشدت. لكي تشاهدوا ماذا صنعتم؟ أما أنت يا ميلكور فستعلم بأن كل موسيقى عرفتها كان مصدرها مني. ولا يمكنك تعديل الموسيقى رغماً عني. لأن محاولاته تلك سيئتها هذا الكشف. أما بالنسبة لي، فلم تكن غايتي تعديل الموسيقى، بل استنباط أشياء قد لا تصورها، لكنها أكثر جمالاً وروعاً.

خاف آينور لأنهم لم تستوعبوا الكلام الذي قيل لهم، ومليء ميلكور بالحزني، الذي جاء منه الغضب السري. أما إلفاتار فقد تمض بفخامةٍ وخرج. وتبعه آينور، خارجين من المناطق الجميلة التي كان قد خلقها لأجلهم.

وعندما أتوا إلى الفراغ قال لهم إلفاتار: ها هي موسيقاكم، وأظهر لهم رؤية. معطياً لهم البصر حيث كانوا من قبل فقط يسمعون. تخيلوا بأنهم رأوا عالماً جديداً، برؤية مصنوعة أمامهم. وكان ذلك العالم متكوراً وسط الفراغ، محفوظاً فيه، لكنه ليس منه. وعندما نظروا وتساءلوا، بدأ هذا العالم بكشف تاريخه. ثم بدا لهم وكأنه حي ويتطور، وبينما كان آينور يحدقون لفترة صامتون. قال لهم إلفاتار ثانية: ها هي موسيقاكم! وهذا إنشادكم. وسيجد كل واحد منكم محتواه هنا، وسط هذا التصميم الذي وضعته أمامكم. وربما تبدو له كل تلك الأشياء وكأنه هو من ابتكرها أو أضافها. أما أنت يا ميلكور، بتخبط تكشف كل أفكار عقلك السرية. والتخبط يميزهم، لكنهم جزء من كل وتاضعاً مجده.

تحدث إلفاتار مع آينور عن أشياء كثيرة أخرى. ويفضل تذكرهم لأحداثه، ومعرفة كل واحدٍ منهم للجزء الذي صنعه من الموسيقى. عرف آينور أيضاً الكثير عما كان، وما يكون، وما سيأتي في قادم الأيام، وكانت بعض الأشياء محجوبة عنهم. رغم ذلك فبعض الأشياء لا يستطيعون رؤيتها، لا إن كانوا لوحدهم أو كانوا مجتمعين. فلم يكشف إلفاتار لأحد إلا لنفسه عن كل ما في جعبته. ففي كل عصر تظهر لنا أشياء جديدة لم يكن بمقدور أحد التنبؤ بها، لأنها لم تنبثق من الماضي. وهكذا كان منظر العالم الذي تمثل أمامهم، فقد رأى آينور بأنه يحتوي على أشياء لم يفكروا فيها. وشاهدوا باستغراب مجيء أبناء إلفاتار، والمسكن الذي أعد لهم، فأدركوا بأنهم هم أنفسهم وأبناء توليدهم لموسيقاهم كانوا يعملون على تجهيز هذا المسكن، ولم يعرفوا بعد ما الغاية من وراء جماله. فأبناء إلفاتار كانوا من تصوره لوحده، وقد جاؤوا بالصيغة الثالثة، ولم يكونوا في الفكرة الرئيسية التي طرحها إلفاتار منذ البداية. ولم يشارك آينور في أي جزء من خلقهم. لذلك عندما رأوهم أحببهم كثيراً، وعلموا بوجود كائنات غيرهم حرة وغيرية، حيث رأوا فيهم عقل إلفاتار ينعكس من جديد. وبأنهم لم يتعلموا إلا النزول اليسير من حكمته، التي أخفيت عن الجميع، حتى عن آينور.

أبناء إلفاتار هم الجان والبشر، البكر والتالي. من ضمن كل روائع العالم قاعاته وفضاءاته الواسعة والنبيران المتحركة فيه. فقد اختار إلفاتار مكاناً لسكن أبناءه في أعماق الزمن، وسط النجوم التي لا تعد ولا تحصى. ربما يبدو هذا المسكن شيئاً قليلاً بالنسبة لأولئك الذين يقدرون فقط فخامة آينور، ولا ينظرون إلى حدة ذكائهم الرهيبة. فمثلهم كمثل الذي سيأخذ كامل حقل أردا قاعدة لعمود، ويرفعه حتى محروط قمته التي سيكون أدق

من رأس الإبرة. أو الذي يعتبر فقط السعة غير المحدودة للعالم، والذي مازال في طور التشكيل على أيدي آينور. وليس إلى الترتيب الدقيق الذي احتوى على تشكيل كل شيء. وعندما رأى آينور هذا السكن في الرؤية ورأوا أبناء إلفاتار يظهرون على هذا المسكن. عقد العزم كثيرٌ من جبايرة القوة بينهم، وركزوا كُلَّ أفكارهم ورغباتهم نحو ذلك المكان. وفي هذه كان ميلكور رئيسياً، فقد كان في البداية أعظم من كل آينور الذين أخذوا جزءاً من الموسيقى، وهو مدَّعي حتى لنفسه في البداية، بأن رَغِبته بالذهاب إلى هناك كانت، لترتيب كُلِّ الأشياء لخير أبناء إلفاتار، وللسيطرة على اضطرابات الحرارة والبرودة التي كانت قد عبرته. لكنَّه بالحقيقة رَغِبَ بإخضاع الجان والبشر لإرادته فقط. فحسد الهدايا التي وعد إلفاتار بأن يهبهم إياها، وتَمَنَّى بأن يَكُون لديه رعايا وتخدم، ويدعونه سيِّداً، وتكوِّن له السيطرة على الآخرين وإراداتهم.

لكن بقية آينور تَنظَرُوا إلى هذا المسكن الموجود ضمن فضاءات العالم الواسعة، والذي سيسميه الجان فيما بعد أردا، ففرحت قلوبهم بالضوء، ونظرت عيونهم للكثير من الألوان فامتلأت بالفرح. لكنهم شَعَرُوا بقلق كبير بسبب هَدِير البحر. ولاحظوا الرياح والهواء، والأشياء الأخرى التي خلقت منها أردا، كالحديد والحجارة الفضيَّة والذهبيَّة والكثير من المواد الأخرى. ومن بين كل هذه الأشياء هللو كثيراً للماء. ويقال في أحيار إيلدار بأن صدى موسيقى آينور مازال حيّاً في الماء لحد الآن أكثر من أي شيء آخر من المواد الموجودة على هذه الأرض، ومازال كثيرون من أبناء إلفاتار يستمعون بشغفٍ لصوت البحر، ولا يعلمون سبب هذه الرغبة.

للماء كان عنده ذلك الأينوا الذي يدعوه الجان أولمو<sup>١</sup>، وهو من يدير فكرة، ويكون مأموراً في كل الأعماق من إلفاتار بواسطة الموسيقى. لكن في الهواء والرياح ماتوي<sup>٢</sup> هو الأكثر تقديراً وتبلاً من كل آينور. وفي نسيج الأرض كان عنده فكر أوليي<sup>٣</sup> الذي أعطاه إلفاتار الغلاف والمعرفة النادرة، لكنها أقل من تلك التي أعطاها لميلكور. سعادة أوليي وفخره يكونان دائماً في أعمال الصناعة والخلق، فهو لا يحب التملك والسيادة. لذلك يُعطي ولا يكتنز، ويكون خالياً من الهم، وينصرف دائماً إلى بعض الأعمال الجديدة.

<sup>١</sup> آمو. مفرد آينور، وهو واحد من آينور

أرلوا، Ulmo. هو سيد مياه أردا، التي تجري في عروقها وينابيعها وأنهاها وبحارها.

<sup>٢</sup> ماتوي، Manwë، أعظم آينور كلهم، وهو ملك ملوك أردا، ويقال له سوليمو، Súlimo، سيد أنفاس أردا.

<sup>٣</sup> أوليي، Aulë، وهو سيد الحرف والصناعة، سيد البنائين، صانع آنية الشمس والقمر. والوكيل على ثروات أردا.

تكلّم إلّوفاثار مع أولمو، قائلاً: ألم ترى هنا في أعماق الزمن، في هذه المملكة الصغيرة كيف شئتُ ميلكور الحرب على منطقتك؟ وكان تفكّيره مُفترط البرودة. رغم ذلك لم يستطع تحطيم جمالٍ بنايبيك، ولا صفاء بحيراتي. انظر، ها هو الثلج، والأثر الماكر للصقيع! ابتكر ميلكور الحرارة والنار بدون قيود، فلا تمكنت من تخفيف رغبتك، ولا إخضاع موسيقى البحر تماماً. انظر بالأحرى إلى غلّو ومجد الغيم والشخب المتغيّرة باستمرار، وأستمع إلى سقوط المطر على الأرض! ففي هذه الغيوم تقرب مهارتك أكثر من مانوي صديقك الذي تحبه.

أجابته أولمو: حقاً، تُخيّل أن يصبح الماء أنقى من قلبي، ولا أكون قادراً على تصوّر ندفة الثلج في فكري السري، ولا تتحوي موسيقي على صوت سُقوط المطر. سأسعى إلى مانوي، ربما ننصنع أنعاماً أبديةً لبهجتني. فمنذ البداية كان مانوي وأولو متحالفاً. وكانا يخدمنا دائماً وبإخلاص كبير كلٌّ أهداف إلّوفاثار.

بينما كان كل آينور محذقين في هذه الرؤية - عندما كان أولمو يتكلم<sup>1</sup> - وإذا بما تبعد وتختفي عن أبصارهم. وأحسوا في تلك اللحظة بشيء جديد. وهو الظلام. الذي لم يعرفوه من قبل سوى في الفكر. لكنهم بالمقابل أصبحوا معجبين بجمال الرؤية. ومنهمكين في تجلي العالم الذي ابتدأ وجوده هناك. وامتلات عقولهم به. ولأن التاريخ كان ناقصاً ودوافع الوقت لم تكن قد اكتملت بعد. عندما سُحبت الرؤية، قال البعض بأن الرؤية انقطعت قبل إنجاز سلطان البشر وزوال الجان. ولهذا السبب، لم يشاهد الفالار<sup>2</sup> العصور اللاحقة أو نهاية العالم، مع أن كل الموسيقى كانت قد انتهت.

بعد ذلك كان اضطراب بين آينور. لكن إلّوفاثار استدعاهم وقال لهم: أعرف الرغبة الكامنة في عقولكم وهي بأن تصبح هذه الرؤية حقيقةً ولا تكون فقط في فكركم. فكما وُجِدَتْ أنفسكم، ستوجد أنفس أخرى فيما بعد. لذلك أقول. إيا<sup>3</sup>! فلنتمكن كل هذه الأسماء موجودة (كُن)! وسأرسل عليها عبر الفراغ، اللهب الخالد الذي سيكوّن على قلب العالم. وسيكون العالم موجوداً. ومن منكم لديه الرغبة فسوف يهبط إليه. رأى آينور مباشرة ضوء من بعيد، إذا جاز التعبير غيمةً بقلب حبي من اللهب، فأيقنوا بأنّها لم تكن رؤية فقط، فلقد خلق إلّوفاثار شيء جديد، إنه العالم. إيا.

<sup>1</sup> هنا الإشارة إلى أن عمل أولمو ومانوي كان أسبق من بقية أعمال آينور في إعداد وتجهيز أرضا وبالعالم هما أسبق بالخلق من بقية آينور. (الترج)

<sup>2</sup> الفالار، Valar، فالار جمع مفرد فالار، عدم أربعة عشر فالار وهم الأقوى والأصغر بين آينور المتقنين.

<sup>3</sup> إيا، Eä، أي الكون، لأنه عندما أراد، ليرو الوفاثار، أن يجعل الرؤيا التي شاهدها آينور حقيقةً وموجودة بالفعل، قال Eä وهي تشابه فعل الكون Be لذلك قال الوفاثار: إيا "كُن"، أي كُن فيكون. وتم خلق العالم.

أراد بعض آيتور البقاء مقيمين مع إلفاتار خارج حدود العالم. لكن الآخرين ومن بينهم كان الأعظم والأجمل والأكثر نقاءً، أخذوا إذنًا من إلفاتار بالنزول إلى هذا العالم. فخلق إلفاتار حالةً، أو هي ضرورة حبّهم. ويجب أن تكون قواهم واسعة في ذلك المكان ومحدودةً في العالم. وأن تبقى ضمنه إلى الأبد، حتى يكتمل. بحيث يكونون حياتهم وهو ملكهم. لذلك يَسْتَوْنَ فالار، أي سلطات العالم القوية.

لكن عندما دخل الفالار إلى إيا كانوا في بادئ الأمر مذهولين ومتحيرين، لأنه لم يكن هناك أي شيء من الذي شاهدوه في الرؤية، وكل شيء كان على نقطة البداية، لم يتشكل بعد، ولما كان هناك إلا الظلام. صحيح أن الموسيقى العظيمة كانت قد تخلقت، لكن غو وإرهار الأفكار سيكون في قاعات غير متناغمة، ولما كانت الرؤية إلا نبوءة فقط. لكنهم دخلوا الآن في بداية الزمن، فأدرك الفالار هذا العالم الذي وُجد، لكنه مازال في بداية التشكل وبداية الأغنية، وعليهم إنجاز ذلك. فابتدأت أعمالهم العظيمة في قِصارٍ مبهمٍ، شاسعة غير محدودة. واستمرت لعصورٍ منسية لا تعد ولا تحصى. إلى أن وصلوا إلى أعماق الزمن في وسط قاعات إيا الواسعة، عندها حانت تلك الساعة وذلك المكان ليكونا، زمان ومكان اكتمال إنجاز سكن أبناء إلفاتار. أُلقي الجزء الرئيسي من هذا العمل على عاتق كلٍ من مانوي وأوروي وأولمو. أيضاً ميلكور كان من السابقين، فقد تدخل في كل الأعمال التي صيغت هناك. وأدارها كلما حانت له الفرصة وفق رغبته وأهدافه مُوقداً نيراناً عظيمة. وعلى الرغم من أن الأرض كانت لا تزال بكاراً ومليئة باللهب في وقتها لكنه اشتهاها لنفسه وقال للفالار الآخرين: هذه ستكوّن ملكتي، وسأخذها لنفسي.

يعتبر مانوي الذي كان أخو ميلكور (هذا في باطن عقل إلفاتار فقط). بأنه الأداة الرئيسية للصيغة الثانية، وبه وقف إلفاتار بوجه تنافر ميلكور. لذلك طلب مانوي من إلفاتار بأن يرسل له الكثير من الأرواح، عظيمة وأقل عظمة. فنزلوا إلى حقول أردا لمساعدة مانوي، خوفاً من أن يعيق ميلكور إنجاز عملهم إلى الأبد، وعندها استدبل الأرض قبل أن ترهر. قال مانوي لميلكور: لن تأخذ هذه المملكة لنفسك بغير وجه حق، لأنه لا يقلّ عمل وتعيب الآخرين عن تعبك. فنشأ هناك صراعٌ بين ميلكور والفالار الآخرين. وفي ذلك الوقت انسحب ميلكور وذهب إلى مناطق أخرى وعمِل هناك ما أراد، لكنّه لم يطرح من قلبه رغبته في مملكة أردا.



اتخذ الفالار لأنفسهم أشكالاً وهيئات. ولأنهم أُجذبوا إلى العالم بمحبة أبناء إلفاتار، فتمنوا أخذ أشكالهم على غرار الأسلوب الذي شاهدهوه في رؤية إلفاتار، باستثناء الفخامة والعظمة فقط. لذلك أتت أشكالهم من مدى إدراكهم للعالم المرئي، بدلاً من العالم نفسه. مع أنهم لا يحتاجون لهذه الأشكال إلا كما نحتاج نحن إلى الثياب، فقد تكون عراة ولا يعاني وجودنا من النقص. لذا فقد يحدث بأن يمشي الفالار - إن أردوا - مجردين غير مغلفين بأشكال، ولا يستطيع أحد ملاحظتهم بشكل واضح، حتى إيلدار<sup>1</sup>، مع أنهم موجودين. لكن عندما يرغب الفالار بكسوة أنفسهم، سيأخذ بعضهم أشكال الذكور والبعض الآخر أشكال الإناث. وهذا الاختلاف في الطبع كان لديهم منذ نشأتهم، وقد وضعت عليهم الأجساد وفق اختيارهم، لكن لم يخلقوا باختيارهم. كما هو الحال معنا فقد غيّر الذكر والأنثى من الثياب، أما الفالار فلم يخلقوا بهذه الطريقة. فالأشكال العظيمة المرتبة التي كسوا بها أنفسهم لا تشبه في جميع الأوقات أشكال ملوك وملكات أبناء إلفاتار. فقد يكسوا أنفسهم أحياناً بطريقتهم الخاصة، فتظهرهم بأشكال من الرهبة والفخامة.

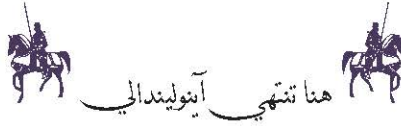
اجتذب الفالار إليهم العديد من الرفاق، فالبعض يقرب من عظمتهم والبعض الآخر أقل عظمة، وعملوا سوية في إدارة الأرض وضبط ضوضائها. رأى ميلكور ما حصل، وكيف مشى الفالار على الأرض كقوى مرئية، يرتدون من هذا العالم ثياباً فاتنةً ورائعة للنظر. وكيف أصبحت الأرض حديقة لبهجتهم، لأنهم أخضعوا الاضطراب فيها. لذلك نما حسد ميلكور وتعاضم بداخله، فاتخذ لنفسه شكلاً مرئياً أيضاً. لكن بسبب طبعه والحق الممتلئ بداخله فقد أنتج شكلاً ظلامياً فظيلاً. هبط ميلكور بهذا الشكل إلى أردا، بقوة وفخامة أعظم من الفالار الآخرين. لكأنه جبلٌ يُخوض في البحر ورأسه فوق الغيوم، مغطى بالثلج ومتوج بالنار والدخان، وكان نور عيونه كشعلة ذابئة فيها توهج يحرق ببرودة قاتلة.

هكذا بدأت المعركة الأولى للفالار مع ميلكور للسيطرة على أردا. ولم يعرف الجان عن ضوضاء تلك الأيام إلا القليل وهي التي أضرهم بها الفالار، عندما تكلموا مع إيلداري<sup>2</sup> في أرضي فالينور. ولم يوزع إليهم بأن يخبروا عن ما قبلها من الأيام، إلا بعض الأخبار القليلة عن الحروب التي حدثت قبل مجيء

<sup>1</sup> إيلدار: Eldar، وهو الاسم الذي أطلقته أروبي على الجان عندما اكتشفهم لأول مرة ومعناه شعب النجوم.

<sup>2</sup> إيلداري: Eldarí، كل قبائل إيلدار.

الجان. على الرغم من ذلك فقد قيل بين إيلدار بأن عمل الفالار الدائم موجه لحكم الأرض وتثبيتها لجميع البكر. فكانوا يبنون الأراضي وميلكور يحطمهم، يخفرون الوديان ويردمها ميلكور، ينحتون الجبال ويستقلها ميلكور، جوفوا البحار فقام ميلكور بإغلاقها وسحبها. نادراً ما كان يسعى إلى الديمومة أو نحو السلام الدائم. والشيء المؤكد أنه كلما بدأ الفالار بعمل كان ميلكور يسعى لإفساده وإلغائه. رغم ذلك فلم يكن عملهم كله دون جدوى، على الرغم من أنه في أي مكان وفي أي عمل كانت إرادتهم وأهدافهم كاملة الإنجاز، ولم تكن كل الأشياء في الطبيعة والتشكيل كما كانت في نية الفالار منذ البداية. لكن وبرغم البطء فقد شكّلت الأرض وكانت راسخةً ومتينة. وأخيراً أصبح مسكن أبناء إلوقاتار مؤسساً في أعماق الزمن وسط النجوم التي لا تعد ولا تحصى.



## قالا كوينتا

### قيمة الفالار والمييار<sup>١</sup> طبقاً لعلوم إيلدار

في البدء كان إيرو، الواحد، والمسمى بلغة الجان إلفاتار. خلق آينور من فكره، وهم صنعوا موسيقى عظيمة أمامه. ومن هذه الموسيقى ابتداء العالم. لأن إلفاتار جعل أغنية آينور مرئية. وهم شاهدوها كضوء في الظلام. فأصبح الكثيرين منهم مفتونين بجمالها، ويتاريخها الذي رأوا بدايته وانكشف أمامهم كما شاهدوه في الرؤية. لذلك أعطى إلفاتار لرؤيتهم وجوداً. ووُضِعَ هذا الوجود وسط الفراغ. وأرسل النار الخفية لتشتعل في قلب العالم. ودُعي هذا الوجود إيا. ومنْ مِنْ آينور كانت لديه الرغبة بهذا العالم. فقد تحض ونزل إليه في بداية الزمان. وكانت مهمتهم إنجاز ذلك العالم. وبفضل جهودهم التي بذلوها تم تحقيق الرؤية التي شاهدوها. فقد عملوا لفترة طويلة في مناطق إيا الواسعة، والتي هي خارج نطاق تفكير الجان والبشر. حتى وصلوا إلى الوقت الذي أتموا فيه صنع أردا. مملكة الأرض. ثم اتخذوا رداءً لهم من الأرض وهبطوا إليها وسكنوا بها.

<sup>١</sup> المييار: Maiar، هم من آينور اللطيفين لكنهم أقل منزلة من الفالار، أيضاً مييار جمع ومفردة مالا.

## القالار

هم العظماء بين هذه الأرواح<sup>١</sup> ويسمون باللغة الجنية قالار. أي قوى السلطة في أردا. ويسميهم البشر غالباً آلهة. أسياد القالار سبعة، وملكات القالار سبعة أيضاً ويسمون القالير. توجد للقالار عدة أسماء أخرى في لغات جان الأرض الوسطى، وأسماءهم متنوعة بين البشر. لكن عُرفت أسماءهم أكثر باللغة الجنية، وهي اللغة التي تكلم بها الجان أثناء سكنهم في فالينور<sup>٢</sup>. فأسماء أرباب القالار وفق الترتيب الصحيح هو: مانوي، أولمو، أوليي، أورومي<sup>٣</sup>، ماندوز<sup>٤</sup>، لورين<sup>٥</sup>، تولكاس<sup>٦</sup>. وأسماء ملكات القالار: قاردا<sup>٧</sup>، يافاننا<sup>٨</sup>، نايننا<sup>٩</sup>، إيستي<sup>١٠</sup>، فايري<sup>١١</sup>، فانا<sup>١٢</sup>، نيسسا<sup>١٣</sup>. ولم يعد يحتسب ميلكور من بين القالار، ولا يتحدث باسمه على الأرض.

كانت أحوة مانوي وميلكور في فكر إلفاتار فقط. وكان مانوي وميلكور هما الأكثر قوة من بين كل آينور الذين جاءوا إلى العالم في بداياته. لكن مانوي الأغر عند إلفاتار لأنه يُفهم بوضوح تام معظم أهداف إلفاتار. لذلك عُين ليكون وفي كل الأزمنة، الأول بين كل الملوك. سيد مملكة أردا وحاكماً على كل من يعيش فيها. وبمحته في أردا هي بالرياح والغيوم، وفي كُلِّ مناطق الهواء، من المرتفعات إلى الأعماق، من أقصى الحدود العليا لحجايات أردا إلى الأنسام التي تحب على العشب. ولقبه سوليمو، أي سيد أنفاس أردا. تحبه كُلُّ الطيور السريعة وقويات الأجنحة، وهي تأتي وتذهب طبقاً لأوامره.

<sup>١</sup> الأرواح هنا تشير إلى آينور.

<sup>٢</sup> فالينور هي الأرض التي أسسها القالار وسكنوا فيها بعد أن دمر ميلكور مسكنهم الأول في إلباين.

<sup>٣</sup> أورومي، Oromë، وهو القارس والصيد، سيد الوحوش، أول من اكتشف وجود الجان. واسمه Araw. أزار بلغة سيندار. وله لقب آخر هو Tauron،

تاورين سيد الغابات، وأيضاً اسم Aldaron الكالرون، سيد الأشجار.

<sup>٤</sup> ماندوز، Mandos، خامس الثابتة، وهو سيد الهلاك، حارس بيوت الموت، اسمه الحقيقي Námo، نامو.

<sup>٥</sup> لورين، Lórien، واسمه الشائع Irmo، إرمو، صانع الحدائق وسيد الرزق والأشجار.

<sup>٦</sup> تولكاس، Tulkas، سيد الحرب، البطل، الشجاع، القوي، ولقبه Astaldo، أستالو.

<sup>٧</sup> قاردا، Varda، زوجة مانوي، ملكة النجوم، بطنها الجان ويسمونها Elbereth، إلبيريث، و Elentári، إيلنتاري.

<sup>٨</sup> يافاننا، Yavanna، زوجة أربلي، ماهرة النار وحبيبة كل نباتات أردا، ولقبتها Kementári، كيمنتاري.

<sup>٩</sup> نايننا، Nienna، سيدة الحزن والرحمة، أخت نامو وإرمو وكلاء الموت، وتُسكن لوحدها على الحدود الغربية.

<sup>١٠</sup> إيستي، Estë، سيدة الشفاء من الحزن والتعب، وهي زوجة إرمو، وسكنت معه في حدائق لورين في فالينور.

<sup>١١</sup> فايري، Vairë، زوجة ماندوز (نامو)، وهي الحانكة التي تسجل أحداث التاريخ على منسوجاتها.

<sup>١٢</sup> فانا، Vána، وهي زوجة لورومي وشقيقة يافاننا الصغرى، تنضج كل الزهور عندما تمر من فوقهم.

<sup>١٣</sup> نيسسا، Nessa، وهي زوجة تولكاس وأخت لورومي، مسرعتها بالرقص على مروج فالينور الخضراء.

تسكن مع مانوي في مكان إقامته. فاردا، سيده النجوم، التي تُعْرَفُ كُلُّ مناطق إيا. جملها عظيم جداً، وهو الجمال المعلن في كلمات البشر أو الجمان، لأن ضياء إلوفاثار باقي في وجهها. في الضوء قُوَّتُها ومجسَّتها. من أعماق إيا خرجت وجاءت لإعانة مانوي على ميلكور، فقد عرفت من قبل صيغة ميلكور الموسيقية ورفضتها، وكان هو يكرهها ويخافها أكثر من كُلِّ الآخرين الذين خلقهم إيرو. نادراً ما افترق مانوي وفاردا، وهما باقيان في فالينور. قلاعهم فوق الثلج الأبدي. على أوپولومسي<sup>١</sup> البرج الأعلى في تني كويتيل<sup>٢</sup>، أطول الجبال على الأرض. هناك حيث يعتلي مانوي على عرشه ويراقب أَرْدَا، وعندما تكون فاردا بجانبه فإنه يرى أبعد من كُلِّ العيون، من خلال السحب والظلام وعلى امتداد البحر. أما بالنسبة لفاردا، فعندما يكون مانوي معها، فإنها تسمع أكثر من كُلِّ الأذان. تسمع همسة الصوت التي تنادي من الشرق إلى الغرب، من التلال والوديان، ومن الأماكن المظلمة العميقة التي صنعها ميلكور على الأرض. يحل الجمان فاردا بالخشوع والحب، من بين كل العظماء الذين يسكنون هذا العالم، ويسمونها إيليرت، وينادون باسمها للخروج من ظلال الأرض الوسطى، ويرفعون ذلك في أغنية عند إشراقه النجوم.

أولمو سيد المياه. يسكن لوحده منذ مدة طويلة هنا، لكنه إجمالاً يتحرك كما يريد في كل المياه حول الأرض أو تحتها، وهو الثاني في القوة بعد مانوي، وقبل خلق فالينور كان أقرب الأصدقاء إلى مانوي، لكن فيما بعد، قلما ذهب إلى بحالسي الفالار، إلا إذا كانت ستناقش هناك أمورٌ عظيمة. فهو يحافظ على كل أَرْدَا في الفكر، ولا يحتاج لأي مكان للاستراحة. علاوة على ذلك فإنه لا يُسبُّ المشي على الأرض، ونادراً ما يكسو نفسه بجسد يخالف أسلوبه في الظهور. وإذا ما نظر إليه أبناء إيرو فقد يصيبهم فرح عظيم، لأن ظهوره كملك للبحر يكون فظيلاً. كموجات متسلقة خطواته الواسعة إلى الأرض. بخودته القائمة المتوجة بالزبد. يلبس درعاً لامعاً بلون فضي من الأسفل وينتهي بظلال اللون الأخضر في الأعلى. صحيح أن أصوات أبقاق مانوي عالية، لكن صوت أولمو عميق كعمق المحيط الذي لم يره أحد سواه.

يُحِبُّ أولمو كلاً من الجمان والبشر، ولم يتركهم أبداً، حتى عندما كانوا منطرحين تحت غضب الفالار. وفي بعض الأحيان يستهويه الخيء غير مرئي إلى شواطئ الأرض الوسطى، أو يعبر

<sup>١</sup> أوپولوسي. Oiolosse، البرج الأعلى على قمة تني كويتيل، مسكن مانوي وفاردا.  
<sup>٢</sup> تني كويتيل. Taniquetil، قمة أعلى جبل في العالم وهو المسكن العالي المخصص للآلهة والفاردا.

مبتعداً إلى داخل الأرض عبر الألسنة البحرية، وهناك يصنع موسيقاه بأبواقه العظيمة أولوموري<sup>1</sup>، تلك الأبواق المشغولة من الصدف الأبيض. أما منْ تصل إليه هذه الموسيقى فيسمعها وتستقر في قلبه، يكون عنده اشتياق دائم للبحر لا يفارقه أبداً. غالباً ما يكون كلام أولمو مع سكان الأرض الوسطى بأصوات تسمع فقط كموسيقى قادمة من الماء. كُنْ البحار والبحيرات والأنهار والنافورات والينابيع تدخل ضمن حكومته وتحت سيطرته، لذلك يقول الجان بأن روح أولمو تعيش في كل عروق العالم. فكل الأخبار بخصوص حاجات وأحزان أُردا تصل إلى أولمو حتى ولو كان في أعماق الأعماق. إلا تلك الأخبار التي يخفيها مانوي.

أما أولبي فله ترتيب أقل بقليل من أولمو. وسيادته كاتنة على كُنْ المواد التي صُنعت منها أُردا. في البداية عمل كثيراً بصحبة مانوي وأولمو، وكان عمله في تكوين كل الأراضي. فهو الصانع وسيد الحِرَف، يَتَهَجُّ في الأعمالِ الماهرة، مهما كانت صغيرة، يقدر ابتهاجه بالأيدي الكبيرة. كانت لديه منذ القدم مجوهرات مَحْبَاة في أعماق الأرض، والذهب الجميل في يده لا أقل من أسوار الجبال وأحواض البحر. أخذت غالبية تولدور<sup>2</sup> العلم منه وكان صديقهم الدائم. كان ميلكور يغار منه دائماً. لأن أولبي كان يشبهه كثيراً في التفكير والسلطات. لذلك نشأ خلاف طويل بينهما، والذي أفسد فيه ميلكور وحرباً باستمرار أعمال أولبي، فأتمك أولبي في إصلاحها. وكلاهما رغب في عمل أشياء خاصة به، جديدة ولا يعلم بوجودها الآخرين. وكلاهما ابتهج في امتداح مهارته. لكن أولبي بقى مخلصاً لإيرو. وقدم كُنْ أعماله لإرادته، ولمْ يَحْسُدْ أعمال الآخرين، لكنه طلب فأعطي النصححة. بينما ميلكور استهلك روحه في الحسد والكراهية، حتى أنه أخيراً لم يقم بعمل أي شيء إلا السخرية من أفكار الآخرين. وإن استطاع كان يحطم كل أعمالهم.

ياقاتا، هي زوجة أولبي. مائحة الثمار. عاشقة كُنْ الأشياء التي تُنمو على وجه الأرض، وكُنْ أشكالهم التي لا تعد ولا تحصى محمولةً في فكرها، من الأشجار التي تشبه الأبراج والموجودة في الغابات منذ مدة طويلة إلى الطحالب التي فوق الأحجار، وحتى الكائنات الدقيقة المخفية الموجودة على سطح الأرض. وفي التقديس والتبجيل تأتي ياقاتا بالمرتبة

<sup>1</sup> أولوموري، Ulamári، اسم أبواق أولمو.

<sup>2</sup> تولدور-Noldor، هم قسم من الجان، وهم الذين تبموا فينوي واتخذوه سيداً لهم، ويعبر تولدور ثاني أكرم عشيرة من عشائر الجان التي هاجرت إلى فالينور. تعلموا من أولبي فنون الصناعة، وكانوا من أعظم الجان في الصناعة والحكمة، عاشوا في أرض آمان لفترة طويلة، ولكن القسم الأكبر منهم ترك آمان وعاد إلى الأرض الوسطى، طلباً للفر من مورغوث الذي قتل فينوي، وصرق السيلماريليس التي صنعها فينوي بن فينوي.

الثانية بعد فاردا بين ملكات الفالار، وهيبتها على شكل امرأة طويلة مكسوة بالأخضر. لكنها أحياناً قد تأخذ أشكالاً أخرى. وهنالك بعض الذين اطلعوا على مكانتها فقالوا بأنها كانت مثل شجرة تحت السماء متوجة بالشمس، ومن كُله فروعها ينسكب ندى ذهبياً على الأرض القاحلة فأتج الخضروات والحبوب. وكانت جذور هذه الشجرة في مياه أولمو، ورياح مانوي تمس في أورفاها. لقبها كيمييتاري في لغة إيلدارين<sup>1</sup>. ومعناه ملكة الأرض.

فيانتوري، سادة الأرواح، وهما أخوان. في أغلب الأحيان يسميان ماندوز ولورين. والغريب أن هذه بالحقيقة هي أسماء أماكن سكنهم. أما أسماءهم الحقيقية فهي، نامو وإرمو. نامو، وهو الأكبر، يسكن في ماندوز الكائنة في الجهة الغربية من فالينور. وهو حارس بيوت الموتى، ومستدعي أرواح القتلى ولا ينسى أحد منهم. يُعرف كُله الأشياء التي ستُكون، إلا التي لم يجرها إلوقاتار بعد. هو رجل الهلاك في الفالار، لكنّه ينطق قراراته وأحكامه فقط بطلب من مانوي.

فابيري الحاتكة، هي زوجة نامو، تُسج كُله الأشياء التي سبب أن كانت، وتخزنها في نسيجها. وتكون قاعات ماندوز الواسعة كاتساع مرور العصور مكشوة بهم دائماً. إرمو، هو الأصغر، وهو سيد الرؤى والأحلام. تقع أحداثه في لورين من أرض الفالار، وهي أجمل مكان في العالم. مملوءة بالكثير من الأرواح.

إيستي اللطيفة، معالجة الأضرار والتعب، وهي زوجة إرمو، رداؤها رمادي، تهدي الراحة والسكون. لا تمشي في النهار. تنام على جزيرة في بحيرة لورين المظلمة بالأشجار. وكل الساكنين في فالينور يتعشون من ينابيع إرمو وإيستي. يأتي الفالار إلى لورين غالباً ليرتاحوا وليخففوا عنهم أعباء أردا.

ناينا أقوى من إيستي، وهي أخت فيانتوري. تسكن لوحدها، وهي المطلعة على الأحزان. تنسج كل جراح أردا التي عانتها بسبب تشويهاات ميلكور. الحزن المنتشر في موسيقاها عظيم جداً، وهذا الحزن هو الذي حول أغنياتها إلى الرثاء قبل النهاية بفترة طويلة. وبالتالي تُسج صوت الحزن إلى صيغ العالم قبل أن يبدأ، لكنها لا تنوح لنفسها، وأولئك الذين يصغون إليها يتعلمون الشفقة، والقدرة على التحمل والأمل. قاعاتها في غربي الغرب على

<sup>1</sup> إيلدارين، Eldarin، هي لغة إيلدار.

حدود العالم. ونادراً ما تأتي إلى مدينة فاليمار<sup>1</sup> حيث كل شيء سعيد. بل تُذهب إلى قاعات ماندوز القريبة منها، وجميع المنتظرين في قاعات ماندوز يهتفون لها. لأنها تجلب القوة إلى الروح وتحول الحزن إلى حكمه. ونوافذ بيتها تبدو خارجة من جدران العالم. تولكاس هو الأعظم في القوة وأعمال البطولة، لقبه أمثالدو، الشجاع. وهو آخر الذين جاؤوا إلى أردا لمساعدة الفالار في المعارك الأولى مع ميلكور. يتهج في المصارعة ومنافسات القوة. لا يركب جواداً قط، لأن قدميه تسبق كل الأشياء التي تسير، ولا يتعب. شعرة ولحيته ذهبيان، جسده متورّد وأسلحته يديه. فلما يحسب حساباً للماضي أو المستقبل، واستشارته بلا جدوى، لكنه الصديق الشجاع.

نيسا زوجة تولكاس وأخت أورومي، وهي أيضاً رشيقة وأقدامها سريعة. تهبها الفزلان، ويتبعون درهماً كلما ذهبت إلى البرية، لكنّها يُكَيِّفُ أَنْ تسبقهم، فهي سريعة كسهم مع الريح في شِعْرِهَا. في الرقص بمحنتها، وهي تُرَقِّصُ في فاليمار على المروج دائما الخضرة.

أورومي السيد الجبار، إذ هو أقل قوة من تولكاس، لكن غضبه مرعب. في حين تولكاس يضحك دائماً، في الرياضة أو في الحرب وحتى أنه ضحك في وجه ميلكور في المعارك القديمة قبل ولادة الجان. أحب أورومي أراضي الأرض الوسطى وتركها مرغماً وكان آخر الواصلين إلى فالينور. وغالباً في القديم كان يعبر عائداً للشرق عبر الجبال، ويرجع إلى جماعته في السهول والتلال. ويصطاد من الوحوش ومن البهائم. يتهج في الخيول وكلاب الصيد. يحب كل الأشجار وهذا السبب كان يدعى ألدارون. ومن قبل سيندار<sup>2</sup> كان يدعى تاورون، أي سيد الغابات. واسم حصانه ناهار، أبيض في الشمس وفضة مشرقة في الليل. واسم بوقه العظيم فالاروما، وصوت بوقه يشبه طلوع الشمس القرمزية، أو البرق الذي يشق الغيم. سمع صوته في الغابات قبل كل أبواق جمهوره، وكانت يافاناً قد جلبته من فالينور. لأن أورومي كان يدرّب شعبه ووحوشه على مطاردة مخلوقات ميلكور الشريرة. فاننا دائما الشباب هي زوجة أورومي، وهي أخت يافاناً الصغرى. كل الزهور تنمو وتفتح إذا ما مرّت من فوقهم، وكلّ الطيور تعني لقدومها.

<sup>1</sup> فاليمار: Valimar، هو اسم مدينة الفالار في فالينور.

<sup>2</sup> سيندار: Sindar، شعب جني أصله من تيلين، وهم الذين وصلوا مع أقاربهم إلى الشواطئ الغربية للأرض الوسطى ولكنهم لم يعبروا البحر وبقوا في جليرواند للبحث عن ألبوري، فيما افتح بعضهم بابواغ لوسي الذي هو من المايا.



كانت هذه أسماءً فالار وقالير، وهنا ذكرنا بإيجاز أشباههم، كما شاهدنا إيلدار في أمان<sup>١</sup>. وكانت أمثالكلم صافيةً ونبيلةً كما ظهرت لأبناء إلوقاتار. لكن هذه الهيئات كانت أيضاً حجاباً على جمالهم وقوتهم، وإذا ذكر القليل هنا عن الكثير الذي كان يعرفه إيلدار فيما سبق. فإن وجودهم الحقيقي لا يمكن مقارنته بأي شيء. والذي يرجع إلى مناطق وعصور بعيدةً جداً عن تفكيرنا. من بينهم كان تسعة هم الأعلى في القدرة والمهابة، لكن حذف من تعدادهم واحد (وهو ميلكور)، فتبقى ثمانية، وهؤلاء الثمانية يسمون أراتار، أي أعلى الأشخاص في أردا وهم: مانوي، فارداء، أولمو، يافانسا، أوليي، ماندوز، نايننا، أروومي. ومع ذلك فإن مانوي هو الملك، ويحمل ولائهم تحت إيرو. في الفخامة هم نبلاء، ولا مجال لمقارنتهم بالآخرين أبداً، سواء كانوا من الثالار والسميار، أو أي مرتبة أخرى أرسلها إلوقاتار إلى إيا.

<sup>١</sup> أمان. Aman، هي الأراضي الخالدة. تقع على الحافة الغربية المطلقة من العالم، ما وراء البحر العظيم، وفي أقدم الأوقات، عندما كان العالم مضاه بصايح الثالار كانت أراضي فارعة وبلا اسم.

## المِيَّار

جاءت مَع الفالار أرواحٌ أخرى كانت موجودة أيضاً قبل ابتداء العالم. وهم من نفس مرتبة الفالار لكن بمنزلة أقل. وهم المِيَّار، شعب الفالار وخدمهم المساعدين لهم. عددهم غير معروف للجان، والقلة منهم يمتلكون أسماء بأي لغة من لغات أبناء إلفاتار. على الرغم من ذلك فإن وجودهم في أمان يختلف عن وجودهم في الأرض الوسطى. ففي الأرض الوسطى نادراً ما ظهر المِيَّار بالأشكال المرئية إن كان للناس أو للجان. من أهم المِيَّار في فالينور والذين مازالت أسماءهم مذكورة في تاريخ الأيام القديمة. ايلماري وصيفة فاردا. وإيونوي رسول مانوي وحامل رايته. وهو الذي لا يجاربه أحد في استعمال السلاح في كل أردا. لكن أفضل المعروفين لأبناء إلفاتار من بين كل المِيَّار هما أوسمي وأوينين.

أوسمي هو تابع أولمو. وهو سيد البحار التي تغمر شواطئ الأرض الوسطى. لا ينزل للأعماق لكنه يحب السواحل والجزر ويفرح في رياح مانوي. ففي العاصفة مسرته ويضحك وسط هدير الموج. أما أوينين سيده البحار فهي زوجته، وهي التي تفرش شعرها وتنشره عبر كل المياه الموجودة تحت السماء. تحب كل المخلوقات التي تعيش في الجداول المألحة والأعشاب التي تُنمُو هناك. إليها يهتف البحارة لأنهم تستطيع تهدئة الموج. ومقاومة وحشية أوسمي. وقد عاش النوميرونون<sup>1</sup> فترة طويلة في حمايتها، واعتبروها في وقارٍ يوازي تقديس الفالار.

كرة ميلكور البحر، لأنه لم يستطع إخضاعه والسيطرة عليه. ويقال بأنه حاول سحب أوسمي إلى ولاءه الخاص إبان صناعة أردا. ووعدته بكل مملكة وسلطة أولمو إذا قبل بخدمته. لذلك ومنذ عهد بعيد صنع الشعب العظيم في البحر الذي حرب الأراضي. عندها قامت أوينين بناءً على تضرعات أولي بتقييد أوسمي واحضاره إلى أولمو. فعفا عنه وأعادته إلى ولائه وبقي مخلصاً له فيما بعد. وانخفض جزء كبير من بحجة العنف لديه. لكنها لم تفارقه

<sup>1</sup> النوميرونون: Númenóreans، هم شعب نوميرون. ونوميرون هي أرض الهدية التي كُافأ فيها الفالار البشر لما قدموه من شجاعة في الحرب على قوى الظلام. (سبأني ذكر قصتها مفصلاً في الفصول اللاحقة).

بشكل كامل فأحياناً سيحتاج متعمداً من دون أي أمر من سيده أولمو. لذلك فإن  
 الساكنين بجانب البحر أو الذين يركبون السفن قد يُحِبُّونه لكنهم لن يأمنوا جانبته.  
 ميليان هو اسم المايا<sup>١</sup> التي كانت تقدم خدمات لكل من فانا وإيستي. وقبل أن تذهب إلى  
 الأرض الوسطى سكنت لمدة طويلة في لورين، تعني بالأشجار التي تُزهَرُ في حدائق إرمو.  
 وكانت العنادل تغي حولها حيثما ذهبت.  
 أما أولورين فهو الأعقل والأكثر حكمة بين الميَّار. كان يسكن في لورين أيضاً لكن دروبه  
 قاده إلى بيت ناينا، ومنها تعلم الشفقة والصبر.  
 أخير الكثير عن ميليان في كويتتا سيلماريليان، لكن أولورين لم نتكلم عن حكايته.  
 والمعروف عنه أنه أحبَّ الجان ومَشَى بينهم غير مرئي. أو في شكل واحدٍ منهم، فلم يعرفوا  
 من أين جاءهم الرؤى الصافية أو تلقين الحكمة التي وضعها في قلوبهم. وفي الأيام اللاحقة  
 سيكون صديقاً لكل أبناء إلوفاثار ويشفق على أحزانهم. وكل الذين أصغوا إليه تنيهوا من  
 الغفلة واليأس وأبعدوا عنهم التخيلات الظلامية<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> مايا، Maia، هو مفرد ميَّار. أي شخص من الميَّار

<sup>٢</sup> أولورين، Olórin، يعتبر من أحكم الميَّار وقد اختير لكي يذهب إلى الأرض الوسطى في العصر الثالث، واتخذ شكل ساحر، وقد ساعد على إشراف وتوجيه  
 المطرمة ضد ساورون. (واعتقد شخصياً بأنه هو نفسه الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم غاندالف الروماني) (الترجم)

## الأعداء

يوضع اسم ميلكور في الأخير بين جميع الأسماء، وهو الذي ظهر في الجبروت، لكنه حُسر ذلك الاسم. وكانت نولدور ومن بين كل الجان هي أكثر مَنْ عانى من حقه. فلأً ينظفوا باسمه بل يسموه مورغووث، أي العدو المظلم للعالم. منحه إلفاتار قوً عظيمةً فكان معادلاًً لمانوي في الصلاحيات والمعرفة. وكان يمتلك ميزة من كُـلِّ ميزات الفالار الآخرين. لكنه استخدمها للأعمال الشريرة وبدد قوته في الظلم والاستبداد، لأنه طامعٌ في أردا وكل من فيها. راغياً فيها بمنزلة مانوي وسيادته على ممالك أقرانه.

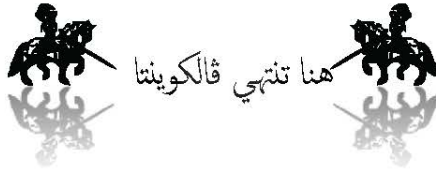
من العظمة سقط عبر غطرسته واحتقاره لكل شيء إلا نفسه. فهو روحٌ مبذرةٌ عديمة الرحمة. أدرك قدرة ذكائه في تحريف كل ما يريد وفقاً لرغبته. حتى أصبح كذاباً بدون عجل. بدأ برغبته للنور، لكنه عندما لم يتمكن من أن يحتكره لنفسه، انحدر بنار الغضب للاحتراق الكبير، وهبط إلى الظلام. مستخدماً الظلام في كل أعماله الشريرة على أردا. فملاً جميع الكائنات الحيّة فيها بالخوف والرعب.

ومن ضخامة قوة تمرده تلك، أنه وفي العصور المنسية تنافس مع مانوي وكل الفالار. وعبر سنوات طويلة في أردا سيطر على معظم أراضي الأرض. لكنه لم يكن لوحده. فقد سحب الكثير من الميَّار لفخامته في أيام عظمته، ويقوا في ذلك السواء ساقطين في ظلمته. وأفسد آخرين بعد ذلك وجهرهم إلى خدمته عبر خداعهم بالكاذيب والهدايا الغادرة. والمرعب من بين كل هذه الأرواح كانوا فالاراوكار، أي سباط النار. وقد سموهم في الأرض الوسطى باسم بالروغز<sup>1</sup>، أي شياطين الرعب.

من بين أعظم عبيده الذين يمتلكون الأسماء المرعبة. كانت تلك الروح التي يسميها إيلدار. ساورون، أو غورثور. أي القاسي. حيث كان في البداية من الميَّار التابعين لأوليي، (أي الميَّار الذين يعملون بالصناعة والتعدين)، كان عظيماً في علوم الصناعة والتعدين. وبقي كذلك في كل أعمال ميلكور، مورغووث على أردا. وكل تلك الأعمال المخادعة الماكرة، كان عند ساورون جزء منها. وكانَ بذلك أقل شرٍّ من سيده فقط. وفي ذلك خدَم لمدة

<sup>1</sup> بالروغز: Balrogs. نشأت من النار، مثل سلورون بالطبيعة، وكانوا من الأرواح البدائية التي تحالفت مع ميلكور في العصور القديمة، وأصبحوا من أكثر عبيده رعباً، وخصوصاً خلال حروب بيلرياند في العصر الأوّل، عددهم على الأغلب غير معروف، ولكنه قابل فلا يزبون عن السبحة. وطبعهم بالأساس هي طبيعة نارية، وبعض الروايات تقول بأن بالروغز تمتلك أجنحة، والبعض يقول لا تمتلك أجنحة، وفي هذا الموضوع محل نقاش لحد الآن. (للترجم)

طويلة شخص آخر ولم يخدم نفسه. لكن في السنوات اللاحقة ارتقى فأصبح كظيل مورغوث وشبح حقله. وشمى خلفه على نفس الطريق المدمر الهابط إلى العدم.



# كوينتا سيلماريلين

## (تاريخ السيلماريليس)

### الفصل الأول

### بداية الأيام

روي بين الحكماء. بأن الحرب الأولى وقعت قبل أن تصبح أردا على هيئتها  
النامة، وقبل أن يمشي أو ينمو أي شيء على وجه الأرض. وفي هذه الحرب امتلك ميلكور  
اليد الطولى ولمدة طويلة. لكن في وسط هذه الحرب جاءت روح القوة والشجاعة العظيمة  
لمساعدة الثالار، فقد شمع في السماء البعيدة بنشوب معركة في المملكة الصغيرة. لذلك  
جاء تولكاس القوي وامتألت أردا بصوت ضحكاته، فمر غضبة مثل ربح هائلة بعثرت  
غيوم الظلام من أمامه، وهرب ميلكور من غضبة وسخريته وغادر أردا. بعدها ساد السلام  
لرمن طويل. وبقي تولكاس هناك كواحداً من فالار مملكة أردا. أما ميلكور فقد حُضِنَ في  
الظلام الخارجي، ووصل حقه على تولكاس لأبعد مدى.

جلب الثالار في ذلك الوقت النظام إلى البحار والأراضي والجبال. وقامت ياقاناً أخيراً  
بتوزيع البنوز التي ابتكرتها منذ مدة طويلة. وفي ذلك الحين عندما كانت النار لا تزال كامنة  
أو مدفونة تحت التلال البدائية. والحاجة ماسة للضوء. قام أوليبي كاستحاية لتوسلات  
ياقاناً بعمل مصابيح هائلين لإضاءة الأرض الوسطى المبنية وسط البحار المحيطة. ثم  
ملأت فاردا المصابيح وقدمتهم مانوي ووضعهما الثالار على أعمة عالية، أعلى من قسم  
الجبال العالية. فرفعوا مصباحاً واحداً بالقرب من شمال الأرض الوسطى وشمي اللوين،  
والآخر يُفعوه في الجنوب وشمي أورمال، فتدفق ضوء مصابيح الثالار إلى خارج الأرض،  
ليتسنى للجميع الاستفادة من الضوء الذي كان لا يفرق كثيراً عن ضوء النهار.

بدأت الحياة تدب في البذور التي بَدَرَتْهَا ياقانًا، وِبدَأَتْ تتبرعم بسرعة، فظَهَرَ نَمُوٌّ متنوعٌ لأشياءٍ عظيمة وصغيرة، كالتطحالب والأعشاب والسراخس والعلايقة، والأشجار العالية التي تُوجِّحُ قممها بالغيوم وكأخا جبالٍ حَيَّةٍ مغطاة بالغسق الأخضر. ظهرت البيهائم وسكنت في السهول المعشوشبة، أو بالأحرار والبحيرات أو مشيت في ظلال الغابة، ولحد الآن لا زهرةٌ أزهرت ولا طيرٌ غَنَّى، لأن هذه الأشياء ما زالتُ تنتظر وقتها في صدرِ ياقانًا. لكن الوفرة كانت موجودة هناك، فلا يوجد مكان خصبٌ أكثر من الأجزاء الأوسطية للأرض. حيث امتزج ضوء كلال المصباحين. وهناك على جزيرة المارين في البحيرة الكبرى كان المسكن الأول للفالار عندما كانتُ كُلُّ الأشياء شابة وفتية، وكان الأخضر الجديد كأعجوبة في نظر الصنَّاع، وبقي الجميع قانعين هناك لمدة طويلة.

بينما كان الفالار يرتاحون مِنْ أعمالهم، ويراقبون النمو وكشف ابتداء الأشياء التي ابتكروها. قَدَّرَ لهم مانوي عيداً عظيماً. لَبَّى جماهير الفالار دعوته، لكن أوليبي وتولكاس كانا مُرهَقَيْن، لأن حرفة أوليبي وقوة تولكاس كانتا في عملٍ متواصلٍ ولأيامٍ طويلة. عرف ميلكور بالذي حصل لأنه كان لديه أصدقاء سريون وجواسيس من بين الميَّار الذين تقولوا إلى مصدر لمعلوماته. ويعيداً في الظلام امتلأ بالكراهية، وابتدأت غيْرته من عمل أقرانه ورغب في إخضاعهم لسيطرته. لذا فقد جمع إلى نفسه كل الأرواح الفاسدة التي تُخدمه من قاعات إيسا. معتبراً نفسه قوي. لأنه يرى بأن وقته قد اقترب ثانيةً إلى أردا. وعندما نظر إليها ورأى جمال الأرض في ربيعها ازداد حقدّه أكثر.

اجتمع الفالار على المارين غير خائفين من أي شر، وبسبب أضواء إلبوين فلم يكونوا مدركين للظلمة للتحرك الذي ألقاه ميلكور من الشمال البعيد. غنَّى الفالار في عيد ربيع أردا، وتزوج تولكاس من نيسسا أخت أورومي ورقصت هي أمام الفالار على العشب الأخضر لجزيرة المارين.

بعد ذلك نام تولكاس وبدا كأنه متعباً لكن مطمئناً. لذلك اعتبر ميلكور بأن ساعته قد حانت مع نوم تولكاس، فمرَّ على أسوار الليل مع جماعته وجاء إلى الأرض الوسطى قادماً من الشمال. ولم يعلم الفالار بقدمه.

بدأ ميلكور بالحفر عميقاً تحت الأرض لبناء قلعة واسعة، تحت ظلام الجبال حيث أشعة إلبوين كانت باردة وخافتة. وذلك كان هو المعقل الذي سُمِّي أوتومنو. وعن ذلك كله لم يكن الفالار يعلم شيئاً لحد الآن. لكن شرَّ ميلكور وآفة كراهيته تدقُّقاً من هناك، وأفسد

ربيع أردا. فالأشياء الخضراء مَرَضَتْ وَتَعَفَّنَتْ، والأشجار غَصَّت بالأعشاب الضارة والوحل، ففتشكلت مستنقعات آسنة وسائمة وأصبحت أماكن لتربية الذباب. نمت الغابات مظلمة وخطرة ولازمها الخوف. وأصبحت البهائم وحوشاً ولها قرونٌ وعجاجٌ وتخصبت الأرض بالدم. عرف الفالار من هذه الظواهر بأنَّ ميلكور قد عاد للعمل ثانيةً، فقصدوا مجأه، لكن ميلكور يَكْتُمُ بِقُوَّةٍ أوتومنو وجيروت عييده. فبرز للحرب وَضْرَبَ ضْرِبَتَهُ الْأُولَى، ولم يكن الفالار بعد مهياًين، فهاجم أضواءَ إللوين وأورمال ودمَّرَ أعمدتها وكسر مصابيحها، وبهذا السقوط المائل للأعمدة. فقد سُكِبَ حطامها لُبياً خارجاً على الأرض وتكسرت الأرض وهاجت البحار، وأفسد شكل أردا وتناسق مياها وأراضيها. لذلك فإن التصميم الأول للفالار لم يعد بالإمكان استعادته أبداً.

ضمن هذا التشويش والظلام هرب ميلكور خائفاً. فقد شمع صوتٌ مانوي يتردد إلى أعالي البحار الصاخبة كريح هائلة، فارتعدت الأرض تحت أقدام تولكاس لأنه كان قد وصل إلى أوتومنو، حيث تحصن ميلكور واحتفى ولم يستطع الفالار في ذلك الوقت من التغلب عليه، لأنهم كانوا بحاجة إلى قوتهم لتهديم ضوضاء الأرض وإصلاح الخراب، أو إصلاح ما كان يمكن إصلاحه. بعد ذلك خافوا على الأرض من التمزيق ثانية، قبل أن يعرفوا أين كانت مساكن أبناء الإلفاتار والتي مازال وقتهم لم يحسن بعد، لأن أماكن هذه المساكن كانت مخفية حتى عن الفالار.

هكذا أنهى ربيع أردا. وتحطم مسكن الفالار على المارين تماماً، ولم يكن لديهم مسكنٌ على وجه الأرض. لذلك ارتحلوا من الأرض الوسطى وذهبوا إلى أرض أمان، والتي تقع في أقاصي غرب الأرض على حدود العالم، وتطل شواطئها الغربية على البحر الخارجي الذي يسميه الجان إكايما وهو يُطَوَّقُ مملكة أردا. ولا أحد يُعْرِفُ إلا الفالار كم هو عرض ذلك البحر الذي تقع حلقة أسوار الليل. لكن الشواطئ الشرقية لأرض أمان كانت هي النهاية القصوى لبحر بيلغار، وهو البحر العظيم الذي يقع غرب الأرض الوسطى. ومنذ أن عاد ميلكور إلى الأرض الوسطى لم يكن بالإمكان التغلب عليه. لذلك حصَّنَ الفالار مسكنهم الجديد، فرفعوا على شواطئ البحر جبال بيلوري، وهي جبال أرض أمان، وكانت أعلى من كل الأرض. وفي أعلى قمم جبال بيلوري وضع مانوي عرشه “تني كويتيل”. يسمي الجان ذلك الجبل بالجبل المقدس. وأيضاً يسمونه أويولوسي أي البياض الأبدي، وإيليرينا أي المتوج بالنجوم. وقد أطلقوا عليه الكثير من الأسماء. لكن سيندار تكلَّموا عنه



فيما بعد في لغتهم وسموه آمون أوبولوس. يتمكن مانوي وفاردا من قلاعهم على نقي كويتيل من مشاهدة كل الأرض حتى أقاصي الشرق.

أمسن الفالار مملكتهم وراء أسوار ييلوري، ودعيت تلك المنطقة قبالينور، وكانت هناك ييوهم وحدائقهم وأبراجهم. وفي تلك الأرض الخمية جمع الفالار مخزناً كبيراً للضوء وأجمل الأشياء التي سلمت من التخريب. وصنعوا الكثير من الأشياء النفيسة الجديدة، وأصبحت قبالينور أكثر جمالاً حتى من الأرض الوسطى في ربيع أردا. وكانت مباركة لأن الخالدين سكنوا فيها، فهناك لا يهت ولا يذبل شيء، ولم توجد أي لطخة على زهرة أو على ورقة شجر في تلك الأرض. ولا أي فساد أو مرض في أي كائن حي يعيش هناك، حتى الأحجار والمياه ذاتها كانت مقدسة.

وعندما أصبحت قبالينور كاملة الانشاء. بنى الفالار قصورهم في وسط السهل الواقع خلف الجبال، وأنشأوا مدينتهم فالمار، كثيرة الأجراس. يوجد أمام بوابة فالمار الغربية تل أخضر اسمه ايزيلوهار، ويسمى أيضاً كورولايري. وهو التل الذي قدسته يافانأ، وجلست هناك لمدة طويلة على العشب الأخضر وغنت أغنية للسلطة، واضعة فيها كل فكرها من الأشياء التي تنمو على الأرض. لكن نايننا تفكر في صمت وتسقي سطح الأرض بدموعها. وفي ذلك الوقت تجتمع الفالار لسماع أغنية يافانأ، وجلسوا صامتين على عروشهم في المجلس، في مهاناكسار، دائرة الحساب. بالقرب من الأبواب الذهبية لفالمار وغنت يافانأ، كيميبتاري أمامهم وكان الجميع يراقبها.

وبينما كانوا يراقبون يافانأ ظهر من خلال التل تبتين رشقتين، وساد في تلك الساعة صمت على كل العالم، ولم يكن هناك أي صوت إلا ترانيم يافانأ. وتحت أغنيها نمت الشتلات وأصبحت جميلة وممشوقة، ثم أزهرت هذه الشتلات، فولد نوعين من الأشجار في قبالينور. ومن بين كل الأشياء التي عملتها يافانأ كان هذين النوعين الشهرة الأكثر. ونسجت حول مصيرهم كل حكايات الأيام القديمة.

الشجرة الأولى كانت أوراقها خضراء داكنة ومن الأسفل كانت مشرقة كالفضة. ولها عدد لا يحصى من الأزهار، وكان ندى الضوء الفضي يسقط منهما دائماً. ورقت الأرض من تحتهم بظل رفرقة الأوراق. أما أوراق الشجرة الثانية فكانت بلون أخضر فتي مثل لون خشب الزان الجديد بأول تبرعمه، وكان لها حواف ذهبية متألئة. تتأرجح أزهارها على الفروع لكأنها عنقايد من لهب أصفر. يُشكل تجمع هذه العناقيد بوقاً ملتهباً يسكب على

الأرض ندى ذهبي. ظهر من زهرة تلك الشجرة دفء وضوء عظيمين. دعي نوع الشجرة الأولى في فالينور، تيلبيريون (وتعني الشجرة البيضاء) وسيلبيون (وتعني ذات الضوء الفضي)، ونايكولوي (الشجرة البيضاء) والكثير من الأسماء الأخرى. والنوع الثاني كان اسمه لاوريلين ( وتعني الشجرة الذهبية) ومالينالدا وكولوراين. والكثير من الأسماء الأخرى التي قيلت عنهما بالأغنيات والأناشيد فيما بعد.

خلال سبع ساعات فقط، أصبح مجدُّ كلِّ شجرة إلى أكبر حجم، ومن ثم تضاهل ثانية إلى لا شيء، وكان كل واحد منهما يستيقظ ويعود إلى الحياة من جديد قبل ساعة من توقف الآخر عن الإشراق. هكذا كان في فالينور مرتين في كلِّ يوم تأتي ساعة لطيفة من الضوء الناعم عندما تكون أضواء كلتا الشجرتين خافته، فتختلط أشعثهما الفضية والذهبية. كان تيلبيريون كبير الأشجار وجاء بالمرتبة الأولى في اكتمال القوام وفي الإزهار، وفي الساعة الأولى التي يشرق فيها، يزرغ بصيص أبيض في فجر فضي. لم يتكل الفلار على حكاية الساعات. لكن سموها الساعة الافتتاحية. وابتدأوا منها باحساب الزمن لهذه المنطقة من فالينور. لذا ففي الساعة السادسة من اليوم الأول. يتوقف وقت تيلبيريون عن الازهار. (وامتد هذا الحال في كلِّ السنين البهيجة التي أتت بعد ذلك الوقت، وحتى زمن تعميم فالينور). وفي الساعة الثانية عشرة تزهو لاوريلين. وكان يوم الفلار في أمان يحوي على اثني عشرة ساعة، وينتهي هذا اليوم عند الاختلاط الثاني للأضواء، وهو الوقت الذي كانت تحبو فيه لاوريلين ويزداد ضوء تيلبيريون. كان الضوء ولمدة طويلة يستمر بالانسكاب من الأشجار قبل أن يصعد إلى الأعلى ويتبدد في الأجواء أو يسقط إلى الأسفل وتبتلعه الأرض. لذلك قامت فاردا بتخزين ندى تيلبيريون والندى الساقط من لاوريلين في أحواض عظيمة مثل بحيرات مشرقة. بحيث أصبحت كل أرض الفلار بمثابة آبار من الماء والضوء. وهكذا بدأت أيام النعمة في فالينور، وبدأ معها أيضاً حساب الوقت.

لكن كما شجبت العصور إلى ساعة محددة من قبل لإوقاتار بجيحي البكر، كذلك ألقيت الأرض الوسطى في الغسق تحت النجوم التي كانت قد خلقتها فاردا في الأرمنة المنسية أثناء كدحها في إيا، وسكن ميلكور في الظلام وما زال يئنس غالباً في الخارج بأشكال متعددة من السلطة والخوف، وسيطر على البرد والنار، من قِبل الجبال إلى الأفراغ العميقة التي تقع تحتها، ووكل ما كان قاسياً أو عنيفاً أو قاتلاً في تلك الأيام، فقد أضيف إلى مسؤولياته.

قلما عبر الفالار ممرات الجبال ليغادروا جمالي ونعمة فالينور إلى الأرض الوسطى، لكنهم أعطوا بالقابل للأرض التي تقع خلف بيلوري كل عنايتهم وحبهم. بنى أوليي القصور في وسط هذا العالم المبارك. وعَمِلَ في ذلك لمدة طويلة، فقد كان له الجزء الرئيسي من كل شيء صنع في تلك الأرض. وعمل هناك الكثير من الأعمال الجميلة المتناسقة إن كان في السر أو في العلن. فمنه يأتي العلم والمعرفة عن الأرض وما تحتها من أشياء. سواء بالعلوم النظرية أو العلوم الحرفية، كالخياكة وتشكيل الخشب والتعدين والفلاحة والزراعة أيضاً. مع أنه في هذه الأخيرة وكُلّ الأشياء المرتبطة بالنمو والثمر يجب أن نُنظِرَ أيضاً إلى زوجته ياقانا (كيبيتاري). يُعرف أوليي أيضاً كصديق نولدور، فمنه تعلّموا الكثير في الأيام اللاحقة، وهم الأكثر مهارة بين كل الجان، فقد أضافوا كثيراً إلى تعاليمه في حرفهم الخاصة، طبقاً للملكات التي أعطاهم إياها إلفواتار. فكانت بحجتهم باللغات والمخطوطات والأرقام وطرزات جديدة من الرسم والنحت. فكان نولدور هم أول من أُنجز عمل المجوهرات. وألقى وأصفي المجوهرات على الإطلاق كانت السيلماريليس التي ضاعت فيما بعد.

لكن مانوي سوليمو، الأعلى والأقدس بين الفالار، الجالس على حدود أرض أمان، لم يغفل بفكره عن الأراضي الخارجية<sup>1</sup>. لأنه وضع عرشه الفخم على ذروة تني كويتيل الجبل الأعلى في العالم والواقف على حافة البحر. وعنده الأرواح التي تشكلت وتحدت بأشكال كالصقور والنسور تطير من وإلى قلاعها، عيونها ترى ما في أعماق البحار والكهوف المخفية تحت العالم. فيأتونه بالأخبار كلما اقتربوا من أردا. رغم كل ذلك فقد أخفيت بعض الأشياء حتى عن عيون مانوي وخدمه. وتلك الأشياء كانت حيث يجلس ميلكور في ظلامه طارحاً ظلال فكره المنيع.

لم يكن مانوي يفكر بالفخر، أو الحسد والغيرة على سلطته، لكنه كان يقود الجميع إلى السلام. كان يحب الفانيار<sup>2</sup> أكثر من بقية الجان الآخرين ومنه أخذوا الأناشيد والشعر، فالشعر هو بمحة مانوي، وأغنياته الكلمات، لباسه أزرق، والنار التي تخرج من عيون زرقاء أيضاً، وصورجانه من الباقوت الذي صنعه له نولدور. وهو معين لكي يكون نائب إلفواتار ووكيله وملك عالم الفالار والجان والبشر. وهو الحماية الرئيسية ضد شر ميلكور. ومع

<sup>1</sup> الأراضي الخارجية: هي الأراضي الواقعة خارج أمان والمقصود بها هنا الأرض الوسطى

<sup>2</sup> فانيار Vanyar. أو "جان الضوء" وهم أول موكب من موكب الجان التي هاجرت إلى فالينور. زعيمهم ابتغوي، ويحمل لقب ملك الجان الأعلى، مسكن في تني كويتيل تحت قاعات مانوي، سافر جميع الفانيار إلى فالينور منذ بداية العصر الأول، وبغرض هناك، لذلك لا نجد لهم أخبار كثيرة في الأرض الوسطى.

مانوي كانت تسكن قاردا الأكثر جمالاً، وهي المسماة في لغة سينديارين ايلبيرت، ملكة الغالار صانعة النجوم، ومعهما في ذلك النعيم مجموعة كبيرة من الأرواح. أولمو هو الوحيد الذي لم يسكن في فالينور، ولا يذهب إلى فالينور أبداً ما لم تكن هناك حاجة لوجوده في المجلس العظيم، فقد مكث منذ البداية في البحر المحيط لأردا، ومازال يسكن هناك. ومن هناك يحكم تدفق المياه، والمد والجزر، والأنهار وروافد الينابيع، وقطرات الندى والمطر في كل أرض تحت السماء. وفي الأماكن العميقة يعطي موسيقى عظيمة وفظيعة. عبر صدى تلك الموسيقى عبر عروق العالم في الحزن والبهجة، يتهجج في الينابيع التي ترتفع في الشمس. تروي ينابيعه آبار الحزن العميق في أساسات الأرض. تعلمت منه تيليري<sup>1</sup> معظم العلوم، ولهذا السبب فإن موسيقاهم لها مفهومي الحزن والسحر. جاء معه إلى أردا سلالاً<sup>2</sup>، وهو الذي صنع له الأبواق التي لا يمكن أن يُسنى صوتها لدى سماعها مرة واحدة، ويتبعه أيضاً أوسي وأوينين. وهما اللذان أعطاهما أولمو حكم الأمواج وحركات البحار الداخلية، وتساعدته في ذلك الكثير من الأرواح الأخرى. فكل ما سبق يدخل ضمن سلطات أولمو. بالإضافة إلى أنه حتى في الظلام، يكون متعباً لظل حياة ميلكور حتى في العروق السرية للأرض. ولهذا السبب فالأرض لم تُمتث. وكل الذين سقطوا في الظلمة أو تجولوا بعيداً عن ضوء الفالار، كانت آذان أولمو مفتوحة لهم باستمرار، ولم يترك الأرض الوسطى أبداً، ومنذ أن حلّ الدمار والحراب والتغيير فلم يتوقف عن التفكير بما مطلقاً، ولن يتوقف حتى نهاية الزمان.

في ذلك الوقت المظلم كانت ياقاناً أيضاً غير راغبة تماماً في ترك الأراضي الخارجية، فكل الأشياء النامية كانت عزيزة عليها، وقد حزنت وتأثرت للأعمال التي بدأت في الأرض الوسطى. لكن ميلكور كان مفسد لها. لذلك تركت بيت أوليبي، ورحيق الأزهار في فالينور، فحجب أن تعود لشفاء أذى ميلكور، ويعودتها مستح الفالار على الحرب للتلخض من سيطرة الشر على الأرض، والتي يجب أن يشنوها قبل أن تجلب الموت للبكر.

<sup>1</sup> تيليري. Teleri. وهم القبيلة الأكثر عدداً والأقل ترابلاً من بين قبائل الجان الثلاثة التي ذهبت بالرحلة الكبرى إلى فالينور، وقد اختاروا طريقهم عبر بيلوياند، ومن تيليري محتر قللاري ونانديور وسينداز، وجزء ليس بالقليل منهم ترك جاعتهم وعظروا إلى بيلوياند عند عبورهم للجبال الزرقاء، بعد أن كان قد ضاع رصعهم البروي رفض الكثير من الشعب الاستمرار بالرحلة إلى امان حتى يجندوا البروي، لذلك فقد تضمنت تيليري الكبيرة إلى عدة مجموعات، سينداز ونانديور وغيرهم الذين بقوا في الأرض الوسطى، في حين أن البروي شقيق البروي قاد مجموعة من الشعب عبر البحر الكبير إلى الأرض المباركة، وكانت تيليري آخر الواصلين إلى امان، وقد سكبوا في الكواليندي على الشواطئ القريبة للبحر الكبير.

<sup>2</sup> سلالار. Salmar، هو واحد من الجوار الذين يقعون أولوا، وهو صانع أولوموزي أبواق أولوا، وكل من يمسحها يتبقى إلى البحر ومن سمع موسيقاها لا ينساها أبداً.

أما أورومي قاهر ومرروض الوحوش فسيتركب لفترة إلى الغابات المظلمة، وهو الصياد الجبار، فقد جاء بالرمح والقوس لقتل الوحوش والمخلوقات العنيفة من مملكة ميلكور. وقد أشرق حصانه الأبيض نهاراً مثل الفضة في الظلال وارتعدت الأرض النائمة من وقع حوافره الذهبية. وفي غسق العالم نادى أورومي عبر بوقه العظيم (فالاروما) على سهول أردا ورددت الجبال صدى صوته، فهربت ظلال الشر بعيداً. حتى ميلكور نفسه ارتجف في أوتومو. لأن أورومي هو نذير الغضب القادم. لكن ما إن يرجع حتى يتجمع حشم ميلكور وتمتلئ الأرض بالظل والخداع مجدداً.

كل ما ذكر سابقاً بخصوص أسلوب الأرض وحكمها في بداية الأيام، وقبل أن يصبح العالم كما يعرفه أبناء الإوفاتار. فالجان والبشر هم أبناء الإوفاتار. ونظراً لأن آينور لم يفهموا تماماً ذلك الموضوع الذي دخل فيه الأبناء إلى الموسيقى، فلم يتحاسر أحد منهم على إضافة أي شيء إلى صيغة أبناء الإوفاتار. ولذلك فالفالار أقرباؤهم، أو بالأحرى فإن الفالار هم أقرباؤهم الأكبر سنّاً وهم الرعماء والسادة. حرص آينور في تعاملهم مع الجان والبشر على الإيجار إذا لم تكن الهداية ممكنة. ونادراً ما اتجه هذا الإيجار إلى نتيجة جيدة، مهما كانت نوايا آينور في ذلك الأمر طيبة. وكانت تعاملات آينور في معظمها مع الجان. لأن الإوفاتار جعل الجان مثل آينور في الطبيعة، لكنهم أقل في المنزلة والقدرة. بينما أعطى للبشر هدايا غريبة.

لم يكن بعد رحيل الفالار من الأرض الوسطى إلا الصمت. ولمدة عصر من الزمان جلس الإوفاتار مفكراً لوحده ثم تكلم قائلاً: انظروا! إني أحب الأرض التي ستكوّن قصر كويندي وأنتاني، لكن كويندي سيكوّن الأجل من بين كل المخلوقات الدنيوية، وهم سيحبون ويلدون أبناء أجمل من كل أولادي، ولهم سيكون النعيم الأكبر في هذا العالم. لكنني سأعطي أنتاني هدية جديدة. لقد أراد بتلك الهدية أن تسعى قلوب البشر إلى ما وراء العالم وينبغي أن لا يجدوا أي راحة فيه، لكن ينبغي أن تكون لديهم فضيلة تشكيل حياتهم وسط سلطات ومصادفات العالم، خارج إطار موسيقى آينور التي هي مصير لكل شيء آخر، ومن جراء عملياتهم هذه فكل شيء في العالم ينبغي أن يكون تاماً في شكل والفعال، حتى ينجز العالم إلى آخر وأصغر الأشياء.

يعرف الإوفاتار بأن وضع البشر وسط اضطراب سلطات العالم، سيجعلهم في أغلب الأحيان تائهين، ولن يستعملوا مواهبهم بتوافق، فقال أيضاً: في وقتهم سنجد بأن كل ما

يفعلوه ميساهم في النهاية فقط في تمجيد أعمالي. رغم ذلك يعتقد الجان بأن البشر سيحلون في أغلب الأحيان الحزن والكآبة إلى مانوي الذي يُعرفُ معظم أفكار إلوڤاتار، لذلك قد يبدو البشر بالنسبة للجان أشبه بميلكور أكثر من آينور الآخرين، على الرغم من أنه يكرهم ويخاف منهم، حتى أولئك الذين كانوا في خدمته.

ومع هذه الهدية الوحيدة من الحرية فإن حياة أبناء البشر ستكون قصيرة في هذا العالم، وغير مقيدة فيه. فهم يغادرونه في وقت قصير إلى أماكن لا يعلمها الجان. بينما الجان باقون حتى نهاية الأيام، لذلك فحبهم للأرض ولكل العالم أكثر نفراً وأكثر تأثيراً. وبينما تطول السنوات حزينة. فليس للجان موت حتى تموت أرضية العالم ما لم يقتلوا أو يتبددوا من الحزن. (بكلتا الحالتين فقط تكون طريقة موتهم). ولا تضعف قوتهم مع تقدمهم بالعمر. ما لم يرهق الواحد منهم قد يبقى لعشرة آلاف قرن، يتم تجميع الموتى منهم في قاعات ماندوز في فالينور، ويجوز أن يعودوا إلى الحياة بمرور الوقت. لكن أبناء البشر يموتون. ويتركون العالم، ولهذا السبب يدعوهم الضيوف، أو الغرياء، والموت هو المصير المقدر عليهم من إلوڤاتار كهدية. وفي وقت ارتداءهم للموت حتى أن كل القوى سوف تحسدهم عليه. ألقى ميلكور ظلاله فوق الموت، فأريكه بظلمته وأخرج الشر من الخير والخوف من الأمل. (وهكذا كان الموت يعني الخير والأمل قبل أن يلقي ميلكور عليه ظلاله فحوله إلى الشر والخوف). ومنذ القدم كان قد أعلن الفالار للجان في فالينور بأن البشر سينضموا إلى موسيقى آينور الثانية. في حين أن إلوڤاتار لم يكشف للفالار عن أهدافه



الشكل (1). مصور أردا. الأرض الوسطى وأرض أمان. وتظهر فيها نوميونور أيضاً، ومصايح الفالار وأشجار فالينور.

## الفصل الثاني

### أوليي و ياقانا

هي حكاية تخبرنا عن بداية الأقرام الذين خلقهم أوليي في ظلام الأرض الوسطى، لذا نقول: كثيراً ما رغب أوليي بمحيي الأبناء، لكي يعلمهم ويدرسهم علمه وحرفته، فلقد نفذ صيره من انتظار إنجاز تصاميم إلفاتار التي ماتزال في طور الخلق، لذلك فإن أشكال الأبناء التي أتت إلى فكره كانت غير واضحة. وبسبب سيطرة قوّة ميلكور على الأرض في ذلك الوقت، فقد قادته أفكاره إلى أن تصمّمهم يجب أن يكون قوياً وعبيداً. لكنه خاف بأن يلومه الفلالار الآخرين في عمله هذا، لذلك أنجز عمله بالسرّ، وخلق أولاً آباء الأقرام وعددهم سبعة. وذلك في قاعة تحت الجبال في الأرض الوسطى.

أنهى أوليي العمل وأكمله وكان مسروراً وبدأ بإعطاء الأوامر للأقرام في اللغة التي اخترعها لهم. علم إلفاتار بأمرهم في اللحظة التي تم فيها اكتمال إنجازهم. فتكلم مع أوليي الذي بقي صامتاً، وقال له صوت إلفاتار: لماذا فعلت هذا؟. لماذا تحاول معرفة الأشياء التي تقع خارج سلطتك ونفوذك؟. لأني منحتك موهبة الخلق لكن فيما يخصك فقط لا أكثر من ذلك. وبالتالي فإن مخلوقات يديك وعقلك يمكن أن تعيش فيها فقط. تحركهم عندما تنوي تحريكهم. وإذا كان تفكيرك في مكان آخر فهل يبقوا حاملين. هل تلك هي رغبتك؟

فأجاب أوليي: أنا لم أرغب في مثل هذه السيادة. بل رغبت بأشياء أخرى. لكي أحبهم وأعلمهم، وربما لكي يدركوا جمال إيا أيضاً. الذي أنت هو علة وجوده. وقد بدا لي بأن هناك في أردا غرفة كبيرة تتسع للكثير من الأشياء التي قد تنتهي فيها، على الرغم من أن الجزء الأكبر منها مازال فارغاً وصامتاً. وبنفاد صبري سقطت إلى الحماقة، رغم ذلك فلم يكن عمل أي شيء في قلبي وفي فكري إلا بواسطتك. فالطفل قليل الفهم صنع لعبة من أعمال أبيه، وهو قد يعمل ذلك بسخرية وبدون تفكير. لأنه ابن أبيه. لكن ماذا سأفعل الآن لكي ترضى عني ولن تكون غاضباً عليّ إلى الأبد؟. وكطفل إلى أبيه أقدم لك هذه

الأشياء، عمل يدي التي صنعتها أنت، فافعل بهم ما تريد. لكن ألا ينبغي لي أن أحطّم أنا عملي الذي افترضته؟.

رفع أوليي مطرقة عظيمة لضرب الأقرام وكان يبكي، لكن إلفاتار كان يمتلك شفقة على أوليي ورغباته بسبب تواضعه. انكمش الأقرام من المطرقة وتلبسهم الخوف، وأحنوا رؤوسهم وطلبوا الرحمة. فقال صوت إلفاتار إلى أوليي: قبلت العرض حتى كما هو معمول، هيه أنت، ألا ترى بأن هذه الأشياء لها الآن حياتها الخاصة ويتكلمون بلغتهم الخاصة؟ وإلا لما كانوا خائفين من ضربهم، ولا ينفذون أوامرك. فأنزل أوليي مطرقة وكان مسرورا، وقدم شكراً إلى إلفاتار قائلاً: فلتباركن يا "إيرو" عملي وتصلحه.

تكلم إلفاتار ثانية وقال: كما وهبت الوجود لأفكار آينور في بداية العالم، كذلك الآن أعطيهم موقعاً فيه بناء على رغبتك، لكن بأي وسيلة أخرى قد أعد عمل يديك هذا، وكما علمته أنت كذلك سيكون، لكني سوف لن أقبل بأن يأتي هذا التصميم قبل مجيء ابني البكر. فلا يجب أن يكافأ نفاذ الصبر، لذلك فهم سينامون الآن في الظلام تحت الحجارة ولن يظهروا حتى يظهر البكر على الأرض، وإلى ذلك الوقت، أنت وهم مستتظرون وعلى ما يبدو لمدة طويلة، لكن عندما يأتي الوقت فأنا سأوقفهم، وهم سيكُونون إليك كالأنباء، وفي أغلب الأحيان سيظهرون نزاع بين ما هو لك وما هو لي، أي بين أبنائي بالتبني وأبنائي الحقيقيين.

ثم أخذ أوليي آباء الأقرام السبعة، ووضعهم ليرتاحوا في الأماكن المنفصلة البعيدة. وعاد إلى فالينور، وانتظر مرور السنوات الطويلة.

وكما قلنا بأن الأقرام خلقوا في أيام سلطة ميلكور، فقد خلقهم أوليي متمتعين بالقوة، لذا فهم كالحجارة بالشدّة والعناد، سريعين إلى الصداقة والعداوة، يحملون التعب الشديد والجوع وأذى الجسم بقساوة أكثر من بقية الناس الناطقين، ويعيشون لمدة طويلة، أكثر كثيراً من حياة البشر، لكنهم غير خالدين. في البداية يكون الأقرام كما الجان في الأرض الوسطى لكن عند موتهم يعودون إلى الأرض والحجارة التي منها خلقوا، فوق ذلك فلا يوجد لديهم معتقدات، لأنهم يقولون بأن أوليي هو الخالق ويسمونه ماهال، أي الذي يعني بهم. ويجمعهم إلى ماندوز في قاعات خاصة بهم، وبأن إلفاتار أعلن إلى آباؤهم في القدم بأنه سيقدسهم، وأعطاهم موقع بين الأنباء في النهاية. ثم إن حصتهم ستكون في خدمة أوليي ومساعدته في إعادة صياغة أردا بعد المعركة الأخيرة. ويعتقدون أيضاً بعودة



الآباء السبعة للأقزام للعيش ثانية بقبائلهم الخاصة، حاملين مرة أخرى أسماءهم القديمة، ومنهم دورين الأكثر شهرة في العصور. فهو أبو العشيبة وكانت لدية صداقة وودٌ مع الجان، وهو الذي كانت له القصور في خازاد دوم<sup>١</sup>.

عندما صنع أوليي الأقزام كان قد أخفى ذلك العمل عن الفالار الآخرين، لكنه أخيراً فُتح قلبه إلى ياقانًا وأخبرها بكل ما حصل. فقالت له ياقانًا: إيرو رحيم، وإنني أرى بأن قلبه ربما قد يبتهج طالما أن الأمر قد أُجبر، لذلك فقد يستلمها منك ليس فقط كمغفرة وإنما كحكمة. رغم ذلك ولأنك أخفيت عني هذه الفكرة حتى أكملت إنجازها. فإن أبناءك سيكون لديهم القليل من المودة للأشياء المحبوبة لدي. وهم سيحبون أولاً الأشياء التي صنعوها بأيديهم، مثلهم في ذلك مثل أبيهم. ومسيحفرون في الأرض، ولن يهتموا بالأشياء التي تنمو وتعيش عليها، وستشعر أشحاجٌ كثيرةٌ بضربات فؤوسهم بدون شفقة.

لكن أوليي أجابها: ذلك قد يكون واقع أبناء إلوفاتار أيضاً في مآكلهم وأبينتهم، على الرغم من أن الأشياء في مملكتك لها قيمة بعد ذاتها. فكيف ستكون قيمتها إذا لم يأت إليها الأبناء؟ لأن إيرو سيُعطيهم السيادة، ويجوز لهم استخدام كل ما يجدهو في أردا، بدون أي احترام أو امتنان. وإن لم يكن هذا من أهداف إيرو.

لم تكن ياقانًا راضية تماماً وقالت: ما لم يُظلم ميلكور قلوبهم، لكن الحزن في القلب، والخوف ما قد يحصل على الأرض الوسطى في الأيام القادمة. لذلك فعندما ذهبْتُ ووقفت أمام مانوي لم تفشي سِرَّ أوليي، لكنَّها قالت: يا ملك أردا، هل صحيح ما قاله لي أوليي بأنَّه عندما يأتِي الأبناء ستكوُن لديهم سيادةٌ على كُلِّ الأشياء التي عملتها أنا. ليفعلوا فيها ما يريدون؟.

فقال مانوي: نعم هو كذلك، لكن لماذا تسألين، فهل استغيت عن تعاليم أوليي ولم تعودي بحاجة لها؟.

صمتت ياقانًا وفكرت قليلاً ثم أجابت: لأن قلبي ملتهب وقلقة من التفكير بالأيام القادمة. فكل أعمالِي غالبية عليّ. ألا يكفيني بأن ميلكور أفسد الكثير منها؟ أيضاً فوق ذلك لن يكون لي أي اختراع خالٍ من سيطرة الآخرين عليه؟.

<sup>١</sup> خازاد دوم: هي أروع وأشهر قصور الأقزام، وتقع في الجزء الأوسط من جبال الضباب، منحوتة في الصخر ويمكن الوصول إليها عبر نفق مخور تحت الجبال، وعبرها كان المسافر يصطحب العمور من الغرب إلى الشرق. وقد تأسست في أول أيام دورين، الذي جاء إلى بحيرة متلاعبة تحت جبل كيليديل، وكان انعكاس ضوء النجوم فوق مياهها مثل تاج من النجوم. لذلك سماها في لغة الأقزام. خوليد زلام. وأيضاً ميورومي، وهناك بدأ بناء خازاد دوم.

فقال لها مانوي: وإذا كان هذا ما سيحصل لهم فما هو تحفظك؟ ومن كُـل عالمك مَنْ هو الأعلى على قلبك؟

فقالَت ياقانًا: كل واحد منهم له قيمته الخاصة وكُلّ واحد يُساهم بقيمة الآخرين. لكن كيلفار<sup>١</sup> يُمْكِنُ أَنْ يَهْرَبَ منهم أو يُدافع عن نفسه، بينما أولفار<sup>٢</sup> الذي يَنْمو لا يَسْتَطِيعُ. لكني أقدر الأشجار كثيراً فهي عزيزة عليّ، لأنها تأخذ وقتاً طويلاً في النمو لكنها بالمقابل تسقط سريعاً. غير ذلك أيضاً فإن الأشجار دائماً تدفع ضريبة من ثمارها، فعند مغادرة الثمرة يكون هناك حزن قليل من قبل الغصن على هذه الثمار. لذلك أرى بأنه يجب أن يكون هناك أشجار تتكلم وتتحرك، وبالتالي فإنها قد تدافع عن كل الأشياء التي لها جذور وتعاقب المخطئين بحقهم.

قال مانوي: هذه فكرة غريبة!

فقالَت ياقانًا: على الرغم من أن هذه الفكرة كانت موجودةً بالأغنية عندما كنت أنت وأولو تينان الغيوم في السماوات، عندما مكبت الغيوم أمطارها، ورفعت أنا فروع الأشجار العظيمة لاستقبال المطر، فقامت بعض هذه الأشجار بالترنيم لإلوقاتار ومسط الرياح والمطر.

جلسَ مانوي صامتاً، ودخلت تلك الفكرة التي قالها ياقانًا إلى قلبه وانكشفت له وكأنها نحة من إلوقاتار. ثم بدأ إلى مانوي وكان الأغنية أشرقت من حديد حوله فاحترم أشياء كثيرة من الأشياء التي سمع عنها من ياقانًا، مع أنه من قبل لم يكن يعيرهم أي اهتمام. وأخيراً تجددت الرؤية، لأن مانوي لم يعد بعيداً الآن كما كان سابقاً عندما ظهرت لهم الرؤية أول مرة وهم في الفراغ، بل أصبح مانوي نفسه داخل الرؤية، ورأى بأن كُـل ذلك قد أُيدته يَدُ إلوقاتار، وهذه اليد دخلت إلى الرؤية من حديد، وأخرجت منها الكثير من العجائب التي كانت مخفية عن قلوب آيوزر.

ثم همض مانوي ونزل إلى ياقانًا على ايزيللوهار، وجلسَ بجانبها تحت الشجرتين. وقال: يا كيميبتاري، قد تكلمَ إيرو قائلاً: هل يظن أحد من الفالار بعد ذلك بأي لم أسمع كل الأغنية، حتى آخر صوت من أصغر صوت فيها؟ انظر فعندما ينهض الأبناء سوف

<sup>١</sup> كيلفار: Kelvar. (الحيوانات)، هي كلمة باللغة الجنية وتعني الكلمات الجنية التي تملك قدرة على الحركة كالبهام. وعن الأغلب أنها مشعة من الجذر: Kel. كيل، وبالنسبة معناه: ذهب، أو ركض، ومن أشهر الكيلفار المسكونين بأرواح عظيمة. النور التي تشارك بالأحداث العظيمة للأرض الوسطى.

<sup>٢</sup> أولفار: Olvar. (النباتات)، هي الكلمات الجنية الرائعة أو العائبة ولا تملك قدرة على الحركة كالاشجار.

يصحو فـكـر ياقانـا أيضاً ومـتـسـتـدـعـى الأرواح مـن بعيد، ومـسـتـدـهـب هـذه الأرواح بـين كيلفار وأولفار، وبعـض هـذه الأرواح مـيـسـسـكـن في كيلفار أو أولفار، ويحمله بالخشوع، وسيخشى فقط مـن غضبهم، ووقت استدعائهم سيكون في تلك الفترة التي يكون البكر فيها مايزال في عرّ قوته، والثاني ما يزال شاباً. هل تعلمي بأنهم لا يتذكرون الآن يا كيميبتاري وبأن فكرك لم يُعني لوحده دائماً؟ لم لا يلتقي فكرك مع فكري أيضاً؟ حتى يتسنى لنا أخذ أجنحة مثل الطيور الكبيرة التي تحلّق فوق الغيوم؟ وهذه أيضاً ستأتي لتكون موجودة ولتقف بجانبهم بعناية من الإقناتار، وقبل أن ينهض الأبناء سيخرجون بأجنحة مثل الريح، إنها نسور سادات الغرب.

بعدها هضمت ياقاناً مسروجة، ومدت ذراعها نحو السماوات، وقالت: عالياً ستترفعون يا أشجار كيميبتاري، وتكونون ماوى لنسور الملك.

هض منوي وبدأ عالياً جداً ونزل صوته إلى ياقاناً وكأنه يأتي من ممرات الرياح وقال: كلا فقط أشجار أوليي ستكون عالياً بما فيه الكفاية لتكون مسكناً للنسور، وسيكون ماوى النسور في الجبال. لتسمع أصوات الذين يدعوننا. لكن في الغابات ستمشي رعاة الأشجار<sup>١</sup>.

ثم افترق منوي و ياقاناً في ذلك الوقت، وعادت ياقاناً إلى أوليي، ووجدته في ورشته يصب معدناً منصهراً في قالب فقالت: إيرو ذو فضل عظيم. حذر أبناءك بأنهم قد يكونوا في خطر! فهناك في الغابات ستمشي قوة ومن يغضبها سيكون في خطر. فقال لها أوليي: مع كل ذلك فستكون لديهم حاجة للأخشاب، واستمر بعمله في التعدين.



<sup>١</sup> رعاة الأشجار: الإبتس Enta. وهو جنس علاقي، على شكل شجرة تشبه الناس، واسمهم رعاة الأشجار. والهدف من وجودهم هو حياة غابات الأرض البسطى. ومع حلول العصر الثالث وتعلم الغابات فقد تعلم ساكنها من الإبتس، ولكن ملازال البعض من الإبتس يعيشون في غابات فانتورن.

## الفصل الثالث

## مجيء الجان وأسر ميلكور

سكن الفالار لعصورٍ طويلةٍ في الأرض الواقعة وراء جبال أمان متمتعين بنعمة الضوء الآتي من الأشجار. أما الأرض الوسطى فقد كانت مدفونة في الغسق تحت النجوم. وفي السابق عندما أشرقَت مصابيح الفالار على الأرض الوسطى فقد ابتدأ النمو هناك. لكنه أصبح مقيداً الآن بسبب عودة الظلام مجدداً. وبالتالي فإن أقدم الكائنات الحيّة كانت قد نشأت. ففي البحار نشأت الحشائش الكبيرة، وعلى الأرض نشأت الأشجار الكبيرة، أما في وديان التلال المكشوة بالعمّة فقد وجدت هناك مخلوقات مُظلمة قديمة وقوية. نادراً ما ذهب الفالار إلى تلك الأراضي والغابات، إلا يافأنا وأورومي. مشيت يافأنا هناك في الظلال حزينة لأن النمو ووعد ربيع أردا كانا متوقفان. فأسدلت ستار النوم على الكثير من الأشياء التي ظهرت في الربيع لكي لا يكبروا ويتلاشوا. فعلى هذه الأشياء انتظار زمن البقطة الذي سيأتي فيما بعد.

في الشمال سرّ لا ينام. فقد بنى ميلكور قوّته وكان يراقب ويعمل، والأشياء الشريرة التي أفسدها سارت في كافة الأنحاء. أصبحت العمّة والغابات النائمة ملعباً للوحوش وأشكال الفزع. جمع ميلكور في معقله أوتومنو كل شياطينه حوله، وهي تلك الأرواح التي تبعته بدايةً منذ أيام عظمته. وأصبحت غالبية تلك الأرواح مثله في الفساد. منهم من كان قلبه من النار المخفية تحت رداءه المظلم، وسياط اللهب بيديه تثير الرعب أمامه، وهو الذي دعي في الأرض الوسطى فيما بعد باسم بالروغز<sup>1</sup>. رى ميلكور أيضاً الكثير من الوحوش الأخرى في ذلك الوقت المظلم. وكانت متعددة الأشكال والأنواع، وهي التي أزعجت العالم كثيراً، وأصبحت مملكته ممتدة إلى جنوبي الأرض الوسطى.

<sup>1</sup> بالروغز: Balrogs. نشأت من النار، مثل سلورون بالطبيعة، وكانوا من الأرواح البدائية التي تحالفت مع ميلكور في العصور القديمة، وأصبحوا من أكثر عباده رعباً، وخصوصاً خلال حروب بيلرياند في العصر الأول، عددهم على الأظب غير معروف، لكنهم قلة فلا يزيدون عن السبعة. وطربهم بالأساس هي طيرمة نارية. وبعض الروايات تقول بأن بالروغز تمتلك أجنحة، والبعض يقول لا تمتلك أجنحة، وفي هذا الموضوع محل نقاش لدى الأرن (الترجم).

بنى ميلكور أيضاً قلعة ومستودع أسلحة غير بعيدين عن الشواطئ الشمالية الغربية للبحر، لصد أي هجوم قد يأتيه من أمان. وكان قائم تلك القلعة مُساعد ميلكور الذي هو من الميَّار واسمه ساورون، واسم تلك القلعة أنغباند.

عقد الفلارار مجلساً لأنهم كانوا قلقين من الأخبار التي جلبها لهم من الأراضي الخارجية كل من ياقاننا وأورومي. تكلمت ياقاننا أمام الفلارار قائلة: يا عظماء أردا، لقد كانت رؤية إلفاتار قصيرة وسرعان ما اختفت، فلم نستطع التخمين. هل ستتحقق ضمن هذا الوقت الضيق من هذه الأيام؟ أم أن ساعتها لم تكن بعد؟ لكننا متأكدون بأن الساعة تقرب، وضمن هذا العصر سوف يتحقق أملنا باستيقاظ الأبناء، وبعدها هل ستترك لهم الأرض مسكناً موحشاً مليئاً بالشر؟ وهل يجوز أن نتركهم يمشون في الظلام بينما نحن نمتلك الضوء؟ وهل ستتركهم لينادوا بميلكور بالسيد، بينما يجلس مانوي هنا على تني كويتيل؟ صاح تولكاس: كلا! دعونا نُشن حرباً خاطفة! ألم نسترح من الصراع لمدة طويلة أكثر من اللازم؟ أليست قوتنا متحددة الآن؟ هل سيقتى واحد لوحده بنازلنا جميعاً إلى الأبد.

وبدعوة من مانوي تكلم ماندوز فقال: في هذا الزمن فعلاً سيأتي أبناء إلفاتار، لكنهم لم يأتوا بعد. علاوة على ذلك فإنه من العذاب أن يكون قدوم البكر في ظلام الأرض، لذلك علينا أن ننظر أولاً إلى النجوم التي يجب أن يكون ضوءها عظيم بلا خفوت. وفي مثل هذه الحاجات سننادي دائماً إلى فاردا.

خرجت فاردا من المجلس ونظرت من أعالي تني كويتيل، فرأت الأرض الوسطى مظلمة تحت النجوم الخافتة البعيدة. عندها بدأت بالعمل العظيم والذي يعتبر من أعظم أعمال الفلارار منذ يجيئهم إلى أردا. فأخذت ندى الفضة من أحواض تيلبيريون، وصنعت منه نجوماً جديدة ساطعة أكثر من القديمة استعداداً للبحر. ولهذا السبب أطلق على فاردا اسماً يعبر عن أعماق الزمن والكبح في إيا. فكان اسمها تينتالي، أي المشعل. وسميت بعد ذلك من قبل الجان ايلينتاري، أي ملكة النجوم. جمعت فاردا النجوم التي عملتها في ذلك الوقت وهي: كارنيل، لوينيل، نينار، لومبار، الكارينكوي، ايليميري، مع نجوم أخرى كانت قد صنعتها منذ القدم وهي: ويلوارين، تيلومنديل، سورونغي، أناربا، منيلمكار، ووضعتهن كإشارات في سموات أردا. مشكَّلة الحزام المشرق الذي يُندُرُ بحدوث المعركة الأخيرة التي ستكُونُ في نهاية الأيام. وكحدي لميلكور وضعت في أعالي الشمال إكليل مكون من

سبعة نجوم هائلة متأرجحه، اسمها فالاكيركا، أي منجل الفالار. وهي تشير إلى القدر والحساب.

عندما أُنعت فاردا عملها الذي استمر لمدة طويلة. سار منيلمكار أولاً عبر السماء وكانت نار الهيلوين الأزرق تومض في السحب فوق حدود العالم. يُقال بأنه في تلك الساعة استيقظ الأبناء من الأرض. من بحيرة كويشيينين المضاءة بالنجوم نفض بكر إلفاتار، من ماء البقطة نفضوا من نوم إلفاتار. وأول ما وقعت عليه عيونهم عندما استيقظوا قُرب كويشيينين كانت نجوم السماء، وكانوا لا يزالوا صامتين في حينها. لذلك أحبوا دائماً ضوء النجوم وبجلوا فاردا ايلينتاري فوق كل الفالار.

أثناء تغييرات العالم، لم تبقى أشكال الأراضي والبحار كما هي، لقد كانت مهدمة وبجاجة لأعاده التصنيع، فلا الأنهار احتفظت بمساراتها، ولا الجبال بقيت صامدة بمكانها، حتى كويشيينين لم تبقى في مكانها. ويُقالُ بين الجان بأنها نُقلت من مكانها وأصبحت في شرقي الأرض الوسطى، أما مكانها فأصبح خليج في البحر الداخلي هيلكار. توقفت البحر في المنطقة التي كانت فيها جبل إللوين قبل أن يخرجه ميلكور بالكثير من اللياه التي تدفقت إلى هناك من المرتفعات الشرقية. لذلك كانت أول الأصوات التي سمعها الجان هو صوت الماء المتدفق الساقط على الحجارة.

سكن الجان لمدة طويلة في بيتهم الأول بجانب الماء وتحت النجوم ومشوا فوق الأرض مندهشين. بدأوا بالكلام واعطاء الأسماء لكل الأشياء التي شاهدوها، فسَموا أنفسهم كويندي وهي كلمة تشير إلى الكائنات الناطقة، ولحينها لم يكونوا بعد قد اجتمعوا بأشياء حيّة أخرى غيرهم تتكلم أو تغني.

ذهب أورومي إلى الشرق بغية الصيد، فاستدار شمالاً بمحاذاة شواطئ هيلكار وغير من تحت ظلال أوروكراتي، وهي الجبال الواقعة في الشرق. فبدأ حصانه ناهار بالصهيل فجأة وتوقف بلا حراك. جلس أورومي يتساءل بصمت. فبدأ إليه وكأنه سمع في هدوء الأرض تحت النجوم أصواتاً كثيرة تعني من بعيد. نظر أورومي إلى الجان بدهشة، كما لو أنهم كانوا كائنات رائعة غير متوقعة.

هكذا عن طريق الصدفة، اكتشف الفالار أخيراً وجود أبناء إلفاتار الذين انتظروهم طويلاً. وهم سيكونون دائماً مع الفالار من دون كل العالم. مع ذلك فكل الأشياء مقدرة أو قد تكون تديراً من الموسيقى أو رؤيا وتنبؤات منذ زمن بعيد، وكل تلك التقادير كانت

لكي يدخل أولئك فعلاً إلى إيا. فكل شيء مستحقق في وقته فجأة كشيء جديد وغير متوقع.

في البداية كان يكثرُ الوفيات أقسى وأضخم مما أصبح عليه فيما بعد. لكن لم يكن أكثر جمالاً، مع أن جمال كويندي في أيام شبابهم كان يتفوق على جمال كل الأشياء الأخرى التي خلقها إلفاتار. صحيح أنهم لا يفنوا ولا يضعفوا لكن حياتهم في الغرب والجزن والحكمة، كلها أشياء أثرت عليهم. أحب أرومي كويندي كثيراً، ومعهم في لغتهم الخاصة إيلدار أي شعب النجوم، لكن هذا الاسم حمله فيما بعد فقط أولئك الذين تبعوه على الطريق نحو الغرب.

رغم ذلك فقد فرغ الكثيرون من كويندي جراء مجيء أرومي إليهم، وهذا الفرع كان بسبب أفعال ميلكور، لأنه وبعد المعرفة، فقد تبين للحكيم بأن ميلكور كان دائم الانتباه، وكان من أوائل المدركين لاستيقاظ كويندي، لذلك أرسل الظلال والأرواح الشريرة للنجس وقطع الطريق عليهم. وحدث قبل مجيء أرومي ببعض سنوات، بأنه إذا ما ناه أحد من الجان أو ضل الطريق أكان لوحده أو ضمن مجموعة. على الأغلب كانوا يفتنون تماماً ولا يعودون أبداً، وكان كويندي يفسر تلك الحوادث، بأن الصياد قد أوقع بهم وكانوا يخافون من ذلك، وفي الحقيقة فإن أقدم أغاني الجان والتي مازال صداها متذكراً في الغرب، تُخبر عن أشكالٍ من الظلال كانت تمشي فوق تلال كويفينين. وعن الظلال التي تحجب النجوم فجأة، أو عن الفارس المظلم الذي يركب على حصانه البري ويلاحق الذين تاهوا منهم لأخذهم وافتراسهم. وبما أن ميلكور يكره أرومي كثيراً ويخاف من ركوبه إلى الأرض الوسطى. فإما أنه أرسل بالفعل خدمه المظلمون كخيالة، أو نشر همسات الكذب في الخارج من أجل تحقيق هدفه الذي يقضي بتحاشي التقاء كويندي مع أرومي.

وهكذا كان عندما سهل ناهار وجاء أرومي بينهم. فقد اختبأ بعض كويندي والبعض الآخر هربوا وضاعوا. وبقي منهم من كانت لديه الشجاعة، والذي أدرك بسرعة بأن الفارس العظيم لم يكن على هيئة من خرج من الظلام، فقد كان ضوء أمان على وجهه. والأكثر نبلاً من بين الجان، هم الذين اتجهوا إليه أولاً.

لكن من تلك الأشياء الخزينة التي ورطهم بما ميلكور، وهي معروفة قليلاً. أن أولئك الذين نزلوا ليعيشوا في حفر أوتومنو، فقد اكتشفوا ظلامية نصائح ميلكور. وهذه الحقيقة التي

نقلها حكماء إيريسيا<sup>١</sup>، بأن كل الذين وقعوا في أيدي ميلكور، قبل سقوط قلعته أوتومنو، قد وُضعوا بالسجن وقام ميلكور بالتفنن التدريجي في تعذيبهم بوحشية، فأفسدهم واستعبدهم. وبذلك أنشأ ميلكور عرق الأوركس، ذلك النسل القبيح بسبب حسده وسخريته من الجان. والذين أصبحو فيما بعد من ألد الأعداء. لكن للأوركس حياة وتكاثر على نحو أبناء إلوقاتار، وحياتهم الخاصة شبه معدومة لأنها لا تحتوي على مظاهر الحياة. يمكن أن يكون هذا أسوأ عمل لميلكور منذ تمرده في آينوليندالي قبل البداية. هكذا يقول الحكيم. وعميقاً في قلوبهم المظلمة احتقر الأوركس السيد وخدموه خوفاً، فهو الصانع الوحيد لبؤسهم. وهذا قد يكون العمل الأكثر حقارة لميلكور والأكثر بغضاً لدى إلوقاتار. بقي أرومي لفترة بين كويندي ومن ثم عاد مسرعاً عبر الأراضي والبحار إلى فالينور. وجلب الأخبار إلى فالمار<sup>٢</sup> وأخبر الفالار عن الظلال التي ضاقت كويقينين. ابتهج الفالار رغم أنهم كانوا في شكٍ وسط بحجتهم، ودار نقاش طويل حول أفضل رأي لصيانة كويندي من ظل ميلكور، لكن أرومي عاد ثانية إلى الأرض الوسطى وأقام مع الجان. جلس مانوي على تني كويتيل مفكراً لمدة طويلة وطلب استشارة إلوقاتار، ومن ثم نزل إلى فالمار وامتدعى الفالار إلى دائرة الحساب. وجاء الجميع حتى أولو جاء من البحر المحيط. خاطب مانوي الفالار قائلاً: هذه هي نصيحة إلوقاتار التي قالها لي. يجب أن نسيطر ثانية على أردا ونحرق كويندي من ظل ميلكور مهما كانت التكلفة. فرج تولكاس بالخبر لكن أولي كان حزيناً لأنه تنبأ بالأذى الذي سيأتي على العالم جراء ذلك النزاع، لكن الفالار كانوا جاهزين وخرجوا من أمان في قوة الحرب. حل الهجوم على قلاع ميلكور وتم القضاء عليه. ولم ينس ميلكور تلك الحرب أبداً، وهي التي قامت من أجل الجان وكانوا السبب في هزيمته. على الرغم من أنه لم يكن لديهم أي دور في تلك الحرب. وكانت معرفتهم عن زحف قوة الغرب ضد الشمال قليلة في بداية أيامهم.

في بداية الحرب تقابل ميلكور مع الفالار في المنطقة الشمالية الغربية من الأرض الوسطى. فَعَمَّ الخراب والدمار في كل تلك المنطقة. وكان الانتصار الأول للجيش الغرب خاطفاً. فهرب عبيد ميلكور من أمامهم إلى أوتومنو، ثم مر الفالار على الأرض الوسطى ووضعوا

<sup>١</sup> إيريسيا. Eriasia. هي الجزيرة الوحيدة للجان، وهي تتبع لأرض أمان، وهي الجزيرة التي جلب أولو فيها الجان إلى فالينور، منذ عصور طويلة قبل طلوع الشمس والقمر، وملازال يسكن فيها الكثير من الجان على مرؤى من العالم الجبارك. ومعنى اسم إيريسيا، هو الجزيرة المنعزلة، وهذا الاسم أتى من الفترة اللائحة من تاريخها عندما رست وحدة في خليج إيلامار.

<sup>٢</sup> فالمار. Valmar. هي مدينة الفالار في أمان، واسم هذه المدينة فالمار. Valimar. كما ذكرنا سابقاً.



حراسةً على كوفيقينين. أيضاً لم يعرف كويندي شيء عن هذه المعركة العظيمة لقوى أردا. إلا أنهم أحسوا بالأرض تهتز من تحتهم وشاهدوا المياه تتحرك، ورأوا أضواء هائلة كحرائق النيران في الشمال. ضرب الفالار حصاراً طويلاً وشديداً على أوتومنو، ووقعت معارك كثيرة أمام بواياعها، ولم يعرف الجان عن هذه المعارك إلا ما انتشر منها كإشاعة بينهم. وفي ذلك الوقت تبدل شكل الأرض الوسطى، فازداد البحر الكبير<sup>١</sup> الذي يفصلها عن أرض أمان وأصبح أكثر عمقاً واتساعاً، فحطم الأرض عند السواحل وصنع خليجاً عميقاً في الجهة الجنوبية، وتشكلت معه الكثير من الخلجان الصغيرة بين هذا الخليج العظيم وهيلكاراكسي<sup>٢</sup> الواقع أقصى الشمال في المنطقة التي تقترب فيها الأرض الوسطى من أرض أمان. ومن هذه الخلجان كان خليج بالار هو الخليج الرئيسي، وهو الذي تندفق إليه مياه نهر سيريون<sup>٣</sup> الهائل، قادمة من المرتفعات التي تمحضت حديثاً في الشمال والمسماة دورذونيون<sup>٤</sup>، وأيضاً تدفقت إليه المياه من الجبال التي حول هيثلوم<sup>٥</sup>. وفي تلك الأيام خربت كل أراضي الشمال البعيد، لأن أوتومنو كانت محفورة عميقاً هناك. وقد امتلأت حفرها بالنيران وبحشود كبيرة من خدم ميلكور.

وأخيراً كُسرَتْ بوابات أوتومنو وأصبحت قاعاتها بلا أسقف، ووجد ميلكور يلود بأعمق الحفر فيها، عندها وقف تولكاس بطل الفالار فتصارع معه وألقاه أرضاً على وجهه وربطه بسلسلة أنغيانور التي صنعها أوليي وقاده كأسير. بعدها عمَّ السلام في كل العالم لعصر طويل.

مع هذا فلم يستطع الفالار اكتشاف كل تلك الأقبية والكهوف القوية، والمخفية بالخداع والحيل، والموجودة تحت قلاع أنغيانور وأوتومنو، فما زال الكثير من المخلوقات الشريرة تقيم هناك وآخرون منهم كانوا قد تفرقوا وهربوا في الظلام، ثم تاهوا في أماكن العالم المقفرة، ينتظرون ساعة الشر الأكبر، ولم يتمكن الفالار من إيجاد ساورون أيضاً.

<sup>١</sup> البحر الكبير. هو المحيط الهائل الذي يحيط الأرض الوسطى من الجهة الغربية.

<sup>٢</sup> هيلكاراكي. Helcaraxë. هي أراضي الجبلد الملحون والفتار المقفرة بالمخاطر التي كانت تقع سابقاً بين أرض أمان والأرض الوسطى.

<sup>٣</sup> سيريون. Sirion. هو أكبر أنهار بيورياند وطول مجرى ٨٥٠ ميلاً من منبعه في المرتفعات الباردة من جبال أريد ورفين حتى مصبه في البقا العظيمة على خليج بالار. ويسير من منتصفه بطريق غير عادي تحت الأرض لمسافة تسعة أميال، من المستنقعات المسحورة بألين لويل تحت الأرض العالية للمساء باسم أندرام، وكان سيريون يعتبر الحد الطبيعي بين شرق وغرب بيورياند.

<sup>٤</sup> دورذونيون. Dorthonion. هي أعلى هضبة في بيورياند وهي عبارة عن أحراج من الصنوبر، تمتد عند أقصى شمال بيورياند. وبعد أن احتلها مورغوث في معركة داغور براغوللاخ تغير اسمها وأصبح تاور أار فوين.

<sup>٥</sup> هيثلوم. Hithlum. هي أراضي الضباب الواقعة شمال بيورياند، تحيط بها سلسلة جبال أريد ورفين من الشمال الشرقي، ومن الغرب أريد لويون.

مع انتهاء المعركة ظهرت من خراب الشمال غيوم عظيمة حجبت ضوء النجوم. أخذ الفالار ميلكور مقيد اليدين والقدمين ومعصوب العينين. وأحضره إلى دائرة الحساب في فالينور. هنالك رُمي على وجهه أمام أقدام مانوي فالتمس العفو والمغفرة. لكن كل توسلاته رُفضت وُدفع إلى السجن في أماكن ماندوز النائبة والمعزولة، هنالك حيث لا شيء يستطيع الهرب، لا قالاً ولا جني ولا حتى يشترُ فاني. فقد كانت تلك القاعات واسعة وقوية وتقع غرب أرض أمان. هناك كان محكوم على ميلكور بالسجن لثلاثة عصورٍ طويلة قبل أن تعاد محاكمته مرة ثانية، أو قبل أن يحق له طلب العفو مرة ثانية.

عقد الفالار مجلساً آخر وكانوا منقسمين في النقاش، فالبعض منهم تمسك بوجوب ترك كويندي يعيشون في الأرض الوسطى بحرية، مع مواهبهم من المهارات المختلفة لتنظيم أراضيهم ومعالجة الأذى فيها وإصلاحه، وكان مترعماً هذا الطرح أولمو. لكن الجزء الأكبر خاف على كويندي من مخاطر العالم وسط خداع العتمة المضاء بالنجوم. علاوة على ذلك فقد أحب الفالار جمال الجان ورغبوا بصحتهم. فمن أجل كل تلك الأسباب قام الفالار باستدعاء كويندي إلى فالينور لكي يجتمعوا بخشوع السلطات في ضوء الأشجار إلى الأبد. عندها كسر ماندوز صمته قائلاً: هذا الأمر محكوم عليه بالفشل. وفيما بعد جرَّ هذا الاستدعاء الكثير من المشاكل.

كان الجان في بادئ الأمر غير راغبين بتلبية الاستدعاء. لأنهم لم يروا الفالار إلا في غضبيهم عندما دخلوا الحرب. باستثناء أورومي فقط، الذي رآه قبل الحرب. لذلك كانوا مرعوبين من الفالار واستدعائهم. أرسل إليهم الفالار أورومي ثانية. فاختار من بينهم سفراء لكي يذهبوا إلى فالينور ويتحدثوا نيابةً عن شعوبهم. فكان أولئك السفراء هم إينغوي، فينوي، إيلوي. وهم الذين أصبحوا ملوكاً فيما بعد. ذهب هؤلاء السفراء إلى فالينور مليئين بالرؤى من مجد وعظمة الفالار. لكنهم أحبوا كثيراً الضوء وروعة الأشجار. بعدها أعادهم أورومي إلى كويندينين. وتكلم الملوك مع شعوبهم ونصحوهم باحترام استدعاء الفالار، للانتقال إلى الغرب.

عندها حصلت الفرقة الأولى بين الجان. لأن عشيرة إينغوي والجزء الأكبر من عشيرتي فينوي وإيلوي تأثروا بكلمات ساداتهم وكانوا على استعداد للرحيل واللحاق بأورومي. وهؤلاء هم من عرفوا فيما بعد باسم إيلدار، وهو الاسم الذي أعطاه لهم أورومي منذ البداية في لغتهم الخاصة. لكن بالمقابل رفض كثيرون أمر الاستدعاء. فهم يفضلون ضوء

النجوم والفضاءات العريضة للأرض الوسطى، على كل تلك الأشاعات التي قبلت عن الأشجار. وهؤلاء عرفوا فيما بعد باسم أقاري، أي المعارضين. ومع الوقت انفصلت أقاري عن إيلدار ولن يلتقوا مجدداً حتى تمضي عصورٌ وأزمنةٌ كثيرة.

جهزت إيلدار موكباً عظيماً من بيوتهم الأولى في الشرق واصطفوا بثلاثة حشود. فالخشد الأول الذي ذهب كان الأصغر بينهم وسار تحت قيادة إينغوي الملك الأعلى لكل العرق الجبي. وإينغوي هذا هو الذي دخل إلى فالينور وبقي هناك في كنف السلطات، وكل الجان تبجل اسمه. لكنه لن يعود أبداً إلى الأرض الوسطى. اسم شعبه الفانيار، أجمل الجان وأضفاهم وهم محبوبون من قبل مانوي وقاردا، وقلة من البشر استطاعوا التحدث معهم. بعدهم أتى تولدور، ونولدور من أسماء الحكمة. هم شعب فينوي وهم الجان الغامضون. أصدقاء أوليي، وهم للمشهورين بالأغنية. لأنهم قديماً عملوا وناضلوا بشكل مؤلم في الأراضي الشمالية.

آخرهم جاء الخشد الأكبر. يسمون تيليري لتلكهم على الطريق، ولم يكونوا مكتملي العقل بعد للعبور من العتمة إلى ضوء فالينور. يتجهون كثيراً بالماء. وفي حماية المطاف وصلوا إلى الشواطئ الغربية. وكانوا مفتونين بالبحر، ومنهم جان البحر الذي أصبح اسمهم في أرض أمان فيما بعد، فللماري. لأنهم صنعوا موسيقى بجانب الأمواج المتكسرة. وبسبب ضحامة أعدادهم فقد كان لهم زعيمان. إيلوي سينغولو (الذي يشير إلى العبادة الرمادية)، وأخوه أولوي.

هذه كانت العشائر الثلاثة من إيلدالي، التي عبرت إلى أقاصي الغرب في أيام الأشجار وكان الجان وقتها يسمون كالاكويندي، أي جان الضوء. أما أولئك الآخرين من إيلدار الذين انطلقوا بالفعل بالمسيرة الغربية لكنهم ضاعوا على الطريق الطويل أو تنحوا جانباً أو بقوا على شواطئ الأرض الوسطى. وغالبيتهم كانوا من عشيرة تيليري كما قيل فيما بعد. فقد سكنوا بجانب البحر أو تجولوا في غابات وحيال العالم، رغم ذلك فإن قلوبهم كانت دائماً متوجهة إلى الغرب. هذا الجزء من الجان كالاكويندي، يلقبون أومانيار، لأنهم لم يأتوا إلى أرض أمان والمملكة المباركة. لكن أومانيار وأقاري على حد سواء يدعون موريكويندي. أي جان الظلام. لأنهم لم يروا ضوء الأشجار الذي كان قبل الشمس والقمر.

يقال. عندما غادرت حشود إيلدالي من كويشيينين، بقيادة أرومي على حصانه الأبيض ناهار ذو النعل الذهبية. وعندما مروا شمالاً حول بحر هيلكار متجهين نحو الغرب. كانت

تلك الغيوم السوداء الكبيرة المعلقة فوق أنقاض الحرب في الشمال ما تزال أمامهم. وهي التي حجبت عنهم نجوم تلك المنطقة. لهذا السبب ازداد خوف الكثيرين منهم وتدموا على مسيرهم بهذه الرحلة، فعادوا إلى الأرض الوسطى وأصبحوا من الجان المنسيين.

طويلة وبطيئة كانت مسيرة إيلدار إلى الغرب لأن تجمعات الأرض الوسطى كانت كثيرة ومرهقة وبدون ممرات. ولم تكن لدى إيلدار رغبة في التعجيل. بسبب استغراقهم في السؤال عن كل ما كانوا يروه. وأمنياتهم بالسكن بجانب الكثير من الأراضي والأنهار التي صادفوها. فكانوا راغبين في أن يهيئوا على وجوههم. بالإضافة إلى خوف الكثيرين منهم أو بالأحرى فقدان الأمل من نهاية الرحلة. فحينما كان يتركهم أورومي لبعض الوقت بسبب اهتماماته الأخرى. كانوا يترددوا في السير إلى الأمام كثيراً. حتى يعود أورومي ثانيةً لتوجيههم. وحدث بعد الكثير من سنوات الترحال بهذه الطريقة أن قادهم الطريق إلى الغابة فجاءوا إلى النهر العظيم الذي هو أوسع نهرٍ رأوه لحد الآن. وخلفه كانت تقع الجبال التي بدت قممها وكأنها قروناً حادةً تمتدق مملكة النجوم. ويقال أن هذا النهر هو الذي سمي فيما بعد نهر أندوين العظيم، الذي كان فيما مضى يعتبر آخر الحدود الغربية للأرض الوسطى. وتلك الجبال كانت هي هيتاغليز أبراج الضباب الواقعة على حدود إيريدور، وهي الجبال التي رفعها ميلكور لعاقة ركوب حبل أورومي، على الرغم من أنها كانت في تلك الأيام أكثر طولاً وروبةً. استقر شعب تيليري لفترة طويلة على الضفة الشرقية للنهر وتمنوا البقاء هناك، بينما عبر شعب فانيار ونولدور ممرات الجبال متبعدين عنهم بقيادة أورومي. وعندما غادر أورومي وابتعد عنهم، نظر تيليري بريبة إلى الظلال الغامضة فحافوا منها.

ظهر من بين المتأخرين على الطريق شخص من جماعة أولوي يدعى لينوي. قاد كثير من الشعب إلى الجنوب نزولاً إلى النهر العظيم متخلياً عن المسير إلى الغرب. ولم يعرف عنهم أقربائهم أي شيء فيما بعد حتى انقضت سنوات طويلة، وهؤلاء عرفوا باسم ناندور. وأصبحوا شعبً مستقل مختلف عن أقربائهم. باستثناء حبهم للماء، وغالبية مساكنهم كانت بجانب الجداول والشلالات. يمتلكون معرفة عالية عن الأحياء والأشجار والأعشاب والطيور والبهائم، دوناً عن الجان الآخرين. بعد عدة سنوات وقبل ظهور القمر توجه ديتور ابن لينوي أخيراً إلى الغرب يقود جزءاً من ناندور عبر جبال أراضي بيليرياند.

وبالتفصيل فإن فانيار ونولدور وصلوا إلى إيريدور، الجبال الزرقاء. وهي الجبال الواقعة بين إيريدور والأراضي الغربية للأرض الوسطى. وهي الأرض التي سماها الجان فيما بعد

بيليرياندا. أما الجماعات الرئيسية فقد عبرت وادي سيريون ونزلت إلى شواطئ البحر العظيم بين لسان درينغيست وخليج بالار. لكن عندما رأوه وقع عليهم خوف عظيم فانسحب أكثرهم إلى غابات ومرتفعات بيلرياندا. عندها تركهم أورومي وعاد إلى فالينور قاصداً مشورة مانوي.

مرّت حشود تيليري فوق الجبال الضبابية. وعبروا أراضي إيربادور الواسعة، يحثهم على الاستعجال إيلوي سينغولو المتلهف للعودة إلى فالينور والضوء الذي شاهده هناك، وتبني أن لا يكون منفصلاً عن تولدور بسبب الصداقة العظيمة التي تجمعهم مع فينوي سيّد تولدور. وبعد عدة سنوات وصلت تيليري في نهاية المطاف أيضاً إلى جبال إيريد لوين الواقعة في المناطق الشرقية من بيلرياندا. وهناك توقفوا وأقاموا في المنطقة الواقعة وراء نهر جيلون لمدة من الزمن.



## الفصل الرابع

### ثينغول وميليان

ميليان هي مايا من الميَّار. والميَّار عرق من الفالار. كانت ميليان تسكن في حدائق لورين ولم يكن هناك بين شعبيها من هو أجل أو أكثر حكمة ومهارة في أغاني السحر منها. ويقال عندما امتزجت الأضواء وغنت ميليان في لورين، فقد ترك الفالار أعمالهم، وطربت طيور فالينور، وصمتت أحراس فالمار وتوقفت نافوراتها عن التدفق. ترافقها العنادل دائماً وهي التي علمتهم الغناء. أحببت ميليان الظلال العميقة للأشجار العظيمة. تنسب ميليان نفسها إلى يافانأ من قبل أن يوجد العالم. وفي ذلك الوقت الذي صحا فيه كويندي بجانب مياه كويقينين غادرت فالينور وجاءت إلى هيثير لاندس<sup>١</sup>. وهناك قبل الفجر ملأت صمت الأرض الوسطى بصوتها وبأصوات طيورها.

يقال أيضاً. عندما كانت رحلة قريبة من نهايتها، جلس شعب تيليري للاستراحة لمدة طويلة شرقي بيلرياند خلف نهر جيلبون. وفي ذلك الوقت كان مايزال الكثيرين من نولدور مقيمين بالجهة الغربية من تلك الغابات التي أصبح اسمها فيما بعد نولدورث و ريجين. كان إيلوي سيّد تيليري يذهب في أغلب الأحيان إلى تلك الغابة العظيمة للبحث عن صديقه فينوي في مساكن نولدور. وصادف مرةً ذهاب إيلوي إلى غابة نان إيلموت للضياء بالنجوم فسمع أغنية العندليب. وفجأة وقع عليه السحر ووقف ثابتاً بلا حراك. فقد سمع من البعيد وراء أصوات لوميلندي(العنادل) صوت ميليان، وامتلك قلبه الدهشة والرغبة، ونسى تماماً كل شعبه والغابات التي جاء من أجلها إلى هنا. فتبع الطيور تحت ظلال الأشجار حتى وصل إلى أعماق نان إيلموت وضاع هناك. ثم وصل إلى فسحة

<sup>١</sup> هيثير لاندس. Hither Lands. وهي الأراضي الواقعة شرقي البحر الكبير. أي الأجزاء الغربية من الأرض الوسطى

خالية من الأشجار ومفتوحة على النجوم، وهناك كانت تقف ميليان، نظرت إليها خارج العتمة، فرأت ضوء أمان في وجهها.

لم تتكلم ميليان ولا كلمة لكن حب إيلوي وقع في قلبها، تقدم إيلوي إليها وعندما أمسك يدها ألقت عليه مباشرة تعويذةً سحرية. لذلك بقيا واقفين هناك لسنوات طويلة، قياساً لحركة النجوم التي تدور فوقهم. حيث نمت أشجار نان إيلموت طويلة ومظللة من حولهما قبل أن يتكلما أية كلمة.

بحث شعب إيلوي عن سيدهم كثيراً ولم يجدوه. لذلك استلم أخوه أولوي منصب الملك على تيليري ورحل. كما قيل فيما بعد. أما إيلوي سينغولو فلن يعبر البحر مرة أخرى مطلقاً متوجهاً إلى فالينور طالما هو حي. وأيضاً ميليان لن تعود إلى هناك، مادامت مملكتها هي وإيلوي قائمة ومستمرة. ومنهما ستأتي سلالة فيها نسل آينور الذين كانوا مع إلفاتار قبل خلق إيا وستحكم هذه السلالة بين كل من الجان والبشر. وفي قادم الأيام سيصبح إيلوي سينغولو ملك مشهور، وكل إيلدار الذين في بيليرياند سيكونون شعبة. ويدعون اسمهم سيندار، وهم الذين يسمون الجان الرماديون. أو جان الغسق الذين كان ملكهم هو ذو العبادة الرمادية. وأصبح اسمه إيللو تينغول في لغة تلك البلاد، وزوجته الملكة ميليان، الأعقل والأكثر حكمةً من كل أبناء الأرض الوسطى، وكان مسكنهم في القاعات المخفية في مينغروث.

أما مينغروث فهي الكهوف الألف (أو الألف كهف) وتقع في دوريات. أعارت ميليان قوتها العظمى إلى تينغول وهذه القوة هي التي جعلته عظيماً بين إيلدار، فقد كان الوحيد من كل سيندار الذي رأى بعينه الأشجار بيوم إزهارها، وأصبح ملكاً مع أنه كان من أماينار<sup>1</sup>، ولم يحسب من بين موري كويندي، لكنه حُسب مع جان الضوء عظماء الأرض الوسطى. لأنه كان قد ذهب إلى أرض أمان عندما كان واحداً من السفراء الثلاثة. خرج حب تينغول وميليان إلى العلن وكان هو الحب الأتقى والأجمل على الإطلاق بين كل أبناء إلفاتار، فلم يأت قلبه ولن يأتي بعده أصفى أو أجمل منه.



<sup>1</sup> أماينار. Amanyar. : م فائير ريتلور وذلك الجزء من تيليري الذين عبروا البحر إلى أمان. أما أوماينار. Umanyar. : هم غالبية تيليري الذين بقوا في الأرض الوسطى ولم يذهبوا إلى أمان.

## الفصل الخامس

### إيلدامار وأمرأء إيلدالي

بمرور الوقت وصلت جماهير قانيار ونولدور إلى أقاصي شواطئ هيثير لانديس الغربية، وبالتحديد إلى الجهة الشمالية من هذه الشواطئ. وكانت هذه الشواطئ في الأيام القديمة بعد معركة السلطات تميل نحو الغرب حتى تصل إلى الأجزاء الشمالية من أردا. حيث لا يفصلها سوى مضيق بحري عن أراضي أمان التي بنيت عليها فالينور. لكن بسبب قسوة صقيع ميلكور فقد مُلئ هذا المضيق بالثلج المكسر، ولذلك لم يستطع أرومي قيادة جماهير إيلدالي إلى أقصى الشمال، لكنه جلبهم إلى الأراضي الجميلة حول نهر سيريون والتي سميت فيما بعد بيليرياند. ومن تلك الشواطئ يدي على إيلدار ولأول مرة الخوف والتساؤل عن البحر، الذي امتد كمحيط عريض وعميق ومظلم يفصل بينهم وبين جبال أمان.

وبناء على قرار مجلس الفالار، ذهب أولمو إلى شواطئ الأرض الوسطى وتكلم مع إيلدار الذين كانوا ينتظرونه هناك محذقين بالأمواج المعتمة، وبسبب كلماته وموسيقاه التي عزفها بأبواقه المصنوعة من أصداق البحر، انتزع أولمو خوفهم وبذلك برغبة وعشق البحر. لذلك قام أولمو باقتلاع الجزيرة التي بقيت تقف وحيدة في وسط البحر منذ ضحيج سقوط اللوين، وأبعدها عن الشاطئ بمساعدة أعوانه وحركها كما لو أنها سفينة هائلة ثم أرساها في خليج بالار، الذي تصب فيه مياه سيريون. صعد قانيار ونولدور إلى تلك الجزيرة وسارت بهم بعيداً في البحر حتى وصلت إلى الشواطئ الطويلة تحت جبال أمان. ودخلوا إلى فالينور مرحباً بهم بنعمتها. لكن عندما قام أولمو بسحب الجزيرة وأرسائها في خليج بالار فقد غرق الرأس الشرقي للجزيرة في المياه الضحلة قبالة الشواطئ حيث تصب روافد نهر

<sup>1</sup> إيلدامار: Eldamar. : هي أرض الجان في أمان وهي المنطقة التي تقع شرقي جبال بلوري، وفيها مدينة تيرون. Tirion.



سيريون في البحر. لذلك، عندما مسحوا الجزيرة انكسر هذا الرأس وانفصل عن الجزيرة وبقي ثابتاً بالبحر خلفهم. وهو الذي أصبح فيما بعد جزيرة بالار. التي سيأتي إليها أوسي كثيراً.

لكن تيليري الذين مازالوا في الأرض الوسطى، وبسبب سكنهم في شرقي بيليرياند البعيدة عن البحر، فلم يسمعون نداء أولمو إلا بعد فوات الأوان، وكثيرون منهم كانوا يبحثون عن سيدهم إيلوي، فلم تكن لديهم الرغبة في المغادرة من دونه. وعندما علموا بذهاب إينغوي وينيوي وشعبيهما. تراحم كثيرون منهم على شواطئ بيليرياند وسكنوا فيما بعد بالقرب من مصبات نهر سيريون. وكانوا في شوق دائم إلى أصدقائهم الذين غادروهم. ثم اتخذوا أولوي أخو إيلوي ملكاً عليهم، وأقاموا لمدة طويلة على سواحل البحر الغربي. وهناك جاء إليهم أوسي وأوينين وصادقوهم، وأصبح أوسي يجلس أمامهم على صخرة قريبة من الشاطئ ويعلمهم أساليب العلوم والموسيقى البحرية. وبما أن شعب تيليري هو منذ البداية عاشق للماء، فقد أصبحوا من أنقى وأجمل المغنين بين الجان. وأصبحوا عاشقين للبحار. وتضح أغنياهم بصوت الأمواج الشاطئية.

ومرور السنوات أصغى أولمو لصلوات نولدور وسيدهم فينوي الذين حزنوا لفراق تيليري، وتوسلوا له لجلبهم إلى أمان إن أرادوا ذلك. وبالفعل فالغالبية العظمى من تيليري برهنت عن الرغبة الحقيقية بالهجرة إلى أمان. وعندما عاد أولمو إلى شواطئ بيليرياند لأخذ تيليري إلى فالينور. كان حزن أوسي كبيراً لأنه لن يستمع بعد اليوم لأصوات تيليري في منطقتهم التي يهتم بها وهي بحار الأرض الوسطى وشواطئ هيثير لانديس، فقام بإقناع البعض من تيليري بالبقاء هناك وهم الذين أصبحوا فيما بعد فالاثريم، جان فالاس، وهم الذين سكنوا فيما بعد في مرافي بريثومبار وإيغلاريسست. وهم البحارة الأوائل في الأرض الوسطى، وأول من صنع السفن، وسيدهم كيردان صانع السفن.

بقي أقرباء وأصدقاء إيلوي سينفونو يبحثون عنه في هيثير لانديس، على الرغم من أنهم كانوا راغبين بالذهاب إلى فالينور والعيش بضوء الأشجار لو كان بمقدور أولمو وأولوي انتظارهم لفترة أطول. لكن أولوي ذهب. صعد الجزء الرئيسي من تيليري إلى الجزيرة وسحبهم أولمو بعيداً مختلفين وراءهم أصدقاء إيلوي. فلم يبقى غيرهم ولذلك سمو أنفسهم إيغلانث، أي المنبوذين. وسكنوا في الغابات وفي تلال بيليرياند، بدلاً من البحر الذي ملأهم بالحزن، لكن الرغبة بالذهاب إلى أمان كانت دائماً تعصف بقلوبهم.

عندما صحا إيلوي من غيبوته الطويلة خرج مع ميليان من نان إيلموث. وسكنا فيما بعد في الغاية التي في وسط الأرض. وعلى الرغم من رغبته الكبيرة برؤية ضوء الأشجار ثانية إلا أنَّ رؤية ضوء أمان في وجه ميليان كانعكاسٍ على مرآة صافية جعله راضياً. اجتمع الناس من حوله فرحين ومندهمسين بمظاهر النبل البادية عليه. فظهر بأعينهم وكأنه سيّد من الليار. شعره كالفضة الرمادية ويبدو أطول من كل أبناء الوقاتار، وبانتظاره قدرٌ عظيم.

تبع أوسمي جماهير أولوي عندما كانوا ذاهبين حتى وصلوا إلى خليج إيلدامار (الذي هو موطن الجان شرقي جبال ييلوري). ناداهم فعرفوا صوته، وقام تيليري بالتوسل إلى أولمو لكي يوقف رحلتهم البحرية. لئى أولمو طلبهم. وبناءً على أوامره قام أوسمي بسرعة بربط جذور الجزيرة إلى أسامات البحر. وهذا ما جعل أولمو مسروراً أكثر لأنه يفهم قلوب تيليري، وفي مجلس الفالار هو الوحيد الذي كان ضد استدعاء الجان إلى فالينور. لأنه كان يعتقد بأنه من الأفضل لكويندي البقاء في الأرض الوسطى. وكان الفالار غير ممتنين لأنهم علموا بما فعله. حزن فينوي لأن تيليري لن يأتوا، وحزن أكثر عندما علم أن إيلوي أصبح من المنبوذين ولن يراه ثانية. ما لم يجتمعوا معاً في قاعات ماندوز. لكن الجزيرة ماكانت لتتحرك ثانية. وانتصبت هناك واقفة في خليج إيلدامار. وسميت تول إيريسيا. الجزيرة المنعزلة. هناك كانت مساكن تيليري تحت نجوم السماء كما تمنوا. وهم الآن ضمن حدود الجهة اليمنى لأرض أمان والشواطئ الخالدة. وهذه الإقامة الطويلة في الجزيرة المنعزلة أدت إلى انفصال لغتهم عن لغة قانبار ونولدور.

لهؤلاء أعطى الفالار أراضٍ وأماكن للسكن بين أنوار زهور الأشجار المضيفة في حدائق فالينور، لكنهم مازالوا يتوقون في بعض الأوقات لمشاهدة النجوم، ولأجل ذلك غمّلت فتحة في جبال ييلوري الكبيرة. وبهذه الفتحة وادي عميق ينزل إلى البحر، هناك نصبت إيلدار تونا وهو التل الأخضر العالي الذي يطل شرقاً على خليج إيلدامار (بيت الجان) والجزيرة المنعزلة (تول إيريسيا) والبحار الغامضة. وعلى هذا التل سقط ضوء الأشجار من الغرب، وتمدد ظله شرقاً، ثم من خلال كالاكيريا (أي ممر الضوء) تدفق نور المملكة المباركة فأشعل موجات الظلام وحولها إلى فضية وذهبية حتى لامس الشواطئ الغربية للجزيرة المنعزلة فنمت فيها شتى أنواع النباتات وتحولت إلى خضراء جميلة. فأزهرت هناك الزهور الأولى التي لم تكن موجودة من قبل شرقي جبال أمان.

على قمة تلة تونا بنى الجمان مدينتهم تيريون ذات الشرفات والمجدران البيضاء والأبراج. وأعلى أبراج المدينة كان برج إينغوي واسمه ميندون إيلداليفا، بمصباحه الفضي الذي يشع بعيداً في عممة البحر. وقلعة من سفن البشر الفانيين استطاعوا رؤية شعاعه المرهف. سكن فانيار ونولدور في تيريون لمدة طويلة متحابين، ومن بين كل الأشياء الموجودة في فالينور أحبوا كثيراً الشجرة البيضاء. فقد صنعت لهم ياقاناً شجرة تشبه شجرة تيليريون إلى حد ما. إلا أنها لا تشع ضوء، وقد سميت غالاثليلون بلغة سيندارين. كانت هذه الشجرة مزروعة في القصور تحت برج ميندون وازدهرت هناك وكثرة شتلاتها في ايلدامار. زُرعت واحدة منها فيما بعد في تول إيريسيا فازدهرت هناك وسميت كيليبورن، ومن هناك انتقلت في آخر الزمان إلى مكان آخر وأصبح اسمها نيملوث. وهي نفسها شجرة نومينور البيضاء.

أحب مانوي وقاردا كثيراً شعب فانيار، وهم الجمان اللطفاء والوسيمون، لكن نولدور كانوا محببين من قبل أوليي، وفيما بعد تعامل شعب أوليي (الأقزام) كثيراً مع نولدور. أصبحت مهاراتهم ومعارفهم عظيمة، وكان تعطشهم للمعرفة كبير إذ تفوقوا في أكثر الأشياء على معلمهم. وكانوا يبدلون في اللغات، وبسبب حبهم العظيم للكلام والمفردات أرادوا أن يبدوا الأسماء الملائمة لكل الأشياء التي عرفوها أو تحيلوها. ويقال بأنهم اكتشفوا الأحجار الكريمة أثناء حفرهم لمقالع الحجر عندما كانوا يبنون بيت فينوي (فقد كانت مساعدتهم عظيمة ببناء الأبراج العالية)، واستخرجوها بكميات كبيرة جداً لا تعد ولا تحصى. وهم الذين ابتكروا أدوات القطع وتشكيل الجواهرات ونقشها. ولم يكنزوها بل وهبوا للناس بدون مقابل، ويعلمهم هذا أغنوا كل فالينور.

بعد ذلك عندما تعود غالبية نولدور إلى الأرض الوسطى، سينقلون معهم حكاياتهم ومعارفهم وخبراتهم والأسماء وصلات القرابة بين أمرائهم إلى لغة جان بيليرياند. كان فينوي هو ملك نولدور وله ثلاثة أبناء: فيانور، فينغولفين وفينارفين. وكانت ميريل سيريندي هي والدة فيانور بينما والدة فينغولفين وفينارفين كانت اينديس وهي من فانيار. أما فيانور فهو بكر فينوي وهو الأقدر بين أخوته وأكثرهم مهارة في الكلام وفي اليد، روحه متوجهة مثل اللهب، لكن فينغولفين هو الأقوى والأكثر صموداً وشجاعاً. أما فينارفين فكان الأكثر حكمةً ووسامةً ونقاءً سريرة وهو زوج إياروين، العذراء فائقة الجمال من الكوالوندي، بنت أولوي سيد تيليري، وصديق أخوتها.

كان لدى فيانور سبعة أبناء: مايدروس طويل القامة. ماغلور المغني ذو الصوت المائل والذي كان يُسمع بعيداً على الأرض والبحر. كيليجورم الوسيم، كارانتير الداكن، كوروفين الذكي الذي ورث أكثر مهارة يد أبيه. والأصغر كانا أمرود وأمراس وهما توأم يشبهان بعضهما في الشكل والمزاج. وفي الأيام التالية ميصبحان صيادين عظيمين في غابات الأرض الوسطى. أيضاً كيليجورم كان صياداً وصديق أورويمي، وغالباً ما تبع صوت يوق قالوا في فالينور.

أما أبناء فينغولفين فكانوا: فينغون والذي أصبح فيما بعد ملك نولدور في شمال العالم. وتورغوئ سيد غوندولين، وأختهم أريذيل البيضاء وهي الأصغر بين أخوتها. وعندما بلغت أريذيل رشدها وكبرت كانت جميلة وطويلة وقوية، وأحبت كثيراً ركوب الخيل والصيد في الغابات، وغالباً ما كانت تذهب برفقة أبناء عمها فيانور. لكنها لم تعط حب قلبها لأحد، ولقيت، آر فينيل، سيدة نولدور البيضاء. على الرغم من أنها كانت شاحبة وشعرها أسود فاحم ولم تكن تلبس إلا الأبيض والفضي.

أبناء فينارفين كانوا: فينرود المخلص (الذي دعي فيما بعد فيلاغوند سيد الكهوف)، أورودريث، أنغرود وإينغور. وكان أبناء فينارفين يمتطي الصداقة مع أبناء فينغولفين، كما لو كانوا كلهم أخوة. وأختهم غلادريل بنت فينارفين، الأجل في بيت فينوي، فقد كان شعرها يلمع بلونٍ ذهبي كأنه أشعة من نور لاوريلين المتألقة.

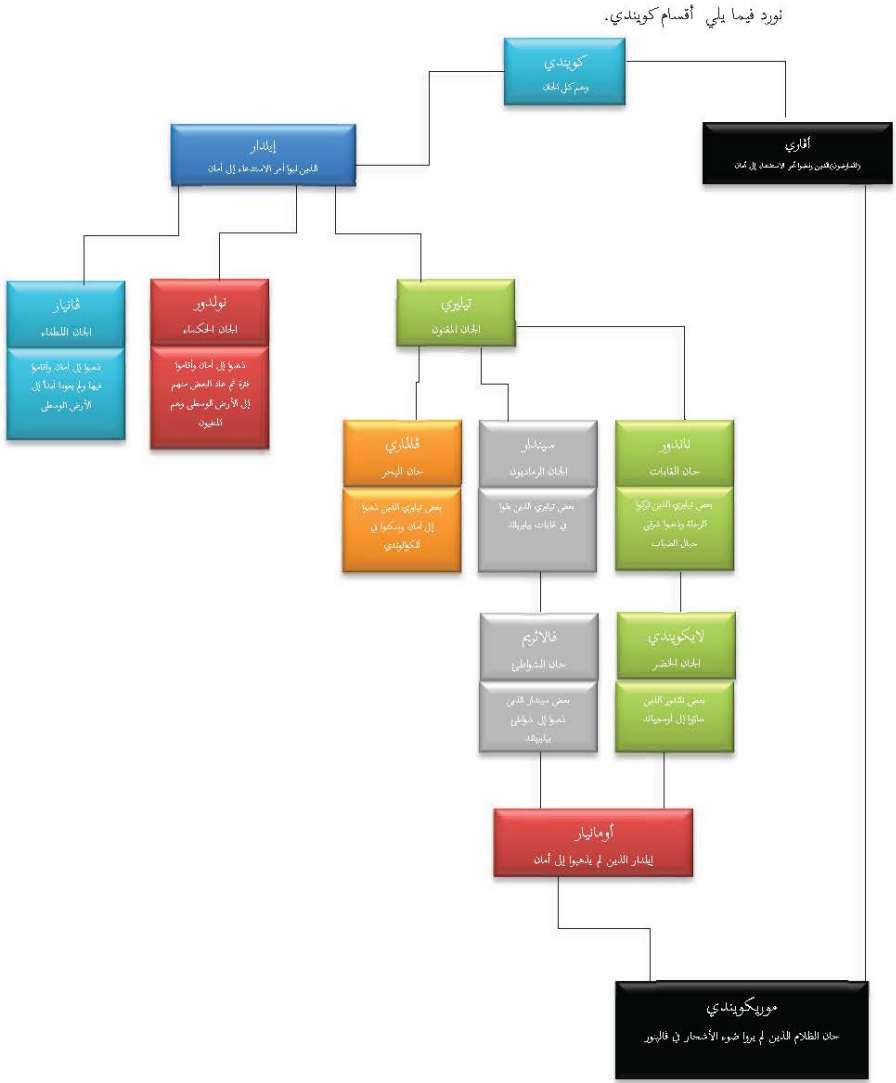
هنا يجب أن نغير كيف جاءت أخيراً تيليري إلى أرض أمان. حيث كانوا قد سكنوا لأزمنة طويلة في تول إيريسيا، وبطول المدة تبدلت قلوبهم واتجهت نحو الضوء الذي تدفق إلى الجزيرة المنعزلة عبر البحر قادماً من فالينور، فتمزقوا بين حب موسيقى الموج على شواطئهم والرغبة في رؤية أقرانهم ثانية ورؤية فخامة فالينور. وفي النهاية كانت الرغبة للضوء هي الأقوى مما جعل أولمو يخضع لإرادة الشالار ويرسل إليهم صديقتهم أوسي، وعلى الرغم من حزنه على فراقهم فقد علمهم حرفة بناء السفن، وعندما بنوا سفنهم وزع عليهم هداياها وهي أعداد كبيرة من البجعات قويات الأجنحة. قامت هذه البجعات بسحب سفن تيليري البيضاء على البحر الهادئ، وأوصلوهم بالنهاية إلى شواطئ ايلدامار وأرض أمان.

فسكنوا هناك حيثما تقنوا أن يروا ضوء الأشجار وأن يدوسوا الشوارع الذهبية والدرجات البلورية لمدينة فالمار على التل الأخضر تونا. ولكن الأهم من ذلك فقد أبحروا بسفنهم السريعة على مياه خليج ايلدامار (موطن الجان). أو مشوا على الشواطئ المتدوجة وشعرهم

يلمع في الضوء إلى ما بعد النل، وكان نولدور قد أعطاهم الكثير من الجواهر والناس والبلورات الشاحبة. فانتشرت هناك على الشواطئ وأحواض السفن. رائعة كانت شواطئ إيليندي في تلك الأيام. فقد استخرجوا من البحر الكثير من اللؤلؤ، وكانت قصور أولوي في ألكوالوندي (مرفاً البحعات) مرصعةً باللؤلؤ ومضاءة بمصاييح كثيرة. تلك كانت مدينتهم ومرفاً سفنهم التي صنعوها بأشكال تشبه البجع، بمناقير من ذهب وعيون من ذهب وكهرمان أسود، وكانت بوابة الميناء عبارة عن قوس مبنية من صخور البحر المنحوتة، وتقع على حدود إيلدامار إلى الشمال من كالاكيريا حيث كان ضوء النجوم لامع وواضح.

وكما تمر الأزمنة كذلك نما حب قائنار لأرض الفالار والضوء الكامل للأشجار، فتركوا مدينة تيريون على تلة تونا وسكنوا فيما بعد على جبل مانوي، أو حول سهول وغابة فالينور، وأصبحوا منفصلين عن نولدور، لكن ذاكرة الأرض الوسطى تحت النجوم بقيت في قلوب نولدور وهم بقوا في كالاكيريا، في التلال والوديان ضمن حدود البحر الغربي. مع ذلك فقد ذهب كثيرون منهم في أغلب الأحيان حول أرض الفالار. وقاموا برحلات استكشافية بعيدة لمعرفة أسرار الأرض والماء وكل الأشياء الحية. وبعد انفصال شعوب تونا وألكوالوندي عن بعضهما. أصبح فينوي ملكاً في تيريون، وألوي ملكاً في ألكوالوندي، أما الملك العالي لكل الجان فقد كان من نصيب إينغوي. والذي فيما بعد استمر كحاكم تحت راية مانوي على نّي كويتيل.

نادراً ما بقي فيانور وأبناءه في مكان واحد لفترة طويلة. فقد كانوا يسافرون بعيداً منتشرين على حدود فالينور. سافروا حتى حدود الظلام والشواطئ الباردة للبحر الخارجي. سعياً منهم لاكتشاف المجهول. وغالباً ما كانوا ضيوفاً في قاعات أوليي. لكن كيلينغورم كان يذهب إلى بيت أورومي. وهناك حصل على المعارف العظيمة عن الطيور والوحوش، وتعلم لغات كل المخلوقات الحية التي كانت في مملكة أردا. باستثناء المخلوقات الساقطة في الشر وهم مخلوقات ميلكور. عاشت مخلوقات كثيرة في أرض أمان لم تكن موجودة على الأرض الوسطى وربما لن تكون موجودة فيما بعد. منذ أن تغير وجه الأرض.



الشكل (٢) أقسام كويندي (كل إيلان)

## الفصل السادس

### فيانور وتحرير ميلكور

أخيراً اجتمعت عشائر إيلدار الثلاثة في فيالينور، وكان لا يزال ميلكور مقيداً في وقتها. وكانت هذا الفترة هي فترة اكتمال شباب الملكة المباركة، بمجدها ونعمتها. في الحقيقة هي حكايا سنين طويلة لكنها في الذاكرة قصيرة جداً. ففي تلك الأيام أصبح إيلدار بالغاً حدود الكمال في قوام الجسم والعقل. وتقدم نولدور في المهارة والمعرفة على كل إيلدار، وامتألت السنوات الطويلة بأعمالهم البهيجة، فقد ابتكروا الكثير من الأشياء الجميلة والرائعة. فهم أول من فكر واخترع الأحرف والكتابة، وكان سيد العلم في ذلك الزمان روميل من تيريون، هو من أنجز ابتكار الأحرف بغية تدوين الكلام والأناشيد. فيبض الأحرف كان للثقش على المعادن والحجر، والبعض الآخر للرسم بالفرشاة أو القلم. ولد في ذلك الوقت في إيلدامار في بيت ملك تيريون على قمة تلة تونا الابن الأكبر لفينوي، وقد أحبه الجميع. كان اسمه كوروفينوي لكن أمه كانت قد سمته فيانور، أي روح النار. وهذا هو اسمه المذكور والمشهور في كل حكايات نولدور.

أمه اسمها ميريل. دعيت بلقب سيريندي بسبب تفوقها على الجميع في مهارة التطريز والنسيج. فيديها كانتا الأمهر في كل نولدور. كان حب فينوي وميريل رائع ومهيج لأنه بدأ في أيام نعمة الأرض المباركة. وفي أثناء حملها بابنها كانت ميريل قد استهلكت روحها وجسمها. وبعد أن ولدته تأقت لإعفائها من أعباء الحياة. فقالت لزوجها فينوي في نفس الوقت الذي سمّت فيه ابنها. لم تعد في جسمي قوة لأتحمل متاعب حمل آخر، لأن الحمل بحاجة إلى قوة، وهذه القوة التي يجب أن تغذي الكثير من الأولاد، ذهبت كلها إلى فيانور.

حزن فينوي لأن نولدور كانت فتيةً وقليلة العدد في أيامهم، وكانت لديه رغبة في إنجاب الكثير من الأبناء من سييدة أمان. فقال لها: لا بد من وجود شفاء لك في أمان، فهنا كل الأوجاع يمكن أن يكون لها علاج. لكن ضعف ميريل وتعبها أخذوا بالازدياد مع الوقت ولم

تتحسن. لذلك ذهب فينوي لطلب نصيحة مانوي. فسلمها مانوي إلى إرمو في لورين لكي يعتني بها. وهكذا تم الفراق بين فينوي وميريل (والذي ظنه فينوي بأنه سيكون لفترة قصيرة). مع ذلك فقد كان فينوي حزين جداً. فهذه مصادفة غير مسارة، أن تفترق الأم عن ابنها في بداية أيام طفولته على الأقل.

قالت له ميريل: فعلاً إنها مصادفة تعيسة فأنا أتألم كثيراً، لكنني مرهقة جداً، ويجب أن لا تلومني على هذا وكل ما سيأتي من بعده.

بعد ذلك ذهبت إلى حدائق لورين ورقدت لتنام. على الرغم من أنها بدت نائمة لكن في الحقيقة، كانت قد ماتت وعيرت روحها بصمتٍ إلى قاعات ماندوز. قامت وصيغات إستي بتقليب جسد ميريل لكي لا يذبل. لكنها لم تُعُد للحياة مجدداً. عاش فينوي بعدها حزين، وكان يذهب دائماً إلى حدائق لورين. ليجلس تحت الصفصاف الفضي بجانب جسد زوجته ويناديها بأسمائها، لكن كل ذلك كان بلا جدوى. فمن بين كل سكان المملكة المباركة هو الوحيد الذي حُرِم من البهجة. وبعد فترة قنع ولم يعاود الذهاب إلى لورين ثانية.

أعطى فينوي فيما بعد كل الحب والاهتمام لابنه. فكبر فيانور بسرعة شديدة كما لو أن ناراً سريّة أوقدت بداخله. وكان بارع الحسَن، طويل القامة جميل الوجه. عيونه براقَة وحادة النظر. وشعره أسود لامع. وكان متحمساً وحازماً في كل أعماله. ونادراً ما غيّر من درويهِ لا بالنصيحة ولا حتى بالقوة. فقد أصبح هو كل نولدور، فلا شيء يجاريه بالقوة. ولا يوجد في كل نولدور أحد قبله أو بعده، فهو الأكثر براعةً وذكاءً ودقةً في العقل، والأكثر مهارةً بأعمال يديه. طوّر فيانور في شبابه أعمال روميل، وابتكر الأحرف التي تحمل اسمه، وهي الأحرف التي استعملتها كل إيلدار فيما بعد. وهو الأول في نولدور الذي استخرج الأحجار الكريمة من الأرض وصنع منها الجواهرات اللامعة، وكانت أولى الجواهرات التي صنعها فيانور بيضاءً وشفافةً، ما إن توضع تحت ضوء النجوم حتى تنوهج بأشعة زرقاء وفضية فتلمع أكثر من ضوء هيللوين<sup>١</sup>. صنع أيضاً بلورات أخرى كحيون نسور مانوي تقرب الأشياء البعيدة وتريك إياها صغيرة لكن واضحة. ونادراً ما كان يرتاح عقل فيانور من التفكير أو يديه من العمل.

<sup>١</sup> هيللوين. Helluin. أكثر نجوم قاربا إلهاماً. ومعنى اسم هذا النجم، الجليد الأزرق.



تزوج فيانور وهو مايزال في بداية شبابه من نيردانييل بنت ماهتان حداد نولدور العظيم، فمن بين كل شعب نولدور كان أولي يحترمه ويقدره كثيراً. ومن ماهتان تعلم فيانور الكثير عن صناعة التعدين والحجارة. كانت نيردانييل أيضاً قوية الإرادة، لكنها أكثر صبراً من فيانور، وراغبة بالفهم أكثر من السيطرة على العقول. في البداية حاولت تقييده عندما كانت تيران قلبه حارة جداً، لكن أعماله اللاحقة جلبت لها الحزن وأوقعت التحايف بينهما. وكانت نيردانييل قد ولدت له سبعة أبناء وأورثت جزء من طبعها إلى بعضهم وليس للكل.

اتخذ فينوي اينديس الجميلة زوجةً ثانية له، وكانت قانيا أي من شعب فانيار. تنتهي قرابتهما إلى إينغوي الملك الأعلى. شعرها ذهبي طويل، ولا تشبه ميريل في شيء. أحبها فينوي كثيراً وعاد إليه السرور ثانية. لكن ظل ميريل لم يغادر بيت فينوي أو قلبه، وفي كل شيء أحبه كان عنده لفانور دائماً النصيب الرئيسي.

لم يجلب زواج فينوي السرور إلى قلب فيانور ولم يحمل الكثير من الود لإينديس ولا إلى أبنائها فينغولفين وفينارفين. فقد عاش مبتعداً عنهم يستكشف أرض أمان. وبشغل نفسه بالمعرفة والصناعة التي فيهما بمحنته. وفي كل الأشياء التعيسة التي حدثت معه لاحقاً، فقد كان هو القائد. ورأى كثيراً من الناس بأن سبب ذلك الحرق في بيت فينوي. هو، لو أن فينوي تحمل خسارته بفقدان زوجته واحتوى هذا الابن الجبار. لكان بالإمكان أن تكون طرق فيانور مختلفة، وربما كان قد منع وقوع الشر العظيم فيما بعد. فمازال الحزن والفتنة التي حدثت في بيت فينوي، محفورة في ذاكرة الجان النولدورين كلهم. لكن أبناء اينديس كانوا أيضاً عظماء ومجدون هم وأبناؤهم. ولولاهم لما كان في تاريخ إيلدار الكثير ليذكر فيما بعد.

بينما كان فيانور وحرفيو نولدور يعملون بلدو، غير متوقعين لما ستؤول إليه أعمالهم. وأبناء اينديس كبروا وبلغوا أشدهم. وكان قاليينور تسير إلى نهاية مجدها. فقد صدرت أوامر الفالار بأن يُحلى سيبيل ميلكور الذي أكمل مدة سجنه بإقامته لمدة ثلاثة عصورٍ طويلة، مكرهاً في قاعات مانوز لوحده. وكما كان وعد مانوي بأنه يجب أن يجلب ثانية أمام عروش الفالار. فعندما رأى مجدهم ونعمتهم ازداد الحسد في قلبه ونظر إلى أبناء إلفاتار الذين يجلسون تحت ظل عالم الفالار الهائل وقد ملأته الكراهية. نظر أيضاً على ثروة الجواهرات الالامعة فاشتهاهم لنفسه، لكنه أخفى كل ذلك وأجل انتقامه.

أمام بوابة قللمار ركع ميلكور عند أقدام مانوي مذلاً نفسه طالباً للعفو. وأقسم بأنه لو تُركت له حرية أقل من حرية شعب فالينور، فإنه سيساعد الفالار في كل أعمالهم، والأهم من ذلك، فإنه سيعينهم على علاج الكثير من الأذى الذي سببه للعالم. تشفعت له ناينا في توسلاته لمانوي لكن ماندوز بقي صامتاً.

منح مانوي العفو لميلكور، ولم يعاني منه الفالار إلا بعد أن ابتعد عن بصرهم ويقظتهم. أجبر ميلكور على السكن ضمن بوابات قللمار، فبدأ صافي السريرة، نقياً في أعماله وكلامه في ذلك الوقت. واستفاد كل من الفالار وإيلدار من مساعداته وآرائه. لذا فإنه عندما طلب إذنًا للذهاب والتحول بحرية حول الأرض سمحوا له بذلك. فقد بدا لمانوي بأن شرور ميلكور قد عولجت. لأن مانوي كان خاليًا تماماً من الشر ولم يكن باستطاعته أن يفهمه. ذلك معروف منذ البداية في فكر إلوقاتار. لكن لأن ميلكور كان كما هو، فلم يتمكن مانوي من رؤية أعماق قلب ميلكور، ولم يدرك أن كل تلك الحمية قد غادرته إلى الأبد. لكن أولو لم ينخدع به، وتولكاس كان يشد قبضتيه كلما رأى خصمه ميلكور يعبر من أمامه، صحيح أن تولكاس قد يأخذ وقتاً ليغضب لكنه لا ينسى الأذية بسهولة، ولكنهما مع ذلك أطاعا قرار مانوي. لأن المدافعين عن السلطة ضد أي تمرد يجب أن لا يكونوا هم أنفسهم متمردين عليها.

في قلب ميلكور كره وحقد على إيلدار أكثر من الجميع. لسببين لأنهم أنقياء ومبتهجون ولأنه رأى فيهم سبب رفة وعزة الفالار وهزيمته هو، لذلك احتلق حباً لهم وأراد صدقتهم. وقدم عروض خدماته لهم في العلم وفي أي عمل عظيم يعملوه. أما فانيار ففي الحقيقة ساورهم الشك. لذلك سكنوا في ضوء الأشجار وكانوا راضين وقانعين. أعطى ميلكور القليل من الإتيابه إلى تيليري. فقد كان يظنهم لا يستحقون إلا القليل، وبأنهم سيكونون أدوات ضعيفة جداً لتنفيذ أهدافه. على عكس نولدور الذين وثقوا بأنه يمكن أن يكشف لهم المعرفة المخفية وقد أصغى بعضهم لكلامه، مع أنه كان من الأفضل لهم عدم الاستماع له. في الحقيقة كان ميلكور قد صرّح بأن فيانور تعلم منه الكثير من الفنون بالسّر، وأنه أي ميلكور هو الذي أوعز إليه في صناعة أعظم أعماله. لكنه كان كاذباً في ذلك بسبب حسده وشهوته وحقده. فلم يكره ميلكور أحد من إيلدالي كما كان يكرهه فيانور بن فينوي، وهو أول من سماه مورغوث، وهذا الكره هو الذي أوقع فيانور فيما بعد في شرك شبكات حقد ميلكور بالتمرد ضد الفالار، فهو لم يتحدث معه ولم يأخذ منه أي

استشاره. لذلك كان فيانور مسيراً بنار قلبه فقط، وكان يعمل لوحده ويسرعة، ولم يطلب المساعدة أو الاستشارة من أحد سكان أمان، عظيماً كان أو صغيراً. بامتناء فقط ولفترة قصيرة، طلب مساعدة زوجته الحكيمة نيرداتيل.



نورد فيمابيلي شجرة عائلة فينوي، والتي تنحدر منها سلالة ملوك نومينور ثم فيما بعد نشأت منها سلالة ملوك البشر.



## الفصل السابع

### السيلماريليس والفتنة في نولدور

أنت شهرة الجان في أعمال الصناعة من تلك الأيام بسبب فيانور. فقد امتلك كل الفكر للتنوير والجديد. أو قد يكون ذلك بعض ظل المعرفة المسبقة التي أتت إليه من المصير الذي بدأ يقترّب. فكان يتأمل ضوء الأشجار الذي هو مجد الأرض المباركة، وكيف يستطيع الإبقاء على ذلك الضوء خالداً؟ لذا بدأ بالعمل السري الطويل. مستدعياً كل علمة وقوته ومهاراته الخفية. وفي النهاية صنع السيلماريليس.

كانت السيلماريليس كثالث جواهر عظيمة في الشكل فقط، أما مادتهم فهي غير معروفة، لأن فيانور لم يخبر أحد عن هذا السر فهل ستكون معروفة عندما يعود فيانور وهو الذي مات قبل أن تُخلق الشمس، ويجلس الآن في قاعات الانتظار ولن يعود ثانية بين أهله وعشيرته. لكن إلى أن تفتى الشمس ويسقط القمر، لن يكون معروفاً لأحد ماهي المادة التي صنعوا منها. تبدو السيلماريليس للناظر إليها مثل بلورات اللّاس، صلبة جداً كصلاية الحجر، فلا يمكن لأي قوة ضمن مملكة أردا أن تكسّرهم أو تشوه شكلهم. أمّا البلورة المختوية للسيلماريليس فهي تشبه الجسد بالنسبة لأبناء إلفانتار، لأنها بيت ناره الداخلية، وهذه النار كائنٌ ضمنه وفي كل أجزائه وهي أيضاً سبب حياته. صنع فيانور النار الداخلية للسيلماريليس من الضوء الممزوج لأشجار فالينور. وهذا الضوء مازال يعيش فيهم لحد الآن مع أن الأشجار ذبلت منذ مدة طويلة ولم تعد تشرق. لذلك حتى في ظلام أعمق الخرائن. تشرق جواهر السيلماريليس من ذاتها مثل نجوم فاردا. وفوق ذلك كله تشعر بأن السيلماريليس وكأنهم فعلاً أشياء حيّة، ابتهجوا بالضوء فاستقبلوه وعكسوه بأشكال أكثر روعة من قبل.

كل من سكن في أمان تُلئى بالأعجوبة والبهجة من عمل فيانور. وقدمت فاردا السيلماريليس. لذلك فلا يمكن فيما بعد لأي بشري هالك أو أيادي نجسة أو أي شيء

من الشر عسهم إلا أن يذبل ويحترق. وتنبأ ماندوس بأن مصير السيلماريليس في أردا سيكون. في الأرض والبحر والهواء. وهو محبوس بداخل السيلماريليس. وسرعان ما تعلق قلب فيانور بهذه الأشياء التي صنعها.

اشتتهى ميلكور السيلماريليس لنفسه، فمجرد التفكير بهم كان يشعل النار في قلبه. ومنذ ذلك الوقت التهمت هذه الرغبة وكانت لهفته دائمة لامتلاكهم، فكيف يجب عليه أن يحطم فيانور، وينهي صداقة الثالار مع الجان، ولكنه أخفى أهدافه بمكر. فلا يمكن أن يكون لحقده حدود، أو تصور للمظهر الذي يرتديه ذلك الحقد. عمل ميلكور لمدة طويلة على ذلك، بدايةً كان عمله بطيئاً وقاحلاً، لكن في النهاية لم تقتصر الأكاذيب التي زرعها للحصاد. بل في الحقيقة فإنه عما قريب سيرتاح هو من الكدح بينما يحصد الآخرون ويذروا بدلاً عنه. وداوماً يجد ميلكور بعض الأذان التي تحترمه وبعض الألسن التي تضخم ما تسمعه منه. فأكاذيبه مرت من الصديق إلى الصديق كالأسرار المثبتة بمعرفة حكمة المتحدث. وفي الأيام القادمة ستعمل كل نولدور بمرارة لكي يكفروا عن حماقة إصغائهم له.

عندما رأى ميلكور بأن غالبية الشعب مالوا إليه، راح يمشي بينهم، ويروي الأكاذيب المغلفة بالكلام المنسق، فاستطاع بمهارته ودهائه أن يوحي إليهم بأن هذه الأكاذيب ما هي إلا رؤيا من ذاكرة أفكارهم، فكم من العوا لم الهائلة التي يمكن أن يخضعوها لإرادتهم بالسلطة والحربة في الشرق. وبعدها راح يهمس بين الناس بأن الثالار جلبوا إيلدار إلى أمان بسبب حسدهم وغيرتهم. لأنهم كانوا خائفين من جمال كويندي، وبأن قدرة الخلق التي أورثهم إياها إلوقاتار، متزداد أكثر من قدرة سيطرة الثالار مع ازدياد انتشار الجان في أراضي العالم الواسعة.

وفي تلك الأيام بالرغم من معرفة الثالار بحقيقة مجيء البشر. إلا أن الجان لم يعرفوا شيئاً عن مجيء البشر، لأن مانوي لم يكشف لهم لحد الآن عن هذا الموضوع. لكن ميلكور أخبر الجان عن سر البشر الفاتين، وأوحى إليهم بأن صمت الثالار سيغلفهم بالبشر. ويذكر أيضاً بأن ميلكور نفسه لا يعرف إلا القليل عن سر البشر لأنه كان منشغلاً بأفكاره الخاصة في الموسيقى، ولم يعط إلا القليل من الانتباه لموضوع إلوقاتار الثالث. أما الآن، فالسر الذي أخفاه مانوي في السابق، قد خرج للعلن وأصبح معلوماً بين الجان. فأولئك البشر سوف يأتون ويحلون محلهم في ممالك الأرض الوسطى. لأن الثالار يروا بأنه من السهولة السيطرة على هذا الجنس الضعيف قصير العمر، والاحتيال على الجان من أجل

ميراث إلفواتار. وفي ذلك كان بعض الحقيقة، فقلما أنُتِرت سيطرة الفالار على إرادات البشر. لكن أغلبية نولدور كانوا مصدقين أو شبه مصدقين لكلمات ميلكور الشريرة. وهكذا قبل أن يدرك الفالار بأن السلام في فالينور أصبح مُسمّماً. كانت نولدور قد بدأت بالتذمر منهم، وأصبحت أكثرية نولدور متغطّسة. فتناسوا بأن المعارف التي اكتسبوها كانت عبارة عن هدايا من الفالار. واشتعلت رغبة عنيفة وجديدة في قلب فيانور المتلهف للعالم الأوسع وللحرية. فضحك ميلكور في سره لأن مؤشرات أكاذبه أجهت نحو بغض فيانور قبل كل شيء والشهوة الدائمة للحصول على السيلماريلس. لكن في هذه لم يكن يعاني من الاقتراب منها، لأن فيانور كان يلبسهم فوق حاجبيه أثناء الأعياد العظيمة. وفي الأوقات الأخرى كان يقفل عليهم في غرف الكنوز العميقة في تيريون تحت الحراسة المشددة. فقد بدأ حبّ طماع عند فيانور للسيلماريلس. ولم يكن يسمح لأحد بالنظر إليهم إلا أبيه وأبنائه السبعة فقط. وقلما تُدكّر بأن الضوء الذي تصدره لم يكن ملكه وحده بل ملك الجميع.

كان فيانور وفينغولفين ابنا فينوي الكبيرين من الأمراء العالين وكانا مبجلين بكل أمان. لكنهما شبّا على الفخر والغيرة في حقوقهم وأملآهم. نسج ميلكور أكاذيب جديدة ونشرها على كامل رقعة إيلدامار. وتقول هذه الأكاذيب، بأن فينغولفين وأبنائه يحطّطون لاغتصاب حق فيانور ونسله في ولاية عهد عرش فينوي بعد أخذ موافقة الفالار على ذلك، لأن الفالار كانوا غير ممنين من فيانور لأنه يحتفظ بالسيلماريلس في تيريون ولم يعهد للفالار بحفظها. أوصل ميلكور هذه الإشاعات في النهاية إلى فيانور. أما لأخويه فينغولفين وفينارفين فقال لهما: عليكم أن تحذرا من ابن ميريل المتفاخر الذي كان يكره أبناء اينديس قليلاً. أما الآن فقد أصبح هذا الكره عظيماً، ولطالما كان أبوه دائماً في صفه فسوف لن تكون لمدة طويلة قبل أن يطردكما من تونا.

أدرك ميلكور بأن أكاذيبه نجحت في زرع الفرقة واستيقاظ الكبرياء والغضب في نولدور، فأخبرهم عن أهمية اقتناء الأسلحة. بدأت نولدور بمحادثة السيوف والفؤوس والرماح منذ ذلك الوقت. ونقشوا على الدروع الكثير من الرموز التي تحدّد بيوتهم وعشائرتهم ومنافسة كل عشيرة للأخرى، ولم يظهروا للعلن من أسلحتهم إلا هذه الدروع، فكل واحد منهم اعتقد بأنه هو وحده من استلم التحذير. أما فيانور فقد صنع كور حدادة سري، حتى أن ميلكور لم يكن يعلم بوجوده، وهناك دق السيوف وسقاها له ولأبنائه. وصنع خوذة

طويلة بريشات حمره. ندم ماهتان كثيراً على ذلك اليوم الذي عَلَّمَ فيه زوج نيردانيل كلَّ أساليب علم التعدين الذي لَقَّنَهُ إياه أولي.

هكذا وبسبب أكاذيب ميلكور وهساته الشريرة وآراءه الزائفة، أوقدت قلوب نولدور للفتنة، وأدت هذه النزاعات في النهاية إلى أسول أيام مجد فالينور القديم. لأن فيانور بدأ يتكلم ويشكل صريخ عن التمرد ضد الفالار، ويصرخ بالصوت العالي بأنه سيغادر فالينور عائداً إلى عالم خالي وبأنه سينقذ نولدور من العبودية إذا تبعوه.

بعد ذلك حصلت بلبله كبيرة في تيريون وانزعج الملك فينوي فاستدعى كل سادات نولدور إلى المجلس للشااور. سارع فينغولفين بالذهاب إلى قاعات فينوي ووقف أمام المجلس قائلاً: ألي ومليكي، هل أنت ضعيف حقاً حتى لا تستطيع مقاومة تفاخر أختينا كوروفينوي الذي يدعى روح النار؟ وبأي حقي يتكلم باسم شعبنا كما لو كان ملكاً؟ منذ زمن طويل، عندما أرسل إليهم الفالار ليقبلوا الاستدعاء إلى أمان، كنت أنت الناطق باسم هذا الشعب أمام كويندي وأنت من قاد نولدور على الطريق الطويل من مخاطر الأرض الوسطى إلى نور إيلدمار. فإذا لم تطلب منه التوبة عن ذلك، فعندك على الأقل ابنان غير فيانور يحترمان كلامك.

لكن في الوقت الذي كان يتحدث فيه فينغولفين أمام المجلس، كان فيانور يتمشى بسلاحه الكامل وحوذته على رأسه وسيفه الجبار على جانبه، فقال لأخيه: هكذا إذا، كما توقعت! أخي غير الشقيق، سيكون قبلي عند أبي، في هذه كما في بقية الأمور، ثم سحب سيفه وقام بمهاجمة فينغولفين وهو يصرخ قائلاً: خذ نفسك واذهب إلى المكان الذي يناسبك.

انحنى فينغولفين أمام فينوي وغادر المجلس بدون أية كلمة أو نظرة لفيانور. لكن فيانور تبعه وأوقفه عند باب بيت الملك واضعاً رأس سيفه اللامع على صدر فينغولفين. وقال انظر يا أخي غير الشقيق: هذا السيف أخذ من لسانك. حاول مرة أخرى اغتصاب مكاني ومحبة أبي، فرما سيخلص هذا السيف نولدور من واحد كان يسعى لأن يكون سيد العبودية.

سمع كثيرون هذه الكلمات لأن بيت فينوي كان في الساحة الكبيرة تحت ميندون. ومرة ثانية لم يَرَهُ فينغولفين بأية كلمة. ثم مرَّ من خلال الحشد بصمت وذهب قاصداً أخاه فينارفين.

في الحقيقة لم تكن الفتنة في نولدور عافيةً عن الفالار، لكن بذورها كانت قد بُذرت في الظلام. فمنذ أن تكلم فيانور بشكل مسافر ضدهم، وهم مدركين بأن محرك السخط



ضدّهم سيكون فيانور لكونه مشهورٌ وقوي الإرادة ومتعطرٍ. مع أن كل نولدور أصبحوا متكبرين. حزن مانوي وكان يراقب كل شيء، لكنه لم يقل أية كلمة. فالفالار كانوا قد أحضروا إيلدار إلى أرضهم بحرية إما للسكن أو للمغادرة. ومع أنهم قد يرتكبون حماقة بالمغادرة، لكن مع ذلك فلن يمنعهم من الرحيل. لكن بالمقابل لا يمكن لأفعال فيانور هذه أن تمر دون عقاب. فلقد كان الفالار غاضبين ومستائين من أعماله، لذلك استدعوه للدشول أمامهم عند أبواب فاليمار، لتوضيح كل كلامه وأفعاله. واستدعوا معه إلى هناك أيضاً كل شخص كانت لديه معلومة عن أي جزء من هذه المسألة أو أي شيء عنها. وقف فيانور أمام ماندوز في دائرة الحساب وأمر بأن يجيب على كل الأسئلة. وعند إجاباته على أسئلة الفالار انكشف أساس المشكلة وانكشف معها حيث ميلكور. وحالاً غادر تولكاس المجلس مسرعاً ليلقي القبض على ميلكور ويجلبه إلى القضاء ثانيةً. بالمقابل فإن فيانور لم يكن بريئاً لأنه كسر سلام فالينور، وسحب سيفه على قريبه. فقال له ماندوز: تتكلم عن العبودية. فلو كانت هناك عبودية فلا يمكنك الحرب منها، لأن مانوي هو ملك أردا وليس ملك أمان فقط. وعملك هذا غير شرعي. لا في أمان أو لا في غيرها. لذا فحزراؤك ما يلي: سترحل عن تيريون وهي المكان الذي تفضلت به بتهديداتك ولمدة اثنتي عشرة سنة، وفي تلك الفترة تشاور نفسك وتذكر كيف سيكون طريقك، لكن بعد ذلك الوقت فإن هذه المسألة يجب أن تُحلّ بسلام، وتحمل الصلح إذا اطلق الآخرون سراحك. عندها قال فينغولفين: أنا سأعفو عن أخي. لكن فيانور لم يجب بأية كلمة. بل بقي صامتاً أمام الفالار، ثم استدار وترك المجلس راحلاً عن فاليمار.

ذهب معه إلى منفاه أبناءه السبعة. فصنعوا هنالك مكاناً قوياً وخزنة في التلال الواقعة في الجهة الشمالية من فالينور. وهناك في فورمينوس كانوا قد خزّنوا الكثير من الجواهرات والأسلحة أيضاً. وأقفلوا على السيلماريلس في غرفة من حديد. ثم تبعهم إلى هناك أيضاً الملك فينوي. بسبب حبه لفيانور. ونصّب بدلاً عنه فينغولفين كحاكم لنودور في تيريون. وهكذا أظهرت الحقيقة أكاذيب ميلكور. على الرغم من أن أفعال فيانور هي التي سمحت لهذه الأكاذيب بأن تعيش. فقد عاشت الآلام التي زرعها ميلكور طويلاً بعد ذلك واستمرت بين أبناء فينغولفين وأبناء فيانور.

علم ميلكور بأن مكائمه قد كشفت فأخفى نفسه وراح يتنقل من مكان إلى مكان آخر كقيمة فوق التلال. بحث عنه تولكاس كثيراً لكن دون جدوى. بعد ذلك بدا إلى شعب

فاليانور بأن ضوء الأشجار أصبح خافتاً في ذلك الوقت. وأصبحت معه ظلال كل الأشياء الواقفة طويلةً وقائمةً أكثر.

يروى بأنه ولفترة من الوقت لم يعد يُرى ميلكور ثانية في فاليانور ولم تسمع عنه أخباراً أبداً. حتى ظهر فجأةً في فورمينوس، فتكلم مع فيانور أمام الباب مختلقاً صداقةً بحججٍ وخذع. وأخذ يبحث فيانور على تكرار تفكيره السابق والإفلات من قيود القلار، وقال له: ها هي الحقيقة تظهر في كل ما كلمتك به، وكيف كانت طريقة نفيك ظالمةً، لكن إذا كان لا يزال قلب فيانور حراً وجرشاً كما كان كلامه في تيريون. فأنا سأساعده وأبعده عن هذه الأراضي الهزيلة الضيقة. ألسنت أنا فالاً أيضاً؟ نعم إنني فالاً أكثر من أولئك الذين يجلسون متفاحرين في فاليمار، وقد كنت فيما مضى صديقاً لنولدور أمهر شعوب أردا وأكثرها شجاعةً.

مازال قلب فيانور يعاني من مرارة إذلال ماندوز له، فأخذ ينظر إلى ميلكور في صمتٍ ويتأمل إذا كان سيثق به مرة أخرى لمساعدته على الفرار. لاحظ ميلكور هذا التردد لدى فيانور، ويعلم بأن السيلماريليس كانت قد استولت على عقل فيانور واستعبدت قلبه. فقال له أخيراً: صحيح أن هذا المكان قوي ومحروس بشكل جيد جداً. لكن لا اعتقد بأنه يوجد خزانة آمنة للسيلماريليس في كل مملكة القلار.

لكن في هذه المرة فقد جاوز مكره كل حد، لأن كلماته لامست الأعماق، وأيقظت ناراً أكثر مما كان يتصور. عندها نظر إليه فيانور بعينه التي لمعت وهي ترى مظهره الصافي محترقاً كل المحجب عن عقله. وأدرك رغبة ميلكور العنيفة للسيلماريليس، فتغلبت كراهية فيانور على خوفه. وقام بلعن ميلكور وطرده قائلاً: ابتعد عن بابي اذهب يا سجين ماندوز. ثم أقفل باب بيته بوجه الشخص الأكثر جبروتاً من بين كل ساكني إيا.

غادر ميلكور محزناً لأنه هو نفسه كان في خطر. ورأى بأنه لم يأت وقت الانتقام بعد. لكن قلبه كان مسوداً من الغضب. خاف فينوي كثيراً وأرسل إلى مانوي في قلار.

كان القلار جالسون في المجلس خلف أبواهم خائفين من ازدياد طول الظلال، عندما جاءهم الرسل من فورمينوس وحالاً وقف كل من أورومي وتولكاس. وبينما هما كذلك يستعدان لملاحقة ميلكور جاء آخرون من إيلدامار، وأخبروهم بأن ميلكور قد هرب من خلال كالاكيريا، فقد شاهده الجان من تل تونا وهو يعبر بغضب مثل غيوم الرعد القائمة.

وقالوا أيضاً بأنه استدار من هناك نحو الشمال. لأن تيليري الساكنين في الكوالوندي شاهدوا الظلال تمر من خلال مرفأهم باتجاه أرامان. هكذا غادر ميلكور أرض فالينور. ولفترة من الوقت عاد إشراق الشجرتين غير مظلتين. وامتألت الأرض مجدداً بالضوء، وعبثاً حاول الفالار معرفة أخبار عدوهم لكن كل ذلك كان دون جدوى. فقد كانت أخباره بعيدة كغيمة عالية تلوح في الأفق البعيد، ولدت على ریح بطيئة باردة. أفسد الشك بحجة سكان أمان لخوفهم وجهلهم من كمية الشر المترصدة بهم.



## الفصل الثامن

### تعميم فالينور

عندما سمع مانوي عن الطرق التي سلكها ميلكور، بدأ واضحاً له بأن ميلكور قد صمّم على الحرب إلى معاقلة القديمة شمال الأرض الوسطى. لذلك ذهب أورومي وتولكاس بأقصى سرعة نحو الشمال بغية اللحاق به. لكنهما لم يجداً أي أثر أو إشاعة خلف شواطئ تيليري، في القفار الخالية من السكان التي كانت قريبة من المناطق المتجمدة. بعد ذلك ضاعفوا المراقبة على طول الحدود الشمالية لأراضي أمان، لكن من دون نتيجة، لأن ميلكور كان قد عاد ومزّ بسرية متعمداً إلى الجنوب قبل وضع المراقبة. ولأنه واحد من الفلار فيماكانه تغيير شكله، أو السير عارياً كأحد أخوته. مع ذلك، فإن تلك القوة سيفقدها قريباً وإلى الأبد.

هكذا جاء ميلكور أخيراً غير مرئي إلى المنطقة المظلمة من أفانار. وهي تلك الأرض الضيقة الممتدة إلى الجنوب من خليج إيلدامار، تحت السفوح الشرقية لجبال بيلوري. وتمتد شواطئها الطويلة الكثيرة إلى الجنوب. كانت هذه الشواطئ معتمة وغير مكتشفة. هناك تحت المنحدرات الحادة للجبال وبرودة البحر المظلم، كانت الظلال أعمق وأثخن من أي منطقة في العالم، وهناك في أفانار وبشكل سرّي ومجهول، صنعت أونغوليانت مسكنها. لم يعرف إيلدار من أين أتت. لكن البعض قالوا بأنها كانت من أوائل المخلوقات التي حرفها ميلكور من أجل خدمته، أثناء الزمن القديم عندما نظر ميلكور بدايةً بالحسد لمملكة مانوي في أردا. لكن أونغوليانت رفضت تملك سيدها لأنها كانت راغبة بأن تكون سيّدة شهوتها. فأخذت كل شيء لنفسها ولاشباع جوعها، وكأنت قد هرتت إلى الجنوب للإفلات من اعتداءات الفلار وصيادو أورومي. ولأن الفلار كانوا قد أعطوا انتباههم للشمال فقط ولم ينتبهوا كثيراً للجنوب، فقد تسللت أونغوليانت من هناك إلى المملكة المباركة لأنها كانت جائعة للضوء لكنها تكرهه أيضاً بنفس الوقت.

عاشت أونغوليانت في الوادي وتشكلت كعنكبوت لها شكلٌ بشعٌ، تنسج شبكاتهما السود في شقوق الجبال. هناك امتصت كل الضوء الموجود، ثم عادت وتسجت عليها ثانيةً شبكات مظلمة خانقة وكثيرة. حتى لا يتمكن الضوء من الدخول أكثر إلى مسكنها. ودائماً ما تكون جائعةً فهي لا تنسج.

جاء ميلكور إلى أفانار ساعياً لإخراجها من مسكنها. فقد وضع على نفسه ثانياً الشكل الذي ظهر فيه كطاغية في أوتومو، سيد الظلام طويل القامة المرعب. وعلى هذه الهيئة بقي شكله إلى الأبد. هناك في الظلال السوداء، تأمر ميلكور مع أونغوليانت لكي ينتقم من الفالار. خلف كل الأبخار حتى عن بصر مائوي من قاعته العليا. ولكنها عندما فهمت أهداف ميلكور، تمزقت بين الشهوة والخوف العظيم وقالت بأنها لن تتحرك من محبأها، لأنها كانت تكره تحدي الخطر والقوة المروعة لسادة أمان. عندئذ قال لها ميلكور: افعلي ما أطلبه منك، وإن بقيتي جائعة بعد أن ينتهي كل شيء، فعندها كل ما تشتهي وتطلبه مني سأقدمه لك، نعم وبكلتا يدي، وأقسم على ذلك. ثم أقسم بحفة بأنه سيوفي عهده معها، كما فعل فيما سبق، لكنه ضحك في قلبه. فهكذا يُنصّب اللص الأكبر الفسخ إلى اللص الأصغر.

نسجت أونغوليانت غطاءً من الظلام حولها عندما خرجت هي وميلكور. فبدون الضوء تكون كل الأشياء غير واضحة، ولا تستطيع أية عيون أن ترى شيئاً. ثم بدأت ببطء تنسج شبكاتها، جبلٌ بجبلٍ من شقٍ إلى شق، من تنوء صخرة إلى ذروة الحجرة، متسلقةً دائماً للأعلى، تزحف وتتعلق حتى وصلت إلى قمة هاريميتير تماماً، وهو أعلى جبل في تلك المنطقة من العالم. ويقع أقصى جنوب تني كويتيل العظيم. هناك لم يكن الفالار متيقظين لأنه في الغرب من ييلوري كانت تقع أراضي الغسق الفارغة، ومن الجهة الشرقية تطل عليها الجبال باستثناء أفانار المنسية، ومياه البحر المظلم الذي لا ممرات له. امتلقت أونغوليانت المظلمة على قمة الجبل، وصنعت سلماً من الجبال المجدولة ثم ألقته لميلكور، تسلق ميلكور عليه حتى وصل إلى القمة ثم وقف بجانبها ينظر إلى المملكة المحروسة. وتحتهم مباشرةً كانت تقع غابة أورومي. ومن غربهم تلمع حقول ومراعي يافانا والسنايل الذهبية لتلمع الآلهة الطويل. نظر ميلكور نظرة خاطفة إلى الشمال فرأى من بعيد السهل المشرق وقباب فالمار الفضبية تلمع من اختلاط أضواء تيليريون ولاريلين. فصاحك جهورياً وقرّر مسرعاً إلى أسفل المنحدرات الغربية الطويلة وكانت أونغوليانت بجانبه والظلمة تغطيها.

الآن وقت الاحتفال، كما يعرف ذلك ميلكور جيداً. على الرغم من أن لمد والجزر وكل المواسم والفصول كانت بإرادة الفالار ولم يكن هناك شتاءٌ قاتل في فالينور، مع كل هذا فقد سكن الفالار في مملكة أردا - وماهي إلا مملكة صغيرة ضمن قاعات إيا. الذي حياته الزمن المتدفق دائماً عبر إيرو. من أول علامة موسيقية حتى آخر نغمة. (كما أخبرتنا في آينوليندالي). - وأخذوا شكل أبناء إلوقاتار وتصرفوا مثلهم، في ارتداء الملابس وولمَّا كل والمشرب، وجمع ثمار يافانًا من الأرض، وفعلوا كل ذلك تحت إيرو.

لذا فقد جعلت يافانًا أوقاتاً معينة للإزهار وأخرى لإنضاج الأشياء التي تنمو في فالينور، وقد عمل مانوي عبيداً لتمجيد إيرو، عند كل اجتماعٍ لجنى أوائل الثمار. فكان يخرج كل شعب فالينور للاحتفال ويصنعون الموسيقى والأغاني على نَّي كويتيل، والآن وقت الاحتفال. فقد أمر مانوي بأن يكون هذا العيد أكثر تمجيداً من كل الأعياد التي كانت منذ مجيء إيلدار إلى أرض أمان إلى الآن. مع أن هروب ميلكور كان ينذر بمجيء الهُم والحزن. وبالْحَقِيقَةُ لا أحد يمكنه أن يتوقع أبعاد الحزن الذي سيقع على أردا، قبل أن تهدأ ثانيةً. وفي ذلك الوقت كان مانوي قد صمم على استئصال الشر الذي ظهر بين نولدور، فطلب من الجميع أن يأتيوا إلى قاعاته على نَّي كويتيل، وليضعوا الحزن الذي وقع بين أمرائهم جانباً، ولينسوا تماماً أكاذيب عدوهم. فجاءت إلى هناك كل قانبار ونولدور من تيريون وتجمُّع الميَّار مع بعضهم، واصطف والفالار بحمالهم وفخامتهم، وغنوا كلهم أمام مانوي وقاردا في قاعاتهم العالیه. ورقصوا على السفوح الخضراء للحبل الذي يطل على الأشجار من جهة الغرب. وفي ذلك اليوم كانت شوارع فالمار خالية، وسلام تيريون صامتة، والأرض تغط في نومها بسلام. فقط تيليري بقوا وراء الجبال يغنون على شواطئ البحر، لأنهم لم يعبروا الفصول الكثير من الاهتمام. ولم يعطوا أي اهتمام لحكام أردا، أو للظلال التي سقطت على فالينور، لأنَّها لحد الآن لم تلامسهم بعد.

شيء واحد فقط أفسد تصميم مانوي، فقد جاء فيانور فعلاً لأن مانوي بعث إليه دعوة أمره فيها بالنجي. ولكن فينوي لم يأت لا هو ولا أي شخص آخر من النولدوريين المقيمين في فورمينوس، لأن فينوي كان قد قال: سأحتفظ بنفسني مخلوعاً عن الحكم ولن ألتقي بأحد من شعبي مادام قرار نفي ابني عن تيريون قائماً. ولم يرتدي فيانور لباس الاحتفال ولا أية حلية أخرى أكانت من فضة أو ذهب أو أي حجر كريم آخر. وأنكر على الفالار وإيلدار مشاهدة السيلماريليس، فأبقاهم محبوسين في غرفتهم الحديدية في فورمينوس. على

الرغم من ذلك فقد التقى مع فينغولفين وتصالح معه بالكلام وتصافحا أمام عرش مانوي. ولم يهتم فينغولفين أبداً لقضية سحب السيف عليه، فرفع يده قائلاً: كما وعدت فيما سبق ها أنا ذا الآن أوفي بوعدي وأحرك ولن أذكر أية شكوى.

سحب فيانور يده ولم ينطق بأية كلمة، لكن فينغولفين قال: أخ غير شقيق في الدم، أخ كامل في القلب هكذا ساكون، أنت القائد وأنا أتبعك، ولن تكون هناك تفرقة أو حزن كما مضى.

أجاب فيانور: سمعتك، هكذا سيكون. لكنهما لم يعرفا المعنى الذي ستودي إليه كلماتهما. وقيل بأنه بينما كان فيانور وفيُنغولفين واقفين أمام مانوي جاء اختلاط الأضواء الممزوج من إشراق الشحرتين. وامتألت مدينة فالمار الصامته بتألق الفضة والذهب. وفي تلك الساعة بالذات جاء ميلكور وأونغوليانت مسرعين عبر حقول فالينور. وكانا كظلال غيمة سوداء محمولة على أساطيل الريح إلى الأرض للضياء بالنور. حتى وصلا إلى أمام التل الأخضر ايزيللوهار. عندها ارتفعت عتمة أونغوليانت حتى غطت جذور الأشجار. ففقر ميلكور على التل وضرب برمح الأسود كل شجرة عميقاً في قلبها. فسال نزيههما كالدّم منسكباً على الأرض. لكن أونغوليانت امتصته وانتقلت هكذا من شجرة إلى أخرى ووضعت فيها الأسود على جراحهما حتى مسح كل عصاراتهما وجففتها، ثم نثت فيهما سم الموت الذي كان فيها. فأذبلت الجذور والأوراق والفروع، ثم ماتتا. رغم كل ذلك فما زالت عطشى، لذلك ذهبت إلى آبار فاردا لتشربهم وتخففهم. وكانت أونغوليانت تنحشاً أبحرة سوداء كلما شربت. بقيت هكذا حتى انتفخت إلى شكل واسع قبيح. حتى إن ميلكور كان خائفاً منها.

حل الظلام العظيم على فالينور. وقد ذكرت أكثر أعمال ذلك اليوم في ألدودينا، (رثاء الأشجار)، وهي المرثي التي قالها إيليميري من فانيار المعروف في كل إيلدار. رغم ذلك لا أغنية ولا حكاية كان بإمكانها احتواء الحزن والرعب الذي حدث يومها. فقد اختفى الضوء. وكان حلول الظلام بعد ذلك أكثر من فقدان الضوء. ففي تلك الساعة صُنع ظلامٌ بدا وكأنه لا يتناقض لكأنه شيء وجد من تلقاء نفسه. لأنه بالحقيقة خلُق بالحقد خارج الضوء. فكانت لدية القوة ليحترق العيون ثم يدخل إلى القلب والعقل ليخنقهما.

نظرت فاردا إلى أسفل تبي كويتيل فرأت الظل يرتفع فجأة كأبراج من الكآبة، لقد غرقت فالمار في بحر عميق من الليل، وبعد قليل وقف الجبل المقدس وحيداً كجزيرة أخيرة للعالم

الذي أغرق، كل الأغاني توقفت، وماد الصمت في فالينور، فلا صوت يمكن أن يسمع إلا صوت آتٍ مع الريح غير ممرات الجبال، كان نوح تيليري كبكاء النوارس البارد، له رعشة إذ يهب من الشرق في تلك الساعة. واتسعت الظلال على البحر متتابعة قبالة الشواطئ. لكن مانوي من مقعده العالي نظر خارجاً، فعيونه هي الوحيدة القادرة على النظر من خلال الليل، فرأت عيناه ظلاماً ما بعده ظلام، حتى عيون مانوي لم تستطع اختراقه، ورأى هيتين ضخمتين لكن بعيدتين جداً. تتحركان بسرعة عالية باتجاه الشمال. عرف مانوي بأن ميلكور قد جاء وذهب. فبدأت المطاردة، واهتزت الأرض تحت خيول جيش أورومي وانطلقت النار من تحت حوافر ناهار، وكانت تلك النار هي الضوء الأول الذي عاد إلى فالينور. لكن بعد قليل جاءت سحابة قائمة من أونغوليانث فأعمت عيون خيالة الفالار، فأصابهم الفرع وتفرقوا عن بعضهم فلم يعرفوا إلى أين يذهبوا أو إلى أي اتجاه. تعثر صوت فالاروما وسقط. أما تولكاس فقد غلق في هذا الليل في الشبكة السوداء، وبقي واقفاً يقاوم لكنه أصبح عاجزاً وقد ضعفت قواه، وراح يضرب في الهواء لكن دون جدوى. وعندما مر الظلام وقد كان الوقت مؤاتياً. ذهب إليه ميلكور حيث هو في الشبكة وأبجز انتقامه من تولكاس.





## الفصل التاسع

### هروب نولدور

بعد مدة من الزمن التقى جمع غفير في دائرة الحساب. ولأن الوقت كان ليلاً فقد جلس الثالار في الظل، ونجوم فاردا تلمع في السماء فوقهم. وأصبح الهواء صافياً لأن رياح مانوي أبعدت أبخرة الموت وبددت ظلال البحر. ثم ظهرت يافانًا ووقفت على الثل الأخضر ايزيلوهار، بعد أن أصبح عارياً وأسود. وضعت يديها على الأشجار. لكنهم كانوا موتى ومظلمين. وكلما كانت تلمس أحد الفروع، كان يسقط ويتكسر عند قدميها بلا حياة. عندها ارتفعت أصوات كثيرة بالرشاء والعويل. فبدا وكأنه نذب أو كأنهم لتوهم قد فرغوا من شرب كأس الكآبة التي جهزها لهم ميلكور، لكن الحقيقة كانت غير ذلك.

تكلمت يافانًا أمام الثالار قائلة: لقد انتهى ضوء الأشجار، وسيكون ضوء الحياة اعتباراً من الآن فقط هو من أضواء السيلماريلس التي صنعها فيانور، وهو يعي ذلك. حتى بالنسبة لأولئك الذين هم الأقوى تحت إلوفاثار، فهنالكَ بعض الأعمال التي لا يمكن أن تنجر إلا مرة واحدة فقط. فقد استطعت أن أجلب ضوء الأشجار لكي يكون ضمن إيا لمرة واحدة وهذا الفعل لا يمكنه أن يحدث مرة ثانية، رغم ذلك فهنالكَ القليل من الضوء الذي يمكنني أن استرده من أجل حياة الأشجار قبل أن تفسد جذورها. وبعد ذلك يجب أن تعالج جراحنا. لكي نستطيع رد حقد ميلكور.

ثم تكلم مانوي قائلاً: لقد سمعت يا فيانور بن فينوي كلام يافانًا؟ فهل تريد أن تمنحها ما مستطيه منك؟

ساد صمتٌ طويل بعد ذلك ولم يجب فيانور بأية كلمة، فصرخ به تولكاس وقال: تكلم أيها النولدوري قل أي شيء، نعم أو كلا! لكن تذكر من ذا الذي سيرفض طلب يافانًا! أوَّ ثم تأتي بداية ضوء السيلماريلس من عملها.

لكن أولي الصانع قال: لا تكن متسرعاً، نحن نسأل شيئاً أعظم من معرفتك. دع هذا الشيء ليكون بسلام بعد فترة.

لكن فيانور تكلم بمرارة قائلاً: في الأعمال الصغيرة كما في الكبيرة والعظيمة، وهذه أيضاً لا يمكن أنجازها إلا مرة واحدة فقط، وفيها راحة القلب. قد أستطيع فتح مجوهراتي لكن ذلك لن يحدث مرة أخرى مطلقاً ولن أستطيع صنع مثيل لهم ثانية، ولكي أخرجهم يجب علي أن أكسرهم وبذلك العمل أكسر قلبي، وأكون أول قتيل من كل إيلدار في أرض أمان.

فقال ماندوز لست الأول، لكنهم لم يفهموا قصده. ثم ساد الصمت ثانية، وأحس فيانور بأنه محتضن بالظلام، فيدا وكأنه هوجم في حلقة من الأعداء. وعادت إلى ذهنه كلمات ميلكور عندما قال له بأن السيلماريلس لن تكون آمنة إذا أراد الفالار امتلاكها، وقال في نفسه، أوليس ميلكور فالأ مثلهم! فلن أستطيع فهم قلوبهم، نعم فالص هو من سيكشف اللصوص، ثم صاح جهرياً: لن أفعل ذلك طواعية، لكن إذا أجبرني الفالار على ذلك فعندها سأعرف بأنهم فعلاً أقرباء ميلكور.

فقال له ماندوز: أتعني ما تقول؟ ثم ظهرت ناينا وصعدت على ايزيللوهار، وألقت بقلنسوتها الرمادية إلى الخلف كاشفة عن رأسها، وغسلت بدموعها نجاسات أونغوليانت، وغنت نادبةً بحزن لأوجاع العالم وفساد أردا.

وبينما كانت لا تزال ناينا تنوح وتندب. جاء الرسل من فورمينوس حاملين أخباراً شريفة من نولدور، فأخبروا كيف أن ظلاماً يعمي الأيصار جاء من الشمال، ومشت في وسطه بعض القوة المجهولة التي تنشر الظلام، وكان ميلكور معها أيضاً. وأخبروهم بأن ميلكور ذهب إلى بيت فيانور وقام بذبح فينوي ملك نولدور أمام أبواب بيته. لأن فينوي كان هو الوحيد الذي لم يهرب من رعب الظلام وكان دمه أول دم يراق في العالم المبارك. وقالوا أيضاً بأن ميلكور كسر معقل الفورمينوس وأخذ كل جواهر نولدور التي اكتنزوها هناك، حتى أن السيلماريلس اختفت أيضاً.

عندها تخض فيانور، ورفع يديه أمام مانوي ولعن ميلكور، وكان قد أطلق عليه اسم مورغوث أي الخصم الأسود للعالم. وفيما بعد لم يعرف ميلكور إلا بهذا الاسم في إيلدار دائماً وأبداً. ولعن فيانور أيضاً دعوة مانوي له والساعة التي جاء بها إلى تني كوتيل. وفكر في جنون غضبية وحزنة. فلو أنه كان في فورمينوس فإن قوته كانت مستنفع أكثر من أن يُذبح أيضاً، كما كان يخطط له ميلكور. بعدها هرب فيانور من دائرة الحساب إلى الليل.

فأبوه كان عنده أغلى من ضوء فالينور وأعمال يديه الفريدة. لأن كل أبناء البشر أو الجان يحملون قيماً عظيمة لأبائهم.

حزن كثيرون لآلام فيانور، لكن من جهة أخرى فلم تكن الحسارة له لوحده بل كانت تخص الجميع. كذلك بكت ياقانا عند النبل من الخوف لأن ذلك الظلام سوف يتلخظ الأشعة الأخيرة لضوء فالينور إلى الأبد. ولم يفهم الفالار لحد الآن ماذا حدث بالضبط. لكنهم أدركوا بأن ميلكور كان عنده مدعوة قدمت له بعض المساعدة وقد أتت فيما أبعد من أردا. أما بالنسبة للسيلماريليس فقد اختفت وانتهت. وكذلك قد يبدو سواء قال فيانور لياقانا نعم أو لا. رغم أنه كان قد قال نعم في بادئ الأمر قبل أن تأتي الأخبار من فورمينوس، فلو حصل ذلك لربما كانت لديه أعمال غيرهم فيما بعد ولن تكون السيلماريليس آخر أعماله، لكن يبدو بأن قدر ومصير نولدور قد اقترب كثيراً الآن.

في غضون ذلك هرب مورغووث من مطاردة الفالار. فقد وصل إلى الأراضي القفر من أرامان. وتقع هذه الأرض بين جبال بيلوري والبحر العظيم شمالاً وأفانثار جنوباً. لكن أرامان كانت أرض شاسعة تمتد بين الشواطئ والجبال، وهي عبارة سهول قاحلة باردة جداً مثل برودة الجليد. عبر مورغووث وأونغوليانت هذه المنطقة بسرعة، مرّاً من هناك كسحب عظيمة من أويوموري إلى هيلكاراكسي. حيث المضيق المليء بالجليد بين أرامان والأرض الوسطى. ورجعا في نهاية المطاف إلى شمال الأرض الخارجية. فقد ذهباً معاً. لأن مورغووث لا يستطيع التملص من أونغوليانت فغيمتها ماتزال عليه وكذلك عيونها. وصلا إلى تلك الأراضي التي تمتد إلى الشمال من اللسان البحري درينغيست. والآن اقتراب مورغووث أكثر من خراب أنغياند الذي كان في ما سبق معقله الغربي العظيم. فأدركت أونغوليانت هدفه وعرفت بأنه يريد الهروب منها فأبقتته وطلبت منه أن ينجز وعده.

فقال له: أيها القلب الأسود لقد أُنجزت ما طُلب مني ولكني مازلت جائعة. فقال لها مورغووث: وماذا تريد أكثر؟ هل تريد أن يكون كل العالم في بطنك؟ فأنا لم أقسم على إعطائك تلك الأشياء، فهل أنا سيدها.

قالت أونغوليانت: ليس ذلك بكثير، فلديك كنزٌ عظيمٌ من فورمينوس، وأنا سأخذ كل ذلك، نعم، ويكلنا يديك ستعطيني إياه، ألم تقسم على هذا؟.

عندها تنازل لها مورغووث مضطراً عن الجواهرات التي حملتهم معه. فكان يعطيها إياهم الواحدة تلو الأخرى بتأمر. وكانت تلتهمهم فقطت على جماهم من العالم. وتضخم

حجمها وأصبحت قائمة ومظلمة جداً. مع كل ذلك فلم تشبع رغبتها بعد، وقالت له: بيد واحده أعطيتني، وباليصار فقط. افتح اليمنى.

كان مورغوث مطبقاً في يده اليمنى على السيلماريلين، وعلى الرغم من أنهم كانوا محبوسين بصندوق بلُوري. فقد آذوه ومع كل ذلك الألم أبقى يده مضمومة ولم يفتحها وقال لها: صحيح أنك قمت بمساعدتي لكن بفضل القوة التي وضعها فيك كان عمليك بارعاً. ولن أحتاجك بعد الآن أبداً، أما بالنسبة لهذه الأشياء فلن تكون لك، ولن تريهم مطلقاً. لأنني اخترتهم لنفسي إلى الأبد.

تعاطم حجم أونغوليانت أكثر بعدما سمعت منه هذا الكلام، فقد كان أقل منها بالقوة مع أن قوتها قد خرجت منه. فما كان منها إلا أن انتصبت أمامه مطبقاً عليه بغيمتها ولفت شبكتها حوله، ثم أطبقت عليه بملاقطها لتخنقه، عندها أطلق مورغوث صرخةً فظيعةً ترددت في الجبال. لذلك دعيت تلك المنطقة، لامووث لأن أسداه صوته بقيت تسكن هناك إلى الأبد. ولذلك كل من يصرخ في تلك الأرض بشكل جهوري فقد يوقظ صراخ مورغوث من جديد. امتلأت كل مناطق القفر بين التلال والبحر بصخب صرخات الأمل. فقد كان بكاء مورغوث في تلك الساعة هو الأعظم والأكثر إحافة من بين كل الأصوات التي سمعت في العالم الشمالي. فلقد اهترت الجبال وارتعدت الأرض وتفتت الصخور. وسمع صوت يكائه إلى أعماق الأماكن المنسية تحت قاعات أنغباند الرطبة. فما زال البالروغز يعيشون في أقبيتها ومراذيبها التي لم ينزل إليها الفالار أثناء هجومهم السريع الذي حصل فيما مضى، ومازال هؤلاء البالروغز مترصدين منتظرين عودة سيدهم، وعند سماعهم لصوته ظهرُوا بسرعة، ومروا من فوق هيثلوم، ثم وصلوا إلى لامووث كعاصفةٍ من ناز. ضربوا شبكة أونغوليانت بسياط اللهب فقطّعوا أوصالها. خافت أونغوليانت وهربت تتجشأً أبخرة سوداء لكي تغطيها. نزلت إلى ييليرياند هاربةً من الشمال وسكنت تحت إيريد غورغوروث. في ذلك الوادي المظلم الذي أصبح اسمه فيما بعد نان دونغورثيب، وادي الموت للخيف. بسبب الرعب الذي كان قد ولد هناك من جراء تفقيس مخلوقات كريبهة أخرى من العناكب التي سكنت هناك من أيام حفر أنغباند. فتزوجت أونغوليانت معهم ثم التهمتهم. حتى أنّ أونغوليانت نفسها ذهبت إلى المناطق المنسية جنوب العالم. هناك مسكن نسلها وشبكاتهم القبيحة. وفيما بعد لم تُعرف حكاية تخبر عن أونغوليانت. رغم

ذلك فقد قال البعض بأنها ماتت أو انتهت منذ عهد بعيد، لأنها جاءت كثيراً فالتهمت نفسها في آخر اللطاف وانتهت.

وهكذا فإن خروف يافانغا من أن تكون السيلماريليس قد أثلعت وسقطت إلى العدم لم يحدث. لكنهم بقوا تحت سلطة مورغووث، وما هو الآن عاد حراً من جديد فبدأ يجمع خدمة الذين قد يجدهم ثانية. وصل مورغووث إلى حراب أنغباند وهناك عكف من جديد على الحفر ثانية وأعاد بناء سراديبه وأقييته الواسعة وحصونه. ونصب فوق يوابانغا ثلاثة قسم وهي ثانغورودريم التي تفوح منها رائحة عفونة كبيرة والدخان الأسود يضللهم دائماً. هناك تضاعفت حشود شياطينه ووحوشه، فأصبحت كثيرة لا تعد ولا تحصى. وفقس عرق الأوركس قبل فترة طويلة فتما وتضاعف في أمعاء الأرض. وسقط ضل الظلام على بيليريناند، كما علمنا فيما بعد.

صاغ مورغووث لنفسه تاجاً عظيماً من الحديد في أنغباند، ودعا نفسه ملك العالم. وكرمز على ذلك فقد وضع السيلماريليس في ذلك التاج. وكانت يديه قد احترقتا عندما لمس تلك الجواهرات المقدسة. وبقيت أيديه سوداء إلى الأبد. ولم يتخلص من ألم الاحتراق والغضب الناتج عن الألم. مع ذلك، فلم يخلع ذلك التاج عن رأسه أبداً، وقد أصبح وزنه يزداد بشكل متعب ومجتم. ولم يغادر مكان سلطانه في الشمال إلا مرة واحدة فقط عندما ذهب سراً ولفترة قصيرة. في الحقيقة نادراً ما ترك الأماكن العميقة من قلعته. لكنه يحكم جيوشة من العرش الشمالي. ولم يستخدم السلاح هو شخصياً حينما كانت تملكته قائمة إلا مرة واحدة.

بسبب تواضع مجده أكثر من أيام أوتومنو، فقد التهمته الكراهية والحقد وصرف روحه في الهيمنة على خدمه وإثارة رغبة الشر فيهم. بالرغم من كل ذلك فقد بقي كواحد من الفلار في عظمته لمدة طويلة، مع أنه اتجه إلى الإرهاب. وأمام وجهه الهائل كل الأمان غرق في حفرة مظلمة من الخوف.

عندما علم الفلار بأن مورغووث قد هرب من فالينور وأن مطاردته أصبحت أمر غير ذي جدوى. جلسوا طويلاً في الظلال في دائرة الحساب. وقف الميار والثانينار بجانبهم ويكوا. أما الجزء الأكبر من نولدور فقد عادوا إلى تيريون ليندبوا مصيبة مدينتهم الجميلة وما حل بها من الظلام الذي أتاه من الجراف ضباب البحار عبر وادي كالاكيريا الباهت، فغطى أبراجها بالظلمة، وأصبح احتراق مصباح ميندون شاحباً كئيباً.

فجأة ظهر فيانور في المدينة ودعا الجميع إلى القصر الأعلى للملك على قمة تونا. لكن إدانته بعقوبة النفي لأنه تمرد ضد الفالار لم تنتهي مدتها بعد. تجمع عدد كبير بسرعة لكي يستمعوا إليه وماذا سيقول. تضافرت جموع الشعب على كل مكان حوله وكل واحد منهم كان يحمل بيده مصباح، فأصبح الثل والدرجات والشوارع التي تسلكها الشعب مضاءة بالكثير من المصابيح. كان فيانور خطيباً بارعاً وتأثير لسانه كبير على القلوب، وبتلك الليلة ألقى خطاباً أمام نولدور بقي عالقاً في ذاكرتهم إلى الأبد، وقد تخللته بعض كلمات العنف والفخر والغضب. فتحرك غضب نولدور وحقدهم بجنون عندما استمعوا إليه، وكان أكثر هذا الغضب على مورغوث. بعد أن علموا بأن كل تلك الأكاذيب كانت قد جاءت من مورغوث نفسه. ومع أنه كان مذهولاً وحزيناً لمقتل أبيه، ومتألماً لاغتصاب السيلماريلس. فقد طالب فيانور بحقه في ملك نولدور، فمنذ وفاة فينوي لم يعد يُقَمُ وزناً لمراسيم الفالار بل على العكس أصبح يسخر منها أيضاً.

صرخ فيانور: لماذا يا شعب نولدور، هذه الخدمة الطويلة للفالار الغياري. الذين لا يستطيعون لا حمايتنا ولا حماية مملكتهم من عدوهم. على الرغم من أن مورغوث عدوهم. لكن ليس هو قريتهم أيضاً؟ ومن هنا فالتأثر يدعوني، حتى ولو كان بطريقة أو بأخرى، بأن لا أسكن طويلاً في نفس الأرض التي فيها أقرباء قاتل أبي وسارق كنزي. رغم ذلك فأننا لست الشجاع الوحيد في هذا الشعب الصنديد. أولستم جميعاً قد قدمتم ملككم؟ وماذا لم تفقد بعد. ألم يحسونا هنا في هذه الأرض الضيقة بين الجبال والبحر؟.

هنا مرة كان الضوء، لكن الفالار ضن به على الأرض الوسطى، أما الآن فالظلام متساوٍ على الكل هنا وفي الأرض الوسطى. هل سنندب قلة حيلتنا هنا للأبد. شعب الظل، نلاحق العتمة، نسقط دموعاً عقيمة في البحار الناكرة للحميل؟ أم نعود إلى وطننا في كوشيينين؟ حيث المياه تجري عذبة تحت النجوم الصافية. وأراضٍ شامعة تمتد حول أناسٍ أحرار مازالوا يعيشون ويعيشون ويتظنوننا هناك. فكيف بحماقتنا تخلينا عنهم. فلنذهب بعيداً ولنذع الجبناء يقون في هذه المدينة.

تكلم فيانور مطولاً وحث نولدور لاتباعه وبسبب مهارتهم العالية وشجاعتهم فإنهم سيكونون مؤهلين لاكتساب الحرية والعوالم العظيمة في أراضي الشرق قبل فوات الأوان. وراح يقلد ميلكور ويردد أكاذيبه حيث قال: إن الفالار قد خدعوكم وسوف يتحزبونكم هنا كأسرى لكي يحكم البشر الأرض الوسطى. وبالنسبة للكثيرين من إيلدار كانت هذه

هي المرة الأولى التي يسمعون بها عن أولئك الذين سيأتون فيما بعد. ثم صاح مجدداً: على الرغم من أن الطريق شاق وطويل، لكن نهايته ستكون سعيدة، ونقول وداعاً للعبودية، وداعاً للراحة، وداعاً للضعف، وداعاً للكوز. فمازال يتعين علينا الكثير لنفعله في رحلة النور، اجلبوا سيوفكم معكم، لأننا سنذهب أبعد من أورومي وتحمل أكثر من تولكاس، فلن نكف عن مطاردة مورغوث حتى نهاية الأرض. سنستعد لحرب الكراهية الأبدية. وعندما نحصل على النصر ونستعيد السيلماريلس. عندها سنكون وحدنا فقط سادة الضوء الصافي الذي لا تشوبه شائبة. وأسياد البركة الأجل في أردا. ولن يطردنا نسل آخر من أرضنا.

بعد كل ذلك أقسم فيانور قسماً رهيباً. وقرر أبناءه السبعة إلى جانبه ليؤدوا معه نفس القسم. فسحبوا سيوفهم التي لمعت حمراء كالدم من وهج ضوء المشاعل. وأقسموا قسماً لا يكسره شيء، ولا يأخذه شيء حتى ولو باسم إلفاتار. واستدعوا الظلام الأبدى بأن يأتي فوقهم إذا لم يبروا بقسمهم، وليشهد عليهم مانوي وفاردا وجبل تي كويتيل المقدس. بأن يقسموا على متابعة الشار والكراهية إلى النهاية، وفي كل الممالك إن كان في مملكة قالا، أو الأوركس، أو الجان، أو البشر الذين لم يولدوا بعد، أو أي مخلوق، عظيماً كان أو صغيراً شريراً أو خيراً. حتى نهاية الأيام. وهذا القسم يقع على كل من يحمل أو يأخذ أو يحتفظ بالسيلماريلس ويحرمهم من ملكيتها.

هكذا تكلم أبناء فيانورالسبعة: مايدروس، ماغلور، كيليجوروم، كوروفين، كارانثير، أمرود وأمراس. أمراء نولدور. ارتجف كثير ممن سمعوا هذا القسم. الذي يحوي الكثير من الوعيد خيراً أو شراً. وبأنهم لن يكسروا قسمهم. وسيلاحقون حافظ قسمهم أو كاسره إلى نهاية العالم. عندئذٍ تكلم فينغولفين وابنه تورغون ضد فيانور واستفاقت الكلمات العنيفة، واقترب الغضب مرة أخرى من حدّ السيف، لكن فينارفين وكما هي عادته تحدث بمهدوء، وأراد تهدئة نولدور. وإقناعهم بالتوقف للتأمل، لأنه لا يمكن التراجع عن العمل بعد القيام به. والوحيد من بين أبناءه الذي تكلم بطريقة مشابهة له كان ابنه أورودريث. أما فينرود فكان مع صديقه تورغون. لكن غالادريل كانت هي الامرأة الوحيدة من نولدور التي تنتظر نهاية ذلك اليوم الطويل والعصيب من النزاع بين الأمراء وكانت حريصة على إنهاء النزاع. فهي لم تقسم أي قسم. لكن كلمات فيانور المتعلقة بالأرض الوسطى. أشعلت في قلبها الشوق لرؤية تلك الأراضي الشاسعة غير الحميمة، ولحكم ذلك العالم. وكان فينغون بن

فينغولفين يفكر بنفس طريقة غالادريل وقد حركته كلمات فيانور أيضاً، مع أنه لم يكن يحب فيانور كثيراً. ووقف مع فينغون كل من أنغورود وإيغور أبناء فينارفين كما كانا يفعلان دائماً. لكن الصمت حمل السلام بينهم ولم يتكلموا ضد آباءهم.

تجمع هناك الجزء الأكبر من نولدور بعد نقاش طويل كسبه فيانور، وكانوا متلهفين لرؤية الأشياء الجديدة والبلدان الغربية. لذلك عندما تحدث فينارفين ثانية للالتفاف على أفكارهم وتأخيرها. ارتفعت صيحة عظيمة: كلا دعنا نذهب، وحالاً بدأ فيانور وأبناءه استعداداتهم لرحلة العودة.

قلة البصيرة يمكن أن تكون موجودة عند أولئك الذين يجامسوا وسلكوا الطريق المظلم جداً. وحتى الآن كل الأمور كانت تتم بسرعة أكثر من اللازم، لأن فيانور قادم مخافة أن تبرد كلماته في قلوبهم وتتقلص، أو قد تكون هناك آراء أخرى مغايرة له. ومع كل كلماته الفخورة فلم ينس سلطنة الفالار. لكن لم تأته رسائل من فاليمار، لأن مانوي كان صامتاً، وقال بأنه لن يمنع أو يعيق محططات فيانور. ولأن الفالار كانوا متضررين من اهتمامهم بأن لديهم نواباً شريرة تجاه إيلدار، أو أنهم احتجزوا إيلدار كأمرى عندهم. وهم الآن يراقبون ويتنظرون لأنهم يعتقدون بأن فيانور لا يمكنه أن يُخضع كل جواهر نولدور لإرادته.

وفي الحقيقة عندما بدأ فيانور بتنظيم نولدور للبدء برحلة العودة، ظهر الخلاف فوراً، لأنهم لو جلبوا جميع الذين في نيتهم للمغادرة، فلم يكن الجميع على رأي واحد بالنسبة لاتخاذ فيانور ملكاً عليهم. فقد كان الحب الأعظم بين النولدورين يتجه في معظمه إلى فينغولفين وأبنائه وأهل بيته، حتى أن الجزء الأكبر من سكان تيريون رفضوا المغادرة بدونهم. وهكذا انقسمت نولدور إلى فريقين على طريقها المر. كان فيانور وأتباعه في الطليعة لكن الجمهور الأكبر جاء خلفهم بمشي تحت راية فينغولفين. سار فينغولفين ضد حكمته لأن ابنه فينغون ألح عليه لكي لا يفصل عن شعبه الذي كان متلهفاً للذهاب. ولا يتركهم لآراء فيانور الطائشة، ولم ينس بعد كلماته أمام عرش مانوي. رحل فينارفين مع فينغولفين أيضاً، لنفس الأسباب لكنه كان الأكثر اشمزازاً للمغادرة من بين كل النولدورين في فالينور، والذين أصبحوا الآن شعباً عظيماً. رفض عشر النولدورين المغادرة من فالينور ولكل أسبابه، فالبعض للحب الذي يحملوه للفالار (ناهيك عن حبهم لاوولي) والبعض الآخر لمحتهم لتبرون وللكتير من الأشياء التي عملوها هناك، وبالمناسبة لم يكن من أسباب بقائهم الخوف من الأخطار القادمة.



وعندما ضُربت الأبواق وخرج فيانور من بوابات تيريون، جاء رسول مانوي أخيراً وقال: سيكون كلامي موجه ضد حماقة فيانور فقط. وأقول لا ترحل! لأنها ساعة الشر، وطريقك سيؤدي إلى الحزن، فأنت لا تعلم الغيب. ولا تنتظر المعونة من الثالار في مسعاك هذا. لكنهم بالعكس قد ينعوك. فلتعلم ذلك، كما أتيت إلى هنا بكامل حريتك، فيكامل حريتك تغادر، لكنك يا فيانور بن فينوي. وبالنسبة لطريقة قسمك في مفاك. أفلم تتعلم من مرارة أكاذيب ميلكور، فهو ظالماً، وأنت قلت ذلك ومن ثم أدبت قسماً تافهاً وعدم الجدوى. فلتعلم بأنه لا يمكنك أن تنازل أحداً من الثالار وتغلب عليه، ليس الآن ولا في أي وقت آخر ضمن فضاءات إيا. حتى ولو أعطاك إيرو، الذي اسمك منه، حجماً أعظم بثلاث مرات مما أنت عليه.

ضحك فيانور ولم يوجه كلامه إلى الرسول بل وجهه إلى نولدور وقال: هكذا إذا! هل سيبيع هؤلاء القوم الأشداء وريث ملكهم وحيداً إلى المنفى مع أبناءه فقط، ويرجعون هم إلى العبودية؟ لكنني أقول للذين سيأتون معي: إذا كنتم تتوقعون قدوم الحزن؟ فالحزن قد رأيناه في أمان. وفي أمان وصلنا إلى المنحة عن طريق النعمة. وأقول سيحاول بعضنا ومن خلال الحزن أن يعثر على الفرح أو الحرية، على الأقل.

ثم اتجه إلى الرسول وصرخ: قل هذا إلى مانوي سوليمو أعلى ملك في أردا: إذا لم يستطع فيانور هزيمة مورغوث، على الأقل فلن يوجل الهجوم عليه، ولن يُجلس لتضييع الوقت في الحزن والرثاء. وربما يكون إيرو قد وضع في حماسة أعظم مما تعرفه أنت. وسيكون هذا الأذى على الأقل ضد خصم الثالار. أولئك الجبابرة الجالسين في دائرة الحساب والذين سيندهشون لسماعه. نعم وفي النهاية سيتبعوني. الوداع.

ارتفع صوت فيانور في تلك الساعة وكان عظيمًا وفعالاً جداً حتى أن رسول الثالار انحنى أمامه وكأنه استلم جواباً كافياً، وغادر. عندها أصبح نولدور خارج السيطرة. وأصلوا مسيرهم بعد ذلك، وعجل بيت فيانور أمامهم على طول سواحل إيليندي: والتفتت عيونهم أكثر من مرة إلى تيريون على تل تونا الأخضر. أما الأبطال والأقل لهفة للحمي فقد كان جمهور فينغولفين. كان فينغون في مقدمته وفي المؤخرة فينارفين وفينرود وكثيرين من نبلاء وعقلاء نولدور، وكانوا ينظرون دائماً إلى الخلف لرؤية مدينتهم الجميلة النقية الصافية، حتى غاب عن عيونهم ضوء مصباح ميندون ايلدالايفا وضاع في الليل. كان النولدوريين

أكثر حينياً من كل المنفيين الآخرين فقد حلوا معهم ذكريات النعمة التي تركوها هناك، حتى أنهم أخذوا معهم بعض الأشياء كالتذكارات، لتخفف عنهم عناء الطريق.

قائد فيانور نولدور باتجاه الشمال، لأن هدفه الأول كان ملاحقة مورغووث. علاوة على ذلك، فإن موقع تونا الكائن تحت تني كويتيل، يقتربه من حدود أردا، وهناك يكون البحر العظيم عريضاً جداً، بينما في الشمال يصبح عبارة عن بحيرات صغيرة منفصلة ضيقة. كما أنه في الشمال تقترب صحاري أرامان وسواحل الأرض الوسطى من بعضها. لكن همة فيانور فترت قليلاً واتخذ من نفسه ناصحاً، لأنه أدرك أخيراً بأن هذه المجموعات الكبيرة لن تغلب على المسافات الطويلة إلى الشمال. ولا حتى عبور البحار إلا بمساعدة السفن.

على الرغم من أنه سيحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد لبناء أسطول عظيم. هذا إن وجد ضمن نولدور مهرة في تلك الحرفة. والحل الآن هو في اقناع تيليري أصدقاء نولدور بالانضمام إليهم. لأنه وبسبب تمرد على الفالار فقد اعتقد بأن نعمة فالينور ستكون شبيهة معدومة، لذلك فهو يحتاج إلى قوة إضافية لكي تصبح قوته المجهزة لحرب مورغووث أكبر، فحث الخُطأ إلى ألكوالوندي، وتكلم مع تيليري كما فعل قبل ذلك في تيريون.

لكن تيليري لم يكونوا متأثرين بما يمكن أن يقوله لهم. وبالْحَقِيقَة فقد حزنوا لرحيل أهلهم وأصدقائهم، لكنهم فضّلوا الصبح على المساعدة، فلن يقدموا لهم المساعدة، لا في إعارة سفينة أو في بناءها دون أخذ موافقة الفالار. أما بالنسبة لهم، فهم لا يرغبون في تبديل سكنهم على سواحل إيلدامار. ولا يريدون استبدال سيدهم أولوي أمير ألكوالوندي. ولم يسبق لهم أن أعاروا أسماعهم لمورغووث، ولم يرجعوا به في أرضهم. فما زالوا يثقون بأن أولمو والعظماء الآخرين من الفالار بإمكانهم إصلاح ما خربت مورغووث، ولا بد أن يمر هذا الليل إلى فجر جديد. ازداد غضب فيانور، خشية التأخير. فتكلم بحرارة مع أولوي قائلاً: أنت ترك أصدقاءك في ساعة حاجتهم أيها الجبان، على الرغم من أنك بالحقيقة كنت مسروراً بأن تستلم مساعدتنا عندما جئت مؤخراً إلى هذه الشواطئ، متسكعاً باهت القلب، مقترراً منها خالي الوفاض. ولولاهم لكنت ما تزال تسكن هناك في الأكواخ على الشواطئ، أليس نولدور هم الذين فتحوا لك مرفأك وكبحوا وعملوا على أسوارك.

فأجاب أولوي: لن نترك أي صداقة. لكننا نحتفظ بذلك الجزء من حق الصداقة الذي يسمح للصديق بأن يوبخ صديقه على حماقة ما. أما عندما رحب بنا نولدور ومنحنا مساعدته، وبقيّة الكلام الذي تكلمت به، فإننا في أرض أمان ومنسكن هنا للأبد،

كالأخوة الذين تقف بيوتهم جنباً إلى جنب، أما بالنسبة لسفننا البيضاء. فلم تعطنا إياها أنت، ولم نتعلم تلك الحرفة من تولدور، بل تعلمناها من سادات البحار، ونحن من صنعنا الأخشاب البيضاء بأيدينا. والأشعة البيضاء تسحجها زوجاتنا وبناتنا. لذا فلا نعطيهم ولا نبيعهم لأي حليف أو صديق. وأقول لك يا فيانور بن فينوي. إننا جميعاً في تيليري نعتبرها كما كانت الجوهرات بالنسبة إلى تولدور. عمل قلوبنا. التي مثلها لن نصنع ثانية.

تركه فيانور بعد ذلك وجلس يفكره المظلم خارج أسوار الكوالوندي، حتى اجتمع عنده جمهوره وقرر فيانور بأن قوتهم كانت بما فيه الكفاية. فذهبوا إلى مرفأ البجعات وبدأوا بسحب السفن التي كانت راسيةً هناك لأخذهم بالقوة. لكن تيليري قاومهم، وألقوا بالعديد من تولدور في البحر. ثم شجيت السيوف، واحتدم صراع مرير على السفن. وحول أرسفة ميناء لامبلانيت وأرسفة المرفأ، وحتى على بوابة القوس العظيم. ثلاث مرات تراجع شعب فيانور. وذبح الكثير من كلا الجانبين. لكن طليعة تولدور أنجذت من قبل فينغون بأوائل جماهير فينغولفين الذين وجدوا المعركة أمامهم وهم يصعدون فانضموا إليها بينما كان أقرباؤهم يتساقطون. فأسرعوا قبل أن يعرفوا سبب الشجار. واعتقد البعض منهم بأن ثمة كمين هناك من تيليري قد استهدفوا به موكب تولدور، يطلب من الغالار.

وهكذا في نهاية المطاف تم التغلب على تيليري، وذبح الجزء الأكبر من الملاحين الذين سكنوا في الكوالوندي ذبيحةً شريرةً بالسكاكين والسيوف، لأن تولدور أصبح عنيماً ومستميت، وكانت تيليري أضعف من أن تقاوم قوته، حيث كان أكثر سلاح تيليري من الأقواس الضعيفة. سحب تولدور سفن تيليري البيضاء وأدار مجاذيقها كأفضل ما يكون. جذفوا شمالاً على طول الساحل. استدعى أولوي ملك تيليري، صديقهم أوسي لكنه لم يأت لأن الغالار لم يُسمعوا له باستخدام القوة لمقاومة تولدور. بكت أويين ملاحي تيليري، وهاج البحر غضباً ضد القتل. لذلك فقد تحطمت سفن كثيرة وغرقت بمن فيها. وأكثر أعبار هذا الاعتداء في الكوالوندي أتت من المراثي التي سميت فيما بعد تولدولانتي أي سقوط تولدور التي كتبها ماغلور قبل أن يُفقد ويضيع.

مع هذا فإن الجزء الأكبر من تولدور كانوا قد هربوا متبعدين عندما كانت العاصفة ماضية، فبعضهم بالسفن وآخرين بالبر، لكن كلما تقدموا إلى الأمام كان الطريق طويل وشرير. وبعد مسير طويل في الليالي الطويلة وصلوا أخيراً إلى الحدود الشمالية للمملكة المحروسة، على حدود القفار الفارغة من أرامان وكانت جبلية بارده. هناك رأوا فجأة قوماً هائلاً

مظلماً يقف أمامهم منتصباً على صخرة، وينظر إلى أسفل الشاطئ. بعضهم قال بأنه ماندوز، وآخرين قالوا بأنه رسول مانوي، ثم سمعوا صوتاً مدوياً مهيئاً فظيماً. يطلب منهم الاستماع إليه. وقف الجميع بلا حراك منصتين، فسمعت منه كل جموع نولدور من أقصاها إلى أقصاها صوت يتحدث عن اللعنة والنبوءة، وهي المسماة نبوءة الشمال ومصير نولدور. في الحقيقية كثيرة هي النبوءات في الكلمات المظلمة التي لم يفهمها نولدور إلا بعد حدوثها. لكن الكل سمع اللعنة التي لفظت على أولئك الذين لم يبقوا ولم يردوا الحماسة ولم يلمسوا غفو الفالار.

وهذا نصُّ اللعنة ﴿دموعٌ غزيرة ستراق. وميسيج الفالار فالينور ضدك ويبيك في الخارج. حتى صدى بكائك لن يعبر فوق الجبال. وسيقع غضب الفالار على بيت فيانور وكل من تبعهم، آتياً من الغرب إلى أقاصي الشرق. سيقودهم قَسْمُهُمْ ويغدر بهم. ويختطف بعيداً تلك الكنوز التي أقسموا على مطارتها. وإلى النهاية الشريرة ستدور كل الأشياء التي كانت بدايتها جيدة. بغيانة القريب لقرينه والخوف من الخيانة، وهذه الأمور ستحدث، وسيكونون مطرودين للأبد.

لقد مكبت دمٌ قريبيك بشكل آثم ولطأحت أرضَ أمان. فاللدمُ متعيدٌ دماً، وستسكن في ظلال الموت بعد أمان. مع أن إيرو قدَّرَ عليك الموت لكن ليس في إيا، فلا مرضٌ يُهاجمك، لكنك قد تكون ذبيحاً، وذبحك سيكُونُ، بالسلاح والعذاب والحزن، وستأتي روحك عارية بلا جسد إلى ماندوز. هناك ستبقى لمدة طويلة وسوف تُثوِّقُ لجسدك، ولن تجد إلا القليل من الرحمة، فكل الذين ذبحتهم، توصلوا إليك ولم ترحمهم. أما أولئك الذين سيبقون على قيد الحياة في الأرض الوسطى ولم يأتوا إلى ماندوز، فسيكبرون مرهقين في هذا العالم كعبء عظيم. ويتضاءلون. وكظلال الندم سيكونون قبل مجيء النسل الأصغر الآتي فيما بعد.﴾ هكذا تكلم الفالار.

بعد هذا الكلام جبن كثيرون، لكن فيانور بصلاية قلبه قال: أقسمنا، وليس بخفةٍ وهذا القسم سنحفظه. فنحن مُهدَّدون بالكثير من الشرور، وليس الخيانة آخرها، لكن شيء واحد لم يقله. بأننا سنعاني من الجبن. من الجبان أو الخوف من الجبان. لذلك أقول: نحن سنستمر، وهذا القدر سنضيفه إلى الأعمال التي سنقوم بها والتي ستكون مواضيع الأغاني والأنشيد حتى حماية أيام أردا.

في تلك الساعة ترك فينارفين الموكب، وعاد يملؤه الحزن على بيت فيانور. وبسبب صلات القرى التي تجمعها مع أولوي من الكوالوندي. عاد معه أيضاً الكثير من شعبه تتابع عظامهم في الحزن. حتى شاهدوا مرة أخرى الشعاع البعيد من ميندون على تونا، والذي ما زال يُشرق في الليل، حتى وصلوا أخيراً إلى فالينور. وهناك استلموا عفو الثالار، وقُررَ فينارفين حُكْم بقية تولدور في المملكة المباركة، لكن أبنائه لم يكونوا معه، لأنهم لن يتذكروا أبناء فينغولفين، وكل شعب فينغولفين مازال متقدماً. فهم يشعرون بقيود قربانهم لفيانور ويخافون مواجهة حساب الثالار. لأنهم لم يكونوا كلهم بريئين من ذبح أقربائهم في الكوالوندي. علاوة على ذلك فإن فينغون وتورغون كانا شجاعين وقلوبهما نارية، ويشمزان من ترك المهمة التي وضعوا أيديهم عليها حتى إصالتها إلى نهايتها حتى ولو كانت النهاية مُرة. لذلك فقد كانوا من الجماهير الرئيسية، وبسرعة شديدة بدأت أعمال الشر التي كان متنبأ بها.

وصل تولدور أخيراً من البعيد إلى شمال أردا، ورأوا مقدمات أسنان الجليد التي تعوم في البحر، فعملوا بأنهم يقتربون من هيلكاراكسي. لأنه يقع بين أرض أمان الشمالية التي تلتف شرقاً، والشواطئ الشرقية من إيندور (وهي الأجزاء الغربية من الأرض الوسطى). هناك كان المضيق الذي تمر وتتدفق من خلاله مياه المحيط الباردة وأمواج بيليغار معاً، وكان الضباب يعم المكان بالإضافة لسحب البرودة الممتدة. والتيارات البحرية التي تجري بانضطراب بسبب تكسر قطع الجليد في الأعماق. هكذا كان هيلكاراكسي، وإلى هذه المناطق لم يتجرأ أحد لحد الآن أن يدوسها إلا الفالار وأونغولبانث فقط.

لذلك تردد فيانور وتناقش تولدور في أي طريق عليهم أن يذهبوا، فقد بدأت معاناتهم مع الألم والبرودة، والسحب المعلقة التي منعت ضوء النجوم من الوصول لهم. ندم كثيرون على الطريق وبدأت الغممة. خصوصاً من أولئك الذين يتبعون فينغولفين. فقد لعنوا فيانور ودعوه مسبباً لكل مشاكل إبلدار. علم فيانور بكل الذي قيل عنه، فأخذ الرأي مع أبنائه، واستقر رأي مجموعتين منهم بالحرب من أرامان والذهاب إلى إيندور إما عبر المضائق أو بالسفن. لأنهم يعتبرون بأن هيلكاراكسي غير قابل للعبور. بالإضافة إلى أن أعداد السفن كانت قليلة، فقد ضاع الكثير منها في رحلتهم الطويلة. والسفن الباقية لا تكفي لحمل كل الجمهور العظيم معاً. ولم تكن لدى أحد منهم الرغبة بالبقاء عند الساحل الغربي. فعندما كان يُقتل أوائل الشعب بالسفن، وخوفاً من الحيانة التي كانت مستيقظة بين تولدور. فقد خطر في بال فيانور وأبناءه الاستيلاء على كل السفن والمغادرة فجأة. لأنهم حافظوا على

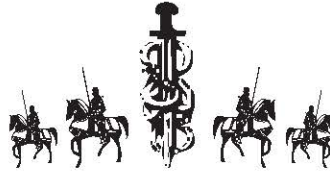
سيطرتهم على الأسطول منذ معركة المرافع. وهذا الأسطول مشغل فقط بواسطة أولئك الذين قاتلوا هناك وهم من المرتبطين بفيانور. وكما لو أنها جاءت بناء على دعوته، هبت ريح من المنطقة الشمالية الغربية فانسحب فيانور سراً هو ومن كان يعتبره صادقا معه وغادروا الحدود، خارجين إلى البحر. وتركوا فينغولفين في أرامان. وبما أن البحر ضيقاً هناك، فقد كان يتقود أسطوله إلى الشرق تارةً، وتارةً أخرى إلى الجنوب حيث عبروا البحر بدون حسائر. وأول شخص من كل نولدور وضع قدمه مرة أخرى على شواطئ الأرض الوسطى كان فيانور. وكان نزوله في فم اللسان البحري الذي يدعى درينغيست ويدخل إلى دور لومين.

وعندما نزلوا، تحدث مايدروس (وهو الابن الأكبر لفيانور بنفس الوقت يعتبر صديق فينغون منذ مدة طويلة من قبل أكاذيب مورغووث) إلى فيانور قائلاً: والآن ماذا بالنسبة للسفن والمخاضون هل سيبقيهم للعودة؟ ومن سيحملون من الأقارب أولاً، فينغون الشجاع.

ضحك فيانور كطفل، ثم صاح: لا هذا ولا ذلك! من ذا الذي تركناه خلفنا! أخسب أننا لم نخسر شيء، فقد تبين بأنهم متاع غير ضروري على الطريق. دع أولئك الذي كنعوا اسمي، يلعنوه للأبد. ويتدمرون طريق عودتهم إلى أقصاص الشمال. دع السفن تحترق. تنحى مايدروس جانباً. وقام فيانور بإشعال النار في سفن تيليري البيضاء بذلك المكان الذي يدعى لوزغار، وهو المكان الواقع عند مخرج لسان درينغيست. لقد قضى فيانور على أجمل السفن التي أبحرت بحريق هائل واشتعال فظيع. رأى فينغولفين وشعبه من بعيد ضوءاً أحمر تحت الغيوم. فعلموا بأنه قد عُذر بهم. هذه كانت من أولى ثمار مذبحه الأقارب وإحداث الموت في نولدور.

ثم رأى فينغولفين بأن فيانور تركه للموت في أرامان أو للعودة في الخزي والعار إلى فالينور، لذلك فقد امتلأ بالمرارة، لكنه رغب الآن كما لم يرغب من قبل للحصُول على أي طريق يوصله إلى الأرض الوسطى، لعله يلتقي بفيانور ثانيةً. بعدها تاه فينغولفين وشعبه لمدة طويلة في البؤس، لكن شجاعتهم وقدرتهم على التحمل والمشقة ازدادت، لأنهم كانوا جبابرة هائلون. فهم أقدم الأبناء الأيديين لإيرو إلوفاتار. لكنهم القادمون الجدد من المملكة المباركة. فلم يكونوا بعد مرهقين بتعب الأرض. ومازالت نيران قلوبهم شابة وفيه، وتحت قيادة فينغولفين وأبنائه. وفيروود وأخته غلادريل تجامسوا لعبور الشمال القارس. فلم

يجدوا بدأ من تحمل رهبة وخوف هيلكاراكسي. وتلال الثلج القاسية. فالقليل من أعمال نولدور فيما بعد فاقت هذا العبور المستميت إن كان بالعم أو بالمصيبة. وهنا أيضاً فُقدت إيلينوي زوجة تورغون وفقد معها كثيرون ممن لاقوا حتفهم في هذا العبور. فباقل جماعة استطاع فينغولفين وضع قدمه أخيراً على الأراضي الخارجية. فقد كانوا يحملون القليل من الحب لفيانور أو لأبنائه، وهم الذين مشوا خلفهم في الماضي. وهتفت أصوات أبواقهم في الأرض الوسطى عند الشروق الأول للقمري.



## الفصل العاشر

### سيندار

والآن كما أخبرنا فيما سبق، فإن سلطة إيلوي وميليان ازدادت في الأرض الوسطى. وكل جان بيليرياند، من بحارة كيردان إلى الصيادين الجوالين في الجبال الزرقاء وراء نهر جيلبون، قد اعترفوا بأن إيلوي هو سيدهم. وهو إيلو ثينغول الذي دعي ملك العبادة الرمادية، وفي لغتهم اسمهم سيندار. الجان الرماديون من بيليرياند المضاءة بالنجوم. وهم بالأساس موري كويندي، وخاضعين لسلطة ثينغول وتعاليم ميليان. مع أن غالبية الأرض الوسطى تخضع لنوم يافانسا. ففي بيليرياند كانت تحت سيطرة ميليان، وهناك كانت الحياة والبهجة. والنجوم اللامعة المشرقة كنيران فضية. لذلك أصبح الجان الرماديون، الأنقى والأكثر حكمةً ومهارةً من كل جان الأرض الوسطى. وعند نهاية العصر الأول عندما تمت هزيمة ميلكور وأسرته. عم السلام في الأرض وكان مجد فالينور في أوجّه. في ذلك الوقت أتت إلى العالم لوثائين. الطفلة الوحيدة لثينغول وميليان. هناك في غابة نيلدورث ولدت لوثائين، وفتحت زهور نايفريدل<sup>1</sup> كنجوم الأرض لكي تلقي عليها التحية.

وحدث أثناء العصر الثاني لأسر ميلكور أن جاء الأقزام من الجبال الزرقاء، إيريد لويين إلى بيليرياند. وهم يسمون أنفسهم حازاد لكن سيندار دعاهم ناوغريم أي الناس المعاقون. وغوون هاياريم، أي أمياد الحجارة. وكانت أكثر المساكن القديمة لناوغريم تقع في الشرق الأقصى. حيث حفروا لأنفسهم في الجانب الشرقي من إيريد لويين، قاعات وقصور عظيمة، تناسبهم وتميت تلك المدن بلغتهم غاييل غاثول و تومون زاهار. وإلى الشمال من الجهة العالية من جبل دوليد كان قصر غاييل غاثول. والذي ترجمه الجان إلى لغتهم باسم بيلوغومست وتعني المدينة العظيمة، وجنوباً حفروا تومون زاهار وسموها الجان نوغروود، أي

<sup>1</sup> نايفريدل Niphredil. وهي تلك الزهور الساحبة اللون التي تنمو بين أشجار لوزين الذهبية.



التجويف المنضد. أما أعظم قصور الأقزام فكان هو خازاد دوم، دوار وود ايلف. أي حفرة الأقزام، وفي لغة الجان كان اسمه هاذود روند. ثم في أيام ظلامه دعي موريا. لكنه كان بعيداً في جبال الضباب خلف المسافات الشاسعة من إيربادور. لكن إلى إيلدار لم يصل اسم موريا إلا كإشاعة من كلمات أقزام الجبال الزرقاء.

خرج ناوغريم أي الأقزام من نوغورد وبيليغوست إلى بيليرياند. فاندعش الجان كثيراً لأنهم كانوا يعتقدون بأنهم هم الكائنات الحية الوحيدة في الأرض الوسطى، التي كان باستطاعتها التكلم أو العمل بيديها، أما بقية الكائنات الحية الأخرى فهي مثل الطيور والحوش. لكنهم لم يفهموا أي كلمة من لغة ناوغريم فقد كانت كريهة وتعب الأذان. توصل بعض إيلدار إلى إجادتها. لكن الأقزام كانوا يتعلمون بسرعة. في الحقيقة كانوا أكثر رغبة في تعلم اللغة الجنية. من أن يعلموا لغتهم للأجناس الغريبة عنهم. لكن بعض إيلدار لم يذهب أبداً إلى نوغورد وبيليغوست، إلا إيول من نان إيلموث وابنه ماغيلين. عندما هرب الأقزام إلى بيليرياند كانوا قد صنعوا طريقاً عظيماً يمر تحت أكتاف جبل دوليد. وقد تبعوا بذلك مسار نهر أسكار الذي يعبر جيلبون في سارن أنراد معبر الحجارة. حيث مكان المعركة التي حدثت فيما بعد. كانت الصداقة فاترة بين ناوغريم وإيلدار. مع ذلك فكليهما كان رابحاً من هذه الصداقة الفاترة، لكن في ذلك الوقت لم يكن الأمل قد وقع بينهما بعد. رحب الملك ثينغول بهم، لكن ناوغريم أعطوا صداقتهم بسهولة أكثر إلى نولدور فيما سيأتي من الأيام أكثر من أي أحد من الجان أو البشر. بسبب حبهم وتقديرهم لأوولي. وامتدحوا كثيراً بمجوهرات نولدور وأثروا عليها أكثر من كل الثروات الأخرى. دائماً كان يصنع الأقزام الأعمال العظيمة في ظلام أردا. حتى منذ الأيام الأولى، من أيام آباتهم كانت لديهم مهارة رائعة بأعمال التعدين والحجارة. لكن في ذلك الزمن القديم فضلوا في أعمالهم الحديد والنحاس على الفضة أو الذهب.

كانت ميليان متبصرة جداً لكوها من الميثار. وأثناء انقضاء العصر الثاني لأسر ميلكور. قالت ميليان لثينغول بأن السلام في أردا لن يدوم للأبد. لذا فيجب عليك أن تفكر في إيجاد مسكن ملوكي لنفسك، ويجب أن يكون في موضع قوي. ليكون في مأمن إذا ما استفاق الشر ثانية في الأرض الوسطى. ومن أجل تحقيق ذلك فقد طلب مساعدة ورأي أقزام بيليجوست الذين منحوه رغبتهم في إنشاء ذلك المسكن. فقد كانوا دووبين في تلك الأيام ومشتاقين للأعمال الجديدة. مع ذلك فالأقزام لم يطلبوا أجراً على أعمالهم.

فبهجتهم بالعمل، والعمل فقط هو أجرهم. علمتهم ميليان كثيراً لأنهم كانوا متلهفين للتعلم. وكافأهم ثينغول بالكثير من اللآلئ النقية التي أعطاه إياها كيردان. لأن شعبه حصل على كميات كبيرة منها في المياه الضحلة حول جزيرة بالار. لم يرى الناوغريم مثل هذه اللآلئ من قبل فاحتفظوا بها كأشياء عزيزة وقيمة. وإحدى هذه اللآلئ كانت عظيمة، تشبه بيض الحمام، وكانت تلمع كضوء النجوم في رغوة البحر. فسموها نيمفيلوس. وقد يجعلها زعيم أقزام بيلغيومت كثيراً وقيمتها بأكثر من جبل من الثروة.

لذلك عمل ناوغريم بسرور لدى ثينغول ولمدة طويلة وابتكروا له قصوراً بطرازٍ وأسلوبٍ مختلفين عن طرازات شعبهم. فقد حفروا عميقاً في الأرض. ومن المنطقة التي ينساب فيها إيسغالدوين هايطاً يفصل نيلدورث عن ريچين هناك رفعوا في وسط الغابة تل صخري. وجعلوا النهر ينساب هناك عند أسفل هذا التل. وفي ذلك المكان عملوا بوابة قاعة ثينغول. وبنوا جسراً من الحجارة فوق النهر. فلا يمكن الدخول إلى القصر إلا من هذا الجسر. وبعد الأبواب، ممرات عريضة تنزل إلى القاعات. أولاً المتوضعة في الأعلى ثم تحتها الغرف والأماكن التي حفروها في الحجارة الحية. فقد كان هناك أماكن كثيرة ومتنوعة بحيث سمي ذلك المسكن مينيجروث أي الألف كهف.

كان للجان أيضاً جزء من هذا العمل. فقد عمل الجان والأقزام سوية. كلٌ مما يملك من مهارة. هناك عملوا من رؤى ميليان صوراً من أعاجيب وجمال فالينور خلف البحر. فلقد نُحِتَت أعمدة مينيجروث بشكل مشابه لزان أورومي. ونقشت عليها أشكالٌ لسهام وأغصانٍ وأوراق. وأضاءوها بفوانيس من ذهب. هناك غنت العنادل كما تغني في حدائق لورين، صنعوا أيضاً نافورات من الفضة بأحواض من الرخام. أما الأرضيات فكانت بالوانٍ متعددة من الحجارة. وعلى الجدران نُحِتَت أشكالٌ للوحوش والطيور. أو رفعوا بعض هذه المنحوتات على الأعمدة. أو وضعوها في الحدائق بين الكثير من الزهور المتشابكة. وبمرور السنوات ملأت ميليان ووصيفاتها هذه القاعات بالسناقر المحاكاة والمطرزة، بحيث يمكنك عن طريق هذه السناقر قراءة تاريخ الفالار والكثير من الأشياء التي حدثت في أردا منذ تكوينها. فقد كانت ظلال تلك الأحداث تنتظر هناك. ذلك كان المسكن الأجل لأبي ملك كان في شرق البحر.

وعندما أُنجز بناء مينيجروث، كان السلام يعم مملكة ثينغول وميليان. ومن وقت لآخر كان ناوغريم يأتون إلى الجبال أو يقتربون منها أثناء حركة مرورهم حول الأراضي. لكنهم قلما

ذهبوا إلى فالاس لأنهم يكرهون صوت البحر ويخافون النظر إليه. وإلى بيليرياند لم تأتم إشاعات أو أخبار من العالم الخارجي.

إن ما حدث في العصر الثالث لأمر ميلكور، انسحب أيضاً على الأقزام الذين أصبحوا قلقين فتكلموا إلى الملك ثينغول قائلين، بأن الفالار لم يستأصلوا تماماً شرور الشمال، فما زال للشر بقية هناك وهذه البقية تضاعفت في الظلام بطول المدة. لأن هذه الشرور كانت تظهر مرة بعد أخرى، تتحول بالطول وبالعرض. فقد نزلت الوحوش من الجبال. وفي الأراضي الشرقية عند الجبال، تسكن هناك أحد عشائركم القدامى<sup>1</sup> فتتحرك من السهول إلى التلال.

وصلت قبل فترة طويلة مخلوقات شريرة حتى إلى بيليرياند، عبرت ممرات الجبال أو صعدت من الجنوب من خلال الغابات المظلمة. فقد كانت الذئاب موجودة، أو المخلوقات التي مشت في هيئة الذئب. وأخرى هبطت وكأنها كائنات الظل، وكان من بينهم الأوركس. وهم ممن أحدث الخراب في بيليرياند فيما بعد. لكنهم كانوا قلة وحذرين، فقد كانوا يشتمون ورائح طرق الأرض منتظرين عودة سيدهم. بالحقيقة لم يعرف الجان من هم ومن أين أتوا، فقد اعتقدوا أنهم أقزام الذين أصبحوا أشراراً ومتوحشين في البرية. وفي هذا التخمين اقتربوا من الحقيقة كثيراً، على ما يقال.

لهذا فقد اتجه تفكير ثينغول نحو السلاح الذي لم يكن متواجداً لدى شعبه بعد. وهذه كانت أول أعمال الحدادة التي يصنعها له الناوغريم لأنهم كانوا ماهرين جداً في أعمال التعدين. مع ذلك لم يكن من بين الأقزام من يتفوق على حرفيي نوغورد، فمنهم الحداد تيلنخار صاحب الصيت العظيم. بشكل عام كل الناوغريم هم جنس محارب منذ القدم، وهم يقاتلون بعنف ضد من يؤذيهم إن كان من عدم ميلكور أو إيلدار أو أقزامي أو حتى وحوش البرية. وأحياناً قليلة يتقاتلون مع أقربائهم أقزام القصور والسيدات الأخرى. تعلمت سيندار حرفة الحدادة منهم. وتفوق الأقزام في حرفة التعدين وخلائط الفولاذ على الجميع حتى على نولدور، فقد عملوا دروع الزرد، وهي عبارة عن حلقات مترابطة ببعضها، وأول من صنعها هم حدادين من بيليغوست. فعملهم لم يكن له منافس على الإطلاق.

في ذلك الوقت، أصبحت سيندار مسلحة واستطاعت طرد المخلوقات الشريرة. وإحلال السلام بأرضها مجدداً. أما مستودعات سلاح ثينغول فقد سُألت بالفؤوس والرمح

<sup>1</sup> المقصود هنا (أحد عشائركم القدامى) أي فانور.

والسيوف والخوذات الطويلة، ومعاطف طويلة من الزرد اللامع. فقد كان درع الأقزام مصمماً بشكل جيد جداً فهو لا يصدأ ويحافظ على إشراقته دائماً وكأنه ملمع حديثاً. وذلك ما أثبت حُسن عملهم عند تُينغول فيما سيأتي من الوقت.

والآن كما قيل فيما سبق، فق ترك لينوي مع مجموعة صغيرة من جماعة أولوي موكب إيلدار عندما وقفت تيليري عند شواطئ النهر العظيم على الحدود الغربية للأرض الوسطى. وقلة من يعرفون عن تشرد ناندور وضياعه الذي قادهم في نهاية المطاف إلى وادي أندوين. وكما يقال فقد سكنوا لمدة طويلة في غابة وادي النهر العظيم. وقال البعض بأنهم أتوا مؤخراً إلى الثغور أو مصبات النهر فأقاموا بجانب البحر. رغم ذلك فآخرون منهم عبروا إيريدي نيمرايس الجبال البيضاء، ووصلوا إلى الشمال ثانية، ثم دخلوا برية إيريدور بين إيريد لين وجبال الضباب البعيدة. وهؤلاء كانوا سكان غابه فلم يكن لديهم أسلحة فولاذية. ونزول وحوش الشمال إليهم أحافهم كثيراً. لذلك عندما سمع دينثور بن لينوي عن قوة تُينغول وجلاله والسلام الذي في مملكته، قام بجمع ما استطاع جمعه من شعبة المنفرد وقادهم عبر الجبال إلى بيليرياند. هناك رحب بهم الملك تُينغول كقريب ضائع منذ مدة طويلة. وأسكنهم في أوسيرياند أرض الأنهار السبعة.

في سنوات السلام الطويلة التي تبعت مجيء دينثور، كان هناك القليل من الحكايات في تلك الأيام إلا واحدة صغيرة وهي: يقال أن الشاعر دايرون رئيس سادة العلم في مملكة تُينغول ابتكر الأحرف الرونية. فتعلم ناوغريم الذين أتوا إلى تُينغول هذه الأحرف وكانوا ممتنين جداً لهذه الوسيلة الثمينة. وبظهورهم فإن قيمة ومهارة دايرون أعلى من كل أعمال شعب سيندار. أخذ كايث من ناوغريم هذه الأحرف معه إلى الجبال في الشرق، ومنه انتشرت إلى غالبية الشعب. لكن هذه الأحرف فلم تستخدم إلا قليلاً من قبل سيندار، فقد كانت فقط لحفظ السجلات. حتى أتت الحرب ودمرت الكثير من ذاكرتهم في خراب دوريات. لكن قبل النهاية بقي القليل ليقال بأنه كان هناك بعض النعمة والحياة السعيدة وكانت كعمل صافي جميل مدهش. وما زالوا يتمتعون أعينهم برؤية سجلاتهم الخاصة بالأحرف الرونية. وعندما يكونون في الخطر أو الانكسار يتجهون دائماً إلى الأناشيد التي تعزز ذاكرتهم.

في بيليرياند في تلك الأيام تنزه الجان، والأنهار متدفقة، والنجوم مشرقة، وروائح الأزهار الليلية تعم المكان، وجمال ميلبان كالظهيرة، وجمال لوثاين كالفجر في الربيع. في بيليرياند

كان الملك ثينغول على عرشه وكأنه سيّد الميّار. وسلطته تنعم بالسكون والهدوء، وكان الفرج عندهم كالهواء الذي يستنشقونه في كل أيامهم. وهو ما جعل الفكر يتدفق في مدد صافي من الأعلى إلى الأعماق. في بيلرياند مازال أورومي العظيم يركب جواده ويمر كالريح فوق الجبال. وصوت بوقه قرب مسافات أضواء النجوم. كان الجان يهابونه لعظمة وجهه والصخب العظيم الصادر من حصانه ناهار. لكن عندما يتردد صدى فالاروما في التلال، فهم يعرفون جيداً بأن الأشياء الشريرة قد سمعته وهربت بعيداً.

لكنه حدث أخيراً بأن نهاية النعمة كانت قريبة، وشمس فالينور شارفت على الغياب. لأن نهايتها كانت مرسومة من قبل كما هو معروف للجميع، فهي مسجلة بالعلم ومغناة بالأناسيد. كيف قطع ميلكور أشجار الشالار بمساعدة أونغوليانت. وعن هروبه وقدمه إلى الأرض الوسطى. وفي الشمال البعيد حيث نزاع مورغوث وأونغوليانت، لكن صرخة مورغوث الكبيرة وترديدها من خلال بيلرياند. أدت إلى انكماش الناس من الخوف. فلم يعرفوا ماذا كان يعني ذلك لكنهم سمعوا من خلالها نداء الموت. بعد ذلك بقليل هربت أونغوليانت من الشمال وجاءت إلى مملكة ثينغول. كانت رهبة الظلام تحيط بها، لكن قوة ميليان حثمتها، فلم تستطيع الدخول إلى نولدورث. وبسبب مدة سكونها الطويل تحت ظل الجروف التي انحدرت منها دورذونيون جنوباً. أدت إلى تسمية تلك المنطقة إيريد غورغوث أي جبال الرعب. ولم يتشجع أحد بالذهاب إلى هناك أو العبور قريباً منها لأن الضوء والحياة هناك كانا مخنوقين، والمياه مسممه. لكن مورغوث وكما أخبرنا سابقاً، عاد إلى حصنه أنغياند وأعاد بناءه، وفوق أبوابه رفع أبراج التبخير من ثانغوردريم، وكانت بوابات مورغوث تبعد حوالي مئة وخمسين فرسخاً عن جسر مينغروث. فتعتبر وكأنها بعيدة نوعاً ما، لكنها كانت قريبة أيضاً.

ترايدت أعداد الأوركس في ظلمة الأرض فنمت قوية ونزلت من الجبال. لأن ظلام سيدهم أغمهم بشهوتي الموت والخراب. انتشر الأوركس من بوابات أنغياند تظللهم الغيوم التي أرسلها مورغوث فوقهم، عبروا بصمت إلى مرتفعات الشمال. فمن هناك وبشكل مفاجئ وصل الجيش الكبير إلى بيلرياند وهاجم الملك ثينغول. يوجد في هذه المملكة الواسعة الكثير من الجان الأحرار في البرية. أو الذين انفصلوا بعشائر صغيرة مستقلة وسكنوا بسلام. فكثرت السكان فقط حول مينغروث في وسط الأرض وعلى طول فالاس في بلاد البحارة. لكن نزول الأوركس إليهم كان من كلا جانبي مينغروث، ومن المعسكرات في

الشرق بين كيلون وجيليون، ومن سهول الغرب بين مسيريون وناروغ فاستباحوها بالطول وبالعرض. انقطع ثينغول عن كيردان في إيغلاريسست، لذلك استدعى ديتشور وجاء الجان يتسواتهم من منطقة ما بعد آروس ومن أوسيرياند. وقتالوا في المعركة الأولى من حروب ييليرياند. فانكسر جيش الأوركس الشرقي بين جيوش إيلدار شمالي أندرام ومنتصف الطريق بين آروس وجيليون، هناك تمت هزيمة الأوركس تماماً. ومن هرب منهم إلى الشمال كان بانتظاره مذبحه عظيمة بفؤوس ناوغريم الخارجة من جبل دوليد. في الحقيقة قلة منهم استطاعوا العودة إلى أنغباند.

دفع الجان لنصرهم على الأوركس ثناً باهضاً، لأن أسلحة سكان أوسيرياند كانت خفيفة فلم يكونوا نداءً للأوركس، الذين يتعلون الحديد ويرتدون دروعاً حديدية ويحملون الرماح ذوات النصال الواسعة. حاصر هؤلاء الأوركس جيش الملك ديتشور على تل آمون إيريب وأحاطوا به من كل جانب، فسقط هناك هو وكل الذين كانوا معه، قبل أن يهب لنجدته جيش ثينغول. وبهذا السقوط المرفق انتقموا له عندما وقع جيش ثينغول على مؤخرة جيش الأوركس وذبحوهم كلهم وكوموا جثثهم في أكوام. رثا شعب ديتشور ملكهم ولم يتخذوا عليهم ملكاً بعده. وبعد المعركة عاد بعضهم إلى أوسيرياند، ومالأت أخبارهم بقية الشعب بالخوف العظيم. لذلك فيما بعد لم يذهبوا إلى حرب بشكل مفضوح بل بالسر وكانوا حذرين، ولهذا السبب سموهم لاكويندي، الجان الخضر لأن رداهم كان لونه من لون أوراق الشجر. رحل الكثير من الجان الخضر شمالاً ودخلوا مملكة ثينغول المحمية واندجوا بشعبه.

عندما عاد للملك ثينغول إلى مينيجروث، علم أن جيش الأوركس كان منتصراً في الغرب وقد هزموا كيردان وطروه إلى حافة البحر. لذلك قام بسحب كل شعبة واستدعى الجميع حتى حدود الأجزاء النائية من نيلدورث وإيرييجين. سيحت ميليان تلك المنطقة وسيطرت عليها، وأحاطتها بعويل غير مرئي من الظل والحيرة. وهو ما عُرف فيما بعد بزنان ميليان. وهو السياج الذي لا يمكن لأي شيء أن يعبره بدون رغبتها أو إرادة الملك ثينغول، ما لم تأتي قوة أعظم من قوة المايا ميليان. وهذه الأرض الداخلية التي كانت تدعى لمدة طويلة إيغلادور فقد سميت فيما بعد دوريات أي المملكة المحروسة، أرض الزنار، فضعفها كان السلام محروس. من دون وجود للخطر أو للخوف العظيمين. وكان خدم مورغوث يجوبون كل المنطقة إلا داخل الزنار ودخل أسوار مرفق الفالاس.

لكن الأخبار الجديدة كانت سريعة. والتي لم يتوقعها أحد في الأرض الوسطى. لا مورغوث في حفرة، ولا ميليان في مينينغروث، فلم تأتيهم أخبار من أمان، سواء من قبل رسول أو بالروح أو برؤيا الأحلام بعد موت الأشجار. وفي هذا الوقت نفسه جاء فيانور عابراً البحر بسفن تيليري البيضاء. وهبط في درينغيسست وأحرق السفن هناك في لوزغار.



## الفصل الحادي عشر

### الشمس والقمر وإخفاء قالينور

قلنا فيما سبق بأنه بعد هروب ميلكور جلس الفالار طويلاً بلا حراك على عروشهم في دائرة الحساب، لكنهم لم يكونوا خاملين كما وصفهم فيانور في حماقة قلبه. فيمكن للفالار عمل أشياء كثيرة بالفكر بدلاً من عمل الأيدي. ولهذا السبب أطلأوا السهر في ليل قالينور، وعقدوا عدة اجتماعات متواصلة الواحد تلو الآخر لكن بصمت. وعادوا بالفكر إلى ما قبل إيا وحتى إلى النهاية. رغم ذلك فلا قوة ولا حكمة خففت من حزمهم. وتحقق بذلك معرفتهم عن ساعة تكوين الشر. ندبوا لموت الأشجار لكن أكثر نديهم كان بسبب إفساد فيانور. فقد كان من أكثر أعمال ميلكور شراً. لأن فيانور كان الأقدر في كل الأجزاء جسماً وعقلاً وشجاعةً وقدرةً على التحمل ويشتمل على جمال الخلق والمخلوق والفهم والمهارة والقوة والدقة على حدٍ سواء من بين كل أبناء إلوفاتار، كان مشعلهُ مُتقدِّدٌ. من جهةٍ أخرى فإن عمل الأعاجيب لمجد أردا إلى حد التصور يكون فقط من قبل قدرة مانوي. وقد أختبرنا القانبار الذين كانوا يقفون مع الفالار عندما عاد الرسول إلى مانوي وأخبرهم عن أجوبة فيانور. بكى مانوي وأحس رأسه، لكنه رفعه أثناء سماعه الكلمة الأخيرة لفيانور - كشيخص يسمع صوتاً من بعيد - والتي قال فيها: يجب على نولدور العمل للعيش في الأغنية إلى الأبد. فقال مانوي: سيكون ثمن تلك الأغاني باهضاً. رغم ذلك فهي بضاعة جيدة، ولن يكون هذا الثمن لغيرها منذ أن تكلم إيرو معنا وقال بأنه سيخلق جمال فوق التصور وسيأتي هذا الجمال إلى إيا. ثم بعد ذلك سوف يصبح شريراً بعد أن كانت حَيِّراً.

ثم قال ماندوز: مع ذلك فالشر باقي، وعماً قريب سيأتي فيانور إليّ.

لكن عندما علم الفالار أخيراً بأن نولدور خرجوا فعلاً من أرض أمان وعادوا إلى الأرض الوسطى. هضفوا لتنفيذ ما قرروه في استشاراتهم بأن يبدأوا بإصلاح ما أفسده ميلكور.



فطلب مانوي من يافانًا ونايننا أن يضعا كامل قوتيهما للدمو والامتشافاء. وجهت يافانًا ونايننا كامل قوتيهما على الأشجار. لكن دموع نايننا لم تفد في شفاء جراحيهم المهلكة. وبقيت يافانًا تغني لمدة طويلة لوحدها في الظل حتى فقدت الأمل وتعثرت أغانيها، وأخيراً حمل تيلبيريون على أحد أغصانه المردهاء زهرة واحدة كبيرة من الفضة، وحمل لاوريلين ثمرةً من ذهب.

وعندما قطفت يافانًا الزهرة الفضية والثمرة الذهبية ماتت الأشجار. لكن جذوعها بقيت واقفة في فالينور لحد الآن كنصب تذكاري لبهجة متلاشية. قدمت يافانًا الزهرة والثمرة إلى أوليي وقام مانوي بتقليدهم. ثم قام أوليي وشعبه بصنع أوعية لحفظهم وتغليظهم والحفاظ على تألقهم. كما قيل في نارسيليون<sup>١</sup> (أي أغنية الشمس والقمر). وفيما بعد أصبحت هذه الأوعية التي أعطاها الفالار إلى فاردا هي مصابيح السماء، التي تتألق أكثر من النجوم القديمة كونها أقرب إلى أردا، بعد أن أعطتهم فاردا القوة لاجتياز المناطق السفلى من إيلمين<sup>٢</sup>. وجهزهم لرحلات على مسارات محددة فوق حزام الأرض من الغرب إلى الشرق ثم العودة مجدداً.

عمل الفالار هذه الأشياء بسبب ازدياد الظلام في بقاع أردا. لذلك فهم مصممون الآن على إنارة الأرض الوسطى. لكي يستطيعوا مقاومة أعمال ميلكور. فقد تذكروا أثارى الباقية في الأرض الوسطى على مياه اليقظة، وأيضاً لن يتكرو تولدور لوحدهم تماماً في المنفى. ولعلم مانوي بأن ساعة مجيء البشر قد اقتربت. في الحقيقة يقال، منذ أن شرئ الفالار حرباً على ميلكور لأجل كويندي وحتى الآن، ولزالوا متمسكين بالصبر ولم يشنوا حرباً أخرى كل ذلك من أجل هيلدور، القادمون الجدد، الأبناء الأصغر لإلوفاتار. فالأرض الوسطى قد تأذت كثيراً أثناء الحرب على أوتومنو وكان الفالار يخشى بأن يصيبها الآن أذى أسوأ من قبل، حيث أن هيلدور ينبغي أن يكون فانياً، وأضعف من كويندي لتحمل الخوف والاضطراب. علاوة على ذلك لأنه لم يُكشف لمانوي من أين ستكون بداية البشر. شمال، جنوب، أو شرق. لذلك بعث الفالار ضوءاً لجعل القوة على أرض سكنهم.

<sup>١</sup> نارسيليون. Narsilion هي فصائد الشمس والشمس وتحكي حكاية صنع الشمس والقمر من الفاكهة الذهبية والزهرة الفضية، ومن الشائع أن نجد تلميحات تولاكين الداعية إلى فصائد أو أعمال حقيقية كان قد ألفها في الماضي لكن في حالة نارسيليون لم يذكر تولاكين اسم مؤلفها.

<sup>٢</sup> إيلمين. Ilmen. هو عبارة عن طبقة الهواء التي المتوضع فوق طبقة الغيوم.

إيسيل هو ذلك البريق اللامع الذي سماه الفانيار منذ القدم، القمر، وهو زهرة تيلبيريون التي كانت في فالينور. أما كلمة أننار، فهي النار الذهبية، فاكهة لاوريلين فقد سموها الشمس. لكن نولدور سمو القمر رانا، أي المتورد، وسموا الشمس فامسا، أي قلب النار، التي تنهض ثم تذوي. لذلك فالشمس وُضعت كعلامةٍ على يقظة البشر وتلاشي الجان. أما القمر فقد بقي متعلقاً بذاكرة الجان.

اختار الفالار العذراء أرين من الميَّار لتوجيه وعاء الشمس. وقاد الميَّار تيليون جزيرة القمر. فمِنذ أيام الأشجار في فالينور كانت أرين تهتم بالزهور الذهبية في حدائق فانا وكانت ترويههم بندي لاوريلين اللامع. لكن تيليون كان صياداً ضمن جماعة أروومي، وكانت لديه قوس فضية، فهو يعشق الفضة. ومتى كان يريد الإستراحة، كان يترك غابة أروومي، فيدخل إلى لورين ويتمدد حالماً بنزول بركات إيستي عليه. في ومضات أشعة تيلبيريون طلب بأن يعطى مهمة إدارة الزهرة الأخيرة للفضة إلى الأبد. فالعذراء أرين كانت أقدر منه وقد اعتبرت لأنها لا تحشى حرارة لاوريلين، ولم تصب بالأذى منها، لأن بدايتها كانت من روح النار. فهي التي لم يستطع ميلكور خداعها وسحبها لخدمته. فقد كانت عيون أرين لامعة جداً حتى بالنسبة لنظرات عيون إيلدار. غادرت أرين فالينور تاركَةً الشكل والرداء الذي يشبه الفالار لأنه بُلي، وأصبحت كشعلة مجردة فظيعة في اتساع عظمتها.

كان إيسيل قد خلق أولاً وصنع متأهباً، وكان أول نموض في عالم النجوم، فهو شيخ الأضواء الجديدة، كما كان تيلبيريون شيخ الأشجار، ثم بعد مدة صار للعالم ضوء القمر. فاستيقظت الكثير من الأشياء التي انتظرت طويلاً في نوم يافأناً. ومُليء خدم مورغووث بالذهول من ضوءه، لكنَّ الجان في الأراضي الخارجية، نظروا للأعلى بفرح وسرور مع ارتفاع القمر فوق الظلام في الغرب. سمح فينغولفين بنفخ أبواقه الفضية وبدأ بتسيير موكبه إلى الأرض الوسطى. فقد كانت ظلال جماهيره تسيير أمامهم سواداً طويلة.

اجتاز تيليون السماء سبع مرات وكان في الشرق الأقصى عندما أصبحت سفينة أرين جاهزة. ظهرت أننار في الجعد، وكان الفجر الأول للشمس مثل النار العظيمة على أبراج بيلوري، فتوهجت غيوم الأرض الوسطى. وشمع الكثير من أصوات السقوط. في الواقع، فإن حروف مورغووث من الضوء هو الذي جعله ينحدر إلى أقصى أعماق أنغباند ويسحب خدمه معه. نافقاً الضباب والدخان العظيم، فتشكلت غيمة مظلمة أخفت أرضه عن ضوء ذلك النجم النهاري.

كان مقصد فاردا بأن تسافر السفينتين داخل إيلمين ويجب أن تكونا عاليتين، ولا تكونا معاً. فكلٌ منهما تعبر من فالينور إلى الشرق ثم تعود. فتظهر الأولى من الغرب أما الأخرى فتدور من الشرق. هكذا اعتمدت بداية الأيام الجديدة بعد طريقة الأشجار، من اختلاط الأضواء لكلٍ من أرين وتيليون عندما عبرا مساريهما فوق منتصف الأرض. لكن تيليون كان متمرداً ومسرعه مضطربة، فلم يلتزم بمساره المحدد، لذلك اقترب من أرين ليكسب من عظمتها لكن لهب أنار أحرقه وأظلمت جزيرة القمر.

وبسبب طبع تيليون المشاكس وصلوات لورين وايستي لرفع النوم والاستراحة عن الأرض وإعادة إظهار النجوم، فقد غيرت فاردا رأيها، وسمحت بأن يكون هناك وقت للعالم يجب أن يكون فيه ظل ونصف إنارة. فسمحت للشمس بالاستراحة لفترة في فالينور مستلقية على صدر المحيط البارد، وذلك كان وقت المساء. وهي أعظم ساعة من الضوء والبهجة في أمان. بعدها يقوم مساعدوا أولو يسحب الشمس إلى الأسفل لتذهب بسرعة تحت الأرض، فتصل غير مرئية إلى الشرق، ومن هناك تصعد ثانية إلى السماء، خشية أن يكون الليل أكثر طولاً، وبذلك يمشي الشر تحت القمر. أصبحت مياه البحر الخارجي دافئة ومحمرة كلون النار الموهجة بواسطة أنار. وأصبح لدى فالينور ضوء بعد مرور أرين. رغم ذلك فكلما سافرت تحت الأرض وسحبت نحو الشرق، كان الوهج يهت فتصبح فالينور خافته. فيتذكر الثالار لاوريلين ويكون لفقده. لكن عند الفجر كانت ظلال جبال الدفاع تتمدد ثقيلة على الأرض للباركة.

قادت فاردا القمر برحلة مشاهمة ومررت تحت الأرض ليظهر بعد ذلك من الشرق. لكن ذلك يحدث فقط بعد أن تنحدر الشمس من السماء. لكن سفر تيليون كان بسرعة مضطربة. ومازال لحد الآن يسافر بهذا الشكل. ولازال يقترب من أرين، وسيبقى كذلك للأبد، لذلك في أغلب الأحيان قد لا يشاهدا في نفس الوقت فوق الأرض، وأحياناً قد يصادف بأن يقترب منها كثيراً بحيث يجد ظله يقطع سطوعها، في ذلك الوقت سيقع الظلام على الأرض في وسط النهار.

وبسبب ذهاب أنار ورجوعها. تمكن الثالار من حساب الأيام فيما بعد، واستمروا على هذه الطريقة حتى تغيير العالم. أما بالنسبة لتيليون فقلما استطاعوا ترويضه في فالينور، لكن في أحيان كثيرة، سيعبر بسرعة شديدة فوق الأرض الغربية. فوق أفانار أو أرامان أو

فألبينور. ويهبط بالهوة خلف البحر الخارجي ثم يتابع طريقة وحيداً ومسط عقونة كهوف أردا، هناك في أغلب الأحيان يتحول لمدة طويلة، ثم يعود متأخراً. لهذا السبب فمازال الضوء يأتي إلى فألبينور بعد الليل الطويل أعظم وأصفى منه على الأرض الوسطى. لأن الشمس ترتاح هناك. وأضواء السماء تقترب أكثر إلى الأرض في تلك للمنطقة، لكن لا الشمس ولا القمر يمكن أن يتذكرا الضوء الذي كان يأتي من الأثجار في الزمان القديم قبل أن يمسه مُمْ أو نغولياننت. ولم يبق من ضوءهم إلا ذلك الجزء الذي يعيش فقط في السيلماريليس.

كره مورغووث الأضواء الجديدة، وارتبك لفترة من هذة الضربة غير المتوقعة من الفالار، لذلك، قام بمهاجمة تيليون فأرسل عليه أرواح الظل، وحدث هناك صراع في إيلمين تحت طرق النجوم. لكن في النهاية كان النصر حليف تيليون. خاف مورغووث من أرين خوفاً عظيماً. فلم يتشجع حتى على الاقتراب منها. بل في الحقيقة لم تعد لديه القوة لمواجهتها، لكن حقه نأ أكثر. فبعث الشر الذي في نفسه وحمله في الأكاذيب وفي مخلوقاته الشريرة، لربما تصل إليهم وتفرقهم. أمأ عن نفسه فقد أصبح أكثر التزاماً بباطن الأرض، غير راغب في الخروج من معاقله المظلمة، فقد أخفى نفسه وخدمه بالظلال من أمام وجه أرين لأنهم لا يتحملون نظرة عيونها، وغطى الأراضي القريبة من مسكنه بالأدخنة والغيوم الكثيفة.

وقع الفالار في الشك عندما رأوا الإعتداء على تيليون. وخافوا من ماهية المكيدة والخدعة التي يديرها مورغووث ضدهم الآن. فلم تكن لديهم رغبةً بشن حرب عليه في الأرض الوسطى. لأنهم تذكروا خراب المارين. وصمموا على أن لا يحدث ذلك في فألبينور أيضاً. لذا فني ذلك الوقت حصنوا أرضهم ثانية، ورفعوا أسوار جبل بيلوري لتكون مائلة ومرتفعة ومخيفة. من جهات الشرق والشمال والجنوب، فقد كانت جوانبها الخارجية ملساء مظلمة بدون موطن قدم أو حواف أو تنوءات، وأنزلوها بانحدار كبير بوجه قاسية كالزجاج. ووضعوا على قمم الأبراج تيجان من الثلج الأبيض. وأبقوا فوقهم مراقبة ساهرة دائمة من دون نوم. فلا مرر يقود إليهم إلا في كالاكيريا. لم يغلق الفالار ذلك المعبر من أجل المخلصين من إيلدار. ومازال فينارفين يحكم بقية نولدور في الشق العميق للجبال في مدينة تيريون فوق التل الأخضر. ولكل هذا العرق الجني وحتى الفانيار، اللذين كان سيدهم إينغوي. يجب عليهم أن يتنفسوا فقط من الهواء الخارجي والرياح التي تأتي عبر البحر من الأراضي التي ولدوا فيها. أيضاً لم يفصل الفالار تيليري كليةً عن أقاربهم. لكنهم وضعوا

أبراجاً قوية والكثير من الحراس في كالاكيريا، ونشروا على السهول معسكرات من شعب فلمار. بحيث لا يمكن لأي طير أو وحش أو إنس أو جان أو أي مخلوق يسكن بالقرب من مساكن الأرض الوسطى أن يعبر هذا المعسكر.

في ذلك الوقت أيضاً، وضعت تلك الأغاني التي تدعى نورتالي فالينوريفا أي إخفاء فالينور. وتم وضع الجزر المسحورة قرب الشواطئ الشرقية لأمان، وجعلت البحار عداوية من حولهم فقد ملؤها بالظلال والحيرة. ثم شدوا هذه الجزر بأوتار كالشبكة إلى بحار الظلال من الشمال إلى الجنوب. أما تول إيريسيا، الجزيرة المنعزلة. فقد كانت تستطيع الاتصال بهم فقط عبر الإبحار غرباً. ومن غير الممكن أن تمر أي سفينة بين هذه الجزر. بسبب الأصوات الخطرة لتنهيدات الأمواج المتكسرة على الصخور المظلمة المغطاة بالضباب. وبهذا العسق يقع الإرهاق العظيم على الملاحين فيبغضون البحر. وكل من وضع قدمه هناك على تلك الجزر فقد حوَّصر للأبد. وسيبقى نائماً حتى تغيير العالم. وهكذا يكون كما تنبأ لهم ماندوز في أرامان. فالأرض المباركة أصبحت مغلقة بوجه نولدور. والكثير من الرسل الذين سيأتون في قادم الأيام مبحرين إلى الغرب، فلن يصل منهم أحد إلى فالينور. إلا وحداً فقط وهو الملاح الأكثر قدرة، والمعروف بالأغاني والأناشيد.



## الفصل الثاني عشر

### البشر

بعد ما منح الفالار الضوء للأرض الوسطى، جلسوا خلف جبالهم بسلام. ولمدة طويلة تركوا إدارة هذه الأرض لغيرهم. فلم توجد هناك مقاومة لسلطة مورغوث إلا من بعض شحاعة تولدور. ولم يهتم أحد من الفالار بالمنفيين إلا أولو الذي كان يجمع أخبارهم من الأرض عن طريق المياه.

بدأ حساب سنوات الشمس منذ ذلك الوقت. وأصبحت سنوات الشمس أسرع وأقصر مما كانت عليه سنوات الأشجار في فالينور. وفي ذلك الوقت أصبح هواء الأرض الوسطى ثقيلًا على التنفس والنمو والفناء والتغيير، فأسرعت شيخوخة كل الأشياء كثيرًا. وفي الربيع الثاني لأردا ولدت الحياة على التربة وفي المياه. ازدادت أعداد إيلدار. وأصبحت بيليرياند تحت الشمس الجديدة حضراء جميلة.

تحض الأبناء الأصغر لإلوقاتار عند أول شروق للشمس من أرض هيلدورين، وهي الأرض الواقعة في المناطق الشرقية للأرض الوسطى. لكن شروق الشمس الأول كان من الغرب. اتجهت عيون البشر المفتوحة نحو مشى البشر بأقدامهم على وجه الأرض وتناه الجزء الأكبر منهم عن طريقه. سمّتهم إيلدار أثناني، أي الأمة الثانية (الشعب الثاني). أطلقوا عليهم أيضاً اسم هيلدور، أي الاتباع. وأسماء أخرى كثيرة منها. أباتونار، الولد الثاني. إينغوار الضعفاء. فيرعار المالكون (الفانون). وموهم المقتصبون، الغرباء، الغامضون، النفس اللعينة. القساة، المخيفون بالليل، أبناء الشمس. لا يعرف من البشر بهذه الحكايات والمتعلقة بالأيام القديمة، من قبل ازدياد الفانيين وتضاؤل الجان، إلا آباء البشر الأناثري فهم الذين يعرفونها، وهم الذين ساروا على وجه الأرض في السنوات الأولى للشمس والقمير وذهبوا إلى شمال العالم. لم يأت أحد من الفالار إلى هيلدورين لإرشاد البشر، أو لدعوتهم

للسكن في فالينور كما حدث مع الجان. لكن البشر خافوا من الفلار بدلاً من أن يجوهم، فلم يفهموا أهداف هذه السلطات بعد كونها متعاضدةً معهم. فابتدأ النزاع بالعام. مع كل هذا فقد أخذ أولمو على عاتقه فكرة تقديم المساعدة لهم بعد أن أخذ بذلك رأي مانوي. جاءت رسائل أولمو إليهم غالباً بالسيول والفيضانات. لكنهم لم يكونوا مهرةً في مثل هذه الأمور. فمازالوا أقل مهارة في تلك الأيام، قبل اختلاطهم بالجان. لذلك أحبوا الماء وأثيرت به قلوبهم. لكنهم لم يفهموا رسائله. يقال بأنهم تقابلوا ومنذ مدة طويلة مع الجان المظلمون في عدة أماكن وأقاموا صداقات معهم. فأصبح البشر أثناء طفولتهم رفاق وتوابع لهذا الشعب القسّم. لأن الهاتمون من هذا العرق الجني لم يرشدوهم على الطريق المؤدي إلى فالينور. ولم يعرف البشر عن الفلار أي شيء، ولم يسمعو عنهم إلا كإشاعة أو اسم بعيد.

في حينها لم يتأخر مورغوث كثيراً بالعودة إلى الأرض الوسطى. ولم تذهب قوته لخارج الأرض الوسطى. علاوة على ذلك فقد دقق بالجيء المفاجئ لذلك الضوء العظيم. كان هناك خطر طفيف في الأراضي والتلال، وضع مورغوث أشياء جديدة كان قد ابتكرها منذ عصور طويلة، من قبل أن تفكر فيها ياقانًا، ويذرهما كبذرة في الظلام. وأخيراً جاءت واعدة، فآزهرت في الغرب والشمال والجنوب. أي في كل الأماكن التي انتشر وتحوّل فيها أبناء البشر. كانت بمحة أبناء البشر كبهجة الصباح قبل جفاف الندى عندما تكون كل الأوراق خضراء.

لكن الفجر قصير والنهار غالباً مليء بالوعود الكاذبة. فقد حان وقت الحروب الكبرى من قوى الشمال. عندما ناضل البشر ونولدور وسيندار ضد جماعات مورغوث وباوغليز الذي نزل إلى الخراب. إلى هذه النهاية أدت أكاذيب مورغوث المخادعة والتي زرعها منذ القدم ومازال يذرهما بين خصومه. فالفتنة التي جلبت القتل في الكوالوندي وقسم فيانور. هما من هذه البنود الشريفة التي مازالت تفعل فعلها. هنا لم يخرنا إلا عن جزء واحد فقط من أعمال تلك الأيام. لكنه أخير أكثر عن نولدور والسيلماريليس. وعن البشر الذين تورطوا في مصيرهم مع نولدور. ففي تلك الأيام كان الجان والبشر متمثلون في القوام وقوة الجسم. لكن الجان لديهم حكمة أعظم ومهارة أكثر وجمال أفضل وأحسن. أمّا أولئك الجان الذين سكنوا في فالينور تحت مرأى السلطات، فقد تفوقوا كثيراً على الجان المظلمين في هذه الأسماء. والذين هم بدورهم كانوا متفوقين على هذا العرق الفاني. ويستثنى من الجان فقط

مملكة دوريات، والتي كانت ملكتها ميليان فهي من الميَّار أقارب الفالار، لذلك جعلت سيندار يقترب أكثر إلى مجارة كالاكويندي الساكنين في الأرض المباركة.

كان الجان خالدون. وحكمتهم بازدياد من جيل لآخر. فلا المرض ولا الوباء يجلب لهم الموت. بالحقيقة فإن أجسامهم من مادة الأرض وقد تتحطم. وفي تلك الأيام كانت أجسامهم تشبه كثيراً أجسام البشر. ولم يمضي وقت طويل حتى سكنت النار روحهم. وهي التي تستهلكهم من الداخل بمرور الزمن. أما البشر فكانوا ضعفاء، ويقتلون بسهولة أكثر، إن كان بالسلاح أو بسوء الحظ، ويحتاجون لوقت أطول للشفاء من الأمراض. فهم معرضون دائماً للأمراض والأوبئة. بالإضافة إلى أنهم يكبرون في السن ويموتون. لم يعرف الجان ماذا يحدث لأرواح البشر بعد الموت. فالبعض يقول بأن أرواح البشر تذهب إلى قاعات ماندوز، لكن مكائهم ومكانتهم من الانتظار هناك ليس هو نفس مكان ولا مكانة الجان. ويوجب تعاليم اللوقاتار فلا يعلم إلا ماندوز ومانوي إلى أين سيذهبون بعد زمن التذكر في تلك القاعات الصامتة بجانب البحر الخارجي. لم يرجع أحد أبداً من قصور الموتى إلا فقط بيرين بن باراهير. وهو الشخص الذي لامست يده السيلماريلس لكنه لم يتكلم فيما بعد مع البشر القانين. ربما لم يكن مصير البشر بعد الموت في أيدي الفالار ولم يكن في كل نبوءات موسيقى آينور.

في الأيام اللاحقة وبسبب انتصار مورغووث فقد أصبح الجان والبشر متحافين ومنفصلين كما تمى كثيرون. فالذين هم من جنس الجان وما زالوا يعيشون في الأرض الوسطى، تضاءلوا وبهتوا. اغتصب البشر أماكن نور الشمس. أما كويندي فقد تجولوا في الأماكن المنعزلة للأراضي العظيمة والجزر، وأخذوا إلى ضوء القمر والنجوم، وإلى الغابات والكهوف. فأصبحوا كظلال الذكريات. إلا أولئك الذين أبحروا أحياناً إلى الغرب واختفوا من الأرض الوسطى. لكن منذ فجر السنوات كان البشر والجان حلفاء واعتبروا أنفسهم أقرباء. وكان هناك من بين البشر من تعلم حكمة إيلدار، فأصبحوا من عظماء وشجعان قادة نولدور. وأصبحوا في مثل مجد وجمال ومصير الجان. وفي أقدارهم نصيب كامل من كلا النسولين الجتي والقاني، وهم إيارينديل وإيلوينغ وابنه إيلروند.





## الفصل الثالث عشر

### عودة نولدور

قلنا بأن فيانور وأبناءه كانوا من أول المنفيين الذين نزلت أقدامهم على الأرض الوسطى، عندما نزلوا في أراضي القفر في لامووث، أرض الصدى العظيم. على الشواطئ الخارجية للسان البحري درينغيست. ومنذ أن وضع نولدور أقدامه على الساحل. فقد وصل صدى صوتهم وصرخاتهم إلى التلال، فملأ هذا الصخب الهائل كل مداخل الشمال. حملت الريح صوت ضوضاء احتراق السفن في لوزغار إلى البحر كصوت من الاضطراب والغضب العظيم. وكل من سمع هذه الأصوات من بعيد فقد تعجب وانداهش عن ماهية هذا الصوت.

لم تشاهد ألسنة لهب الاحتراق الهائل للسفن فقط من قبل فينغولفين، الذي تركه فيانور في أرامان. فقد شاهدها أيضاً، الأوركس وحراس مورغووث. لم يعلم أحد ماذا كان يخفي مورغووث في قلبه لخصمه العنيد فيانور، الذي جلب معه حشوده من الغرب، قد يكون خائفاً منهم قليلاً، ولكن لم تكن لديه حد الآن أية أدلة على أسلحة نولدور، وحالما رأى ذلك فقد صمم على إرجاعهم إلى البحر الذي جاءوا منه.

تحت النجوم الباردة وقبل شروق القمر قطعت حشود فيانور اللسان البحري الطويل درينغيست، محترقين تلال الصدى من إيريد لومين. وبالتالي يكونوا قد عبروا من الشواطئ إلى أراضي هيثلوم الواسعة، وصلوا بعد مسير طويل إلى البحيرة الطويلة في ميثرم. هناك نصبوا معسكرهم على شاطئها الشمالي في المنطقة التي حملت نفس الاسم. أما حشود مورغووث فقد كانت مضطربة من تأثير لامووث عليهم وتوجه أضواء احتراق السفن في لوزغار. لذلك تعقبوهم ودخلوا من خلال ممرات إيريد ويشرين، جبال الظل، وقاموا بمهاجمة فيانور على حين غرة، قبل أن ينتهي من بناء معسكره، حتى قبل أن يضعه بموضع الدفاع. وهناك على الحقل الرمادية لميثرم وقعت المعركة الثانية من حروب بيلرياند، داغور نوين

غيليات، أي معركة تحت النجوم. هكذا سميت فيما بعد. حدث كل ذلك والقمر لم يكن قد أشرق بعد. لكن نولدور كانت المنتصرة وبسرعة شديدة رغم التفوق العددي والمباغنة بالهجوم من قبل الأوركس. تخلدت هذه المعركة بالكثير من الأناشيد. فلحد الآن لم ينجو ضوء أمان في عيون نولدور، لقد كانوا أقوىاء وسريعين. قاتلوا بغضب، فكانت سيوفهم طويلة وفضيعة. لذلك فرَّ الأوركس من أمامهم، ودحروهم من ميترم بمذبحة عظيمة. استمر النولدوريون بمطاردتهم على جبال الظل إلى السهل العظيم أرد غالين الواقع شمالي دورذونيون. أما جيوش مورغووث التي كانت قد عبرت باتجاه الجنوب عبر وادي سيريون وقامت بمحاصرة كيردان في مرفأ الفالاس. فقد هُتت لنجدة الأوركس، لكنها وقعت في الكمين، لأن كيلبيغورم بن فيانور، كانت لديه معلومات عن تحركهم، فكمن لهم بجزء من جماعة الجان، وقتلهم على التلال القريبة من إيثيل سيريون، ثم طردهم إلى مستنقع سيربخ. في النهاية وصلت الأخبار السيئة إلى أنغياند فأفزعت مورغووث. لأن الحرب كانت قد استمرت لعشرة أيام متواصلة، ولم يعد من كل حشود مورغووث التي امتعدت لغزو بيليرياند، إلا مجموعة قليلة كحفنة من الأوراق.

صنع هذا النصر فرحاً عظيماً عند فيانور، مع أن الفرح كان قد غادره لفترة، وفي غضبه ضد أعدائه لم يتوقف بل ضغط عليهم مطارداً بقية الأوركس. كان يفكر أيضاً بمهاجمة مورغووث نفسه. وراح يضحك جهورياً ملوحاً بسيفه بابتهاج لأنه هو الوحيد تجراً على إغضاب الفالار وتحمل شرور الطريق وها هو الآن يرى ساعة ثأره قريبة. مع أنه يجهل كل شيء عن أنغياند وقوة تحصينها الكبير. كذلك فإن مورغووث كان قد جهز نفسه بسرعة. لكن حتى لو علم فيانور بأن خصمه مستعد ما كان ذلك سيردعه لأنه كان طفولياً، فقد استهلك بلهب غضبه. هكذا اقترب فيانور لمكانٍ متقدم مبتعداً عن طبيعة الجيش. فأرأه خدام مورغووث واستداروا نحو الخليج وأرسلوا إلى هناك بالروغز من أنغياند لمساعدتهم. هناك على حدود دور دايديلوث أرض مورغووث. حيث لم يكن فيانور محاطاً إلا بعدد قليل من الأصدقاء، إلا أنه واصل الكفاح لمدة طويلة، غير هيَّابٍ ولا وجل. مع أنه كان قد أُلّف بالنار وأصيب بجروح كثيرة، وأحيراً شُرب بالأرض من قبل غوموغ سيد الباروغز. وهو نفس الباروغز الذي ذبحه إكتيليون في غوندولين فيما بعد. هناك كان فيانور سيموت لولا وصول أبناءه في اللحظة المناسبة وكانت لديهم القوة اللازمة لمساعدته، وعندما رآهم الباروغز فترك فيانور وغادر إلى أنغياند.

حمله أبناءه متحمين به نحو ميشريم. وبينما كانوا على طريقهم الصاعد لمعابر الجبال مقترنين من إيثيل سيريون، طلب منهم أن يتوقفوا. لأنه عرف بأن ساعته قد حانت بسبب جراحه المميتة. نظر من خلال منحدرات إيريد ويشرين، بنظرة أحيوة للبعيد إلى قمم ثانغورودريم أقوى أبراج الأرض الوسطى. فاستبصر وهو في سكرة الموت بأن لا قوة في نولدور قادراً على إسقاط أبراج ثانغورودريم. لذلك لعن اسم مورغووث ثلاث مرات. ووضعها في عهدة أبنائه ليضيفوها إلى قسمهم والانتقام لأبيهم، ثم مات، لكنه لم يدفن، ولم يكن لديه قبر، لأن نارية روحه عندما غادرت جسده وحملت بعيداً كالسخان، لم تبقى منه إلا الرماد المتساقط على الأرض. لم يظهر في كل أردا مثيلٌ لفيانور. ولا لروحه المقيمة في قاعات ماندوز. هكذا كانت نهاية أعتى حيازة نولدور، فهو الذي أكسب الصيت لهم ولأعمالهم وكان السبب الرئيسي لمحتهم.

يسكن في ميشريم الجان الرماديون شعب بيليرياند الذين تاهوا على الجبال الشمالية. كان لقاؤهم بنولدور فرحاً، كلقاء أهل ضائعين منذ مدة طويلة. لكن في بداية الأمر لم يكن الكلام سهلاً بينهم. بسبب الإنقطاع الطويل عن لغة الكالكوندي المستخدمة في قبائليور، حيث كانت اللغة المستخدمة في بيليرياند هي موريكوندي، مما جعلهم متباعدين جداً. علمت نولدور من جان ميشريم عن قوة ايللو ثينغول ملك دورياث ووزار السحر الذي يسبح مملكته. وصلت بشرى الأعمال العظيمة في الشمال إلى مينيجروث في الجنوب وإلى مرافئ بريثومار وإيغلاريس. وقد ثلثي جان بيليرياند بالدهشة والأمل بجليء قريتهم الهائل، وبهذا يكون خضر الذهب إلى الغرب قد رُفِع عنهم في اللحظة التي كانوا فيها يأمل الحاجة للمساعدة. لأنهم اعتقدوا بأن نولدور جاءهم كرميل من الغالار لإنقاذهم.

وفي ساعة موت أبيهم جاءت سفارة من مورغووث لأبناء فيانور. يعترف فيها بالهزيمة، ويعرض شروط الهدنة. وقال أيضاً بأنه سيتنازل لهم عن السيلماريل. قام مايدروس طويل القامة الابن الأكبر لفيانور بإقناع إخوته بالنظاير برغبة التفاوض مع مورغووث. والعمل على مقابلة مبعوثيه في المكان المحدد. لكن نولدور لم يفكروا كثيراً بعدم الثقة به، ولماذا كان مورغووث في كل مرة يرسل سفارات أكثر قوة وأكبر عدداً ما كان متفق عليه. لكن مورغووث أرسل فيما بعد أكثر من ذلك، فقد بعث لهم بالروغز، كمن لمايدروس وقتل كل المجموعة التي كانت معه. لكنه وطبقاً لأوامر مورغووث، أخذ معه مايدروس حياً إلى أنغياند.

وعندما علم أخوة مايدروس بالذي حصل لأخيهم، تراجعوا وحصنوا معسكرهم في هيثلوم تحصيناً عظيماً. لكن مورغوث أخذ مايدروس كرهينة. وأرسل لهم بأنه لن يطلق سراحة ما لم تترك تولدور الحرب وتعود إلى الغرب، أو أن تغادر بيليرياند مبتعدة نحو الجنوب. عرف أبناء فيانور بأن مورغوث سيغدر بهم، ولن يحرر مايدروس مطلقاً مهما فعلوا. أيضاً الشيء الآخر الذي منعهم من ذلك، هو التزامهم بالقسم الذي يقول، بأنهم لن يتركوا محاربة عدوهم لأي سبب من الأسباب. لذلك أخذ مورغوث، مايدروس وعلقه على جهة الهاوية من ثانغورودريم. وربطه من رسغ يده اليمنى إلى صخرة برياط فولاذي.

وصلت أخباراً إلى المعسكر في هيثلوم. بأن موكب فينغولفين ومن تبعه قد عبروا مناطق الجليد. وكل العالم كان مندهشاً بلجىء القمر في حينها. لكن أثناء زحفت جماهير فينغولفين إلى ميثريم، أشرقت الشمس ملتهبة من الغرب، فشر فينغولفين راياته الزرقاء والفضية. ونفخ أبواقه، فأزهرت الأرض تحت أقدام الرحف. وهكذا تكون عصور النجوم قد انتهت بنهوض الأضواء العظيمة، أي الشمس والقمر. هرب خدام مورغوث من الأضواء العظيمة إلى أنغباند. ومر زحف فينغولفين بدون ممانعة من خلال دور دايديلوث النائية. بينما اختفى خصومه تحت الأرض. ثم ضرب الجبان على أبواب أنغباند. وهزّ تحدي أبواقهم أبراج ثانغورودريم. فسمعهم مايدروس وسط عذابه وصرخ بصوت عالي. لكن صوته ضاع في أصداء الحجارة.

كان طبع فينغولفين مغاير لطبع أخيه فيانور فقد كان محترساً من حيل مورغوث، لذلك انسحب من دور دايديلوث ورجع إلى ميثريم، لأنه سمع أخباراً بأنه قد يجد أبناء فيانور هناك. ورغب أيضاً بأن يحمي معسكره بجبال الظل، ريثما يرتاح الشعب وتتجدد قوته. فقد شاهد قوة أنغباند، وأدرك بأنه لا يمكن إسقاطها بقوة صوت الأبواق فقط. لذلك أتى بعد مسير طويل إلى هيثلوم وبني أول معسكر له واستقر عند الشواطئ الشمالية لبحيرة ميثريم. لم تكن هناك محبة في قلوب أتباع فينغولفين لبيت فيانور. فقد كانت معانئهم عظيمة في تحمل عبور الجليد. قبض فينغولفين على الأبناء المتواطئين مع أيهم، فأوشك النزاع بين جنود كلا الجانبين حد الانفجار. وعلى الرغم من شدة خسائهم على الطريق، فمازال شعب فينغولفين وفيرود بن فينارفين أكثر عدداً من أتباع فيانور. لذلك انسحب أتباع فيانور. وأزالوا مساكنهم واستقروا على الشاطئ الجنوبي. أصبحت البحيرة حاجزاً بينهم. وبالْحَقِيقَة، فإن غالبية شعب فيانور كانوا نادمين على إحراق السفن في لوزغار،

ومندهبشين من شجاعة وجسارة أصدقائهم الذين تركوهم على جليد الشمال، لكنهم لم يتحاسروا على الترحيب بهم لشعورهم بالحنج.

هكذا وبسبب اللعنة التي أنزلت على نولدور فلم يستطيعوا إنجاز شيء. بينما كان مورغوث متردداً، لأن الضوء القوي قد أصاب الأوركس بالفزع الشديد، لكن فُكر مورغوث ارتقى أكثر بسبب الانقسام بين خصومه مما أدخل السرور إليه. فقام بصنع أدخنة سوداء في أقبية أنغباند وأخرجها كأبخرة من قمم الجبال الحديدية، وكانت تُرى من ميثرم. خرجت أبخرة أنغباند كالريح من الشرق وأخذت تلوث نقاء الصباح المشرق. وصلت إلى هيلوم كاسفة عين الشمس. ودار دخانها حول الحقول والتجاويف وسقطت أبخرتها على مياه ميثرم فأصبحت كثيفة وسامة.

صمم فينغون الشجاع ابن فينغولفين على معالجة العداوة التي فرقت نولدور، فعدوهم يعد العدة للحرب. فقد كانت الأرض في الشمال تتهتر وتترعد من أصوات ورشات حدادة مورغوث التي بناها تحت الأرض. كان فينغون مرتبط بعلاقة صداقة قديمة مع مايندروس منذ زمن طويل، من أيام نعمة فالينور قبل خروج ميلكور من السجن. وفي وقتها لم تكن أكاذيبه قد سارت بعد فيما بينهم، ولم يكن يعرف بأن مايندروس لم ينساه أثناء حادثة إحراق السفن، فالتفكير في صداقتهم القديمة وحزت قلبه، لذلك تجرأ على فعل أعمال النبيل المشهورة والتي يفاخر بها أمراء نولدور، فحزم أمره لوحده وبدون استشارة أحد، وقرر أن يبحث عن مايندروس. وبمساعدة الظلام الكثير الذي جعله مورغوث، فقد استطاع التخفي والوصول إلى أماكن استقرار خصومه، فتسلق على أكتاف ثانغوردريم ونظر ببأس إلى حراب الأرض، فلا وجود لمعبر أو شق يمكن أن يوصله إلى معقل مورغوث. ثم وتندب للأوركس الذين سألوا منكمشين في الأقبية المظلمة تحت الأرض، أخذ فينغون أغنية فالينور التي صنعتها نولدور منذ زمن طويل قبل نشوء النزاع بين أبناء فينوي. طرقت صوته الأقبية الحزينة التي لم تسمع من قبل إلا نداءات الخوف والاستغاثة والحن.

عندها وجد فينغون ما أراد، فقد سمع فوقه فجأة صوت خافت يردد أغنيته. وكان هذا الصوت الذي أحابه هو صوت مايندروس الذي غنى وسط عذابه وألمه. فتسلق فينغون سفح الهاوية حيث تعلق قرويه، ولم يستطع بعدها أن يتقدم أكثر. وعندما رأى أداة مورغوث القاسية يكى كثيراً، وبكى مايندروس لأنه كان يظن بأنه سيبقى في الألم بدون أمل في النجاة. لذلك استجدي فينغون لكي يرميه بضربة من قومه. وضع فينغون سهماً

في قومه وأحناه. لكنه ومع فقدان الأمل بكى مبتهلاً إلى مانوي قائلاً: أيها الملك الذي تبجله كل الطيور اطلب منهم أن يسرعوا إلى هذا العمود العتشق. وتذكر أيها الملك بأن نولدور بحاجة إلى بعض الشفقة.

أجيبت دعوات فينغون بسرعة شديدة، لأن مانوي تبجله كل الطيور وتجلب له أعبار الأرض الوسطى إلى تني كويتيل. وكانت النسور قد جلبت إلى آذان مانوي أعبار حزين كثيرة كذلك التي حدثت فيما سبق من الأيام. فبعث النسور التي كان قد أمرها بالسكن في صحور الشمال لمراقبة مورغوث. فعلى الرغم من كل شيء، ما زالت لدى مانوي بعض الشفقة على الجان المنفيين. والآن، عندما أحس فينغون قومه. طار هناك في الأعلى ثوروندور ملك النسور وهوى إليه. وثوروندور هذا هو الأقدر بين كل الطيور، وأجنته الطويلة عندما ممدودة فإنها تغطي ثلاثين قامة. امتدت يد فينغون إليه وحمله ثوروندور إلى وجه الصخرة التي تعلق عليها مايدروس. لكن فينغون لم يستطع أن يحرر الربطة المشدودة على رسغ مايدروس. ولم يستطع قطعها أو سحبها من الحجارة. لذلك فقد استجداه مايدروس ثانية بأن يقتله ويبرحه من عذابه. لكن فينغون قطع يد مايدروس من فوق الرسغ وحملها ثوروندور وأعادها إلى ميثريم.

هناك في ميثريم وبمرور الوقت تماثل مايدروس للشفاء. لأن نار الحياة بداخله كانت حارة، وقوته كانت من العالم القديم. مثله مثل الذين تربوا وعاشوا في فالينور. فشفى جسمه من عذابه وأصبح يعافية. لكن ظلال الألم بقيت في قلبه. وعاش حياته ليحمل السيف باليد اليسرى، لكن هذه اليد كانت فتاكة أكثر مما كانت عليه يده اليمنى. اكتسب فينغون بهذا العمل صيتاً عظيماً واستحق المدح من كل نولدور. بعدها هدأت الكراهية بين بيت فينغولفين وبيت فيانور. وطلب مايدروس المغفرة والعفو عن هروبهم في أرامان، ثم تنازل عن حقه في الملك على كل نولدور قائلاً لفينغولفين: بما أنه لم تعد بيننا أية مشاكل يا سيدي، فإن الملكية تأتي إليك بشكل صحيح. لأنك أنت الآن الأكبر سناً والأكثر حكمة في بيت فينوي. أما أخوة مايدروس فلم يوافقوه الرأي، لكنهم أبقوا ذلك مستوراً في قلوبهم.

وهكذا تحققت نبوءة ماندوز بأن بيت فيانور سيدعون المحرومين. لأن السيادة مرت منهم وهم البيت الأقدم، إلى بيت فينغولفين في كلا المنطقتين، إيليندي<sup>1</sup> وويلبرياند. وأيضاً

<sup>1</sup> إيليندي: Elendë. هي أرض الجان في أمان. بعد أن قلا فيانور الشعب من هناك إلى الأرض الوسطى، وبعد مذبحة الأقارب في مرفا الجيمات فقد استلم أخوه فيانورين السيادة هناك. وهنا في الأرض الوسطى استلم السيادة فينغولفين

بسبب خسارتهم للسيلماريليس. لكن المهم أن تولدور عادت متحدةً من جديد. ووضعوا المراقبة على حدود دور دايديلوث، وحاصروا أنغباند من الغرب والجنوب والشرق. بعثت تولدور الرسل والكشافين ونشرتهم بعيداً لاستكشاف بلدان بيليرياند. وللتعامل مع الشعوب التي كانت تسكن هناك.

لم يرحب الملك ثينغول كثيراً بكامل إرادته بمجيء الأمراء من الغرب، فقد كانوا متلهفين للعالم الجديدة. ولم يفتح أمامهم مملكته ولم يحرر زناها من السحر، لأن الوعي في حكمة ميليان هو عدم الثقة بأن ضبط النفس عند مورغوث لن يدوم طويلاً. ومن بين كل أمراء تولدور فقط أولئك الذين كانوا من بيت فينارفين هم من تحملوا معاناة العبور ضمن حدود دوريات. لأنهم يستطيعون الادعاء بعلاقة قرابة مع الملك ثينغول نفسه. لأن أهم كانت إياروين بنت أولوي من الكوالوندي.

أنغروود بن فينارفين كان أول المنفيين الذين وصلوا إلى مينينغروث. فقد جاء كرسول لأخيه فينرود وتكلم لمدة طويلة مع الملك ثينغول، فأخبره عن أعمال تولدور في الشمال. وعن أعدادهم وتنظيم قواهم. عفا ثينغول عن كل المآسي بقلب حكيم ونية صادقة وعقل راجح، ولم يتكلم بأي كلمة تتعلق بمذبحة الأقارب. أو عن أسلوب نفي تولدور ولا عن قسمة فيانور. فقد أصغى الملك ثينغول بشكل كامل إلى كلمات أنغروود وقال له وهو يرحل: هكذا ستتكلم باسمي للذي أرسلك. يسمح لتولدور بالسكن في هيثلوم وفي مرتفعات دورزونون وفي أراضي البرية الفارغة الواقعة شرق دوريات. لكن في بقية الأماكن الأخرى، فهناك الكثير من شعبي. ولن أقيد حريتهم من أجل أحد، فمزال القليل منهم مبعدين عن منازلهم. وبالتالي، فإنني أحذركم بأنكم ستحاكمون كما يحاكم الأمراء في الغرب. فانا سيد بيليرياند. وكل من سيسكن هنا سيسمع كلمتي، ولا يسمح لأحد بالإقامة في دوريات إلا الذين استدعيتهم كضيوف، أو من يريدني في حاجة عظيمة.

عقد سادة تولدور مجلساً لهم في ميثرم. وإلى هناك جاء أنغروود قادماً من دوريات يحمل رسالة من الملك ثينغول. بدى ترحيب تولدور بالرسالة بارداً. وكانت كلمات أبناء فيانور غاضبة، لكن مايزروس ضحك قائلاً: الملك هو الذي يسيطر على ملكه وإلا فسيكون لقبه عقيم. يمنحنا ثينغول أرضاً خارج سيطرته. وفي الحقيقة فإن دوريات لوحدها ستكون هي مملكته اعتباراً من اليوم. لأن مجيء تولدور هو الذي تركه يحكم في دوريات. وليكن

مسروراً لأن حيرانه أبناء فينوي وليسوا الأوركس أتباع مورغوث. ومن جهة ثانية مسنذهب إلى أي مكان نجده جيداً بالنسبة لنا.

لم يكن كاراثير يحب أبناء فينارفين كثيراً، وكان هو أفسى أخوته وأسرعهم إلى الغضب، فصرخ عالياً: هذا يكفي! لا تدع أبناء فينارفين يشغلوننا بحكاياتهم مع هؤلاء الجان المظلّمون في كهوفهم. من سمح لأبناء فينارفين بأن يكونوا ناطقين باسمنا للاتفاق معهم؟ على الرغم من أنهم جاءوا فعلاً إلى بيليرياند، فلاندعهم ينسوا بسرعة بأن أباهم هو سيد نولدور، وأمهم من الأقارب الآخرين أيضاً.

غضب أنغورود من كلام كاراثير وغادر المجلس. في الحقيقة قام مايندروس بتوبيخ كاراثير، لكن غالبية نولدور ومن أتباع كلا الطرفين انزعجوا عندما سمعوا هذا الكلام. خوفاً من طبع أبناء فيانور والذي سيكون كالانفجار إن كان بالكلام الطائش أو بالعنف. لكن مايندروس منع إخوته من الإتيان بأية حركة وغادروا المجلس أيضاً. ثم بعد ذلك بقليل تركوا ميثرم كلها وذهبوا شرقاً ما بعد آروس، إلى الأراضي العريضة حول تلة هيسرينغ. والتي سميت فيما بعد تحوم مايندروس. وفي شمال هذه الأرض كانت توجد حماية صغيرة من التل أو النهر ضد أي هجوم قد يأتي من أنغباند. هناك استمر مايندروس وأخوته بالمراقبة. وجمعوا حولهم كل من كان يريد الالتحاق بهم. ولم تكن لهم تعاملات مع أقاربهم في الغرب إلا في بعض الحاجات، ويقال بأن مايندروس هو الذي ابتكر هذه الخطة للتقليل من احتمالات التواصل التي قد تؤدي إلى النزاع. ولأنه كان على قناعة تامة بأن الخطر الرئيسي للهجوم سوف يقع عليه هو. ومن جهته فقد أبقى على الصداقة مع بيوت فينارفين وفيغولفين. وأحياناً كان يزورهم من أجل المشاركة في بعض المشاورات. رغم أنه مرتبط أيضاً بالقسم الذي هجع قليلاً الآن ولفترة من الوقت.

سكن شعب كاراثير بالشرق الأقصى خلف أعالي مياه جيليون حول بحيرة هيليفورن تحت جبل ريرير باتجاه الجنوب. صعدوا مرتفعات إيريد لوين وكان منظرها مذهشاً، ففي اتساعها وبريقها بدت لهم وكأنها كل أراضي الأرض الوسطى. وبذلك فقد كان شعب كاراثير قريباً من مناطق الأقرام، الذين توقفت تحركاتهم إلى بيليرياند بعد هجوم مورغوث وبجيء نولدور. لكن مع أنّ كلا الشعبين يحبان المهارة واللفتة للتعلم. فلم تكن هناك محبة كبيرة بينهما، فالأقرام غامضون وكانوا يستأثرون بسرعة. أما كاراثير فكانوا متعظسين ونادراً ما أخفوا احتقارهم لعدم حُسن وجمال ناوغريم. فتبع كل شعب منهما ساداته. ومن جهة



ثانية، فإن كلا الشعبين يكرهون مورغوث ويخافونه، وذلك ما ساعد فيما بعد على إقامة تحالفٍ بينهم، وكان هذا التحالف مكسباً عظيماً لكليهما. فقد تعلم ناوغريم في تلك الأيام الكثير من أسرار الحرف. وأصبح حدادو ويناؤو نوغروود وبيليغومست الأكثر شهرة بين كل أقرنائهم. وعندما بدأ الاقترام رحلتهم ثانيةً إلى بيليرياند، انتقلت ملكية مناجم الأقزام بدايةً إلى كاراتير وهذا ما جلب إلى شعب كاراتير الكثير من الثروات العظيمة.

بعد مرور عشرين سنة شمسية، صنع فينغولفين ملك نولدور عبداً عظيماً. وكان ذلك في الربيع قرب بحيرات إيفرين من حيث ينبع نهر ناروغ السريع. فالأرض هناك خضراء جميلة عند سفوح جبال الظل التي كانت ستراً لهم من الجهة الشمالية. عاشت أفرح العيد طويلاً في ذاكرة الأيام اللاحقة المليئة بالحزن. ودعى هذا العيد ميريث أديرثاد، عيد لم الشمل. وحضر هذا العيد الكثير من الزعماء والناس من شعوب فينغولفين وفينورد وأبناء فيانور مايدروس وماغلور مع محاربون من التخوم الشرقية. وجاءت أيضاً أعداد كبيرة من الجمان الرماديين. والتائهون من غابة بيليرياند وشعب المرافع مع سيدهم كيردان. وأتى أيضاً الجمان الخضر من أوسيرياند، أرض الأتخار السبعة، البعيدة هناك تحت أسوار الجبال الزرقاء. وأتى من دوريات رمولين هما مابلونغ ودايرون بحملان تحيات الملك.

في عيد ميريث أديرثاد كل الآراء والنصائح كانت تأخذ بحسن النية، وأقسم الجميع على الولاء للصداقة والاتحاد فيما بينهم. وقيل بأنه في العيد كانت لغة الجمان الرماديين محكية بشكل جيد من قبل نولدور، لأنهم تعلموا بسرعة لغة بيليرياند بينما سيندار كان بطيء في إتقان لغة ثالينور، وقد كانت قلوب نولدور راقية ومليئة بالأمل، وبدا للكثيرين منهم بأن كلمات فيانور كانت محقة، فمطلبهم هو الحرية والعدالة للممالك الأرض الوسطى. وبالفعل فقد تلا ذلك العيد سنوات طويلة من السلام فيما بينهم. بينما حمت السيوف بيليرياند من شرور مورغوث. وأقفلت على قوته خلف أبوابه، ففي تلك الأيام كان الفرح عامراً تحت الشمس والقمر الجديدين، وكل الأرض كانت سعيدة لكن الظل مازال يقبع في الشمال.

بعد مرور ثلاثين سنة أخرى. غادر تورغون بن فينغولفين نيفراست حيث كان يسكن، وراح يبحث عن صديقه فينرود على جزيرة تول سيريون. فسافر ومن معه جنوباً على طول النهر. وبينما هم مسافرون في الليل ما بعد بحيرات الغسق بجانب نهر سيريون، إذ كان التعب قد نال منهم كثيراً على الجبال الشمالية، فعشاهم العاص واناموا على ضفاف نهر

سيريون تحمت النجوم الصيفية. خرج أولمو من النهر ووضع عليهم نوماً عميقاً وأحلاماً ثقيلة. بقيت مشكلة الأحلام بعد استيقاظهم، لكنهم لم ينجسوا بعضهم بهذه الأحلام لأن ذكرتهم كانت مشوشة. فكل واحد منهم ظن أن أولمو أرسل له رسالة لوحده، مع ذلك لم يقلقوا، بل ارتابوا مما قد يحدث. ساروا في أغلب الأحيان على أراضي غير مداسة من قبل، يفتشون في كل اتجاه عن أماكن القوة الخفية. لأن ذلك كله بدا لهم وكأنه استعداد ليوم الشر. فقرروا الانسحاب، خشية اندفاع مورغوث من أنغبانند والقضاء على جيوش الشمال.

وفي هذا الوقت كان فينرود وأخته غالادريل ضيوفاً في دوريات عند قريتهم ثينغول. وكانت دهشة فينرود عظيمة من قوة وفخامة مينيجروث، من خزائنه ومستودعات سلاحه وقاعاته المؤسسة على الحجارة. فاستحسن أن يبني لنفسه قاعات وامعة خلف أبوابٍ محروسة دائماً، مع بعض العمق والسرية، ويجب أن تكون تحت التلال، لذلك فتح قلبه إلى ثينغول وأخبره عن أحلامه، فأخبره ثينغول عن وادٍ عميق عند نهر ناروغ وعن الكهوف التي تحت فاروث العالیه في الشاطئ الغربي الحاد، وعندما غادر أعطاه أدلاء ليرشدوه إلى ذلك المكان الذي لا يعرفه إلا القليل من الناس. هكذا كان مجيء فينرود إلى كهوف ناروغ. حيث بدأ بتأسيس القاعات ومستودعات السلاح العميقة هناك بعد ما رأى طراز قصور مينيجروث، وأطلق على ذلك المعتقل اسم نارغوثروند. وفي عمله هذا حصل فينرود على مساعدة أقزام الجبال الزرقاء. فكافأه الأقزام بأن صنعوا له ناوغلامير، أي عقد الأقزام، لأن فينرود كان قد أحضر أكثر كنوز تيريون، أكثر من غيره من بقية أمراء نولدور، ويعتبر عقد الأقزام هذا من أكثر أعمال الأقزام شهرةً على مر السنين. فقد كان عبارة عن شبكة مجدولة من الذهب وُضعت فيها مجوهرات كثيرة من فالينور. لكنه كان يمتلك قوة بداخله بحيث سيكون خفيفاً على من يرتديه لكانه حبلٌ من الكنان الجدول. وأياً كانت تلك الرقبة التي ترتديه فهو يتعلق بما بالشرف والبهاء.

هناك في نارغوثروند صنع فينرود بيته وبيوت الكثيرين من شعبه. سمي ذلك المكان بلغة الأقزام فيلاغوند. ومعناه يقترن بالكهوف. فيما بعد أصبح يحمل ذلك الاسم حتى نهايته. لكن فينرود فيلاغوند لم يكن الأول الذي يسكن في الكهوف بجانب نهر ناروغ. لم تذهب غالادريل أخت فينرود معه إلى نارغوثروند. فقد سكن في دوريات شخص اسمه كيلبيرون، وهو من أقرباء ثينغول. فجمعت بينه وبين غالادريل علاقة حب عظيم، لذلك

بقيت غلادريل في المملكة المخفية تسكن مع ميليان تتعلم من علمها العظيم وحكمتها العالية المتعلقة بالأرض الوسطى.

أما تورغون فقد تذكر مدينة تريون الجميلة في فالينور، تلك الواقعة فوق الثل بيرجها وأشجارها. لكنه لم يجد ما قصد إليه فعاد إلى نيفراست وجلس بسلام في فينيامار على شواطئ البحر. وفي السنة التالية ظهر له أولمو بنفسه، وطلب منه أن يذهب لوحده إلى وادي سيريون. صعد تورغون، ويتوجيه أولمو استطاع اكتشاف الوادي المخفي توملادين في الجبال المحيطة، وهو الوادي الذي كان في وسطه تلة من الحجارة. عندها عاد مرة أخرى إلى نيفراست ولم يخبر أحداً عن ذلك الوادي. هناك بدأ باستشاراته السرية لايتكار خطة لبناء مدينة تشبه في طرازها تريون على تلة تونا، تلك التي حنّ قلبه إليها في هذا المنفى.

اعتقد مورغوث بناءً على تقارير جواميسه بأن سادات نولدور كانوا يسافرون كثيراً، وقلما يفكرون في الحرب. لذا عمل مقارنة بين قوته وقوة أعدائه. وبإنداز صغير ذات مرة حرك قوته. أحدث فجأة زلزالاً في الشمال فخرجت النار من شقوق الأرض. ولفظت الجبال الحديدية لهباً. فظهر الأوركس ونزلوا على سهل أرد غالين، مندفعين من هناك عبر معابر سيريون في الغرب. أما من الشرق فقد اندفعوا من خلال أرض ماغلور في الفجوة التي بين تلال مايندروس والحدود الخارجية للجبال الزرقاء. لكن فينغولفين ومايندروس لم يكونا غافلين. فبينما كان الآخرون يبحثون عن عصابات الأوركس المبعثرة في بيليرياند بعد أن عملت شراً عظيماً، وقعوا على الجيش الرئيسي من الجانب الآخر وهم يهاجمون دورذونين. فهزموا حدم مورغوث، وطاردوهم عبر أرد غالين، وحطموهم تماماً. حتى وصلوا أخيراً على مرمى البصر من أبواب أنغياند. تلك كانت المعركة العظيمة الثالثة من حروب بيليرياند. وسُميت داغور أغلاريب، أي المعركة الجيدة.

ذلك كان النصر أما الآن فوقت الحذر. اتبته أمراء نولدور لذلك الحذر فتمسكوا أكثر باتحادهم وطلبوا المساعدة لتشديد المراقبة من أجل حصار أنغياند الذي دام قرابة أربعمئة سنة من سنين الشمس. لم يتحرراً حدم مورغوث لوقت طويل بعد داغور أغلاريب على الخروج من أبوابهم خوفاً من سادات نولدور. تفاخر فينغولفين بالتخلص من الخيانة فيما بينهم، فهي التي لم تسمح لمورغوث بأن يكون قادراً على تدمير وحدة إيلدار ثانية، ولن يياغتهم أبداً. رغم كل ذلك فلم تستطع جيوش نولدور الاستيلاء على أنغياند. أو استعادة السيلماريليس، لكن الحرب لم تتوقف تماماً، فقد ابتكر مورغوث في وقت الحصار

شروراً جديده، وكان يَحْتَرِبُهُمْ بِهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. لِأَتَهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَطْوِيقَ مَعْقَلِ مَوْرَغُوْثِ بِشَكْلِ كَامِلٍ، فَأَبْرَاجُ ثَانِغُوْرُوْدَرِيمِ الْمُنْدَفَعَةِ لِلْأَمَامِ مِنْ جَانِبِي أَسْوَارِ الْجِبَالِ الْحَدِيدَةِ الْمُنْحَنِيَةِ قَدْ أَمِنَتْ لَهُ الْحِمَايَةَ مِنْ كَلَا الْجَانِبِينَ. وَمَنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ عَلَى نَوْلِدُوْرٍ عُبُوْرَهَا بِسَبَبِ الثَّلَجِ وَالْجَلِيدِ لِلتَّوَاجِدِينَ هُنَاكَ. وَبِهَذَا تَكُوْنُ مَوْخِرَةٌ مَعْقَلَهُ مِنَ الشَّمَالِ غَيْرَ مَقْبِيْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ مَوْرَغُوْثِ خِصْصُوْمٌ فِي الشَّمَالِ، فَكَانَ يُخْرِجُ جَوَاسِيْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيْقِ أحياناً. وَاسْتَطَاعَ إِيْصَالَ خَدْعِهِ إِلَى بِيْلِيْرِيَانْدِ، فَقَدْ كَانَ يَرْغَبُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِأَنْ يَزْرِعَ الْخَوْفَ وَالشَّقَاقَ بَيْنَ إِيْلِدَارِ، لِذَلِكَ أَمَرَ الْأُوْرِكْسَ بِأَسْرِ أَيِّ شَخْصٍ يَجِدُوْنَهُ مِنْهُمْ وَجَلِبَهُ مَكْبِلاً إِلَى أَنْغِيَانْدِ. فَأَرْغَبَ الْبَعْضَ بَعِيُوْنَهُ وَلَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِلْسَّلَاسِلِ. فَعَمِلَ كَثِيْرُونَ مِنْ أَسْرِهِمْ وَفَقَّ إِرَادَتَهُ حَيْثُمَا كَانُوا يَتَوَاجِدُونَ بِسَبَبِ خَوْفِهِمْ مِنْهُ. وَبِذَلِكَ عَلِمَ مَوْرَغُوْثُ الْكَثِيْرَ مِمَّا حَدَثَ مِنْذُ تَمَرْدِ فَيَانُوْرٍ. وَفَرِحَ لِأَنْ بِيْذَرَةَ الشَّقَاقِ الَّتِي زَرَعَهَا بَيْنَ نَوْلِدُوْرٍ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ أَوْجَدَتْ الْكَثِيْرَ مِنَ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ خِصْصُوْمِهِ.

بَعْدَ مَرُورِ حَوَالِي مِئَةِ سَنَةٍ تَقْرِيْباً مِنْذُ مَعْرَكَةِ دَاغُوْرِ أَغْلَارِيْبِ، سَعَى مَوْرَغُوْثُ لِأَخْذِ فَيَنْغُوْلْفِينِ عَلَى غِلْفَةٍ (لَأَنَّهُ عَلِمَ عَنِ تَيْقِظِ مَائِدُوْرُس) فَأَرْسَلَ قُوَّةً إِلَى الشَّمَالِ الْأَبْيَضِ وَمِنْ ثَمَّ اسْتَدَارَتْ غَرْباً وَعَادَتْ ثَانِيَةً إِلَى الْجَنُوبِ. نَزَلَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ عَلَى سِوَاحِلِ اللِّسَانِ الْبَحْرِيِّ دَرِيغِيْسْتِ، وَهِيَ نَفْسُ طَرِيْقِ الْجَلِيدِ الْمُتَكَسِّرِ الَّتِي سَلَكَهَا فَيَنْغُوْلْفِينِ، فَدَخَلَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ إِلَى مَمْلَكَةِ هَيْثْلُوْمِ مِنَ الْغَرْبِ لَكِنَّهُمْ كَانُوا مَرَاقِبِينَ طَوَالَ الْوَقْتِ. عِنْدَهَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ فَيَنْغُوْنِ مِنَ بَيْنِ التَّلَالِ عِنْدَ رَأْسِ اللِّسَانِ الْبَحْرِيِّ. وَدَحَرَ أَغْلَبُ الْأُوْرِكْسِ إِلَى الْبَحْرِ. لَمْ تَحْسَبْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ مِنَ الْمَعَارِكِ الْعَظِيْمَةِ، لِأَنَّ الْأُوْرِكْسَ كَانُوا قَلَّةً، وَقَسَمَ وَاحِدٌ مِنْ شَعْبِ هَيْثْلُوْمِ هُوَ مِنْ شَارِكٍ بِهَا. بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ كَانَ هُنَاكَ سَلَامٌ لَعِدَّةِ سَنَوَاتٍ وَلَمْ يَأْتِ أَيُّ هَجُوْمٍ مُبَاشِرٍ مِنَ أَنْغِيَانْدِ، لِأَنَّ مَوْرَغُوْثَ أَدْرَكَ بِأَنَّ الْأُوْرِكْسَ لَمْ يَكُوْنُوا مَدْعُوْمِينَ كَفَايَةَ لِمُنَازَلَةِ نَوْلِدُوْرٍ. فَالْتَمَسَ الرَّأْيَ بِقَلْبِهِ لِاتِّكَارِ أَسَالِيْبِ جَدِيدِهِ.

وَبَعْدَ مَرُورِ مِئَةِ سَنَةٍ أُخْرَى ظَهَرَ مِنَ الشَّمَالِ النُّوعِ الْأَوَّلِ مِنَ أُوْرُوْلُوْكِي، أَيُّ الْبَطِّ النَّازِي (التَّنِينِ)، وَكَانَ اسْمُهُ غَلَاوْرُوْنِغَ، خَرَجَ مِنْ خَلْفِ أَبْوَابِ أَنْغِيَانْدِ فِي اللَّيْلِ، وَكَانَ مَا يَزَالُ يَأْفَعُ وَنَادِراً وَلَمْ يَكْتَمِلْ غَوْهُ بَعْدَ، لِأَنَّ حَيَاةَ التَّنَانِيْنَ طَوِيلَةٌ وَبَطِيئَةٌ، فَعِنْدَمَا رَأَى الْجَمَانَ هَرَبُوا مِنْ أَمَامِهِ خَائِفِينَ وَاتَّجَهُوا إِلَى إِيْرِيْدِ وَيَثْرِينِ وَ دُوْرْدُوْنِيُوْنِ. وَكَانَ قَدْ خَرَّبَ حَقُوْلَ أَرْدِ غَالِيْنَ. عِنْدَهَا قَامَ فَيَنْغُوْنِ أَمِيرَ هَيْثْلُوْمِ بِمُطَارَدَتِهِ عَلَى ظُهُورِ الْحَيْثِلِ بَرَفَقَةِ النَّبَالِيْنَ، وَطَوْقُوهُ بِمُخْلَقَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ السَّرِيْعِيْنَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ غَلَاوْرُوْنِغَ تَحْمِلَ سَهَامِ النَّبَالِيْنَ لِأَنَّ دَرْعَهُ الْمَسْلُحَ لَمْ يَكْتَمِلْ

تشكله بعد. فهرب متراجعاً إلى أنغباند، وبقي هناك لعدة سنوات لم يخرج منها. بعد هذه المعركة الصغيرة كسب فينغون الثناء العظيم وفرحت كل نولدور لأن بعضهم كان قد تلبأ بمثل هذا التهديد الجديد. لكن مورغوث كان غير ممتن لأنه كان متسرعاً في كشفه عن غلاورونغ. بعد هذه الهزيمة كان هناك سلام طويل غير منجز بشكل كامل لمدة تقارب المائتي سنة. في كل ذلك الوقت كانت المشاجرات على التحوم فقط. فازدهرت كل بيليرياند وازدادت في الغنى، وبفضل حماية وحراسة جيوشها المرابطة في الشمال فقد بنت نولدور المساكن والأبراج، وعملوا الكثير من الأشياء الجميلة في تلك الأيام. فكتبوا القصائد والتواريخ والعلوم. أصبحت نولدور وسيندار متحدتين في أغلب الأراضي وملتحمتين كشعب واحد، وكاتتا تتكلمان نفس اللغة، مع ذلك بقي بعض الاختلاف بينهم، لأن نولدور كانت تمتلك القوة الأعظم في العقل والجسم ومحاربوها كانوا الأكثر جبروتاً وحكمةً. فبنوا بيوتهم من الحجارة وأحبوا سفوح الجبال والأراضي المفتوحة. أما سيندار فكانت لديها الأصوات الصافية والمهارة العالية في الموسيقى، فقد تفوقوا على الجميع ماعدا ماغلور بن فيانور من نولدور فقط. أحبوا الغابات وضافاف الأنهار، ومازال بعض الجان الرماديين تائهين بدون مسكن ثابت ودائماً ما ينشدون ويغنون أينما ارتحلوا.



## الفصل الرابع عشر

### بيليرياند وممالكها

هذه هي أنماط الأراضي التي جاءت إليها نولدور في شمال المناطق الغربية للأرض الوسطى في الأيام القديمة. ونجد هنا أيضاً أحجاراً عن الأسلوب الذي ارتبط فيه زعماء إيلدار وتوحّدوا ضد مورغوث بعد المعركة الثالثة من حروب بيليرياند والتي سميت داغور أغلاريب.

نصب ميلكور في العصور القديمة إيريد أنغرين، أي الجبال الحديدية، في الجزء الشمالي من العالم كسياج لحصنه أوتومنو، وكانت هذه الجبال منتصبّة على حدود مناطق البرودة الأبدية، وهي تشبه قوساً كبيراً يمتد من الشرق إلى الغرب. بنى ميلكور أيضاً قلعةً أخرى وراء حدران إيريد أنغرين من الجهة الغربية، في المنطقة التي تلتف فيها الجبال نحو الشمال، فقد بناها كدفاع ضد الهجوم الذي قد يأتيه من فالينور. وعندما عاد إلى الأرض الوسطى. كما قيل. فقد استقر سكنه في جحيم الحديد في الأقيسة العميقة من أنغباند. وأثناء حرب سلطات الثالار وبسبب تسرعهم لإسقاطه في معقله العظيم أوتومنو، فلم يتمكنوا من تدمير أنغباند كلياً ولم يستطيعوا البحث عن كل أمكنته العميقة، لأنه كان قد صنع نفق عظيم تحت إيريد أنغرين يصل إلى جنوب الجبال. هناك بنى بوابة هائلة، وخلف سفوح الجبال فوق هذه البوابة، كوّم الأبراج المدوية ثانغورودريم التي صنّعت من الرماد وخبث الأفران الموجودة تحت الأرض، ومن بقايا حفر الأنفاق. كانت أبراج ثانغورودريم سوداء مقفرة وعالية جداً، ينبعث من قممها دخان مظلم كريح يغطي سماء الشمال. فينشر من أمام أبواب أنغباند ولعدة أميال، كل أنواع القذارة والخراب على طول السهل العريض لأريد غالين، لكن مجيء الشمس أغنى هذه الأرض بالأعشاب، وعندما كانت أنغباند محاصرة وأبوابها مغلقة. فقد نمت هناك أشياء خضراء حتى بين الحفر والصخور المكسرة أمام أبواب الجحيم.

إلى الغرب من ثانغورودريم يتمدد هيسيلومي، أي أرض الضباب، هكذا أسمته نولدور بلغتها بسبب الغيوم التي أرسلها عليهم مورغوث في أول أيام معسكرهم هناك. فيما بعد أصبح اسمه هيثلوم في لغة سيندار. الذين سكنوا تلك المناطق، كانت هيثلوم أرض جميلة أثناء حصار أنغباند، بالرغم من هواءها الهادئ وشتاءها بارد. يحدها من الغرب إيريد لومين، جبال الصدى المتاخمة للبحر، ومن الشرق والجنوب الاتواء العظيم إيريد وثيرين، الجبال الغامضة، المطللة على أرد غالين ووادي سيريون.

أقام كل من فينغولفين وابنه فينغون في هيثلوم أما غالبية شعب فينغولفين فسكنوا في ميشريم حول شواطئ البحيرة الكبرى. كانت دور لومين الممتدة إلى الغرب من ميشريم، من نصيب فينغون، وكانت قلعته الرئيسية إيثيل سيريون الواقعة شرقي إيريد وثيرين. وهي القلعة التي أبقت المراقبة مستمرة على أرد غالين، فكان فرسانهم يجوبون ذلك السهل حتى ظلال ثانغورودريم. وبسبب عشب سهل أرد غالين الأخضر الغني فقد ازدادت أعداد خيولهم بشكل كبير. كان منشأ غالبية تلك الخيول من فالينور. وهي من نسل الخيول التي أعطاها مايدروس إلى فينغولفين كعوضي عن خسائره. وكانوا قد حملوها معهم بالسفن إلى لوزغار.

أما نيفراست فتقع غربي دور لومين، خلف جبال الصدى الواقعة جنوب اللسان البحري درينغست المتاخم للأراضي الداخلية. تعني كلمة نيفراست في لغة سيندارين، الشاطئ الأقرب، ذلك الاسم كان قد أعطي من قبل إلى كل الساحل الجنوبي للسان البحري. لكن بعد ذلك أصبح يدل فقط على الأراضي التي تقع شواطئها بين درينغست وجبل تاراس. هناك منذ سنوات كانت تقع مملكة تورغون الحكيم، ابن فينغولفين. محاطة بالبحر وإيريد لومين والتلال الممتدة حتى أسوار إيريد وثيرين من الجهة الغربية. ومن إثيرين إلى جبل تاراس الواقف على الصخور الشاطئية. احتفظت بعض أراضي نيفراست بحقها بأن تكون تابعة إلى بيليريناند منه إلى هيثلوم لأنها كانت أرضاً أكثر اعتدالاً. تُروى بالرياح الرطبة القادمة من البحر وتُحمى من الرياح الشمالية الباردة التي تهب على هيثلوم. فهي أرض منخفضة، محاطة بالجبال والمنحدرات الساحلية العظيمة العالية الواقعة خلفها، لا يتدفق إلى هناك أي نهر، أمّا في وسط نيفراست فكانت توجد بحيرة كبيرة بدون شواطئ محددة، لكنها محاطة بالمستنقعات العريضة، واسم تلك البحيرة لينايون بسبب تعدد الطيور التي تسكن هناك. مثل الطيور التي تحب القصب الطويل والطيور التي تحب المياه الضحلة. وأثناء مجيء نولدور كان العديد من الجان الرماديين يعيشون في نيفراست قرب السواحل.

خصوصاً حول جبل تاراس في المنطقة الجنوبية الغربية. لأنه إلى ذلك المكان اعتاد كل من أولمو وأومسي أن يأتيا في الأيام القديمة. اتخذت كل تلك الشعوب تورغون ميدياً لهم. وحدث الاختلاط بين نولدور وسيندار عندما كانوا قريين من بعضهما هناك. سكن تورغون لمدة طويلة في تلك القاعات التي سميت فينيامار الواقعة تحت جبل تاراس بجانب البحر.

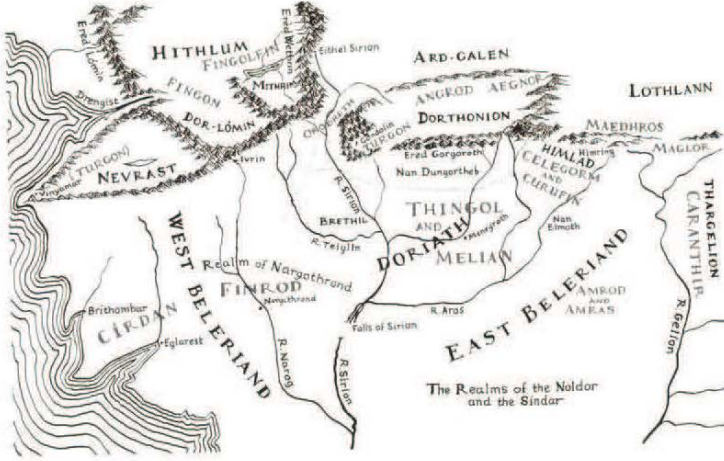
دورذونيون هي الهضبة العظيمة الواقعة جنوب أرد غالين، وتمتد لستين فرسخاً من الغرب إلى الشرق. تحمل على جوانبها الصنوبر العظيم المثمر، خصوصاً على جوانبها الشمالية والغربية، فالانحدار اللطيف للسهل يبعده عن الأرض الكئيبة والعالية. يوجد هناك الكثير من البحيرات الجبلية عند جذور تلك التلال الجرداء، ذات القمم العالية، فقممها أعلى حتى من قمم إيريد ويثرين. وتطل جنوباً نحو دوريات المنخفضة مباشرة عبر المنحدرات المخيفة. حرس أنغرود ويغنور أبناء فينارفين من المنحدرات الشمالية لدورذونيون، حقول أرد غالين، وكان معهم في هذه الحراسة أتباع أحيهم فينرود سيد نارغوثرونند، فهم شعب قليل العدد لأن أرضهم قاحلة. تعتبر هذه المرتفعات العظيمة الموجودة خلفهم، بمثابة الحصن والمانع من عبور مورغوث لتلك الأرض أو الاقتراب منها.

بين دورذونيون والجبال الغامضة كان هناك واد ضيق، جدرانها ملتفة بالصنوبر، واحضار هذا الوادي كان بسبب تدفق نهر سيريون السريع نحو ييليرياند. حتى فينرود ممرات سيريون وبنى على جزيرة تول سيريون في وسط النهر برج مراقبة هائل اسمه ميناس تيريت، لكن بعد أن بنى نارغوثرونند فقد تعهد بإبقاء تلك القلعة بعهدة أخيه أورودريث.

هذه البلاد الجميلة العظيمة والتي اسمها ييليرياند تمتد على جانبي نهر سيريون الهائل المشهور بالأغاني، فهو ينبع من إيثيل سيريون ويسير محاذياً لحافة أرد غالين، ثم يتدفق من خلال المعابر فيصبح أشبه بالسيول الجبلية. من هناك يتابع سيره جنوباً لثلاثين فرسخاً. حيث تجتمع مياهه مع العديد من روافده. أثناء فيضانه الهائل يتصل سيريون بالعديد من روافده مشكلاً الدلتا الرملية في خليج بالار، يجري سيريون من الشمال إلى الجنوب ويمتد من الجانب الأيمن لغرب ييليرياند إلى غابة بريثل التي تقع بين سيريون وتيغيلين، بعد ذلك تأتي مملكة نارغوثرونند بين تيغيلين وناروغ. هناك ينشأ نهر ناروغ من شلالات إيقرين في الوجه الجنوبي لدور لومين ويجري حوالي ثمانين فرسخاً حتى يتصل بسيريون في نان تائرين أرض الصفصاف. وإلى الجنوب من نان تائرين توجد منطقة أشربة العسل المليئة بالكثير من



الأزهار، حيث سكنت فيها بضعة أقوام. وتمتد وراها مستنقعات جزر القصب الواقعة حول مصبات نهر سيريون ورمال الدلتا الفاقدة لأي شيء حي إلا طيور البحر.



الشكل (٤) مصور بيليرياند الشرقية والغربية وممالكهما

تمتد مملكة نارغوثرونند إلى غرب ناروغ حتى نهر نينينغ، الذي ينتهي إلى البحر في إيغلاريسست. أصبح فينرود السيد الأعلى لكل جان بيليرياند السكّين بين سيريون والبحر. باستثناء منطقة فالاس. فقد سكن هناك سيندار الذين مازالوا يجيئون السفن، وسيدهم كيردان بناء السفن. كان بين كيردان وفينرود صداقة وتحالف، أعاد كيردان بناء المرافئ في بريثومبار وإيغلاريسست من جديد بمساعدة تولدور. بنى جان الفالاس خلف أسوارهم العظيمة البلدات والموانئ الجميلة، دَعَمُوا أرضفة الموانئ بالحجارة. نصب فينرود على الرأس الغربي من إيغلاريسست برجاً، اسمه باراد نيمراس لمراقبة البحر الغربي، وفيما بعد أثبت بأنه لم يكن له داع، لأن مورغوثن لن يكون سريعاً في بناء السفن ولن يشق حرباً عن طريق البحر، بالإضافة إلى أن كل خدم مورغوثن يتجنبون الماء، ولم تكن لديهم الرغبة في ركوب البحر إلا في الحاجات العظيمة أو عند الخوف الشديد. بنى بعض شعب نارغوثرونند سفناً

جديدة بمساعدة جان المرافى. وذهبوا لاكتشاف الجزيرة العظيمة في بالار. عازمين على تهيئة مأوىٍ أخيراً لهم إذا جاء الشر، لكن القدر لم يجعل من تلك للمنطقة سكناً لهم أبداً. هكذا كانت مملكة فينرود الأعظم إلى حد بعيد مع أنه الأصغر بين السادة العظام من نولدور. فينغولفين، فينغون، مايدروس، وفينرود فيلاغوند. اعتبر فينغولفين كسيد أعلى لكل نولدور. بعده أتى فينغون. مع أن ممالكهم الخاصة كانت في الأرض الشمالية هيثلوم، فقد كان شعبهم هو الأكثر رعباً وشجاعةً. وعلى الدوام كانوا أكثر اعداء الأوركس رعباً، والأكثر كرهاً عند مورغوث.

على الجهة اليسرى من سيريون تقع بيليرياند الشرقية، وهي أراضٍ شاسعة تبلغ حوالي مئة فرسخ من سيريون غرباً إلى جيليون وحدود أوسيرياند شرقاً. بين سيريون وبينديب توجد بداية الأراضى الفارغة ديمبار، تحت قسم كريساغريم، وكريساغريم هذه هي مسكن النور. وبين مينديب والمياه العليا من إيسغالدوين تقع نولاند، وهي من أراضى نان دونغورثيب. تلك المنطقة خفيفة جداً، لأنها مسيحة فقط من جانب الحدود الشمالية لدوريات بقوة ميليان، لكن على الجانب الآخر، توجد المنحدرات الهائلة من إيريد غورغوروث، جبال الرعب. وكما أخبرنا في السابق فقد هبطت أونغوليانت من أعالي دورذونيون هارئة من سيات بالروغز، وسكنت هناك لفترة من الوقت فملأت الوديان بظلمتها القتالة، عندما كانت ماتزال هناك، وعندما ماتت فإن نسلها الكريه تريض هناك ونسج شبكه الشريرة، فندس المياه الرقيقة التي انسكبت من إيريد غورغوروث وأصبحت عظرة على كل من شرهما، أو من تذوق هذه المياه كان يمتلئ قلبه بظلال الجنون واليأس، لذلك تتجنبها كل الكائنات الحية في تلك الأرض، لم تعبر نولدور أراضى نان دونغورثيب إلا في وقت الحاجة العظيمة. على الممرات القريبة من حدود دوريات وأبعد من تلال المطاردة، كان هنالك طريق معمول منذ مدة طويلة، من قبل الوقت الذي عاد فيه مورغوث إلى الأرض الوسطى. يوصل السير في هذا الطريق شرقاً إلى إيسغالدوين، ثم إلى الجسر الحجري إيانت تاور الذي مازال يقف هناك منذ أيام الحصار، بعدها يمر عبر دور دينين، الأرض الصامتة ويعبر آرومسيآخ (ومعناه يشير إلى معايير آروس). حتى يصل إلى التخوم الشمالية لبيليرياند، حيث يسكن أبناء فيانور.

إلى الجنوب من دوريات تقع الغاية المحمية مسكن ثينغول الملك الخفي، ضمن مملكته فلا أحد يمر إلا بإرادته، في شمالها، وهو الجزء الأصغر توجد غابة نيلدورث المحاطة شرقاً وجنوباً

بالنهر المعتم إيسغالدوين، الذي ينحني إلى الغرب في وسط الأرض، وبين آروس وإيسغالدوين، من جهة ضفته الجنوبية تتمدد أعظم وأكثف غابة في المنطقة. حيث يدور إلى الغرب نحو سيريون، وهناك توجد كهوف مينيجروث. كل دوريات تمتد لشرق سيريون مما يؤمن لها الاقتراب من منطقة الغابة بين النقاء تيغيلين وسيريون وبحيرات الغسق. أطلق شعب دوريات على هذه الغابة اسم نيفريم، أي الحدود الغربية. هناك نمت أشجار البلوط العظيمة المحاطة أيضاً ضمن زنار ميليان. وذلك الجزء من سيريون المحبوب والمقدس من قبل أولمو يجب أن يبقى كله تحت سيطرة ثينغول.

في الجنوب الغربي لدوريات حيث يصب آروس في سيريون فيصنع البحيرات والمستنقعات العظيمة على كلا جانبي النهر الذي توقف جريانه هناك وتاهت مياهه في قنوات كثيرة. وقد سميت تلك المنطقة آيلين أويال، بحيرات الغسق، لأنها ملفوفة بالضباب، يمتد فوقها سحر دوريات. كل الجزء الشمالي لبيليريانند ينحدر جنوباً إلى هذه النقطة، بعد ذلك ولمسافة بسيطة تكون أرض سهلية، يستمر فيها تدفق سيريون. لكن جنوب آيلين أويال تنحدر الأرض فجأة بشكل حاد. أما كل الحقول المنخفضة التي كان قد شكلها سيريون نتيجة جرفه للتربة من السهول العليا، فإنها تظهر بنظرة واحدة من الجنوب إلى الشمال كسلسلة لانهائية من التلال، تسير من إيغلاريسست خلف ناروغ في الغرب إلى آمون إيريب في الشرق. على مرمى البصر من جيليون جاء نهر ناروغ من خلال هذه التلال في واد عميق، وتدفق على المنحدرات لكنه لم يصنع شلالات. وعند ضفته الغربية ترتفع الأرض إلى الهضاب العظيمة المشجرة من تاورين فاروث. أما على الجانب الغربي من الوادي فيتراجع على المدى القصير ليهبط كثيراً من فقاعات الرغوة المضطربة إلى ناروغ من أعالي فاروث. هناك حيث أسس فينرود معقله العظيم نارغوثروند. لكن على بعد حوالي خمسة وعشرين فرسخاً شرق وادي نارغوثروند، يتدفق سيريون من الشمال منحدرًا في سقوطه الهائل من تحت البحيرات، ثم يهبط فجأة تحت الأرض إلى الأنفاق العظيمة التي حفرها تساقط مياهه، ثم يظهر ثانية بعد مسيره لمسافة ثلاثة فراسخ تحت الأرض باتجاه الجنوب، بصخب عظيم ودخان من خلال الأقواس الصخرية في أسفل التلال التي تدعى بويات سيريون.

هذا الشعب الهابط للنهر من نارغوثروند إلى نهاية الأسوار في رامدال شرقي بيليريانند، سمي أندرام أي السور الطويل، لكن في الشرق أصبح انحرافه أقل والسبب أن وادي جيليون

ينحدر بنبات نحو الجنوب. لم يكن هناك في جيليون لا منحدرات تحرية ولا شلالات في كافة أنحاءه، لكن في هذه النقطة كان سيريون أسرع مما كان عليه بين رامدال وجيليون، حيث لا يوجد هناك سوى تل وحيد ممدى كبير وانحدار قليل، لكنه يبدو أكثر هولاً مما هو بالحقيقة، يسمى ذلك التل آمون إيريب، وعلى آمون إيريب مات ديتشور ملك ناندور الذي سكن في أوسيرياند. وهو الذي سار لمساعدة ثينغول ضد مورغوث. في تلك الأيام عندما كان أول ظهور للأوركس بالقوة وانكسار سلام بيليرياند المضاءة بالجوم. وعلى ذلك التل أيضاً سكن مايدروس بعد المزمعة العظيمة. لكن جنوب أندرام بين سيريون وجيليون كانت أرض برية من الغابات المتشابهة حيث لم يمشي هناك أي قوم. إلا بعض الجوالين من الجان المظلمين، وسميت هذه الغابة تاور إم دوينث، أي غابة بين الأنهار.

يعتبر جيليون تحراً عظيماً. فهو ينبع من مصدرين، وكل مصدر كان عنده في بدائى الأمر فرعان. جيليون الصغير الذي أتى من تل هيمرينغ. وجيليون الكبير الذي أتى من جبل ريريز. بعد اجتماع فرعيه الكبير والصغير، يتدفق جيليون إلى الجنوب لمسافة أربعين فرسخاً قبل أن يجد روافده، وقيل وصوله للبحر يكون أطول ممرتين من سيريون، مع أنه أقل عرضاً من سيريون وممتلاً أكثر بسبب المطر الغزير المتساقط في هيثلوم ودورذونون. من حيث يسحب سيريون مياهه، كذلك تدفقت عليه من الشرق من إيريد لوين ستة روافد لجليون. أمسكار (الذي سمي فيما بعد رائلوريل)، ثالوس، ليجولين، بريلثور، دويلوين، أدورانت، كلها جداول سريعة ومضطربة وتسقط بشكل حاد من الجبال. وبين أمسكار في الشمال وأدورانت في الجنوب وبين جيليون وإيريد لوين تتمدد أوسيرياند البلاد الخضراء البعيدة، أرض الأنهار السبعة. وتقريباً في النقطة التي في منتصف طريقه ينقسم جدول أدورانت ثم يعود ويجتمع ثانيةً. فيشكل جزيرة، وتلك الجزيرة التي طوقتها مياهه تسمى تول غالين، الجزيرة الخضراء التي سكن عليها بيرين ولوثاين بعد عودتهما.

سكن في أوسيرياند الجان الخضراء بحماية أنهارهم، فبعد سيريون أحب أولمو جيليون أكثر من كل مياه العالم الغربي. حرفة أهل أوسيرياند الأساسية هي فن صناعة الأخشاب، وإذا عبر غريب أرضهم من أولها إلى آخرها لم يكن يرى أحداً منهم، لأنهم كانوا يلتفون برداء أخضر في الربيع والصيف على حدٍ سواء. وصوت غنائهم يمكن أن يسمع حتى عبر مياه جيليون. لهذا السبب فقد سمي نولدور تلك البلاد ليندون، أي أرض الموسيقى، وسموا الجبال التي خلفها إيريد ليندون. لأنهم أول شيء رأوه من أوسيرياند.

شرق دورذونيون كانت حدود بيليرياند مفتوحة للهجوم. فلم يكن يحمي جيليون من الشمال إلا التلال المنخفضة فقط. سكن أبناء فيانور ومعهم شعب كثير في تلك المنطقة، وهي الممتدة من تخوم مايدروس إلى الأراضي التي خلفها. وفي أغلب الأحيان كان خيالتهم وفرسانهم يجوبون السهل الشمالي لوتلان، خشية أن يحاول مورغوث شن غارات على بيليرياند من الشرق. يقع سهل لوتلان شرق أرد غالين وهو سهل شامع وفارغ. بنى مايدروس حصنه الرئيسي على تل هيمرينغ الدائم البرودة. وكان هذا التل عريض الأكتاف، عازي من الأشجار، قمته مسطحة، وتحيط به بعض التلال الصغيرة. يوجد بين هيمرينغ ودورذونيون ممر يسير بانحدارٍ حاد نحو الغرب، واسم ذلك الممر أغلون. الذي يعتبر الباب إلى دوريات، فمن خلاله تهب دائماً الرياح القارسة من الشمال. حصّن كل من كيلغورم وكوروفين ممر أغلون بالقوة العظيمة. أما هملاد فهي كل الأراضي الجنوبية الواقعة بين ممر أروس النابع من دورذونيون ورافده كيلون القادم من هيمرينغ.

تقع ردهة ماغلور بين ذراعي جيليون (الكبير والصغير)، وهنا في مكان واحد فقط فقد فشلت حماية كل التلال، بكل ما في الكلمة من معنى. فمن هنا قدم الأوركس إلى شرق بيليرياند قبل المعركة الثالثة، لذلك فقد اعتمدت نولدور على سلاح الفرسان في تلك السهول. حيث قام شعب كارانتير بتحصين الجبال الواقعة شرق فجوة ماغلور. خارج المدى الرئيسي لإيريد ليندون من جهة الغرب يقف جبل ريرير وحوله العديد من المرتفعات قليلة الارتفاع. وفي الزاوية بين ريرير وإيريد ليندون كانت هناك بحيرة مظلمة بالجبال من كل الجوانب إلا من جهة الجنوب، تلك هي بحيرة هيليثورن، عميقة ومظلمة. سكن بجانبها كارانتير. وكل الأرض العظيمة الواقعة بين جيليون والجبال وبين جبل ريرير ونهر أسكار كانت قد سميت من قبل نولدور نارجيليون. أي الأرض الواقعة خلف جيليون، أو سموها دور كارانتير أي أرض كارانتير. هناك في تلك الأرض كان اللقاء الأول بين نولدور والأقزام. لكن نارجيليون كانت فيما سبق تدعى من قبل الجان الرماديين ثلاث روينين أي الوادي الشرقي.

هكذا كان أبناء فيانور تحت قيادة مايدروس أسياد بيليرياند الشرقية، لكن أماكن سكن شعبهم في غالب الأحيان كانت في شمال الأرض، ولم يركبوا إلى الجنوب إلا فقط من أجل الصيد في الغابة الخضراء، حيث كانت تلك الأراضي برية لكن جميلة جداً. هناك سكن أمرود وأمراس، ونادراً ما ذهبوا إلى الشمال في زمن الحصار. أتى إلى هناك أيضاً سادة

آخرون من الجان، حتى من الأراضي البعيدة، ومنهم فينرود فيلاغوند، فقد جاء في أغلب الأحيان بسبب حبه الكبير للطواف والتشرد، حتى أنه جاء إلى أوسيرياند فاكتسب صداقة الجان الحضرة، لكن من نولدور لم يذهب أحد أبداً إلى إيريد ليندون عندما كانت ممالكها قائمة ومستمرة. وفي النهاية فهناك تُدرّة في الأخبار الواصلة إلى بيليرياند حول الذين عبروا مناطقها الشرقية.



## الفصل الخامس عشر

### نولدور في بيليرياند

يقال أنه، بتوجيه وإرشاد من أولمو، اكتشف تورغون الذي يسكن في نيفراست الوادي المخفي الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم توملادين. وهو الوادي الذي يمتد إلى شرق المياه العليا لسيريون ضمن حلقة من الجبال الشاهقة شديدة الانحدار. وإلى هذه المنطقة لم يأت أي نوع من الكائنات الحية إلا نسور ثوروندور، فقد كان هناك طريق عميق تحت الجبل حُفِر في ظلام العالم بواسطة المياه التي تدفقت تبيحة اتحاد جداول سيريون. وجد تورغون هذا الطريق وجاء إلى السهل الأخضر وسط الجبال فرأى هناك تل من الحجارة الناعمة الصلبة. وضمن هذا الوادي كانت هناك بحيرة كبيرة قديمة. عرف تورغون بأنه وجد المكان الذي يحمل به، فصمم على بناء مدينة جميلة هناك، تشبه مدينة تيزيون على تلة تونا، لكنه عاد إلى نيفراست وبقي هناك في سلام، مع ذلك فقد تأمل دائماً في فكره كيف يستطيع إنجاز ذلك التصميم.

بعد داغور أغلاريب عاد القلق الذي وضعه أولمو في قلب تورغون، فقام باستدعاء أمهر وأشجع الحرفيين من شعبه، وقادهم سراً إلى الوادي المخفي. هناك بدأوا ببناء المدينة التي صممها تورغون. ووضعوا عليها حراسة، خشية أن يأتيهم أحد وهم يعملون، بالإضافة إلى أن قوة أولمو التي تجري في سيريون هي من حمتهم. بقي تورغون يقيم في نيفراست حتى أتم بناء المدينة، واستغرقوا في ذلك اثنين وخمسين سنة من العمل السري الشاق لإكمال العمل وتمام البناء. يقال بأن تورغون عين لها اسماً، وهو أونوليندي ومعناه في لغة جان فالينور صخرة موسيقى الماء. وذلك بسبب وجود نافورات على التل، لكن في لغة سيندارين تغير الاسم وأصبح غوندولين. أي الصخرة المخفية. بعدها استعد تورغون لمغادرة نيفراست وترك قاعاته في فينيمار بجانب البحر. وهناك جاء إليه أولمو ثانية، فتكلم معه قائلاً: متذهب أخيراً إلى غوندولين يا تورغون! وسأبقي قوتي في وادي سيريون، وفي كل مياه ذلك المكان،

فلا إشارة تدل على ذهابك، ولن يستطيع أحد إيجاد مدخلك المخفي. وستكون هذه المملكة هي الأطول عمراً بين كل ممالك إيلدالي، وستقف غوندولين ضد ميلكور. لكن الحية لن تكون على مايرام فهي من عمل يديك ورغبات قلبك. وتذكر بأن الأمل الحقيقي لنولدور مستقياً في الغرب وسيأتيكم من البحر.

قام أولمو بتحذير تورغون بأنه سيقع تحت قدر ماندوز أيضاً. فهذا القدر لا يستطيع أولمو السيطرة عليه أو حتى إزالة إرادته، وقال له: بأن لعنة نولدور متصل إليك قبل النهاية، وستصحي الخيانة ضمن جدرانك، وستكونون في خطر النار، وهذا الخطر يقترب بالفعل. سيأتي شخص من نيفرامست ليحذرك، ومن هذا الشخص، وبعد الخراب والنار سيولد الأمل لكل من الجان والبشر. لذا اترك في هذا البيت سلاحاً وسيفاً لأنك ستحتاج إليهم في السنوات القادمة. وقد قلت لك هذا لكي لا تكون محذوعاً. وقد أوضح أولمو لتورغون، عن ماهية نوع وقوام الخوذة والسيف والدرع الذين سيتركهم خلفه.

بعد ذلك رجع أولمو إلى البحر. وقام تورغون بإرسال الأخبار إلى كل شعبة حتى إلى القسم الثالث من نولدور، وهم أتباع فينغولفن. فهم كمجموعة أكبر من سيندار، غادروا إلى هناك جماعة خلف جماعة، سراً تحت ظلال إيريد ويسرين، حتى وصلوا إلى غوندولين غير مرئيين ولم يعرف أحد إلى أين ذهبوا. وآخر الواصلين إلى هناك كان تورغون، فقد ذهب هو وأهل بيته بصمت من خلال التلال وعبروا الباب الموجود في الجبال وأغلقوه خلفهم.

سنوات كثيرة مرت ولم يعبر أحد إلى داخل غوندولين إلا فقط هورين وأخوه هورور. ولم يخرج جمهور تورغون من هناك ثانية إلا في سنة الرثاء بعد أكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة. لكن خلف دائرة الجبال كان النمو والازدهار من نصيب شعب تورغون، فقد وضعوا عليها مهاراتهم بالعمل المتواصل. لذلك أصبحت غوندولين فوق آمون غواريث<sup>1</sup> جميلة جداً، وأصبحت ملائمة للمقارنة مع جان تيريون التي خلف البحر في فالينور. فقد كانت جدرانها البيضاء عالية، وأدراجها مصقولة. وبرج الملك طويل وقوي. سُغلت هناك النافورات المشرقة. حيث تقف في قصور تورغون تماثيل الأشجار القديمة، التي عملها تورغون بنفسه بحرفته الجنية. وسمى الشجرة التي صنعها من الذهب غلينغال، وصنع الشجرة المزهرة من الفضة وسماها يليليل. لكن الأجل من كل عجائب غوندولين كانت إيدريل بنت تورغون، وهي التي دعيت كيلبيريندال، القدم الفضية. شعرها كذهب لاوريلين قبل

<sup>1</sup> أمون غواريث. Amon Gwareth. هو اسم التل الذي كان مواجهاً ضمن وادي توملين وعليه بيت مملكة غوندولين.



بجيء ميلكور. هكذا عاش تورغون بالنعمة لمدة طويلة، لكن نيفرامست كانت مقفرة. ولم يعيش فيه أي شعب حتى خراب بيليرياند.

بينما كانت تبني مدينة غوندولين في السر، كان فينرود فيلاغوند يعمل في الأماكن العميقة من نارغوثرون، أما أخته غالادريل فقد أقامت في مملكة ثينغول في دوريات، وأحياناً كانت تتكلم مع ميليان عن فالينور وعن أيام البركة القديمة. لكن عمّا حدث بعد الساعة المظلمة من موت الأشجار فلم تتكلم غالادريل عن ذلك وبقيت صامتة دائماً. قالت لها ميليان في إحدى الأوقات: هنالك بعض الأحزان التي وقعت عليك وعلى عشيرتك، يمكنني أن أرى ذلك فيك. لكن كل ماعدا ذلك فهو مخفي عني. فمن قبل لم تكن تمر رؤيا أو فكر أو أي شيء يمكن أن يعبر من الغرب إلا وأراه. لكن الأكاذيب ظلت كل أراض أمان، ووصلت من البعيد عبر البحر فلم أعد أبصر الرؤية جيداً. فلماذا لا تخبريني أكثر؟

قالت غالادريل: لقد مضى هذا الحزن وأود أن أنتهز ما يوجد من الفرح هنا كي لا أكدره بالتذكر. ربما ستأتي أحزان بما فيه الكفاية فيما بعد لكن مع ذلك يبقى الأمل موجوداً.

نظرت ميليان في عيون غالادريل وقالت: لا أعتقد بأن خروج نولدور كان كرمس للقالار، كما قيل في بادئ الأمر، ولم يأتوا في ساعة حاجتنا لهم. ولم يتكلموا أبداً مع القالار، ولم يجلب ساداتهم العالين أية رسالة إلى ثينغول، سواء من مانوي أو أولمو أو حتى أولوي أحو الملك ثينغول، أو من شعبه الذين ذهبوا عبر البحر. فما هو السبب يا غالادريل، لقد خرج شعب نولدور العال من أمان كمنفيين، فما هي الأكاذيب الشريرة الملقاة عليكم لكي يكون أبناء فيانور متغطرسين وفيما بعد منكسرين. فهل اقتربت من الحقيقة يا غالادريل؟

فقالت لها غالادريل: تقريباً، إلا أننا لم نطرده، بل جئنا بكامل إرادتنا لكنه ضد رغبة القالار. ومن خلال الخطر العظيم، ورغماً عن القالار، أتينا من أجل أخذ الثأر من مورغوث واستعادة ما سرقه منا.

بعد ذلك تكلمت غالادريل مع ميليان عن السيلماريلس، وعن ذبح الملك فينوي في فورمينوس. لكنها لم تقل ولا كلمه عن القسم أو عن مذبحه الأقارب أو إحراق السفن في لوزغار. لكن ميليان قالت: أخبرتني أكثر، والآن فهمت، ما سبب ذلك الظلام الملقى على الطريق الطويل من تيريون، لكنني أرى شراً هناك، وهو ما يجب أن تعلمه ثينغول ليتحاشاه.

فقالت غالادريل: لربما، لكن لن يعلمه مني.

فلم تتكلم ميليان أكثر من ذلك مع غلادريل في هذه الأمور. لكنها أخبرت الملك ثينغول بكل ما سمعت به عن السيلماريليس. وقالت له فعلاً إنها مسألة عظيمة، وأعظم من أن يفهمها نولدور أنفسهم، لأن ضوء أمان ومصير أردا، مقفل عليهما الآن في هذه الأشياء. فالذي ذهب هو عمل فيانور، وأتوقع بأنهم لن يستردوهم ولا بأي قوة من إيلدار. وهذه نبوءة: سيتحطم العالم من المعارك القادمة قبل انتزاع هذه الأشياء من مورغوث. انظر الآن، لقد ذبح فيانور ومسيذبح آخرين كثر كما أضن، لكن في البداية، الموت الذي جلبوه عليهم تحقق أولاً بمقتل صديقك فينوي، فقد قتله مورغوث قبل أن يهرب من أمان.

بقي ثينغول صامتاً عملاًه الحزن ونذير الشوم، لكنه بعد مدة تكلم فقال: الآن فهمت لماذا خرجت نولدور من الغرب، فقد تساءلت كثيراً قبل ذلك ولم أحصل على جواب، فلم يأتوا لمساعدتنا (إلا بالصدفة) لأن أولئك المتبقون في الأرض الوسطى سيتركهم الفالار وشأنهم حين الحاجات القصوى. إذاً فقد جاءت نولدور من أجل الانتقام وتعويض الخسائر، فوق كل ذلك فهم متأكدون ولدرجة كبيرة بأننا سنكون حلفاءهم ضد مورغوث، بمعاهدات لم يكونوا قادرين على التوصل إليها فيما سبق.

لكن ميليان قالت: حقاً لهذه الأسباب جاؤوا؟ لكن اتبه فهناك أسباب أخرى. وعليك الحذر من أبناء فيانور، فظلال غضب الفالار ملقاة عليهم. وأرى بأنهم قد عملوا الشر في أمان وفي عشرينهم. لكن الفتنة نائمة الآن بين أمراء نولدور.

أجابها ثينغول: ما شأني بفيانور. لكن بالحقيقة فقد سمعت الكلام الذي يجعله عظيماً، أما عن أبنائه فما سمعت إلا القليل مما يسرني، رغم أنهم من المحتمل أن يكونوا الخصوم الأخطر لنا.

وقد قلت يا ميليان بأن سيوفهم ونصيحتهم لها وجهان. بعد ذلك، لم يتكلم ثينغول وميليان أكثر في هذه المسألة.

لم يمضي وقت طويل حتى بدأ همس الحكايات بالمرور بين سيندار بشأن أفعال نولدور قبل مجيئهم إلى بيليرياند. والحقيقة المؤكدة هي من أين جاؤوا. أما الحقيقة الشريرة كانت مجتمعة ومسممة بالأكاذيب. لكن سيندار كانت قليلة الحيلة وتنق بالكلام. وكما كان يُعتقد، فقد اختارهم مورغوث للهجوم الأول لأنهم لم يعرفوه بعد. سمع كيردان تلك الحكايات المظلمة فانهزعج. ولأنه حكيم أدرك بسرعة، إن كانت تلك الحكايات حقيقة أم باطله، وماذا غيروا فيها بسبب خبيثهم، لأنه اعتبر بأن ذلك نابع من الحقد الذي كان بين أمراء

نولدور بسبب الغيرة والحسد بين ييوهم، لذا فقد أرسل الرسل إلى ثينغول ليخبروه بكل ما سمع.

وقد صادف في ذلك الوقت بأن زار أبناء فينارفين ثينغول كضيوف، متمنين رؤية أختهم غلادريل. فبدأ ثينغول يتحرك كثيراً، ثم تكلم بغضب موجهاً كلامه إلى فينرود قائلاً: أعلم ماذا ستعمل لي يا قريبي يا من أخفيت الأمور العظيمة عني، أما الآن فقد علمت بكل أعمال نولدور الشريرة. فأجابه فينرود: ما الذي سأفعله لك يا سيدي؟ أو ما هو الشر الذي فعلته نولدور في مملكك ليحزنك، لا ضد قرابتك ولا ضد شعبك عملوا شراً أو حتى فكرو به.

فقال له ثينغول: أتعجب منك يا بن إياروين بأنك تأتي إلى مجلس قريبي هكذا متلبساً بجريرة ذبح أمهات عشيرتك. وتقول لحد الآن في دفاعك بأن ذلك كان شيء تافه حتى أنك لم تطلب العفو عنه لحد الآن.

انزعج فينرود كثيراً لكنه بقي صامتاً لأنه لم يستطيع الدفاع عن نفسه، إلا يجلب التهم ضد أمراء نولدور الآخرين، فقد كان كان مرغماً على عمل ذلك أمام ثينغول. عندها تدفقت إلى ذاكرة أنغرود كلمات كارائير صاعده بالمرارة، فصرخ قائلاً: سيدي لا أعرف ما هي الأكاذيب التي سمعتها أنت، ولا من أين أتت، لكننا لم نأت متلبسون بالجريرة. فقد صدقنا أقرار عديمي الخيرة، ربما كانت حماقتنا هي بالإصغاء إلى كلمات فيانور. التي جعلتنا كالسكارى لفترة قصيرة. فنحن لم نعمل الشر على دروبنا، لكن نَحْمَلْتْ أنفسنا خطأ عظيم، وغفرتنا له. لذلك ندعى حاملي الحكاية إليك والخائون لنولدور. وهذا كما تعلمون غير دقيق، فنحن قدمنا ولائنا لك صامتين ومع ذلك فقد كسبنا غضبك، والآن بما أنك عرفت الحقيقة فلم نعد نتحمل هذه التهم.

ثم تكلم أنغرود بشكل لاذع ضد أبناء فيانور. وتحدث عن جريان الدم في الكوالوندي وقدر الموت الموكل به ماندوز، وإحراق السفن في لوزغار فصرخ قائلاً: هل بسبب ذلك يجب أن نتحمل مشقة لقب قاتلوا الأتارب والحوثة.

فقالت له ميليان: رغم ذلك فإن ظل ماندوز يستلقي عليك أيضاً. بقي ثينغول صامتاً لفترة طويلة ثم قال لهم: اذهبوا فقلبي الآن يحترق، قد تعودون لاحقاً إن أردتم فلن تكون أبوابي مغلقة أمام وجوهكم للأبد. يا أقبائلي ليتكم لم تساعدوا الذي تورط في الشر. وأنا سأبقي على الصداقة مع فينغولفن وشعبه أيضاً، لأنهم كَفَرُوا عن ذنبهم بأعمالهم. وفي

كراهيتنا للقوة التي عملت كل هذه المشاكل فإن الأسمى سيتهي، لكن استمعوا لكلامي جيداً. لن تسمع أذناي ثانية لغة أولئك الذين ذبحوا أقبائي في الكوالوندي. لا هنا ولا في كل مملكتي يتكلم أحد بتلك اللغة علانيةً. طالما بقيت وبقيت سلطتي، وكل سيدار متصغي لأوامري فلن يتكلموا بلغة نولدور ولن يردوا بها أو عليها. وكل من سيستخلمها سيتحمل وزر جرعة مقتل الأقباء وحياتهم بغير ندم.

غادر أبناء فينارفين مينبغروث بقلوبٍ مثقلةً بالهم لإدراكهما صدق نبوءة ماندوز، فلا أحد من نولدور يمكنه أن يتبع فيانور إلا ويكون الظل ملقى على بيته. أطاعت سيدار أوامر ثينغول. وفيما بعد مُنعث لغة نولدور في كافة أنحاء بيليرياند، وتجنّبوا النطق بها علانيةً. وأخذ المنفيون لغة سيدار في كل حجاجهم اليومية. واللغة العليا للغرب (لغة نولدور) لم يتحدث بها فقط إلا أسياد نولدور فيما بينهم. رغم ذلك فقد عاشت تلك اللغة للأبد كلغة للعلم أينما سكن ذلك الشعب.

عندما تم الانتهاء من بناء نارغوثروند ( في الوقت الذي كان لا يزال يسكن فيه تورغون قاعات فينيامار). فاجتمع هناك أبناء فينارفين إلى وليمة وجاءت غلادريل من دوريات وأقامت فترةً في نارغوثروند. لم يكن الملك فيرود فيلاغوند متزوجاً بعد. فسألته غلادريل كيف يكون هذا فأنت ملكٌ وليس لك زوجة وأولاد. ففتحت بصيرة فيلاغوند بالحكمة عندما تكلمت وقال: سأقسم أمامكم الآن ويجب أن أكون حراً لإبنازه أو أذهب إلى الظلام، ولا أحد في مملكتي سيتحمل وزر ذلك القسم، فالأين يجب أن يرث. لكن يقال بأنه حتى تلك الساعة فما زالت برودة الأفكار تسيطر عليه، لأنه بالحقيقة يجب فتاة من قانيار وهي أماري التي بقيت في الغرب ولم تخرج معه إلى المنفى.



## الفصل السادس عشر

### مايغولين

أريذيل آرفينيل. سيدة تولدور البيضاء بنت فينغولفن التي سكنت مع أخوها تورغون في نيفراست ثم ذهبت معه إلى المملكة المخفية، لكنها تعبت من كثرة الحراسة في مدينة غوندولين. فبعد مرور مئتي سنة على إنشاء غوندولين، تكلمت مع تورغون طالبةً منه إذناً بالمغادرة، بسبب رغبتها الجارحة في ركوب الخيل ثانية في الأراضي الشاسعة والمشية في الغابات كما كانت عادتُها في فالينور. كان تورغون غير راغب في منحها هذا الاذن. وقد أنكره لمدة طويلة، لكنه أخيراً خضع لرغبتها وقال لها اذهبي، وإن فعلت فذلك فسيكون ضد حكمتي، فإنني أتكهن بأن السوء سيأتي لكلينا أنا وأنت من هذه الرحلة، فيجب أن تذهبي فقط إلى أخونا فينغون. لذلك سأرسل معك هؤلاء الحراس، وكلني أملٌ بأن تعودي بسرعة إلى غوندولين مثلهم.

لكن أريذيل قالت له أنا أحتك ولست خادمتك، وسأذهب ما بعد حدودك كما يحلو لي فإن كنت تحسبني على مرافق، فسأذهب بمفردي.

أجابها تورغون: أنا أحسدك! لا شيء عندي من هذا القبيل أبداً، لكني لا أرغب بخروج أحدٍ من الذين سكنوا داخل هذه لأسوار، لأنهم على دراية بأقرب الطرق إلى هنا، وإذا وثقت بك أنت لأنك أختي فهل أثق بالآخرين؟ وإن كانت لدي ثقة بالآخرين فهل هناك رقيب على ألسنتهم.

عزيتُ لها تورغون ثلاثةً من سادات عائلته لمرافقتها وطلب منهم أن يقودوها إلى فينغون في هيثلوم، إذا استطاعوا إقناعها، وليكونوا حذرين مع ذلك، لأنه صحيح أن مورغوث محاصرٌ في الشمال لكن هنالك الكثير من الأخطار في الأرض الوسطى، والتي لا تعرف عنها السيدة أي شيء. غادرت أريذيل غوندولين، وكان قلب تورغون ثقيلاً عند ذهابها.

وعندما وصلت إلى معبر بريشاخ على نهر سيريون قالت لمراقبيها: استديروا نحو الجنوب الآن وليس إلى الشمال لأنني لن أذهب إلى هيثلوم، بالأحرى فإن قلبي راغب في إيجاد أبناء فيانور أصدقاءي القدامى، ولأنهم لم يستطيعوا ثبيتها عن قرارها، استداروا نحو الجنوب كما أمرتهم. أرادت أريذيل الدخول إلى دورياث لكن حرس الحدود منعهم لأن ثينغول كان يمنع أي شخص من تولدور من عبور الزنار. ناهيك عن أولئك الذين كانوا أصدقاء أبناء فيانور، إلا أقرابته من بيت فينارفين. لذلك قال حراس الحدود لأريذيل، لا يمكنكم على الإطلاق العبور إلى أرض كيلينغورم التي تقصدها السيدة عبر مملكة ثينغول، بل يجب أن تتركوا إلى ما بعد زنار ميليان باتجاه الجنوب أو الشمال. أما أسرع الطرق فهو الذي يسير إلى الشرق من بريشاخ من خلال ديمبار وعلى طول الحدود الشمالية لهذه المملكة، حتى تعبرون جسر إيسغالديون ومعاير آروس، عندها تصلوا إلى الأراضي التي تقع خلف تل هيمرينغ، هناك كما نتفقد تقع مساكن كيلينغورم وكوروفين. ومن الممكن أن تجدهم هناك، لكن الطريق خطر جداً.

عادت أريذيل وسلكت الطريق الخطر بين إيريد غورغوث، الوديان المسكونة بالأشباح، والسياح الشمالي لدورياث. وبنفس الوقت كانوا قد اقتربوا من المنطقة الشريرة من نان دونغورثيب، فوق الحياطة المراقبون لها في شباك الظل، وابتعدت أريذيل عن رفقتها وتاهت. بحثوا عنها مطولاً لكن دون جدوى، اتناهم الخوف من أن تكون قد تورطت وشربت من الجداول المسمومة لتلك الأرض، لكن نزول مخلوقات أونغوليانت الساكنة في الوديان التي كانت تتبع آثارهم، أخافهم وجعلهم بالكاد يهربون وينحون بحياتهم. فعادوا إلى تورغون وأخبروه بما حدث معهم. فوقع حزنٌ عظيمٌ في غوندولين، بعدها جلس تورغون لمدة طويلة لوحده في حزنٍ دامي وغضبٍ صامت.

أما بالنسبة لأريذيل فبعد أن بحثت دون جدوى عن رفقتها، ركبت لوحدها لأنها كانت شجاعاً وحريصة القلب. شأنها في ذلك شأن كل أبناء فينوي. سارت على الطريق وعبرت من إيسغالديون وآروس إلى أرض هيملاذ الواقعة بين آروس وكيلون حيث كان يسكن كيلينغورم وكوروفين في تلك الأيام قبل كسر حصار أنغباند. وفي ذلك الوقت كان كيلينغورم وكوروفين خارج البيت، لأنهما كانا قد ركبا باتجاه الشرق مع كاراثير إلى ثارجيليون، لكن شعب كيلينغورم رحبوا بها وعرضوا عليها الإقامة بينهم معززة بمكرمة حتى عودة سيدهم. بقيت أريذيل هناك لفترة وكانت راضية ومسرورة بحرية التحول في الغابات. لكن طول فترة

غياب كيلبيغورم، فقد مرت حوالي سنة تقريباً ولم يعد، فاتتاجها القلق، ومن جديد عزمت على الركوب والخروج لوحدها، كي تلتبس طرقتاً جديدةً وفسحاً غير مدامسة، وصادف ذلك الوقت في نهاية السنة. وصلت أريذيل في تجوالها إلى جنوب هيملاذ ومررت فوق كيلون، وكان لديها إدراك مسبق عن خطر شبك الظل في نان إيلموت.

ففي تلك الغابات في العصور القديمة مشيت ميليان في غسق الأرض الوسطى عندما كانت الأشجار فتية، ومازال السحر ملقى عليها، لكن الآن أصبحت الأشجار في نان إيلموت طويلة ومعتمة أكثر من كل أشجار بيليرياند ولم تستطع أشعة الشمس الدخول عبرها إلى الغابة. وهناك كان يسكن إيول وهو واحدٌ من الجبان المظلّمون. في الماضي كان من أقرباء ثينغول، لكنه عندما يكون في دوريات يصبح مضطرباً ومريضاً. وعندما وضعت ميليان الزنار حول غابات المنطقة حيث كان يسكن، هرب من هناك إلى نان إيلموت، وعاش في الظل العميق، فهو يحب الليل والغسق تحت النجوم. ابتعد عن تولدور لأنه حملهم مسؤولية عودة مورغوث لتعكير صفو بيليرياند، لكنه منذ القدم كان عنده ميلٌ للأقزام أكثر من كل شعب الجبان، ومنه تعلم معظم الأقزام الذين عبروا أراضي إيلدار.

أما حركة مرور الأقزام النازلين من الجبال الزرقاء في السابق فكانت عبر طريقين، الأول يمر من شرقي بيليرياند، والثاني من الشمال ويذهب نحو معابر أروس فيمر مقترباً من نان إيلموت. هناك قابل إيول ناوغريم وتحدث معهم، فتمت صداقتهم وكان أحياناً يذهب كضيف إلى القصور العميقة لنوغرود أو بيليجوست. وفي تلك الأماكن تعلم إيول معظم أعمال التعدين، فامتلك المهارة العظيمة، وابتكر معدناً صلباً كفضولاذ الأقزام لكنه طبع جداً بحيث يمكن جعله رقيقاً ومرناً، ومقاوماً للصلال والنبال. سمى ذلك المعدن غالفورن، لأنه كان أسود لماع مثل الكهرمان الأسود، وكان يلف جسده فيه أينما ارتحل. لكنه ومن كثرة اشتغاله بالحدادة فقد انحى ظهره لأنه لم يكن قرماً، فهذه الحرفة تتطلب قامات قصيرة، لكنه جان طويل من القرابة العالية لتيليري، مع ذلك فهو نبيلٌ، متجهج الوجه، ويمكن لعيونه أن ترى أعماق الظلال والأماكن المظلمة. حدث بأن رأى أريذيل آرينيل وكانها تائهةً بين الأشجار الباسقة قرب حدود نان إيلموت، فبدت إليه جميلة جداً، لكنهما السوميض الأبيض في الأرض الخافتة، ورغب بهما، فوضع سحره حولهما كي لا تستطيعا اكتشاف طرق الخروج. ومن ثمّ استدرجها للاقتراب من مسكنه في أعماق الغابة حيث كانت ورشاته وقاعاته المعتمة، وكان لديه أناس كالحندم، صامتون ومريون كسيدهم. ولأن

أريذيل المرهقة من تجوالها وصلت أخيراً إلى أبوابه، فكشف نفسه لها مرحباً بها، وقادها إلى بيته. هناك سكنت واتخذها إيول زوجة له، ومضت فترة طويلة قبل أن يستمتع ثانياً أحد إبيها من أقربائها أو أفراد عشيرتها.

يقال بأن أريذيل لم تكن غير راغبة به بشكل تام، ولا إن حياتها في نان إيلموت كانت يغيضة لعدة سنونات، مع ذلك فعندما كانت تحت سلطة إيول، كان يجب عليها أن تتجنب نور الشمس، وكانت تتحول مع إيول بعيداً تحت ضوء النجوم أو ضوء الهلال، وكانت تفعل ما يحلو لها، إلا ما منعها منه إيول، وهو السعي إلى أبناء فيانور، أو أي أحد آخر من نولدور. حملت أريذيل في ظلام نان إيلموت ابناً لإيول، وأعطته في قلبها اسماً بلغة نولدور المحرمة، وهو لوميون، ومعناه طفل الغسق، لكن أباه لن يعطيه أي اسم حتى يبلغ الثانية عشر من العمر، وعندما بلغها أطلق عليه اسم مايلين، ومعناه النظرة الثاقبة، لإدراكه بأن عيون ابنه كانت حادة وثاقبة أكثر من عيون أبيه. فكان باستطاعته أن يقرأ بفكره أسرار القلوب خلف ضباب الكلمات.

نشأ مايلين وكبر على القوام الكامل فكان وجهه يشبه أقربائه من نولدور، أما في الطباع والتفكير فقد كان ابن أبيه، وكان مُقلداً في الكلام فلا يتكلم إلا في الأمور التي تسمه شخصياً. وكان لنبذة صوته تأثير على من يسمعهما والصمود في وجه من يعاديه. كان طويلًا أبيض البشرة، شعره أسود وعيناه داكنة، لامعه وحاده تشبه عيون نولدور. كان يذهب في أغلب الأحيان مع إيول إلى مدن الأقزام في الجهة الشرقية من إيريد ليندون، وهناك كانت لديه لفة لتعلم كل معارف وعلوم الأقزام، خاصة حرفة التنقيب عن خامات المعادن في الجبال.

يقال بأن مايلين أحب أمه كثيراً، فعندما كان يسافر أبوه للخارج، كان يقى جالساً مع أمه لمدة طويلة، يستمع إليها في كل ما تخبره به عن أقاربهم وأعمالهم في إيلدأمار، وعن قوة وشجاعة بيت فينغولفين. استقرت كل هذه الأشياء في قلبه، لكن أكثر شيء أثر فيه هو أن تورغون لم يكن لديه وريث، لأن زوجته إيلينوي ماتت أثناء عبور هيلكاراكسي، وليس لديه سوى إيدريل كيليريندال ابنته الوحيدة فقط.

وبإخباره لتلك الحكايات، استيقظت الرغبة عند أريذيل في رؤية أقاربها مجدداً، وتعجبت كيف أمّا عاشت مرهقة من أضواء غوندولين، والنافورات في الشمس والمرجة الخضراء في توملادين تحت نسائم سموات الربيع، علاوة على ذلك فقد كانت تبقى غالباً لوحدها في



الظلال عندما يكون ابنها وزوجها غائبين عن المنزل. نشأت من هذه الحكايات أيضاً الخلافات الأولى بين ماغيلين وإيول، لأنه من غير الممكن ولا بأي حال من الأحوال أن تكشف له أمه أين يسكن تورغون، ولا بأي طريقة قد يذهب الشخص إلى هناك. فتحين الوقت المناسب ليحعلها تتق به وتبوح له بسرها أو ربما يستطيع قراءة ذاكرتها غير المحمية. فقد يحقق رغبته برؤية تولدور والتكلم مع أبناء فيانور أقربائه الذين سكنوا بعيداً. لكنه عندما أعلن عن نيته هذه لأبيه، ثار غضب إيول وقال له: أنت من بيت إيول يا ماغيلين يا ولدي. وليس من غولوذريم (غولوذريم هو اسم تولدور بلغة سيندار). فكل هذه الأرض أرض تيليري. لا أنا ولا ابني سوف نتعامل مع قتلة أقبائنا، هؤلاء المختلون المعتصبون لبيوتنا. وفي هذه استطعني وإلا قيدتك، فلم يجبه ماغيلين لكنه كان بارداً وصامتاً، بعدها لم يخرج كثيراً مع إيول. وأصبح إيول يشك به.

حدث ذلك في منتصف الصيف، فالأقزام كما كانت عاداتهم طلبوا من إيول أن يرافقتهم في العيد إلى نوغورد، لسي إيول الدعوى وركب مسافراً إلى نوغورد. وبقي ماغيلين وأمه متحررين لفترة بأن يذهبا حيثما أرادا. لذلك ركبنا مرات كثيرة إلى أطراف الغابة، يلتمسان نور الشمس، فمنت رغبة حارة في قلب ماغيلين لترك نان إيلموت إلى الأبد. لذلك قال لأريذيل: سيدتي دعينا نغادر. فمازال لدينا الوقت، فما هو أملنا أنا وأنت هنا في هذه الغابة. هنا نحن محكومان بالعبودية، ولن نجد مكاسب. من أجل ماذا تعلمت كل هذه العلوم من أبي أو ما الذي سيكشفه لي ناوغريم بعد. هل لا يجوز لنا الذهاب إلى غوندولين؟ هيا لنذهب فتكوني ذليلي وأكون حارسك.

فرحت أريذيل بهذا الكلام ونظرت إلى ابنها بفخر، ثم أخبرت خدم إيول بأنهما سيقتصدان أبناء فيانور. ركبنا مسرعين إلى الطرف الشمالي لنان إيلموت، ومن هناك عبرنا الجدول الضعيف كيلون إلى أرض هيملاذ، ثم إلى معابر آروس، وهكذا سارا على طول الحدود الغربية لدوريات.

عاد إيول من الشرق مبكراً أكثر مما توقع ماغيلين، فوجد بأن زوجته وابنه قد ذهبا منذ يومين. غضب غضباً عظيماً، وبالجمال ذهب في إثرهم حتى في وضح النهار، كتم غضبه بدخوله إلى هيملاذ وراح يمشي بحذر متذكراً الأخطار التي قد تواجهه من كيلينغورم وكوروفين، فقد كانا من السادة الجبارة ولم يحبا إيول مطلقاً. علاوة على ذلك فإن مزاج كوروفين صعب جداً. أرشد كشافون من أغلون كل من ماغيلين وأريذيل، إلى معابر

آروس. رأى كوروفين أشياء غريبة قادمة من الجنوب تجري عبر المعابر واقتربت من المخيم. وقبل أن يركب إيول مبتعداً عبر هيملاذ. أوقعه خيالة كوروفين في كمين وجاؤوا به إلى سيدهم.

فقال له كوروفين: ماهي المهمة التي تقصدها في أيها الجن المظلم في أرضي؟ ربما مهمة مستعجلة تلك التي تبقي شخصاً مثلك يسير في ضوء الشمس الخجول بالخارج. علم إيول بخطورة موقفه فقاوم الكلمات القاسية التي أشرقت في عقله وقال: لقد علمت يا سيدي كوروفين بأن ابني وزوجتي السيدة البيضاء لغوندولين ركبوا وجاءوا لزيارتك، وبقيت أنا في البيت، فبدا لي بأنه من غير اللائق أن لا ألتحق بهم في هذه الزيارة. سخر كوروفين من إيول وقال له: ربما كانوا سيجدوا ترحيباً أقل مما يتمنون إن كانوا يرفقتك. لكن لا مشكلة، فتلك لم تكن مهمتهم، لقد مرّوا على أروسيّاخ منذ أقل من يومين ومن هناك ركبوا بسرعة للغرب، يبدو بأنك تخدعي، ما لم تكن أنت نفسك قد تخدعت.

فأجابته إيول: إذا يا سيدي. ربما ستسمح لي بالذهاب لاكتشاف حقيقة هذه المسألة. فقال له كوروفين: نعم سأسمح لك، لكن ليس مع محبتي، وكلما أسرعت في مغادرة أرضي فتلك أفضل أمنياً.

ركب إيول حصانه قائلاً: سيدي كوروفين جيداً في تلبية حاجات أقربائه بلطف هكذا. وأنا سأذكره عندما أعود. فنظر إليه كوروفين بعبوس وقال له: لا تنباهي يا إيول بلقب زوجتك أمامي، فأولئك الذين يسرقون بنات نولدور ويتزوجوهم بدون هدية أو إذن، فلا يكسبون القراية مع أهلها. لقد أذنت لك بالرحيل، فخذ إذنك وارحل. وعلى حسب قوانين إيلندار فياني لن أذبحك في هذا الوقت، وأضيف لك هذه النصيحة، عد إلى مسكنك في ظلام نان إيلموت، فقلبي يحذرنك بأنك لو تبعت اللذان لا يحبانك كثيراً فقد لا تعود من هناك.

بعدها ركب إيول مستعجلاً وخرج عملاًه الحقد والكراهية على كل نولدور وأدرك بأن مايلين وأريذيل كانا هارين إلى غوندولين. قاد حصانه بغضب، ويشعور الذل والعار عبر معابر آروس، فتعقبهما على الطريق الذي سارا عليه من قبل، لكنهما لم يعرفا بأنه كان يتبعهما، لأن جواده كان الأسرع، ولم يشاهداه حتى وصلا إلى بريشاخ، فقد خافهم الحظ بمرض خيولهم، لذلك تركوها خلفهم فأخذت تصهل بصوت عالي، عندها سمعهم جواد

إيول وأمسرع نحوهم، ورأى إيول من بعيد رداء أريذيل الأبيض، وعلم الطريق الذي ذهبت منه، قاصدة الطريق السري في الجبال.

وصل أريذيل ومايغلين إلى البوابة الخارجية، ذلك الحارس المظلم لغوندولين تحت الجبال. وهناك استقبلت بالفرح وعبرت الأبواب السبعة، جاءت مع مايغلين إلى تورغون على أمون غواريث. استمع الملك مندهشاً لكل الأخبار التي جلبتها أريذيل، ونظر بمودة إلى مايغلين ابن أخته فقد رأى فيه واحداً مما يجدر به أن يكون أحد أمراء نولدور أو أن يحسب بينهم.

فقال تورغون: أنا مسرور فعلاً بعودة أرفينيل إلى غوندولين، فالآن سيعود الجمال والصفاء ثانية بعد أن عادت من كنا نعتبرها مفقودة وضائعة، وستبدو مدينتي كما كانت في الأيام الخوالي. وسيكون مايغلين في مرتبة الشرف العليا في مملكتي.

عندها جثا مايغلين على ركبته وأعطى ولاءه لتورغون سيدياً وملكاً، ليفعل ما يشاء، ثم وقف صامتاً ينظر إلى نعمة وعظمة غوندولين، فقد فاقت كل التصورات التي أخذها من حكايات أمه. وكان مندهشاً بقوة المدينة وبالشعب المقيم بها. نظر إلى الكثير من الأشياء الغريبة والجميلة، لكن أكثر شيء انسحبت عيونه عليه كانت إيدريل بنت الملك الجلاسة بجانب أبيها، لأنها كانت ذهبية كالقائينار أقرباء أمها، وقد بدت له كالشمس التي أخذت منها قاعات الملك ضوءها.

تبع إيول أثر أريذيل إلى أن وجد النهر الحاف والطريق السري، فزحف خلسة، حتى انتبه إليه الحراس فألقوا القبض عليه بعد أن شكوا بأمره. لكن عندما سمعوا ادعائه بأن أريذيل تكون زوجته تعجبوا من ذلك، وأرسلوا على جناح السرعة رسول إلى المدينة.

وصل الرسول إلى قاعات الملك ونادى: سيدي لقد أسر الحرس شخصاً تسلل خلسة إلى البوابة المظلمة، اسمه إيول وهو جني طويل مظلم ومتجهم من عشائر سيندار. يدعي بأن السيدة أريذيل هي زوجته. هذه هي مطالبه التي نضعها أمامك لكن غضبه عظيم وكبح جماحه صعب جداً، ولم نذبحه كما يأمر قانونك الخاص.

قالت أريذيل: يا للأسف لقد تبعنا كما كنت متخوفة، لكن بخلسة عظيمة لأننا لم نرى أو نسمع أي ملاحق لنا، كما أننا دخلنا على الطريق المنخفضي، ثم قالت للرسول: أنه يقول الحقيقة. فهو إيول وأنا زوجته وهو أبو ابني. لا تذبحوه لكن قودوه إلى هنا لعله يقترب من عدالة الملك، طبعاً بعد إذن الملك.

عمل الحارس كما قالت له أريذيل، فحلب إيول إلى قاعة تورغون. وقف إيول أمام مقعد تورغون العالي، فخوراً متحجماً، مع أن دهشته لم تكن بأقل من دهشة ابنه في كل ما رأى. فقد مأل قلبه بالغضب والحقد أكثر على نولدور. لكن تورغون عامله بشرف، فنهض وأخذ يده وقال: مرحباً بك فأنت قرينا وضييفا، وستسكن هنا مسروراً، إلا أنك ستبقى هنا ولن تغادر مملكتي. لأن قانوني يقول لا أحد يجد الطريق المخفي ويغادر بعد ذلك.

سحب إيول يده وقال: لا أعترف بقانونك. ولا يحق لك ولا لأي أحد من أقربائك بإقامة الممالك أو وضع الحدود هنا وهناك، فهذه كلها أرض تيليري. وإنك مستحلب الحرب وكل الساعين لها إلى هنا. تعاملون مع الناس دائماً بتفاخر وبشكل ظالم. لا أريد شيء من أمراك ولم آتي لأتجسس عليك، لكنني أتيت لأدعي ما هو لي، زوجتي وابني. رغم ذلك بالنسبة لأريذيل اختك فهي عندك إن أردت أن تبقى فسأتركها، ترك الطير ليعود إلى القفص. حيث هي قريباً سوف تمرض ثانية، كما مرضت من قبل، لكن ما يغلين لا لن يبقى، فهو ابني ولن تستطيع أن تحجبه عني. ثم نظر إلى ابنه وقال: ما يغلين يا بني تعال إلي أبوك يأمرك. دع البيت لأعدائه ولمن قتلوا أقرباءهم، أو تكون ملعوناً. فلم يجبه ما يغلين بأية كلمة.

عندها جلس تورغون في مقعده العالي مستدعيًا موظفي الموت لديه. ثم تكلم بصوت عميق وقال: لن أتناقش معك أيها الجان المظلم. بفضل سيوف نولدور فإن غابتك المظلمة بقيت محمية ومصانة، وأنت مدين لأقربائي بحرية تجوالك هنالك في برتها. منذ مدة طويلة، حينما كنت أنت ماتزال عبداً تعمل في حفر أنغباند، كنت أنا ملك هنا، وسواء فعلت أو لم تفعل فحكّم الموت عندي قانون، وأمامك أنت وابنك خيارين إما البقاء هنا أو الموت هنا.

عندها نظر إيول في عيون الملك ولم يرتعب لكنه وقف مطولاً صامتاً بدون حراك. بينما مايزال الصمت محيماً على القاعة، كانت أريذيل خائفة، لأنها متيقنة من وجود الخطر. فجأة وبسرعة كالثعبان، وضع يده على الرمح المخفي تحت عباءته، وسدد طعنة إلى ما يغلين صارخاً. هذا هو خياري الثاني، أخذه لي ولابني أيضاً فلن تأخذ ما هو لي. لكن أريذيل قفزت أمام الطعنة فأصابها في كتفها. تراكض الجميع إلى إيول فغلبوه وقيدوه، واقتادوه، بينما استدار الآخرون نحو أريذيل. نظر ما يغلين إلى أباه وبقي صامتاً.

تقرر بأن يؤخذ إيول في اليوم التالي إلى حكم الملك. وطلبتا أرينديل وإيندريل له الرحمة من تورغون. مع المساء مرضت أرينديل، فقد بدا بأن الجرح صغير لكنها سقطت في الظلام وماتت في الليل، وذلك لأن رأس الرمح كان مسموماً. ولم يعرف أحد بموتها حتى وقت متأخر جداً.

لذلك عندما أ حضر إيول أمام الملك فلم يجد أي رحمة، بل اقتادوه إلى كاراغدور، وهي صخرة الهاوية السوداء وتقع على الجانب الشمالي لتلة غوندولين، من أجل رميه هناك إلى أسفل المدران المائلة للمدينة، وكان ماغيلين واقفاً بجانبه ولم يقل شيئاً، لكن إيول صرخ أخيراً: هكذا تتخلى عن أباك وأهلك، فعلاً إنك ابن حرام، هنا ستفشل كل آمالك. وهنا سمتوت ميتي هذه.

ثم القوا بإيول من فوق كاراغدور وكانت تلك نهايته، وبدا ذلك إلى كل غوندولين بأنه عدالة. لكن إيندريل كانت منزعجة. وأصبحت تشك بقرئها منذ ذلك اليوم. لكن ماغيلين كبير وتعاطم بين غوندولينديريم<sup>١</sup>. مدحه الجميع وأثنوا عليه، وتحصل على أعلى دعم ومساندة من تورغون، لأنه كان متلهف للتعلم بسرعه، وكان لديه الكثير ليعلمه للآخرين. فاجتمع لديه كل ذلك، لكن كانت لديه نزعة لحرفة الحدادة والتعدين، لذلك قصد إينجوريات<sup>٢</sup> فوجد عروق غنية من خام معدن يشبه اللؤلؤ. واكتشف الكثير من الحديد الصلب في منجم أنغابار إلى الشمال من إينجوريات، ومن هناك حصل على الثروة من صياغة المعدن والفولاذ، وذلك لأن أسلحة غوندولينديريم صنعت أكثر حدة وقوة، وهي التي وضعتهم في موضع جيد في الأيام القادمة، فقد كان ماغيلين حكيم وحذر في آرائه، وشجاع وجريء عند الحاجة. وهذا شوهد بعد أيام، عندما كانت سنة الخوف من نيرنايث أرنوي ديباد، فقد افتتح تورغون، عهد اتحاده مع فينغون، وزحف لمساعدته في الشمال. ولم يقى ماغيلين في غوندولين كوصي للملك، بل ذهب إلى الحرب وقاتل إلى جانب تورغون وأثبت جساراً وشجاعة في المعركة.

هكذا بدا كل ذلك جيداً بفضل الثروات التي جمعها ماغيلين، وهو الذي ارتفع ليكون عظيماً بين أمراء نولدور. بأعظم وأكثر شهرة بين ممالكهم، مع أنه لم يفصح عما في قلبه،

<sup>١</sup> غوندولينديريم، Gondolindrim. وهم الشعب الذي ذهب مع تورغون في بدايات العصر الأول إلى غوندولين، وسكنوا هناك، وتقوا محظين عن عيون مورغوث حتى سقوط المدينة سنة ٥١٠ من العصر الأول.

<sup>٢</sup> إينجوريات، Echoriath. وهي مجموعة خصبة من الجبال التي تحيط وبشكل دائري مدينة غوندولين، وفيها الكثير من عيون السور التي كانت تراقب وتحصي غوندولين طيلة العصر الأول.

فلم تذهب كل الأشياء التي يتحملها بصمت هدراً، فقد كان تفكيره محبوب عن البعض لكن كان يمكن لبعض الآخرين قراءته، وإن لم تكن تلك التي تقرأ أفكاره هي إيدريل كيلبيريدال فمن سيكون غيرها. فمنذ أيامه الأولى في غوندولين، كان يحمل الأمل والحزن، فكان يبدو دائماً مستاء، وذلك ما أخذ منه دائماً كل بحة. فقد أحب جمال إيدريل ورغبها زوجة، لكن بدون أمل، فالزواج من إيلدار لا يقاس باقتراب المسافة منهم، ولا أبداً من قبل الذي لديه الرغبة في الاقتراب أكثر. على أية حال قد يكون ما يغلب أحب إيدريل لكن ليس في كل شيء، فهو يعرف فكرها بأنها أحبته أقل من ذلك، لأنه كان يبدو إليها كشيء غريب، أو فيه خدعة ما. حيث أن في إيلدار ومنذ اعتبار مذبح الأهل كثمرة شريرة، ومازال ظل لعنة ماندوز يسقط على آخر آمال نولدور. لكن مرور السنوات بقي ما يغلب يراقب إيدريل ويتنظر. ثم أتته حبه إلى ظلام قلبه، فقد أراد أكثر أن يتجه إلى أمور أخرى، ولم يكن ذلك تهرباً من التعب والمسؤولية، إذ أنه يمتلك القدرة ويتحلى بالقوة لذلك.

هكذا كان هو في غوندولين، وسط كل نعم تلك للملكة، مادام مجدها باقياً، فالبذرة المظلمة للشر كانت قد بُذرت.



## الفصل السابع عشر

### مجىء البشر إلى الغرب

بعد مرور أكثر من ثلاثمائة سنة على قدوم نولدور إلى بيليرياند، وفي أيام السلام الطويلة. سافر فينرود فيلاغوند سيد نارغوثرونند إلى شرق ميريون ذاهباً للصيد. وكان معه ماغلور ومايدروس أبناء فيانور، لكنه تعب من الصيد والمطاردة فمرّ لوحده نحو جبال إيريد ليندوون التي رأها تتألق من بعيد، سالكاً طريق الأقزام عبر جيليون في ممر سارن أنراد، ثم اتجه جنوباً عابراً الجداول العليا من آسكار، حتى وصل إلى شمال أوسيرياند.

في وادٍ بين سفوح الجبال تحت ينابيع ثالوس رأى أضواء في المساء، وسمع من بعيد صوت أغاني، وتساءل كثيراً، فالجان الحضر في تلك الأراضي لم يشعلوا النيران من قبل، ولا يغنون في الليل. في البداية خاف بأن يكون ذلك هجوم من الأوركس على مناطق اتحاد الشمال، لكنه عندما اقترب أدرك بأنهم ليسوا أوركس. فقد استعمل المغنون لغة لم يسمعها من قبل، ولم يكونوا من الأقزام، ولا من الأوركس. وقف فيلاغوند في الظل الليلي للأشجار صامتاً، ونظر للأسفل إلى المعسكر، هناك شاهد الناس الغرباء.

فهؤلاء كانوا جزء من عشيرة يتبعون بيور الكبير. كما علم فيما بعد، وهذا بيور هو زعيم بين البشر. بعد الكثير من حياة التيه، قادهم بيور من الشرق عبر الجبال الزرقاء إلى بيليرياند، فهم أول جنس من البشر يدخل بيليرياند، وقد غنوا مسرورين لاعتقادهم بأنهم هربوا من كل الأخطار ووصلوا في نهاية المطاف إلى أرض خالية من الخوف.

راقبهم فيلاغوند لفترة طويلة، وحركت مجبتهم شيئاً في قلبه، لكنه بقي محتفياً بين الأشجار حتى أصبحوا كلهم نيام، ثم دخل بين الناس النائمين وجلس بالقرب من نارهم المختصرة حيث لم يبقوا أحداً للحراسة. أخذ القيثارة البسيطة التي كان بيور يضعها بجانبه، وعزف موسيقى لم تسمع أذان البشر مثلها من قبل، لأنه ولحد الآن لم يعلمهم أحد في علوم الفن والموسيقى. إلا أنهم قد سمعوا من قبل فقط الجان المظلومون في أراضي البرية.

استيقظ البشر واستمعوا إلى صوت قيثارة فيلاغوند، وغنوا معه، فكل واحدٍ منهم ظن بأنه كان في شيء من الحلم الجميل، حتى رأى بأن زملاءه مستيقظين بجانبه أيضاً. لكنهم لم يتكلموا أو يتحركوا أثناء عرف فيلاغوند بسبب جمال المعزوفة وبهجة الأغنية. فالحكمة التي كانت في كلمات ملك الجان تلقفتها تلك القلوب عاقلة مصغيةً. ومن الأشياء التي غنى لها. صُنِعَ أَرْدَا وبركة أمان الواقعة خلف ظلال البحر. وقد جاءت كروياً بين أعينهم، وكلامه باللغة الجنية نُسِّرَ في كل عقل طبقاً لإدراكه.

هكذا دعا البشر فيلاغوند وهو أول من التقوا به من إيلدار، دعوهُ نُؤوم أي الحكمة في لغة أولئك الناس، وبعده سما شعبه نوومين، أي الحكماء. حقيقةً كانوا قد اعتقدوا بأن فيلاغوند هو أحد الثالار الذين سمعوا عنهم بأنهم يسكنون بعيداً في الغرب. وهذا كان بعض الرأي عن سبب هجرتهم. أقام فيلاغوند بينهم وعلمهم معرفةً حقيقيةً وهم أحبوه وأخذوه إلى سيدهم، بعدها أصبحوا موالين لبيت فينارفين.

بما أن إيلدار كانوا من أمهر الناس في اللغات، فلقد اكتشف فيلاغوند أيضاً بأنه يمكنه أن يقرأ في عقول البشر مثل هذه الأفكار، أي أنهم تمنوا الكشف في اللغة لكي يستطيعوا ترجمة الكلمات بسهولة، ويقال بأن هؤلاء البشر كان عندهم تعاملات لمدة طويلة مع الجان المظلمون شرق الجبال، ومنهم تعلموا معظم الكلام، بحيث أن كل لغات كويندي كانت من أصل واحد. تتشابه لغة ييور وشعبه باللغة الجنية في الكثير من الكلمات والأدوات. لم يتواصل فيلاغوند مع ييور مطولاً في الحديث من قبل، لكن عندما سكن معهم فقد تكلموا كثيراً مع بعضهما. لكن عند سؤاله عن ظهور البشر وترحالهم فقد كان ييور يتكلم قليلاً، في الحقيقة لأنه لا يعرف إلا القليل، فأباه شعبه قد أخبروه بضع حكايات عن ماضيهم. ثم وقع صمّث على ذاكرتهم، وقال ييور: يكمن الظلام خلفنا، ونحن أدرنا ظهورنا له، ولا رغبة لدينا بالعودة إلى هناك حتى ولو بالفكر، فقد امتدارت قلوبنا نحو الغرب، ونعتقد بأننا سنجد الضوء هناك.

لكنه قيل فيما بعد في إيلدار بأنه عندما ظهر البشر في هيلدورين عند الشروق الأول للشمس فإن جواميس مورغوث كانوا يقظين وجلبوا له الأخبار. وبدا ذلك إليه كمسألة عظيمة عن ذلك السر تحت الظلال، فغادر مورغوث نفسه من أنغباند وصعد إلى الأرض الوسطى، تاركاً ساورون خلفه لقيادة الحرب، لم يتعرف إيلدار في ذلك الوقت أي شيء عن تعامل مورغوث مع البشر. ولم يعلموا بعدها إلا القليل عن ذلك، لأن الظلام قد تمدد



على قلوب البشر (كما تمدد ظل ذبح الأهل وموت ماندوز على تولدور)، وأدركوا وبوضوح تام، حتى بين أولئك الناس الذين كانوا أصدقاء الجان والذين علموا في البداية بأن الرغبة الرئيسية لمورغوث كانت هي الإفساد أو التحطيم المطلق لهذا الظهور الجديد والجميل، وبلا شك كان هذا الهدف هو من أولويات مهماته، بأن يزرع العداوة والخصام بين البشر وإيلدار، وذلك يزرعه للخوف والأكاذيب فيما بينهم. لهذه الغاية استقدم بعض البشر لتربيتهم في الشرق ضد بيلرياندا، لكن هذا التصميم كان بطيء النضوج، ولم ينجر بالشكل الكامل (كما قيل). لأن أعداد البشر في بادئ الأمر كانت قليلة، ووبسبب خوف مورغوث من نمو القوة الناتجة عن اتحاد إيلدار، رجع إلى أنغباند، تاركاً خلفه في ذلك الوقت بعض من خدمه، وهم أقل قوة ومكرًا من غيرهم.

علم فيلاغوند من بيور بأن هناك الكثير من البشر الذين كانت لديهم نفس الرغبة في السفر إلى الغرب. وأن آخرين من خواص أقرباه عبروا الجبال وتجهلوا في المناطق القريبة، أما هالادين فهم الشعب الذي انفصلنا نحن ولغتنا منهم. ومازالوا يقيمون في الوديان منتظرين الأخبار على السفوح الشرقية قبل أن يخاطروا أبعد من ذلك. وهناك بشر آخرون لحد الآن لديهم لغة تشبه لغتنا، ولدينا أحياناً بعض التعاملات معهم، فقد كانوا أمامنا على الحدود الغربية، لكننا تجاوزناهم، لأن عددهم كبير وهم يقعون سويةً مجتمعين ويتحركون ببطيء، وجميعهم محكومون من قبل زعيم واحد يدعى ماراخ.

انزعج الجان الحضر في أوسيرياند من بغيء البشر، وعندما سمعوا عبر البحر بأن سيد إيلدار بينهم فقد أرسلوا الرسل إلى فيلاغوند وقالوا له: إذا كان لديك سيطرة على هؤلاء القادمين الجدد اعرض عليهم أن يعودوا من حيث أتوا، أو لا تدعهم يتقدمون أكثر من ذلك، فلا نريد غرباء في هذه الأرض لكي لا يفتل السلام الذي نعيش فيه، فهذا شعب يقطع الأشجار ويصطاد البهائم ولن نكون نحن وإياهم أصدقاء، وإذا لم يغادروا فإننا سنستهدفهم في كل الطرق، وأينما رأيناهم.

قام فيلاغوند بنصيحة بيور بأن يجمع كل العوائل التابعة وكل أقرباه، ويدعوهم لمغادرة جيليون، فحصل ذلك وسكنوا في أمروود وأمراس على الضفة الشرقية لكيلون جنوب نان إيلموت بالقرب من حدود دوريات. وأصبح اسم تلك الأرض فيما بعد إيستولاد، أي المخبئ. لكن بعد مرور سنة رغب فيلاغوند بالعودة إلى بلاده وطلب من بيور أن يذهب معه، بقي بيور في خدمة ملك نارغوثرونند طوال حياته. وبهذه الطريقة حصل بيور على

اسمه حيث كان اسمه فيما سبق، بالان ومعنى بيور في لغة شعبه هي التابع. وحكم شعبه من بعده ابنه الأكبر باران. ولم يعد بيور بعدها ثانيةً إلى إيستولاد. بعد مغادرة فيلاغوندا مباشرةً، جاء بقية البشر الآخرين الذين أرسل إليهم بيور ووصلوا إلى ييليرياند. أول الواصلين كان هالادين، لكن لم يقابلهم الجان الخضر بالمودة فاستداروا شمالاً وسكنوا في ثارجيليون في بلاد كارانتير بن فياتور، هنالك ولفترة من الوقت عاشوا بسلام، ولم يهتم بهم شعب كارانتير كثيراً. وفي السنة التالية قاد ماراخ شعبه على الجبال، وكانوا قوم طوال القامة ومحاربين أشداء. تقدم في كتائب منظمة وأخفى جان أوسيرياند أنفسهم ولم يكمنوا لهم. لكن ماراخ سمع بأن شعب بيور كانوا قد سكنوا في أرض خضراء وخصبة. فنزل عبر طريق الأقزام واستقر جنوب البلاد، إلى الشرق من مساكن باران بن بيور، وكانت هناك صداقات عظيمة بين تلك الشعوب.

أما فيلاغوندا نفسه فقد عاد لزيارة البشر في أحيان كثيرة، وسافر الكثير من الجان الآخرين من كالأ من نولدور وسيندار إلى إيستولاد، لأنهم كانوا متلهفين لرؤية إيدياين الذين تنبؤوا بمجيئهم منذ مدة طويلة. والآن أتسائي، أي الشخص الثاني، كان ذلك هو الاسم الذي أعطي للبشر من قبل فالينور في العلوم التي أحرقت عن مجيئهم. لكن في لغة ييليرياند ذلك الاسم أصبح إيدياين وهذا الاسم لم يستخدم إلا للدلالة فقط على ثلاثة عشائر وهم الذين كانوا من أصدقاء الجان.

أرسل فينغولفن وبصفته ملك لكل نولدور رسائل الترحيب بقدوم البشر. بعدها سافر الكثير من الشباب للمتلهفين من إيدياين متخذين خدمات مع الملوك وسادة إيلدار، من بين هؤلاء كان مالاخ بن ماراخ الذي سكن في هيثلوم لأربعة عشرة سنة، وتعلم لغة الجان وأعطي فيما بعد اسم أرادان.

لم يقتنع إيدياين بالسكن لمدة طويلة في إيستولاد، فالكثيرين منهم ما زالت لديهم الرغبة في الذهاب إلى الغرب. لكنهم لم يعرفوا الطريق، فأمامهم سياج دوريات ومن الجنوب يمتد سيريون وحوله المستنقعات غير القابلة للعبور، لذلك فالملوك الثلاثة من بيوت نولدور. رأوا بأن أمل القوة يأتي من بني البشر. لذلك أرسلوا خطاباً إلى إيدياين متمنين فيه على البشر بأن يأتوا للسكن والإقامة بينهم. وبهذه الطريقة بدأت هجرة إيدياين. في بادئ الأمر كانت رويداً رويداً لكن لاحقاً أصبحت الهجرة بالعوائل والعشائر، فخرجوا وتركوا إيستولاد. بعد حوالي خمسين سنة دخلت آلاف كثيرة منهم إلى أراضي الملوك، وأغلب هذه الهجرات

أخذت الطريق الطويل الشمالي حتى أصبح أشهر الطرق عندهم. فأتى شعب ييور إلى دورذونيون وسكنوا في أراضي تخضع لحكم بيت فينارفين. وشعب أردادان (الذي هو ابن ماراخ بقي في إيستولاد حتى موته). والجزء الأكبر منهم استقروا بالغرب، وجاء بعضهم إلى هيثلوم لكن ماغور بن أردادان والكثير من الناس عبروا نهر سيريون إلى بيليرياند وسكنوا فترة في وديان السفوح الجنوبية من إيريد ويثرين.

يقال بأنه في كل هذه الأمور لم يتشاور الملك ثينغول مع أحد إلا فينرود فيلاغوند، ولم يكن كلاهما مسروراً بسبب الأحلام والأخبار للزعجة التي سمعت من قبل فيما يتعلق بمجيء بني البشر، لذا أمر أولئك البشر بأن لا يأخذوا أية أراضي للسكن إلا في الشمال، ومستقع للمسؤولية في تنفيذ هذه الأوامر على عاتق أمراء البشر الذين خدموا أمام الملوك. وقال أيضاً: لن يأتي إلى دوريات أي رجل مادامت مملكتي قائمة، ولا حتى أولئك الذين هم من بيت ييور الذي يخدم فينرود المحبوب، لم تقل له ميليان شيء في ذلك الوقت لكن بعد ذلك قالت إلى غلادريل: الآن يسير العالم بسرعة شديدة إلى الأخبار العظيمة. وواحد من البشر من بيت ييور سيأتي فعلاً، وزنار ميليان لن يعيقه، لأن القدر الذي هو أعظم من قوتي سيرسله، والأغاني التي مستتبع من ذلك الجيء مستبقي عندما تتغير كل الأرض الوسطى.

بقي كثير من البشر في إيستولاد، وعاش هناك خليط من الناس لمدة طويلة فيما بعد، وبقوا حتى حراب بيليرياند، عندما انغمرت أرضهم فقسمت مات وقسم هربوا عائدتين إلى الشرق، لأنها كانت الأرض الأقرب والتي اعتبرت بأيام تشردهم القديمة هناك. ليسوا قلائل أولئك الذين كانت لديهم رغبة بالذهاب بطرقهم الخاصة، وهم الذين خافوا إيلدار وضوء عيونهم، بعد ذلك نمت الخلافات بين إيدارين، وهذه الخلافات تظهر فيها ظلال مورغووث، لأنه كان متأكداً من قدوم البشر إلى بيليرياند وصدقتهم للتزايد مع الجان.

كان زعماء السخط هما بيريج من بيت ييور وأملاخ أحد أحفاد ماراخ. وهم قالوها بشكل واضح: لقد أخذنا طرق طويلة راغبين بالهرب من الأرض الوسطى والأشياء المظلمة الساكنة هناك، فلقد سمعنا أنه هناك في الغرب ضوء لكننا الآن علمنا بأن الضوء يقع خلف البحر وإلى هناك لا نستطيع الوصول حيث تسكن الآلهة في النعمة، ولم تبق لنا هذه الآلهة هنا إلا واحد فقط، سيدّ ظلامي يقبع أمامنا، فقد سقطت حكمة إيلدار عندما جعلت الحرب لانهائية مع مورغووث الذي يسكن في الشمال، ويقولون بأنه هناك يتواجد

الألم والموت الذي منه نحن هربنا، لذلك لن نذهب في ذلك الطريق ولن نسكن في الشمال.

ثم دعيا البشر إلى اجتماعٍ للتشاور، جاءت أعداد عظيمة إلى هناك، ووجه أصدقاء الجان تساؤلات إلى بيرينغ قائلين: حقاً إن كل الشرور التي هربنا منها تأتي من السيد المظلم، لكنه يريد سيادة كاملة على كل الأرض الوسطى، وأينما ذهبنا سيلاحقنا ما لم يكن مغلوباً هنا، أو أضعف الإيمان أن نكون متحدين لمواجهته، فلقد قاومته شجاعة إيلدار، وربما كان هدفهم من جلبنا إلى هذه الأرض هو حاجتهم إلى مساعدتنا.

إلى هنا أجاب بيرينغ: دع إيلدار يبحثون عنه، فحياتنا قصيرة بما فيه الكفاية. ثم ظهر من بين الجموع شخص بدا للجميع وكأنه أملاخ بن إيملاخ، تكلم ووقعت كلماته عليهم وهزت قلوب كل من سمعها، حيث قال: كل ذلك ما هو إلا علوم جنية وهي عبارة عن حكايات لتسلية القدامين الجدد لكي يبقوا غافلين. ليس للبحر نهاية ولا وجود للضوء هناك في الغرب. لقد اتبعت نارا الجان المخادعة إلى نهاية العالم، فمن منكم رأى من هو أقل من الآلهة؟ ومن رأى الملك المظلم في الشمال؟ لم يره أحدٌ إلا إيلدار، فهم يريدون سيادة الأرض الوسطى. وبسبب طمعهم للثروة حفروا في الأرض، وللاضرب أسرارها فقد أناروا غضب الأشياء الساكنة في الأسفل. هكذا فعلوا ودائماً سيفعلون. لنضع الأوركس بعالمهم الذي لهم. ونحن سيكون لنا عالمنا الخاص بنا. هناك أماكن كثيرة في هذا العالم. فكما وجدت إيلدار نحن سنكون أيضاً.

وقعت الدهشة وظل الخوف على قلوب كل المستمعين لهذا الكلام. وصمموا على المغادرة والابتعاد عن أراضي إيلدار، لكن بعد ذلك عاد أملاخ بينهم نافياً بأنه كان حاضراً في نقاشهم أو أنه تكلم مثل هذه الكلمات التي ذكروها له. فتولد من كلامه شك وحيرة بين البشر، وقال أصدقاء الجان: بالنهاية أنت تعتقد فعلاً بأنه يوجد هناك سيد مظلم ولديه جواسيس ومبعوثين، وهو يخشانا ويخشى قوتنا التي سنساعد بها خصومه.

لكن ما تزال إجابات البعض بأنه يكرهنا أيضاً، بالأحرى سيزداد كرهه لنا كلما طالت مدة سكننا هنا. فالتدخل في خصومات ملوك إيلدار لا تعتبر مكسباً بالنسبة لنا. كان قد بقي كثيرين في إيستولاد وهم جاهزون للمغادرة. قاد بيرينغ الآلاف من شعب بيور مبتعداً نحو الجنوب. وقد خرج هؤلاء من أناشيد تلك الأيام، لكن أملاخ أسف قائلاً: سيكون لدي حساب مع سيد هذه الأكاذيب، وهذا الحساب سيدوم حتى نهاية حياتي، بعدها ذهب

إلى الشمال ودخل في خدمة مايندروس. لكن بقية شعبه والذين كانوا في مثل عقلية بيرينغ فقد اختاروا زعيماً جديداً. وعادوا إلى جبال إيربادور، وكانوا منسيين.

في أثناء هذا الوقت بقيت هالادين في ثارجيليون وكانوا راضين. لكن مورغوث رأى بأنه بالأكاذيب والخدع فقط لن يستطيع أن يصنع العداة بين الجان والبشر، فامتلاً بالغضب وسعى لإحداث أذى بين البشر، لذلك بعث عليهم غارة من الأوركس. مرت من الشرق لتتحاشى التحالف. فتسلل الأوركس إلى إيريد ليندون عابرين طريق الأقزام، ووقعوا على هالادين في الغاية الجنوبية لأرض كارانثير.

لم يعيش هالادين وفق قاعدة حكم الأسياد للتجمعات. بل كان لكل منزل أرض مستقلة يتحكم فيها بشؤونه الخاصة، وكان من الصعب تجمعهم بسرعة. كان بينهم رجل يدعى هالداد، وهو بارع شجاع ومقدام، جمع حوله كل الرجال الشجعان الذي يمكن أن يجدهم. وتراجع إلى زاوية في الأرض بين أسكار وجيليون، وبني في آخر مداخلها حاجزاً من الماء إلى الماء، وجلب كل النساء والأطفال خلف هذا الحاجز لكي يؤمن لهم الحماية. لكن هناك تمت محاصرتهم حتى نفذت مؤتمهم.

كان لدى هالداد توأم وهما ابنته هاليث وابنه هالدار، كليهما كانا شجاعين. وكانت هاليث امرأه بقلب عظيم القوة، لكن عندما ذبح هالداد في غارة ضد الأورك، أسرع هالدار لسحب جثة أبيه من مجزرتهم، فقتل هالدار هناك بجانب أبيه. عندها جمعت هاليث الناس مع أنهم كانوا من دون أمل. فالبعض منهم راح يرمي نفسه في النهر ليغرق. لكن بعد سبعة أيام على بدء هجوم الأوركس على الحاجز استطاعوا اختراقه. عند هذه اللحظة دوّت فجأة أصوات أبواق كارانثير مع جماعته نازلاً من الشمال فدحر الأوركس نحو الأنهار.

نظر كارانثير بعين العطف إلى البشر وإلى الشرف العظيم الذي عند هاليث فعرض عليها مكافأة وتعويضاً عن أبائها وأخاها، وعن البسالة التي أبدتها إيدارين. ولو أنها جاءت متأخرة، فقال لها إن رضيتم أن تتركوا هذه الأرض وتسكنون في الشمال، فسيكون لديكم هناك أصدقاء من الجان وتضمنون حماية إيلدار، وتكون أراضي مجانية خاصة بكم.

لكن هاليث كانت متكبرة وغير راغبة في الحكم والإدارة، وأغلب هالادين كانوا في مثل طبعها، لذلك شكرت كارانثير على عرضه. فأجابها: سيدتي إذا أردت رأيي، فالخير لكم أن تتركوا ظل الجبال وتذهبوا إلى الغرب، إلى تلك الأماكن التي ذهب إليها أقربائكم. ثم جمع

من هالادين كل من وُجدوه حياً، وأولئك الذين هربوا إلى البرية عبر الغابة قبل مجيء الأوركس، فجمعوا ما تبقى من مسلح في ييوتهم المحروقة. واتخذوا هاليث رئيسة لهم، فادّهم هاليث إلى إيستولاد. سكنوا في إيستولاد لفترة من الوقت، لكن بقي كل ناس منقسمين على حده. وكانت تلك صفة معروفة دائماً لدى البشر والجان، فيقال في الأمثال كشعب هاليث، أي منقسمين كل بيت على حده. بقيت هاليث رئيسة مادامت على قيد الحياة، ولم تزوج. بعدها انتقلت قيادة القبيلة إلى هالادان بن هالدار شقيقها. قررت هاليث على أية حال التحرك نحو الغرب ثانية، ومع ذلك فقد كانت غالبية شعبها ضد هذا الرأي. فصعدت بهم ثانية، وذهبوا بدون مساعدة أو إرشاد من إيلدار. مروا فوق كيلون وآروس وسافروا في الأرض الخطرة بين جبال الرعب وزنار ميليان، رغم ذلك فلم تكن تلك الأرض شريفة بعد، كما أصبحت عليه فيما بعد. لكنه لم تكن هناك طرق للبشر الفانين للسير بما من دون مساعدة. إلا هاليث فكانت هي الوحيدة التي قادت شعبها من خلال تلك الطرق بالمشقة والخطر، لم يعبق قوة رغبتها بالتقدم إلا الحسائر. وأخيراً عبروا بريياخ. ندم كثيرون منهم بشكل مرير بسبب متاعب الرحلة. لكنهم وصلوا إلى مرحلة اللاعودة، لذلك عادوا في الأراضي الجديدة إلى حياتهم القديمة كأفضل ما يكون. وسكنوا في المنازل الجناية في غابة ثلاث ديزنين بعد تيغيلين وتحول بعضهم إلى مملكة نارغوثروند، لكن كان هناك العديد ممن أحبوا السيدة هاليث وتمنوا الذهاب أينما ذهبوا ورغبوا بأن يقوا تحت حكمها. فسارت بهم إلى غابة بريثيل بين تيغيلين وسريون، وإلى هذه الغابة عاد الشعب المتفرق في الأيام الشريفة التي تلت تلك الأيام.

ادعى الملك ثينغول بأن غابة بريثيل هي جزء من مملكته مع أنها لم تكن واقعة ضمن زنار ميليان. وقد أنكرها على هاليث، لكن فيلاغوند الذي كان صديق ثينغول، وكان قد سمع كل الذي حصل مع شعب هاليث، فقد طلب من ثينغول بأن يقيهم في بريثيل ليسكنوا بشكل حر على شرط واحد، وهو أن يحرس شعبها معابر تيغيلين ضد كل أعداء إيلدار، ولا يسمحوا للأوركس بالدخول إلى غاباتهم. إلى هذا الحد أجابت هاليث: أين هالدار أبي وهالدار أخي؟ إذا كان ملك دورياث يضاف الصداقة بين هاليث وأولئك الذين أنفوا أقرارها، إذا فإن أفكار إيلدار تعتبر غريبة على البشر. سكنت هاليث في غابة بريثيل حتى ماتت، وقد رفع شعبها فوق قبرها تل أحضر على مرتفعات الغابة، ويدعى تور هارشا، أي رابية السيدة، وفي لغة سيندارين يقال له هاوذا اين إيرؤين.

بمذه الطريقة كانت كيفية حدوث سكن إيدايين في أراضي إيلدار. فالبعض هنا والبعض هناك والبعض يتحولون والبعض استقروا كقبائل وشعوب صغيرة. وبسبب لهفة الكثيرين لعلوم الجان فقد تعلم جزء كبير منهم لغة الجان الرماديين، إذ كانت تعتبر كلغة مشتركة بينهم. لكن بعد فترة رأى ملوك الجان بأن سكن البشر والجان مع بعضهم والاختلاط بينهم سيؤدي إلى التخبط. لأن البشر بحاجة إلى زعماء من جنسهم، فيجب أن يكون لديهم مجموعة مناطق مستقلة، لكي يتمكن البشر فيها من عيش حياتهم الخاصة. والرعماء الذين يحملون مسؤولية الحكم وحماية أراضيهم بحرية. فقد كانوا حلفاء إيلدار في الحرب لكنهم زحفوا إليها تحت قيادة زعمائهم. رغم كل ذلك فقد كان العديد من إيدايين متبهرجين بصحبتهم مع الجان والسكن بينهم لمدة طويلة إذا سمح لهم الجان بذلك. وفي أغلب الأحيان أخذ الشباب للخدمة في جيوش الملوك لفترة من الوقت.

دخل هادور لوريندول بن هاثول بن ماغور بن مالاخ أريادن إلى بيت فينغولفن في شبابه. فأحبه الملك فينغولفن وأعطاه سيادة دور لومين. جمع إلى تلك الأرض كل أقربائه وقبيلته وأصبح هو الأقدار بين زعماء إيدايين. ولم يتكلم في بيته إلا لغة الجان، مع أنه لم ينس لغته الأصلية، وهي تلك اللغة التي جاءت منها اللغة المشتركة لنومينور فيما بعد، أما في دورذونون فقد أعطيت سيادة شعب بيور وبلاد لادروس<sup>1</sup> إلى بورومير بن يورون حفيد بيور الكبير.

أبناء هادور كانوا، غالدور وغوونودور، وأبناء غالدور كانوا هورين وهورور، وابن هورين كان تورين ذابح الثنين غلارورونغ، وابن هورور كان تورور، والد إيارينديل المبارك. أما ابن بورومير فكان بريغور، وأبناؤه هما بريغولاس وإاراهير، وأبناء بريغولاس هما باراغوند وبيليغوند، و بنت باراغوند كانت موروين والدة تورين. و بنت بيليغوند كانت ريان والدة تورور. لكن ابن إياراهير كان بيرين ذو اليد الواحدة الذي فاز بحب لوثايين بنت ثينغول، وهو الذي عاد من الموت، ومنهما جاءت إيلوينغ زوجة إيارينديل ومن ثم كل نسل ملوك نومينور فيما بعد.

كل هؤلاء دخلوا ضمن شبكة أقدار نولدور. وقد عملوا الأعمال العظيمة التي مازال يذكرها إيلدار بين تواريخ الملوك القدامى، وفي تلك الأيام أضيفت قوة البشر إلى قوة نولدور، وكانت أمثالهم كبيرة، وأفضل الطوق حول مورغووث. لأن شعب هادور كانوا قساة

<sup>1</sup> لادروس Ladros. وهي المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من دورذونون، وقد أعطيت كإقطاع لفترة وجيزة إلى بنت بيور، لكنهم خسروها أمام مورغووث في معركة داغور براغولاخ

يتحملون البرد ويتحولون لمدة طويلة، ومن سكرة الخوف أحياناً كانوا يذهبوا إلى الشمال للاستمرار بمراقبة تحركات العدو هناك. تضاعفت وازدهرت أعداد شعب البيوت الثلاثة لكن الأعظم بينهم كان بيت هادور الرأس الذهبية. نظير أسياد الجان. فقد كان شعبه من القوة والقوام العظيم. ذو عقل متيقظ، شجاع وصامد، سريع إلى الغضب، سريع الصلح، وكان هائلاً بين أبناء الإوقات في الأيام الأولى للبشرية، فعاليبتهم كان شعرهم أصفر، وغيوهم زرقاء، لكن تورين لم يكن كذلك، فأمه كانت موروين من بيت بيور، وأهل ذلك البيت (بيت بيور) كان شعرهم بني داكن وغيوهم رمادية. وفي كل شيء كان البشر يشبهون نولدور. وأكثر شيء أحبه هو نولدور. لأنهم كانوا تواقين للعقل بارعين بالخيل وسرعة الفهم وقوة الذاكرة. فانتقلوا حالاً إلى الرحمة بم بدل السخرية منهم. كما كان منهم من شعب هاليث، شعب الغاية، لكن قوامهم كان أقل، وتلفهم للعلم أقل، فقد كان حديثهم مقتضياً، ولا يجيئون كثيراً للقاءات مع البشر، فالكثيرين منهم فرحوا بالخلوة، والحرية والتشرد في الغابات الخضراء، بينما كانت أعجوبة أراضي إيلدار جديدة عليهم. لكن أيامهم في ممالك الغرب كانت قصيرة وأيامهم حزينة.

كانت سنوات إيدايين طويلة، طبقاً لحسابات البشر بعد مجيئهم إلى بيليرياندا. لكن أخيراً عندما مات بيور الكبير، وكان قد عاش ثلاثة وتسعين سنة، عاش منهم أربعة وأربعين سنة في خدمة فيلاغوند. ثم مات بشكل طبيعي بدون جرح أو ألم، بل لنفاذ عمره، ولأول مرة ترى إيلدار الثلاثي السريع لحياة البشر، وموت التعب الذي لم يعرفوه هم في أنفسهم. فحزنوا كثيراً لفقد أصدقائهم. وأخيراً تخلّى بيور عن حياته بشكل لائق وعبرها بسلام. تساءلت إيلدار كثيراً عن هذا المصير الغريب للبشر، لأنه في كل علومهم لا توجد رواية أو وصف لذلك، ونهايته كانت محفياً عنهم.

مع ذلك فإن إيدايين القديمة كانت لديها سرعة التعلم من إيلدار، في كل أنواع الفنون والمعرفة التي يتحصلون عليها، وازداد أبناءهم في الحكمة والمهارة حتى فاقوا كل البشر الآخرين الذين مازالوا يسكنون شرق الجبال، ولم يشاهدوا وجوه إيلدار التي شاهدت ضوء فالينور.





## الفصل الثامن عشر

### خراب بيليرياند وسقوط فينغولفن

يرى فينغولفن ملك الشمال والملك الأعلى لنولدور، بأن شعبه أصبح كثير العدد والقوة. وحلفاءه من البشر كانوا على قدر كبير من الشجاعة والعدد، لذلك فكر أكثر من مرة بالمحوم على أنغباند، لأنه يعلم بأن حياتهم مهددة دوماً ما دامت دائرة الحصار على مورغووث غير مكتملة، ومادام مورغووث يتمتع بحرية العمل في سراديبه وأقينته العميقة، مبتكراً لشرور لا يمكن التنبؤ بما قبل أن يكشفها. هذا الرأي كان حكيماً طبقاً لإجراءات معرفته هو. ولأن نولدور لم يكونوا على علم لحد الآن باكتمال قوة مورغووث، ولم يفهموا بأن حريمهم غير المدعومة عليه كانت بالنهاية من دون أمل. سواء عجلوها أو أخروها، لكن لأن الأرض كانت جميلة وبمآلكها متسعة. فقد كانت أغلبية شعب نولدور راضية بالأشياء كما هي وواقفة بذلك للنهاية، لذلك كانوا متباطئين في بدء المحوم. ولأن في الحرب موت للكثيرين منهم، إن كان هناك نصر أو هزيمة، فلم يهتموا كثيراً بالإصغاء إلى آراء فينغولفن. وفي ذلك الوقت فقط أنغورود وإيغور من أبناء فيانور هما من كانا يوافقان آراء الملك من بين كل زعماء نولدور. لأنهما يسكنان في المناطق القريبة من حصن مورغووث، فمنها يمكن مشاهدة أبراج نانغورودريم، وتهديد مورغووث كان حاضراً في فكرهم دائماً. لذلك فلم تنجح مقاصد فينغولفن في شنّ الحرب على مورغووث. ولغاية ذلك الوقت بقيت الأرض تنعم بالسلام الهش لفترة.

لكن عند الجيل السادس للبشر بعد بيور وماراخ، وكانوا لم يصلوا بعد إلى حد اكتمال القوة. وافق ذلك في السنة الخامسة والخمسين بعد الأريعمائة لمحيي فينغولفن. فقد وقع شرٌّ وكان مرعباً لمدة طويلة، فقد اعتبر رهيباً جداً، بل كان الأكثر مباغته من أساليب رعيه المظلمه. لأن مورغووث جهز قوته لمدة طويلة في السر، وكان الحقد في قلبه ينمو ويكبر وكراهيته لنولدور تتزايد، فلم يكن راغباً فقط في إنهاء الخصومة لكنه كان يريد تحطيم

وتشويهه الأراضي التي أخذوها وجعلوها جميلة، ويقال بأن حقهده تغلب على النصح والمشورة، لذلك فلم يكن ليحتمل الانتظار لفترة طويلة. لأنه وفق خطته فإنه سيقتضي على نولدور تخائباً في هذه المعركة. مع أنه قدّر شجاعة الجان لكنه لم يحسب حساباً لشجاعة البشر.

كان ذلك في ليالي الشتاء المألقة حيث لا وجود لضوء القمر، وكان سهل أرد غالين الفسيح، من تلال نولدور الحصينة إلى أسفل ثانغورودريم، يمتد باهتاً تحت أضواء النجوم الباردة. كانت نيران الحراسة خافته، وعدد الحراس قليل، فلم تكن على السهل مستيقظة إلا بضغ غيالة في معسكرات هيثلوم. فجأة أرسل مورغوث أنهار لمب عظيمة من ثانغورودريم، نزلت مسرعة أسرع من الباروغز، وانصبت على كامل السهل، وتجمّدت جبال الحديد تفرّ النيران السمووم في الأجواء، فأتت الهواء من دخانها وأصبح مميتاً. هكذا مات أرد غالين والتهمت النيران أعشابه، واحترق حتى أصبح كصحراء مقفرة. لقد امتلأ بالغيار الحائق وأصبح قاحلاً بلا حياة، وفيما بعد تغيّر اسمه ودعي إنفاوغليث، أي لهات الغبار. فقد كان قبر بلا سقف للكثير من العظام المتفحمة، ولقي الكثير من نولدور حتفهم في ذلك الحريق، إذ لحقهم تيار اللهب ولم يستطيعوا الطيران إلى التلال. صدّت كل من سلسلة جبال إيريد لوين وهضبة دورثونيون السيول النارية، لكن الغاية المطللة على السفوح نحو أنغياند فكانت كلها كالموقد. فارتبك المدافعون وتشوشت رؤيتهم من الدخان. هكذا بدأت رابع المعارك العظيمة، داغور براغوللاخ، معركة اللهب المفاجيء.

في جبهة النار أتى غلاورونغ الذهبي أبو الثناتين في تمام قوته، يجر وراءه الباروغز، وحلفهم جيوش الأوركس السوداء. فلم يسبق لنولدور أن رأوها أو تحيلوها. هاجموا قلاع نولدور وكسروا الحلف الذي كان يحاصر أنغياند، فذبحوا نولدور وحلفاءهم من الجان الرماديين والبشر حيثما وجدوهم. قُتل الكثير من الشجعان من خصوم مورغوث في الأيام الأولى لتلك الحرب. فالخيرة والتفرق كانت غير قادرة على حشد قواهم. توقفت الحرب لكن ليس كلية لأنها عادت وبدأت ثانية في ييليرياند، أما نهاية معركة اللهب المفاجيء فكانت عند مجيء الربيع عندما تناقصت شدة هجوم مورغوث.

هكذا انتهى حصار أنغياند، وتبعثر خصوم مورغوث متفرقين عن بعضهم. فأكثر الجان الرماديين هربوا إلى الجنوب وتركوا الحرب الشمالية، والكثير منهم استقبلوا في دوريات. وفي ذلك الوقت تعاضمت المملكة وازدادت قوة ثينغول. ولن يستطيع الشر الدخول إلى ذلك

العالم المخفي لأن قوة الملكة ميليان حيكت حول حدودها. أما الآخرين فقد لجأوا إلى القلاع بجانب البحر وإلى نارغوثرونند. هرب البعض من الأرض وأخفوا أنفسهم في أوسيرياند، أو عبروا الجبال وتاهوا بلا مأوى في البرية. انتشرت أخبار الحرب وكسر الحصار إلى كل البشر في شرق الأرض الوسطى.

تحمل أبناء فينارفين وطأة العبء الأكبر للهجوم، فقد قتل كل من أنغورود وإينغورود. وبجانبهما سقط بريغولاس سيد بيت بيور، وجزء كبير من محاربي ذلك الشعب. لكن باراهير شقيق بريغولاس ابتعد غرباً بجانب معابر سيريون. هناك كان الملك فينرود فيلاغوند الذي جاء مسرعاً من الجنوب فانفصل عن شعبه مع مجموعة صغيرة، وحوصر ضمن حوض مستنقع سيرينج وكان يمكن أن يُذبح أو يُؤسر، لكن باراهير ومجموعة من رجاله الشجعان أنقذوه وجعلوا حوله جداراً من الرماح. فخرجوا من المعركة بالخسارة العظيمة. هكذا نجح فيلاغوند وعاد إلى قلعته العميقة نارغوثرونند. لكنه أقسم قسماً يلتزم فيه بصدقة ومساعدة باراهير وعشيرته، وكدلالة على قسمه فقد أعطى خاتمة إلى باراهير الذي أصبح الآن بحق سيد بيت بيور وعاد إلى دورثيون. لكن أغلب شعبه هربوا من بيوتهم ولجأوا إلى هيثلوم.

كان هجوم مورغوث من الضخامة بمكان بحيث لم يستطع فينغولفين وفينغون أن يأتيا لمساعدة أبناء فينارفين، فعاد جيش هيثلوم بالخسارة العظيمة إلى قلاع إيريد ويشين وبالكداد استطاعوا الدفاع عنها ضد هجمات الأوركس العنيفة. فقد سقط هادور الشعر الذهبي المدافع عن حامية جيش سيده فينغولفين أمام أسوار إيثيل سيريون، وكان وقتها بالسادسة والستين من عمره، سقط معه في المعركة أيضاً ابنه الأصغر غوندور الذي اخترقت جسمه سهام كثيرة. فندبم الجان وحزنوا عليهم كثيراً. بعد ذلك أخذ غالدور الطويل الرعامة عن أبيه. وبسبب القوة وارتفاع الجبال الغامضة، التي قاومت سيول النار وبفضل شجاعة الجان ورجال الشمال فلم يستطع لا الأوركس ولا البالروغز من التغلب عليهم. بقيت هيثلوم صامدة لم تقهر بل على العكس كانت تهدد جناح هجوم مورغوث. أما فينغولفين فقد انفصل عن عشيرته وأقربائه يبحر من الأعداء.

اتجهت الحرب مؤخراً ضد أبناء فيانور، وياقترب المحوم من غالبية الحدود الشرقية فقد بدا ذلك جيداً بأن مر أغلون أصبح كمنس إيجباري، وكانت كلفته باهظة على أصحاب الأرض من قبل مورغوث. فهزم كيلبيغورم وكوروفين وهربا من حدود دوريات الجنوبية والغربية

حتى وصلاً أخيراً إلى نارغوثروند، قاصدين مأوى عند فينرود فيلاغوند، ويدخولهما إلى هناك فقد زاد شعبيهم من قوة نارغوثروند. لكنه كان يمكن أن يكون أفضل، كما لوحظ فيما بعد، فقد كانت لديهم بقية من شعبيهم في الشرق تقابلت مع أخوهم مايدروس الذي أبدى شجاعة خارقة. واستطاع هزيمة الأوركس. فبعد عذاباته على جدران نانغورودريم أصبحت روحه المشتعلة بداخله مثل النار البيضاء. فكان أشبه بشخص عاد من الموت. لذا كانت قلعة العظيمة على تل هيمرينغ عصيةً على الأعداء، واجتمع لدية الكثير من الشجعان من شعب دورثونيون ومن التخوم الشرقية، لذلك قام مايدروس بمشدد جيشه هناك وأغلق معبر أغلون لفترة من الوقت لكي لا يتمكن الأوركس من الدخول إلى بيليرياند عن ذلك الطريق. لكن خيالة شعب فيانور سحقوا هناك على لوثلان، لأن غلاورونغ أتى إلى هناك ومراً من خلال فجوة ماغلور محطماً كل الأرض بين أذرع جيليون. فاستولى الأوركس بذلك على القلعة الغربية الواقعة على سفوح جبل ريرير. ودمروا ثارجيليون، أرض كارانثير ودنسوا بحيرة هيليشورن. ومن هناك مروا فوق جيليون بالنار والرعب حتى وصلوا إلى شرق بيليرياند. انضم ماغلور إلى مايدروس على تلة هيمرينغ، لكن كارانثير هرب وانضم إلى بقية شعبه الصيادين المنفرقين في الغابات. أما أمروود وأمراس فقد تراجعا وعبرا رامدال في الجنوب، وأبقوا على بعض المراقبة وقوة الحرب على آمون إيريب. فقد أعانهم على ذلك الجان الخضر. وبالتالي فلم يتمكن الأوركس من الوصول إلى أوسيرياند ولا إلى تاور إم دويناث وبراري الجنوب.

وصلت أخباراً إلى هيتلوم تُفيد بأن دورثونيون سقطت وضاعت وأن أبناء فينارفين سقطوا، وأخرج أبناء فيانور من أراضيهم. عندها نظر فينغولفين (كما بدا له) الخراب المطلق لنولدور. فالهزيمة غير قابلة للتعويض لكل بيوتهم. فامتأ بالغضب واليأس، لذلك ركب لوحده على حصانه العظيم روخالور ولم يستطع أحداً إيقافه أو منعه، سار ماراً فوق دور نو فاوغليث مثل ربح وسط الغبار. وكل من رأى طلعه هرب مندھشاً. لا اعتقادهم بأنه أورومي نفسه، فقد أشرفت عيونهم مثل عيون الفالار من شدة الغضب التي كانت بادية عليه. حتى وصل لوحده إلى بوابة أنغياند فأطلق صوت بوقه، وضرب مرة أخرى على الأبواب النحاسية متحدياً مورغوث بأن يبرز إليه بمعركة فردية. وجاء مورغوث.

تلك كانت آخر مرة يعبر فيها مورغوث أبواب معقله ويخرج أثناء أو بعد الحروب، ويقال بأنه لم يأخذ هذا التحدي عن رغبة. على الرغم من أن قوته كانت أعظم قوة في هذا

العالم، وهو الوحيد من بين الفالار الذي عرف الخوف، لكنه لا يستطيع أن ينكر التحدي الذي وجه إليه فينغولفين أمام قادته. فقد رنت الصخور من شدة صوت يوق فينغولفين، وجاء صوته واضحاً ومتحمساً إلى أعماق أنغياند، وقد نعت فينغولفين مورغوث بالجبان، وسيد العبيد، لذلك جاء مورغوث. يرتفع ببطء من عرشته تحت الأرض وضجيج أقدامه كصوت الرعد تحت الأرض. خرج ملتقاً بدرعه الأسود، ووقف أمام الملك كبرج متوج بالحديد بدرعه الواسعة المزركشة القائمة التي ألقت فوقه ظلالاً كالغيوم الملبدة. لكن فينغولفين لمع من تحته كنجم يرسل بريقاً مغلفاً بالفضة، لأن درعه الأزرق كان مرصعاً بالبلورات. فسحب سيفه رينجيل<sup>1</sup> المتألق كالتلج وكان جاهزاً للنزال.

لوح مورغوث بمطرقة غرونند (مطرقة العالم السفلي). وأزله بقوة كالصاعقة على خصمه، لكن فينغولفين تحاشى الضربة وقفز جانباً، فصنعت غرونند حفرة كبيرة في الأرض، واندفع من هذه الحفرة دخان ونار. حاول مورغوث ضربه أكثر من مرة، وفي كل مرة كان فينغولفين يتحاشى الضربة بالقفز بعيداً. وبضربات عاطفة كالبرق من تحت الغيمة المظلمة أصاب فينغولفين مورغوث بسبعة جروح، وفي المرات السبعة كان مورغوث يصرخ من الألم. يبحث أن جماهير أنغياند سقطوا على وجوههم من الفزع، وتردد صدى الصراخ في كل الأرض الشمالية.

لكن أخيراً تعب الملك. وثقب له مورغوث درعه بعد أن أصابه بمطرقة ثلاث مرات، فأصبحت درع فينغولفين محطمةً إلى مستوي الركبة. لكن فينغولفين كان ينهض في المرات الثلاث حاملاً درعه المكسور وخوذته المهشمة، ولأن الأرض كانت مشقوقه ومحطّره تعثرت قدم فينغولفين ووقع أمام أقدام مورغوث. فوضع مورغوث قدمه اليسرى على رقبته، وكانت ثقيلة كتل ساقط، رغم ذلك ضرب فينغولفين الضربة الأخيرة المستميتة بسيفه رينجيل فقطع قدم مورغوث، وتساعد من الجرح دم أسود، فملاً الدخان الحفر التي حفرها المطرقة غرونند.

هكذا كانت نهاية فينغولفين الملك الأعلى لنولدور، أكثر ملوك الجان القدامى فخرًا وشجاعةً. ولم يتفاخر الأوركس بتلك المباراة أمام الباب. ولم يحدها الجان بالأغاني والأناشيد، لأن حزنهم كان عميقاً، رغم ذلك فما زال الجان يتذكر تلك الحكاية. جلب

<sup>1</sup> رينجيل Ringil. قيل أنه سمي هكذا لأنه كان يوضع بالون الجلود الأزرق عندما جرح مورغوث، ويشير إلى السيف المنجد والصلب البارد. أيضاً رينجيل هو اسم مصباح الفلار؛ اللون الذي كان منصوباً على عمود جلدي في الشمال، وقد يكون فينغولفين أعماه هذا الاسم لتذكر اسقاط مصابيح الفلار.

ثوروندور ملك النصور الأخبار إلى غوندولين وإلى هيثلوم من بعيد. وكان مورغوث يريد أخذ جثة ملك الجان وتحطيمها وإطعامها لذئابه. لكن ثوروندور جاءه مسرعاً من وكره من على قمم كريسايفريم وهجم على مورغوث بمخالبة وأفسد له وجهه، فقد كانت سرعة أجنحة ثوروندور مثل ضوضاء رياح مانوي. ثم أخذ جثة فينغولفين بمخالبة المائلة، وارتفع بها بسرعة فوق نبيلات الأوركس، فحمل جسد الملك بعيداً ووضع على قمة الجبل المطل على الوادي المخفي لغوندولين. بعد ذلك جاء تورغون وبني صرحاً عالياً من الحجارة فوق جسد أبيه، وبعدها لم يتحاصر الأوركس أبداً على المرور من فوق جبل فينغولفين، ولا حتى الاقتراب من قبره، إلى أن جاءت نهاية غوندولين وولدت الحيانة بين أقرابائه. أما مورغوث فقد ذهب يعرج بقدم واحده، بعد ذلك اليوم، وألم جراحه لن يشفى للأبد، وبوجهه كانت آثار الندوب التي حفرتها مخالب ثوروندور.

حلّ هناك حزنٌ عظيم في هيثلوم بعد سماعهم نبأ موت الملك فينغولفين. واستلم فينغون من بعده سيادة بيت فينغولفين ومملكة تولدور بحزن. لكن ابنه الشاب إيرينون بن فينغون (الذي سمي فيما بعد غيل غالاد) فقد أرسل إلى المرافع.

تغلبت قوة مورغوث على كل الأرض الشمالية إلا دورذونيون التي كان فيها باراهير الذي لم يهرب وبقي يتنافس مع أعدائه على الأرض قدم بقدم. فطارده مورغوث هو وشعبه إلى الموت حتى لم يبق منهم إلا قلة. وأخذت كل غابات السفوح الشمالية من تلك الأرض رويداً رويداً إلى منطقة تشبه السحر المخيف المظلم، حتى أن الأوركس لم يدخلوها إلا مكرهين وبداعي الحاجات الملحة فقط. دعيت تلك الغابات ذيلدواث، و تاور نو فوين أي الغابة الواقعة تحت حجاب الليل. فالأشجار التي نمت هناك بعد الحريق كانت سوداء ومتجهمة، وجذورها كانت متشابكة تخرمش في الليل مثل المخالب. وأصبح كل من يتيه داخل هذه الغابات مفقود أو أعمى. فقد وجدوا هناك أناس مشنوقين أو من مسنهم الجنون من التخيلات المرعبة. أخيراً أصبحت حالة باراهير يائسة. أما زوجته إيميلدير الملقبة، قلب الرجل (والتي يقول للمنطق بأن قتالها إلى جانب ابنها وزوجها كان أولى بها من الحرب)، كانت قد جمعت إليها كل النساء والأطفال الذين تركوا وحملتهم أسلحة، وقادتهم إلى الجبال الواقعة خلفهم عبر طرقٍ مخفوفة بالمخاطر، حتى وصلوا أخيراً وبعد بؤس وحسائر كثيرة إلى بريثيل. فاستقبل بعضهم هناك بين هالادين، ونقل آخرون إلى الجبال إلى دور لومين، وكان معهم شعب غالدور بن هادور وبين أولئك كانت يمان بنت بيلغوند

وموروين بنت باراغوند، والتي سميت إيلندوين، أي وميض الجان. لكن لم ير أحد فيما بعد أي من الرجال الذين غادروا. لأنهم ذُبحوا كلهم، الواحد تلو الآخر. حتى لم يبقى أحيراً من قوم باراهير إلا اثنا عشر رجلاً، وهم ابنه بيرين وباراغوند وبيليغوند أبناء أخيه بريغولاس، وتسعة من الخدم المطيعين لبيته. والتي بقيت أسماؤهم مذكورة في أغاني نولدور لمدة طويلة. وهؤلاء التسعة هم: راذروين ودايروين. وكان كل من داغنير وراغنور وغيلندور وغورليم يلقبون بالتعساء. أما أرثاد وأورثيل وهائالدير فيلقبون بالشباب. وقد أصبحوا كلهم عبارة عن عصابة من الخارجين عن القانون بدون أمل، وفرقة مستميتة لا تستطيع الحرب أو العمل والانتاج. لأن مساكنهم ذُمرت، وزوجاتهم وأولادهم ربما أسروا أو ذبحوا أو هربوا، فلم تأتي من هيثلوم لا أخبار ولا مساعدات، فأصبح باراهير ورجاله مطاردين مثل وحوش البرية. لذلك تراجعوا إلى المرتفع القاحل فوق الغابة، وتجولوا بين البحيرات الجبلية والأراضي البور الصخرية من تلك المنطقة. متبعدين عن جواميس وتعاويد مورغوث، مفترشين الأرض القامية وملتحفين السماء القائمة.

بعد مرور سنتين تقريباً على داغور براغوللاخ. وما زالت نولدور تقاوم في المعابر الغربية حول منابع سيريون، لأن قوة أولمو كانت في ذلك الماء، صمدت ميناس تيريث بوجه الأوركس. لكن ما حدث بالتفصيل هو أنه بعد سقوط فيغولفين، أتى ساورون، وهو من أعظم خدم مورغوث فظاعة. وهو الذي يقال له بلغة سيندارين غورثور، أتى ليقاتل أورودريث قائد برج المراقبة على تول سيريون. فبعد أن أصبح ساورون ساحراً بقوة مجفئه، فهو الآن سيد الظلال والأشباح. وبحكمته الفاسدة وقوته القاسية كان يفسد كل ما يلمسه، فهو الحاكم الملتوي ومسيد المستذئبين، فلم تكن زعامته إلا عذاباً. أخذ ميناس تيريث بالقتال. لأن غيمة مظلمة من الخوف سقطت على المدافعين عنها. هُزم أورودريث في برج المراقبة على تول سيريون، وهرب إلى نارغوثرون. فيما بعد جعل ساورون البرج، كبرج مراقبة لمورغوث. فأصبح معقل الشر والخطر. وأصبحت الجزيرة الجميلة تول سيريون ملعونة. وسميت فيما بعد (تول إن غاورهوث) أي جزيرة المستذئبين، فلا يمكن لأي مخلوق حي أن يعبر ذلك الوادي الذي يراقبه ساورون من البرج حيث يقيم. تمسك مورغوث بالمر الغربي. ومالاً إهابه حقول وغابات يلبرياند. فقد لاحق خصومه باستمرار إلى ما وراء هيثلوم، باحثاً عن مخابهم، أخذاً معاقلمهم الواحد تلو الآخر، وأصبح الأوركس يتحولون بكل وقاحة بالطول وبالعرض. فنزلوا إلى سيريون في الغرب وكولون في الشرق، فأحاطوا بكل دوريات.

وامتباحوا كل الأراضي، لذلك هرب الطير والوحش من أمامهم، وانتشر الصمغ والخراب في كل الشمال. أسر كثيرون من نولدور وميندار واقتيدوا عبيداً إلى أنغياند. فأجبروهم على استخدام مهاراتهم ومعارفهم لخدمة مورغوث. بعث مورغوث بجواميسه متخفين بالمهيمات الزائفة والكلام المخادع، ليصنعوا الأكاذيب والوعود الزائفة، فقاموا بإثارة الخوف والشك بين الناس بالكلام المخادع. وأتموا الملوك والزعماء بالطمع والخيانة من واحد إلى آخر. وبسبب لعنة ذبح الأقارب في الكوالوندي. فقد تم تصديق أغلب تلك الأكاذيب. بالفعل فقد كان مقياس الحقيقة في ذلك الزمان يوافق قنامة تلك الأيام. وقد أصبحت قلوب وعقول جان بيليرياند مغلفةً باليأس والخوف. لكن أكثر ما أضاف نولدور هو خيانة أقاربهم، الذين كانوا عبيداً عند مورغوث فقد استعمل بعضهم لأغراضه الشريرة، بادعائه بأنه أعطاهم حرّيتهم وأرسلهم خارج أنغياند. لكنه قيّد إرادتهم. فلا يستطيعون إلا أن يعودوا إليه ثانية، لذلك فكل من هرب من أسر مورغوث حقيقةً، كان يلقي القليل من الترحاب بين أهله. لذلك خرجوا كجوالين متوحدين تائهين مجرمين.

اختلق مورغوث رحمة ليست فيه، وبعث برسائل إلى البشر لعل أحد يسمعها، حيث قال بأن مشاكل البشر جاءت من عيوديتهم لثوار نولدور. لكن على يدي السيد الشرعي للأرض الوسطى. فإنهم سيحصلون على الشرف والمكافآت الجزية على شجاعتهم إذا تركوا التمرد. أصغت إليه بضعة من بيوت البشر الثلاثة لإيدين فقط، ولم يستطع أحد البقية إلى عذاب أنغياند، لذلك فقد طاردهم بكرهية، مراسلاً رُسلة على الجبال.

قبل أنه في ذلك الوقت جاء إلى بيليرياند أوئل البشر السُمر. وبعضهم كان تحت قيادة مورغوث بالسُر. وقد أتوا إلى بيليرياند بناء على طلبه، لتكريس الإشاعات في أراضيها ومائها، في حروبها وثرواتها، وقد مشوا بها طويلاً وعرضاً. حتى وصلت أقدام البشر المتجولين في تلك الأيام إلى الغرب. وكان هؤلاء البشر قصار القامة عريضوا الأكف. وكانت أذرعهم طويلة وقوية، وجلودهم شاحبه، وشعرهم قائماً وكذلك عيوتهم. وكانت يوتهم كثيرة. والبعض منهم كانوا أقرب الشبه إلى أقزام الجبال منه إلى الجان. لكن مايندروس الذي كان يعرف بضعف نولدور وإيدين. بينما كانت أقبية أنغياند تبدو وكأنها مخزّن دائم متجدد لا ينضب. لذلك عقد حلفاً مع هؤلاء القادمين الجدد من البشر. ومنح صداقته لأعظم زعماء قبائلهم وهم بور وأولفانغ. وكان مورغوث راضٍ تماماً عن ذلك لأن الأمور سارت كما صمم لها. وكان أبناء بور هم بورلاد، بورلاخ، بورثاند. وهم من تبعوا مايندروس



وماغلور وخببوا أمل مورغوث لأنهم كانوا مخلصين، وأبناء أولفانغ الأسود كانوا ثلاثة وهم أولفامست، أولوارث، وأولدور الملعون، الذين تبعوا كارانتير وأقسموا الولاء له وأبنتوا خبيانتهم.

لم تكن هناك مودة بين إيدايين وإيستيرلينغر. ونادراً ما اجتمعوا، لأن القادمين الجدد سكنوا لمدة طويلة في بيلوربانند الشرقية. وشعب هادور معلق عليه في هيثلوم. وبيت بيور اقترب منه الخراب والتدمير كثيراً. كان شعب هاليث في البداية بمنأى عن حرب الشمال، لأنهم سكنوا جنوب غابة بريثيل. لكن حدثت هناك معركة بينهم وبين الأوركس الغزاة، فقد كانوا رجالاً أشداء ولن يتروكوا الغاية التي أحبوها، وفي وسط اختيار هزائم ذلك الوقت فإن أعمال هالاديين كانت مذكورة بالشرف. فبعد أن أخذ الأوركس ميناس تيريث عبروا من الممرات الغربية، إذ رما كان التدمير سيظال كل شيء وصولاً إلى مصبات نهر سيريون، لكن هالمير سيد هالاديين أرسل خطاباً سريعاً إلى ثينغول، لأنه كان يمتلك صداقة مع الجان الذين يخدمون حدود دورياث. فأرسل له ثينغول يبليغ الملقب بالقوس القوي، رئيس حرس موكب ثينغول. على رأس قوة كبيرة من سيندار مسلحة بالفؤوس إلى بريثيل. انتشرت هذه القوة من أعماق الغابة، وقام هالمير وببليغ بمباغنة قلب جيش الأوركس فحطموه، واستأصلوا المد الأسود الآتي من الشمال إلى كل تلك المنطقة، بعدها لم يجرؤ الأوركس على عبور تينغولين لعدة سنوات. سكن شعب هاليث متيقظين ينعمون بالسلام في غابة بريثيل، ومن وراء حراستهم استراحت مملكة نارغوثرونند لفترة، فأخذت تعد العدة وتحشد قواها.

في هذا الوقت كان هورين وهوور أبناء غالدور من دور لومين يسكنان مع هالاديين لأنهم أقرباء. وفي الفترة التي سبقت داغور براغوللاخ، فإن هذين البيتين من إيدايين كانت قد جمعتهما حفلة عرس كبيرة، عندما تزوج غالدور وغلورينذيل بنات هادور الرأس الذهبية، من هارث وهالدير أبناء هالمير سيد هالاديين. وهكذا فقد تربي أبناء غالدور في بريثيل عند عمهما هالدير. وبحسب أعراف البشر في ذلك الوقت، فقد ذهب كليهما إلى تلك المعركة مع الأوركس حتى هورور لأنهم لم يستطيعوا منعه، مع أنه كان بعمر ثلاثة عشر سنة. لكنه ألبى إلا أن يكون من بين الصحبة الذين قطعوا العهد على ملاحقة الأوركس حتى معاير بريشاخ. هناك كان يمكن أن يقتلوا جميعهم لولا قوة أولمو التي كانت ما تزال مسيطرة في مياه سيريون. فظهر ضباب من النهر أخفاهم عن أعين أعدائهم. وبذلك استطاعوا الهرب إلى بريشاخ من خلال ديمبار، ساروا بين التلال والأسوار المائلة من كرييساغريم، فتأهوا من

خداع تلك الأرض، ولم يتمكنوا من معرفة طريق العودة، هناك في الأعالي كان ثوروندور يراقبهم، فأرسل اثنين من نسوره لمساعدتهم، فحملتهم النسور إلى غوندولين المدينة المخفية التي لم يكن قد رآها بشري بعد لحد الآن.

هناك في غوندولين استقبلهم الملك تورغون بشكل لائق عندما علم لمن ينتسبون، فقد جاءته رسائل أولمو سيد المياه عبر الأحلام من فوق مياه سيزيون ومن البحر، تخذره من المشاكل القادمة وتصحه بالتعامل بلطف مع أبناء بيت هادور، ومن أين عليه أن يطلب المساعدة في وقت الحاجة. سكن هورين وهورور كضيوف في بيت الملك مكرمين حوالي سنة. ويقال بأن هورين تعلم الكثير من علوم الجان. وفهم بعض استشارات الملك وأهدافه، ولأن تورغون أحب أبناء غالدور حياً عظيماً فكان يتكلم معهم كثيراً، ومن خالص محبته لهما، فقد تمنى عليهما حقيقة البقاء في غوندولين، وليس فقط من أجل قانونه الذي يصر على أي غريب وجد الطريق إلى المملكة السرية ونظر إلى المدينة أكان ذلك إنس أم جان فيجب أن لا يغادرها ثانية، حتى يفتح الملك الطوق، وعندها فقط يجب على الناس المخفيين أن يخرجوا.

لكن هورين وهورور رغبا بالعودة إلى وديارهم ليشاركا أهلهم بالحرب والمهموم التي تعصف بهم. فقال هورين للملك تورغون: يا سيد، نحن بشرٌ هالكون على خلاف إيلدار الخالدون الذين يعيشون لسنوات طويلة، فبإمكانهم انتظار معركة مع أعدائهم وفرصتهم للانتقام طويلة وبعيدة. لكن نحن عمرنا قصير وأمل قوتنا يذبل بسرعة، علاوة على ذلك فلم نكن نحن من وجد الطريق إلى غوندولين. وبالحقيقة لا نعرف أين تقع هذه المدينة، فقد جاء بنا الخوف إلى هنا ومن دهشة عيوننا بطرق السماء العالية، حُجبت عيوننا بالرحمة فلم نر شيئاً. عند ذلك منحهم تورغون بركته وقال: بالمناسبة بما أن ثوروندور قد أتى بكما إلى هنا فسيكون لديكما إذن بالمغادرة إذا رغب ثوروندور بذلك. مع أي حزين لفراقكما رغم قصر الفترة التي جمعتنا سويةً (بالنسبة لحسابات إيلدار) فقد نلتقي ثانيةً.

لكن مايعلين ابن أخت الملك. وكان عظيماً في غوندولين، لم يحزن على الإطلاق لذهابهما، مع ذلك فقد حسدهما على إحسان الملك لهما، لأنه بالأساس لم يكن عنده أي محبة لجنس البشر. وقال مخاطباً هورين: تعرف، بأن نعمة الملك أعظم منك، والقانون يصبح أقل شدةً بمرور الوقت. وإلا فلم يكن أمامك من خيارٍ إلا البقاء هنا حتى نهاية حياتك.

فأجاب هورين: في الحقيقة نعمة الملك عظيمة، ويعجز الكلام عن شكره لكننا سنؤدّي اليمين لك أيضاً، وأقسم الأحرار بأنهم لن يكشفوا مجلس تورغون وسر عيشتهم وكل ما رآوه في مملكتهم. ثم أخذوا الإذن بالرحيل وأتت النسور لتحملهم. أخذتهما النسور بعيداً في الليل ووضعتهما قبل الفجر عند دور لومين. ابتهج أهلها لرؤيتهما ثانية، فقد أتت رسالة من بريثيل وأخبرت بأنهما فقدتا. لكنهما لم يُعلما حتى أبيهما أين كانا، فقد قالوا بأنهما أنقذا من البرية بواسطة النسور التي جلبتهم إلى منزل في البرية. لكن غالدور قال: هل سكتما سنة في البرية؟ أو أمسكنكما النسور في أوكارها. لكنكما وجدتما نعمة وطعام وثياب جميلة وعدتم كالأمرء الشباب. وليس كمتشردين في الغابات، فأجاب هورين: كن مطمئناً لعودتنا فلقد أقسمنا على الصمت وهذا هو المسموح به تحت هذا القسم. بعدها لم يستحوهما غالدور ثانية، لكن العديد من الآخرين حننوا بالحقيقة، ومرور الوقت والثروة الغريبة التي ظهرت على هورين وهورور، وصل خبرها إلى أذان خدم مورغووث.

علم تورغون بأن الحصار المضروب حول أنغياند من قبل الاتحاد كان قد كسر. وبأنه لن يعاني هو وشعبه من آثار الحرب لاعتباره بأن غوندولين كانت قوية. والوقت لم ينضج بعد لكشفها. لكنه اعتقد أيضاً بأن إنهاء الحصار كان بداية لسقوط نولدور. ما لم تأتمم مساعدة، لذلك أرسل بالسر جماعات من غوندولين إلى مصبات نهر سيريون وإلى جزيرة بالار. فبنوا هناك السفن وأبحروا إلى الغرب بأقصى سرعة لإيصال رسالة تورغون إلى فالينور، وفيها يطلب العفو والمساعدة من الفالار. ولأجل تلك الغاية فقد توسلوا بطيور البحر لتدلهم على الطريق. لكن البحار كانت موحشة وواسعة. وألقي عليهم السحر والظلم، فاختفت فالينور عنهم، لذلك لم يصل رسال تورغون إلى الغرب، وضاع كثيرون وعاد البعض، لكن نهاية غوندولين اقتربت أكثر فأكثر.

وصلت إشاعات هذه الأخبار إلى مورغووث، فقد كان قلقاً وسط انتصاراته، ورغب كثيراً بمعرفة أخبار فيلاغوند وتورغون، لأنهما اختفيا خارج حدود معرفته ولم يموتا، لذلك خاف مما قد ينجزه ضده. وبالحقيقة فقد سمع عن نارغوثروند بالاسم فقط، لكنه لم يعرف لا مكانه ولا شيء عن قوته، أما عن غوندولين فلم يعرف شيئاً. ثم فكر بتورغون وانزعج أكثر. ولهذا الغاية كان يعث الجواسيس باستمرار إلى بيلرياند، لكنه تذكر بأن جيش أنغياند الرهسي هو من الأوركس. فادرك بأنه لن يكون انتصاره كاسحاً وتمامياً ما لم يجمع قوة جديدة. وأنه أيضاً لم يحسب بشكل صحيح شجاعة نولدور ولا قوة وأسلحة البشر

الذين قاتلوا إلى جانبهم، مع ذلك فقد كان نصره كبيراً في براغوللاخ والسنوات التي تلتها، وقد تسبب بضرر كبير لأعدائه. لكن خسائره لم تكن بأقل من خسائر أعدائه مع أنه كان قد ضمن دورثونيون وممرات سيريون. بدأت إيلدار بالتعافي من آلامها فأعدوا العدة لاستعادة ما خسروه. وهكذا عاد السلام مجدداً إلى بيليرياند في الجنوب، لكن لعدة سنوات فقط، لكنه وفي أثناء ذلك فإن كيران الحدادة في أنغياند كانت تعمل بكامل طاقتها.

بعد انقضاء سبع سنوات على المعركة الرابعة عاود مورغوث هجومه من جديد وأرسل قوة عظيمة إلى هيثلوم، حيث كان هجومه على ممرات الجبال الغامضة قاسياً جداً، وقُتل سيد دور لومين غالدور الطويل بسهمٍ أثناء حصار إيتيل سيريون. فقد كان غالدور حاكماً على هذه القلعة نيابة عن فينغون الملك الأعلى للجان. وفي نفس مكان مقتل أبيه قُتل هادور لوريندول لكن قبله بوقت قصير. ثم جاء ابنه هورين وكان حديث الرجولة بعد وفتى صغير لكنه كان قوي البنية سليم العقل والفكر. فقد شجعه ضد الأوركس وذبحهم ذبحة عظيمة ودرهم عن إيريد ويترين ثم طاردهم بعيداً عبر رمال إنفاوغليث.

لكن الملك فينغون كان قد طلب منه وبشدة بأن يسير إليه ليمنع جيش أنغياند الذي نزل من الشمال وانضم إلى المعركة الدائرة على سهول هيثلوم. هناك تفوق الأعداء بعددهم على فينغون وجيشه. لكن سفن كيردان أبحرت بقوة فوق اللسان البحري درينغيست. وفي وقت الحاجة وقع جان الفالاس على جيش مورغوث من الغرب، فانكسر الأوركس وهربوا. وكان النصر وقتها حليف إيلدار، وبقي النبالون يطاردونهم على الخيول حتى الجبال الحديدية.

فيما بعد حكم هورين بن غالدور بيت هادور في دور لومين، وكان ولاءه لفينغون، لكن كانت منزلة هورين أقل من منزلة آباءه أو حتى ابنه بعده، لكنه كان لا يتعب وجسمه كثير التحمل، لين وسريع كأقرباء أمه هاريت من هالادين، وكانت زوجته موروين إيلدوين بنت باراغوند. من بيت بيور، وهي التي هربت من دورثونيون مع ريان بنت بيليجوند وإميلدير أم بيرين.

وفي تلك الأيام أيضاً كسرت شوكة الخارجين عن القانون في دورثونيون كما قيل فيما بعد. وبالكاد استطاع بيرين بن باراهير النجاة والهرب وحيداً إلى دورياث.



## الفصل التاسع عشر

### بيرين ولوثايين

من بين حكايات الحزن والدمار التي وصلتنا من ظلام تلك الأيام، والتي مازال البعض لحد الآن يكي فيها الفرح الذي أثار ذلك الصمود تحت ظل الموت. حكاية بيرين ولوثايين الراسخة في آذان الجان، فقد صيغت قصة حياتهما في (لاي أوف ليثيان)<sup>1</sup> ومعناه التحرر من العبودية، وهو الأطول من بين محفوظات أشعار العالم القديم، لكننا هنا نخبرها بالقليل من الكلمات وبدون قصائد وأشعار.

يقال بأن مورغوث طارد باراهير من أجل سيطرته على دوردونيون، حتى لم يبق له سوى اثنا عشر رفيقاً. ترتفع غاية دوردونيون جنوباً عبر الأراضي البور الوعرة، وفي شرق تلك المرتفعات تقع بحيرة تارن إلبوين المحاطة بالمروج البرية، وكانت كل تلك الأراضي برية وبدون معابر، حتى أنه في أيام السلم الطويل لم يسكنها أحد. لكن مياه بحيرة تارن إلبوين المقدسة كانت زرقاء صافية في النهار ومرآة للنجوم في الليل. وقيل بأن ميليان نفسها هي من حفر تلك البحيرة في الأيام القديمة. هرب باراهير وجماعته إلى دوردونيون فكانت عرينهم. ولم يستطيع مورغوث اكتشافهم، لكن إشاعات أعمال باراهير ورفاقه انتشرت للقاصي والداني. فأصدر مورغوث أمراً إلى ساورون لكي يجدهم ويسحقهم.

كان من بين رفاق باراهير شخص يدعى غورليم بن أنغريم، وزوجته تدعى إيلينيل، كان حيهما عظيماً قبل وقوع الشر. لكن عندما عاد غورليم من الحرب وجد بيته مهجوراً ومسلوباً، ولم يجد زوجته، فلم يعرف هل كانت مقتولة أم أسيرة، بعد ذلك التحق بصحبة باراهير، وكان الأكثر تهوراً وشراسة من بين كل الصحبة، لكن كان الشك يأكل قلبه لأنه

<sup>1</sup> (لاي أوف ليثيان). Lay of Leithian. وتعني احتاق من العبودية، وهي مجموعة من القصائد التي كتبها توكين

يعتقد بأن إيلينيل لم تمت، فكان يذهب أحياناً بالسر لوحده لكي يزور بيته الواقف وسط الحقول والغابات. فضبط مرةً هناك وأصبح معروفاً بالنسبة لخدم مورغوث. وفي أحد أيام الخريف جاء غورليم عند الغسق إلى بيته، وبينما هو يقترب وإذا به يرى ضوءاً ينبعث من النافذة، تقدم بحذر ونظر من النافذة فرأى زوجته إيلينيل وكان وجهها مرهقاً من الجوع والحزن، وبدا له وكأنها تندب مصيبتها بتركها لها. لكنه عندما صرخ بصوت عالٍ هبت ریح أطفأت الضوء بالداخل، وعوت الذئاب بالخارج وشعر فجأةً بالأيدي الثقيلة لصيادي ساورون على كتفيه. ووقع غورليم في ورطه. أخذوه إلى معسكرهم وعذبوه، لكي يعرفوا منه مجبأً باراهير والطرق المؤدية إليه، لكن غورليم لم يخبرهم بشيء. فوعدهم بأنهم سيطلقون سراحه ليعود إلى إيلينيل إذا خضع لإرادتهم واستسلم، أخيراً بدأ يشعر بالألم، ويتوق إلى زوجته. وعندما ضعفت إرادته أخذوه مباشرةً إلى حضور ساورون المخيف. فقال له ساورون: اسمع، الآن ستعقد مقايضة معي، فما هي طلباتك. أجابه غورليم: يجب أن تجدي لي إيلينيل وأكون أنا وهي أحراراً معاً، لأنه كان يعتقد بأن إيلينيل أسيرة.

ابتسم ساورون وقال له: أنه شعر بحسّ حييانة عظمى. وبالتأكيد سيكون لك ما أردت. أراد غورليم التراجع لكن الرهبة في عيون ساورون أخبرته بأنهم عرفوا كل شيء. ضحك ساورون ساخراً من غورليم وكشف له بأن ما رآه لم يكن إلا وهم عمّل بخدعة السحر للإيقاع به، لأن إيلينيل كانت ميتة. ومع هذا سأل غورليم لك أميتك لكي تتحقق بإيلينيل وتكونان متحررين من خدمتي. ثم قتله بقسوة.

بمذه الطريقة تم اكتشاف مجبأً باراهير. ورمى مورغوث شباكه حوله وجاءه الأوركس، وقبل ساعات الفجر باغتوا رجال دورثونيون وذبحوهم كلهم، نجى منهم فقط واحد وهو بيرين بن باراهير لأن أبوه كان قد أرسله في مهمة خطيرة للتجسس على طرق العدو، وكان بعيداً عندما احتلوا العرين. لكنه حلم عندما كان نائماً في الغاية بطيور الموت تجلس بثقل كأوراق على الأشجار العارية بجانب البحيرة والدم يتقاطر من مناقيرها.

أدرك بيرين بأن الشكل الذي جاء إليه عبر الماء لم يكن إلا شبح غورليم، ليتكلم معه وليعلن حيوانته وموته. وطلب منه الإسراع بالعودة إلى أبيه لتحذيره. صحا بيرين من حلمه وأسرع خلال الليل عائداً إلى العرين، وفي الصباح الثاني عندما اقترب من العرين قرّت طيور

الموت من الأرض وجلست على الأشجار بجانب بحيرة تارن إيلوين. وراحت تنعق  
يسخرية.

دفن بيرين عظام أبيه هناك ورفع نصباً من الصخور فوقها وأقسم فوق القبر قسم النار.  
فتبع أولاً الأوركس الذين ذبحوا أباه وأقرباءه، حتى وجد معسكرهم ليلاً في ريفيلز ويل فوق  
مستنقع سيرينغ. وبسبب براعته في التخفي في الغابات فقد اقترب من نارهم ولم يروه. وكان  
زعيمهم يتفاحر بأعماله. وكيف رفع يد باراهير وقطعها كعلامة لساورون بأن المهمة  
أتمت. وكان خاتم فيلاغوند في تلك اليد، فوثب بيرين من خلف الصخرة وقتل قائد  
الأوركس. وأخذ اليد والخاتم وهرب، راح الأوركس يدافعون عن مصيرهم ويرمون عليه  
سهامهم الوحشية.

فيما بعد ولاكثر من أربع سنوات بقي بيرين يتحول منفرداً في دوروثيون كفرج خارج عن  
القانون، لكنه أصبح صديق الطيور والوحوش، وهم ساعدوه ولم يخونوه. بعد ذلك لم يأكل  
أي لحم ولم يذبح أي شيء حي إلا من كان في خدمة مورغوث، ولم يخف من الموت، بل  
من الأسر، وأصبح أكثر شجاعة وشراسة. هذه المرأة وهذا البأس هما من أنقذه من الموت  
والأسر معاً، وتجاسر في وحدته على أعمال أشيعت في كافة أنحاء بيلرياند. ووصل متعبوه  
حتى إلى دورياث. فقد وضع مورغوث مكافأة كئمن لرأسه لن تقبل عن ثمن رأس فينغون  
الملك الأعلى لنولدور، لكن الأوركس فرّوا منه بدلاً من أن يسعوا إليه. لذلك أرسل  
مورغوث إليه جيشاً تحت قيادة ساورون، الذي جلب معه المستذئبين. ونزلت الوحوش  
بتلك الأجساد المسكونة بالأرواح المخيفة.

وامتلأت كل تلك الأرض بالشر وغادرتها كل الأشياء الطاهرة، وضُغط على بيرين بشدة  
حتى هرب أخيراً من دوروثيون. فقد ترك تلك الأرض وقبر أبيه في وقت الشتاء والتلوج.  
وتسلق إلى الأراضي العالية لدورياث، هناك تمسّ لو كان باستطاعته النزول إلى المملكة  
المخفية. حيث لا قدم إنسان هالك دامت عليها. كانت رحلته باتجاه الجنوب فظيعة.  
فقد كانت سفوح إيريد غورغوث مائلة، وقيل طلوع القمر كانت الظلال تحتها تمتد إلى ما  
بعد بركة دونغورثيب، (حيث حوصر بيرين هناك بين سحر ساورون وقوة ميلان، فمشى  
بين الرعب والمجنون). وإلى ذلك المكان نزلت في الماضي عنكب من جنس أوغوليان،  
ناسحة شبكاتهما غير المرئية لاصطياد كل شيء حي. وتبولت الوحوش الملوودة في الظلام  
الطويل (من قبل خلق الشمس). تطارد بصمت ويعيون كثيرة. ولم يوجد في تلك الأرض

المسكونة بالأشباح أي طعام للجان أو البشر، ولم يكن سوى الموت. مع كل هذا فلم تحسب تلك الرحلة من بين الأعمال العظيمة لبيرين، ولم يتكلم عنها لأحد خشية أن يعود الرعب إلى ذهنه، ولا يعلم أحد كيف وجد الطريق، أو كيف اهتدى إلى ذلك الطريق الذي لم يتجاسر أحداً قبله إن كان من الإنس أو الجان على عبوره إلى حدود دوريات، فقد مرّ من خلال المتاهات التي نسحتها ميليان حول مملكة ثينغول، كما قالت في نبوءتها، لذلك ألقي عليه قدرٌ عظيم.

وقيل في (لاي أوف ليثيان) بأن بيرين جاء صدفةً إلى دوريات، وكان على هيئة كبار السن محني الظهر، أشيب الشعر، كمن مرت عليه سنين من الهم والحزن، فقد كان عذاب طريقه عظيم جداً. لكن خلال تجوله في الصيف في غابة نيلدورث وقعت عيناه على لوثاين بنت ثينغول وميليان في وقت المساء تحت إشراق ضوء القمر. حيث كانت ترقص على العشب المتبقّي في الفسحة بجانب إيسغالدوين. فذهبت عنه كل الآمه، ووقع في سحر لوثاين. لأنها كانت أجمل أبناء إلوفا تار. كان رداءها أزرق كالسماء الصافية، وعبوؤها رمادية كالسماء المضاءة بالنجوم، وعباءتها محاكة بالزهور الذهبية، لكن شعرها كان فاتماً كظلال الغسق. كضوء على أوراق الأشجار، كصوت المياه الصافية، كنجوم فوق عتمة العالم، مثل مجدها كان سحرها، والضوء يشرق من وجهها.

اختفت تلك الفتاة من أمام ناظره فأصابه الحرس، كمن أصابته نوبة وتاه بالغبابة لفترة طويلة، وراح يبحث عنها برئٍ متيقظ كالوحش. وسماها في قلبه تينوفيل، أي العذليب، أو ابنة الغسق في لغة الجان الرماديين لأنه لم يعرف اسمها الحقيقي، ولأنه كان قد رآها من بعيد كأوراق الخريف وسط الريح، وفي الشتاء كالنجم على التل. لكنها كانت كالقيد على يديه.

عند الفجر عشية الربيع رقصت لوثاين على التل الأخضر وراحت تغني. كان غناؤها قوياً، يدخل القلب كأغنية القبرة التي تعلق أبواب الليل، ساكبةً صوتها بين النجوم الخافتة، والشمس البادية خلف جدران العالم. فأطلقت أغنية لوثاين من خلف جدران العالم وحررت روابط الشتاء، وتكلمت المياه المتجمدة فأنبئت زهور الأرض الباردة من حيث دامت أقدامها.

ذهبت نوبة الصمت التي أصابت بيرين فصرخ بصوت عالٍ تينوفيل، ورددت الغاية الاسم فتوقفت من الدهشة ولم تحرب، فأتى إليها بيرين. وعندما نظرت إليه سقط عليها القدر



وأحبته، لكنها انزلت من بين ذراعيه واختفت من أمام بصره، فتبددت فرحة ذلك اليوم. ووقع بيرين على الأرض مغشياً عليه، كشخص قتل للتو من النعمة والحزن، سقط بنومه إذا جاز التعبير إلى هاوية الظل. ثم استيقظ بارداً كالحجارة بقلبٍ قاحلٍ مهجور، وعقلٍ تائهٍ يتلمس طريقةً كمن أصابه العمى المفاجئ وراح يجاهد بيديه لإدراك الضوء المخفتي. هكذا بدأ مصيره للمؤلم الذي ألقى عليه، وارتبطت معه لوثاين بهذا المصير. فقد كانت خالدةً واشتركت معه في الفناء، وكانت حرّةً فاستلمت منه القيود. وكان ألمها أعظم من أي ألم عُرف في إيلدار.

وبعد أن غادره الأمل عادت إليه حيث كان يجلس في الظلام، ووضعت يدها في يده، وفيما بعد كانت تأتي إليه، ويدخلا سراً في أغلب الأحيان إلى الغابة من الربيع إلى الصيف. ولم يكن أحد آخر من أبناء الوقاتار عنده بمهجة عظيمة مثلهما، مع ذلك فقد كان وقتهما قصير.

لكن المنشد دايرون كان يحب لوثاين أيضاً وكان يراقب لقاءهما مع بيرين، فوشى بها عند ثينغول. غضب الملك لأنه كان يحب لوثاين أكثر من أي شيء آخر. فكأنها بين أمراء الجان وليس بين البشر الفانيين، لأنهم لا يصلحوا حتى لخدمتها. لذلك تكلم بالحزن والدهشة مع لوثاين لكنها لم تكشف له شيء. مع أنه أقسم لها بأنه لن يذبح بيرين ولن يدخله السجن، لكنه أرسل خدمه ليحضروه إلى مينيفروث كمحرم. لكن لوثاين أحبطت محاولاتهم وجعلتهم يقتادوه إلى عرش ثينغول كضيف مبجل بالاحترام.

نظر ثينغول إلى بيرين باحتقار وغضب وبقية ميليان صامته، فقال له الملك: لقد أتيت إلى هنا كلكس. من غير أن يطلب منك أحد ذلك وتتحراً أيضاً على الاقتراب من عرشي؟ لكن بيرين المملوء بالفزع من فخامة مينيفروث وهيبة ثينغول العظيمة، لم يجب. لذلك تكلمت لوثاين قائلةً: أنه بيرين بن باراهير سيد البشر والخصم الهائل لمورغوث. والتي أصبحت حكايات أعماله أغنية حتى بين الجان.

فقال لها ثينغول: دعي بيرين يتكلم عن سبب وجوده هنا، هذا الهالك التعس، وما الذي دعاه لترك أرض آباءه وأجداده والدخول إلى هذه الأراضي المحرمة على أمثاله. لعلنا نجد سبباً نمنعنا من معاقبة وقاحته وحقه !

لكن عندما نظر بيرين للأعلى رأى عيون لوثاين ووجه ميليان، فبدأ وكان الكلام قد وضع على فمه وغادره الخوف، فعاد إليه فخر البيت الأكبر للبشر، وقال: قدرتي أيها الملك، هو

من قادي إلى هنا، من خلال أخطارٍ قلما يتجاسر بعض الجان على عبورها، وبالْحَقِيقَةِ لم أجد ما أبحث عنه، لكن وجدت ما أحتفظ به للأبد، فهو فوق كل الذهب والفضة والجوهر، فلا الصخور ولا الفولاذ ولا نيران مورغوث ولا كل قوى ممالك الجان. مستبدني عن كنزي الذي وجدته، وهذا الكنز هو ابتك لوثايين أجل أبناء العالم.

بعد ذلك وقع صمك على القاعة، فقد كانت لوثايين مذهولة وخائفة، لظنها بأن بيرين مسيقتل، لكن يُنغول تكلم بهدوء قائلاً: لقد حكمت على نفسك بالموت بهذه الكلمات. ويجب أن تموت حالاً. لكنني لن أكون متسرعاً بالحكم كي لا أندم على قتلك أيها الولد البشري الحسيس، الذي تعلم الرحف في مملكة مورغوث والسير كجواسيسه وعبيده.

فأجاب بيرين: أقبل أنك تستطيع أن تهني الموت أو لا، ولكن ما لا أقبله منك هو أنني ولد بشري حسيس، فلسك جاسوساً ولا عبداً. وهذا خاتم فيلاغوند الذي أعطاه إلى أبي باراهير في ساحة معركة الشمال، وأهلي لم يكسبوا مثل هذا الصيت من أي جن، سواءً كان ملكاً أم لا.

كانت كلمات بيرين فخورة جداً فنظرت كل العيون إلى الخاتم لأنه رفعه عالياً. ولمعت جواهره الخضراء التي أبدعها تولدور في فالينور. فقد كان هذا الخاتم مرصعاً بتوأم من الثعابين، عيونها من الزمرد، ويجمع رأسيهما تحت تاج من الزهور الذهبية، واحد يدعم التاج والآخر يلتهم. وتلك كانت شارة فينارفين وبيته. عندها انحنى ميليان إلى جانب يُنغول، وهمست له بنصيحة بسيطة قائلةً: خفف من غضبك فلن يكون مقتل بيرين بواسطتك. بل بعيداً وحرراً مسيقاً إلى مصيره في النهاية، على الرغم من أنك جرحت مشاعره. فاحترز.

لكن يُنغول كان ينظر بصمتٍ إلى لوثايين ويقول في نفسه. بشر تُعساء، أبناء أسياو صغار، ومثلك مختصر، هل مثل هذه الأيدي امتدت عليك وتبقى على قيد الحياة للآن. ثم كسر حاجز الصمت وقال: أرى الخاتم، يا بن باراهير، وأدرك بأنك فخور، وتعتبر نفسك من الأقوياء. لكن أفعال أبيك وإن كانت بتقلص خدمات جليله لنا، فلن تشفع لك للفوز بابتة يُنغول وميليان. انظر الآن، أنا أيضاً أرغب بكنزٍ مخفي. لأن الصخور والفولاذ ونيران مورغوث تحفظ تلك الجوهرة، وأريد امتلاكها مقابل كل قوى ممالك الجان. وبعد أن سمعتك تقول بأن هذه القيود لا ترعبك. لذلك اذهب في طريقك واجلب لي بيدك السيلماريل من

تاج مورغووث. وإن فعلتها فستكون يد لوثايين بيدك، وستكون جوهرتي عندك. وبما أن مصير أردا يقع ضمن السيلماريلس، فسوف تكون مكزماً عندي.

هكذا هو القدر المعمول لدوريات كان مشمولاً بلعنة ماندوز، أما أولئك الذين سمعوا هذا الكلام أدركوا بأن تُينغول سيفنذ قَسَمَةً. فقد أرسل بيرين إلى حنفة. لأنهم يعرفون بأن كل قوة تولدور، قبل كسر الحصار، لم تُفد فياتور حتى برؤية إشراق ضوء السيلماريلس من بعيد. وهم الآن في التاج مورغووث الحديدي، وتعتبر كثرة عزيزة ومقدمة على كل شيء في أنغباند. محمية من الباروغز، وسيوف كثيرة لا حصر لها. ورماح قوية، وجدران منيعة، وعظمة ظلمة مورغووث.

ضحك بيرين من هذا السعر البخس وقال: هكذا يفعل ملوك الجان، يبيعون بناهم بالجواهرات وبأشياء مضاغة. لكن إن كانت تلك هي رغبتك يا تُينغول فأنا سأؤديها لك. وعندما نلتقي ثانية ستكون يدي حاملة السيلماريل من التاج الحديدي، فلن تحتاج للبحث في النهاية على مَنْ هو بيرين بن باراهير. لكنه نظر إلى عيون ميليان التي لم تتكلم. ثم ودع لوثايين تينوقيل وانحنى أمام تُينغول وميليان، فتفرق الحراس من حوله وغادر مينغرووث لوحده.

أخيراً تكلمت ميليان قائلةً: سيدي الملك تُينغول لقد خدعت بالنصيحة، لكن إذا لم تفقد عيوني رؤيتها، فسيكون وبالاً عليك، سواء نجح بيرين في مهمته أم فشل. فالقدر سيلاحقك أنت أو ابنتك. وسينسحب مصير دوريات إلى عالم أكثر جبروتاً، لكن تُينغول أجاب: لن أبيع للجان أو البشر. من أحب وأعز فهم فوق كل الكنوز. وإذا كان هناك أمل أو خوف من عودة بيرين على قيد الحياة إلى مينغروث، فلن يرى ضوء السماء ثانية، على الرغم من أنني حلقت له.

بقيت لوثايين صامته ومن تلك الساعة لم تعد للغناء ثانيةً في دوريات. فخيّم الصمت الكئيب على الغابة، واستطالت الظلال في مملكة تُينغول.

قبل في (لاي أوف ليثيان) بأن مرور بيرين عبر دوريات كان بدون عوائق، وقد جاء بالفصل إلى بحيرات الغسق ومستنقعات سيريون تاركاً أرض تُينغول متسلقاً التلال التي فوق شلالات سيريون حيث يغور النهر تحت الأرض بضجة عظيمة. ومن هناك نظر غرباً، فرأى من خلال الضباب والأمطار الملقى على تلك التلال، تالاث ديرنين، السهل المراقب،

المتمد بين مسيريون وناروغ، ولمح من بعيد مرتفعات تاور إن فاروث، المرتفعة فوق نارغوثوند، وبدا فقيراً بدون أمل أو نصيحة، فأدار قدميه إلى هناك. أبقى جان نارغوثوند مراقبة مستمرة على طول ذلك السهل، وكل تل على الحدود توجهه بأبراج المراقبة المخفية، كان مجال النبالون فيه يغطي كامل الحقل والغابة، بحرفية وسريّة نادرة. فقد كانت سهامهم مميتة ولم يستطع أحد من التسلسل إلى هناك من دون علمهم. وقبل أن يسير بيرين على طريقه كانوا على علم به، وكان موته قريباً، لكن لأنه كان يعرف مدى الخطر هناك فقد أبقى على خاتم فيلاغوند مرفوعاً في يده. على الرغم من عدم وجود أي شيء حي هناك بسبب تسلل الصيادين. فكان عندما يشعر بأنه مراقب، كان يصرخ وفي أغلب الأحيان يصرخ بصوت عالي، أنا بيرين بن باراهير صديق فيلاغوند. خذوني إلى الملك. لذلك لم يذبجه الصيادون، لكنهم تجمعوا وكنموا له، وأمره بالتوقف. وعندما رأوا الخاتم انحوا أمامه، مع أنه كان في محبته الشريرة ودرسه المهلكة، فاقناده شمالاً وغرباً وكان يمر ليلاً خشية انكشاف طرقهم، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك أي معبر أو جسر على سيل ناروغ قبل بوابة نارغوثوند، لكن إلى الشمال حيث ينضم غينغليث إلى ناروغ. فالفيضان كان أقل، عبروا من هناك وانعطفوا ثانية نحو الجنوب. قاد الجان بيرين تحت ضوء القمر إلى البوابة المظلمة من قاعاتهم المخفية.

هكذا جاء بيرين إلى أمام الملك فينرود فيلاغوند، فعرفة فيلاغوند ولم يكن بحاجة للخاتم لكي يتعرف على أقرباء بيور وباراهير. ثم جلسوا خلف الأبواب المغلقة، وأخبره بيرين عن موت باراهير، وكل ما حدث له في دوريات. لكنه بكى عندما تذكر بحبته مع لوثاين. أما فيلاغوند فقد سمع الحكاية بدهشة وقلق. لأنه علم بأن الشخص الذي سيقع عليه القسّم المقدر بالموت هو بيرين، كما تنبأت بذلك غالادريل قبل مدة طويلة، ثم تكلم مع بيرين بقلب حزين وقال: من السهولة أن يرغب نينغول بموتك، لكن يبدو أن هذا الموت يتجاوز هدفه. وهذا هو قسم فيانور يعود ثانية، لأن السيلماريلس ملعونٌ يقسم الكراهية، حتى إن اسمهم يترك رغبة عظيمة بالكسل. وأبناء فيانور على استعداد لتدمير كل ممالك الجان مقابل امتلاك السيلماريل، لأن القسم يقودهم. وفوق ذلك كله فإن كيلغورم وكوروفين يسكنان هنا في قاعاتي، مع أنني أنا الملك ابن فينارفين. فقد كسبنا هنا قوة كبيرة في المملكة، ويسيطرون على الكثير من شعبهم، ولا يظهران لي المودة إلا عندما يحتاجوني،

وكل ما أحشاه بأنهم لن يظهروا لك أي محبة أو رحمة، إذا علموا بمساعك. حتى أنا لا زلت أحفظ قسيمي معهم وبهذا الشكل فكلانا أنا وأنت متورطان.

بعد ذلك تكلم الملك فيلاغوند أمام الشعب مذكراً بأعمال باراهير والنذر الذي وضعه على نفسه بأن يساعد باراهير أو أي شخص من بيته عند الحاجة، وهذا هو الآن ابن باراهير يلتزم المساعدة، فظهر كيليجورم من بين الجماهير ساحباً سيفه وهو يصرخ. سواءً أكان صديقاً أو عدواً، من شياطين مورغوث أو من الجان أو أبناء البشر، أو أي شيءٍ حيٍ في أردا. فلا قانون ولا محبة ولا أحلاف الجحيم أو جيروت الثالار، ولا أي قوةٍ سحرية في العالم. ستدافع عنه ضد ملاحقة عدواة أبناء فيانور له. إن أخذ أو وجد السيلماريل واحتفظ به، فمن حقنا وحدنا نحن أبناء فيانور المطالبة بالسيلماريلس حتى نهاية العالم.

كانت كلمات كيليجورم فعالة جداً، كما كانت من قبل كلمات أبيه في تيريون والتي ألهمت التمرد الأول في نولدور. بعد كيليجورم تكلم كوروفين لكن بهدوءٍ أكثر وبقوةٍ أقل، مناشداً عقول الجان لاستحضار مناظر الحرب وخراب نارغوثروند. وبكلامه هذا فقد وضع على قلوبهم خوفاً عظيماً. بعد ذلك لم يدخل الجان في معركة مفتوحة حتى زمن تورين. لكنهم طاردوا الغرباء عن طريق الكمائن والتنقلات السرية بالسحر والنبال المسمومة، ونسوا أوامر القرى. وهكذا سقطت بسالة وحرية الجان القديمة وأظلمت أراضيهم.

سارت الإشاعة بين الشعب بأن ابن فينارفين ليس قالا حتى يأمرنا. فأداروا وجوههم عنه. لكن لعنة ماندوز وقعت على الأخوة فأظهرت في قلوبهم أفكاراً مظلمة. وأخذوا يفكرون بإرسال فيلاغوند لوحده إلى الموت، من أجل اغتصاب عرش نارغوثروند، فهما من أقدم سلالات أمراء نولدور.

أدرك فيلاغوند بأنه أصبح منبوذاً، فنزع تاج نارغوثروند الفضي عن رأسه ووضع بين قدميه قائلاً: ربما انكسر قسمكم الذي كنت أؤمن به. لكني يجب أن أبقى بقسمي الخاص. وإذا بقي أحد لم يسقط بعد تحت ظل اللعنة، فعلياً إيجاد بضعةٍ على الأقل لتبعتي، ويجب أن لا نذهب إلى هنالك كمتسولين نطرد من الأبواب، فوقف بجانبه عشرة، ومن بينهم كان شخص يدعى إيدراهيل وهو القائد بينهم. اتحنى إيدراهيل أمام الملك ورفع التاج وطلب بأن يسلم لشخص كوكيل على العرش حتى عودة فيلاغوند. وقال موجهاً كلامه للملك: أنت تبقى ملكي. ثم توجه إلى الآخرين بالكلام وقال: مهما حدث.

قام فيلاغوند بإعطاء تاج نارغوثرونند إلى أخيه أوردريث لكي يحكم مكانه، ولم يقل كيليفورم وكوروفين أي شيء، لكنهما ابتسما وخرجا من القاعات. في مساء خريفي، غادر فيلاغوند وبيرين مع أصحابهم العشرة. وبدأت رحلتهم من جانب نهر ناروغ إلى منابعه عند شلالات إيشرين، وأثناء مرورهم ليلاً تحت الجبال الغامضة وقعوا على معسكرٍ للأوركس فذبحهم كلهم، وغنموا أسلحتهم وعتادهم. فيفضل فنون فيلاغوند استطاعوا تغيير وجوههم فأصبحت تشبه وجوه الأوركس. ساروا على طريقهم الشمالي هكذا متنكرين. مغامرين بالسير غرباً بين إيريد ويشرين وهضبة تاور نو فوين، لكن ساورون رآهم من برج، وشكّ بأمرهم لأنهم كانوا يسرعون في سيرهم. فلم ينتظر ليلغوه عنهم، لكنه أصدر الأوامر إلى كل حدم مورغوثن بالتوجه إلى ذلك المكان، لقطع الطريق عليهم واقتيادهم إليه.

هكذا وقع الصراع المشهور بين فيلاغوند وساورون. فقد كافح فيلاغوند مع ساورون بأغاني القوة معلناً أن القوة التي عند الملك عظيمة جداً، لكن ساورون كانت لديه الإجابة والسيطرة، كما أخبرنا في (لاي أوف ليثيان).

رثّل أغنية سحرية

بصوت مدوي، كان افتتاح، الخيانة

لكشف وتعريّة الصدر.

تمايل فيلاغوند مباشرةً

وغنى أغنية الصمود

ضد الهيمنة، وإفشاء السر

صليلاً كالبرج، بثقةٍ مطلقةٍ بالحرية والخلاص.

فقد كان تغيير وتحويل الشكل

هو المخلص لهم من الكماثن، وكسر الشراك.

فُتح باب السجن، كُبلت الأغلال أيديهم

وأصبحت أغنيتهم حائرة، وختارت قواهم.

تضخم المتناف. قاتل فيلاغوند

لكأنه استحضر كل السحر الجني لكلماته.

فأنصتوا بسكينة الحزن لأصوات الطيور

تغني بعيداً في نارغوثرونند  
وشاهدوا خلف البحر، رمالاً في الغرب  
أراضي الجان رمال من اللولو  
جمعتهم الكتابة، وازدياد العتمة  
في قالينور بجانب البحر  
تدفق الدم الأحمر  
لقد دُبح كثيرون على أيدي نولدور  
أخذوا أسلحتهم وركبوا زيد الموج  
بسفنٍ بيضاء ذوات أشرعةٍ بيض  
ناحت الريح في مرافئ لامبلات  
عوت الذئب وهربت الغربان  
دمدم الثلج في فم البحر  
والأسرى حزانا يندبون في أنغباند  
قرقع الرعد، واشتعلت النيران  
وسقط فيرود أمام العرش.

جردهم ساورون من تنكرهم فوققوا أمامه عراة خائفين. وعلى الرغم من أنه استطاع اكتشاف أنواعهم. لكنه لم يستطع معرفة أسمائهم وأهدافهم، لذلك كان يرميهم في حفرة عميقة مظلمة وصامتة، مهدداً إياهم بميتة قاسية إذا لم يخبروه من هم. وكانوا يلحوا في تلك الحفرة من حين لآخر أعياناً تلمع في الظلام. ثم بعد حين يلتهم الذئب أحد الرفاق، يقوا على هذا الحال حتى جاء الدور على الجميع، ومع ذلك لم يحن أحد منهم سيده.

وفي الوقت الذي جاء فيه دور بيرين لكي يلتقى في الحفرة. وقع رعبٌ ثقيل على قلب لوثاين، وذهبت إلى ميليان تطلب النصيحة، فأخبرتها بأن بيرين أسيراً في زترانات تول ان غاورهوت، ولا أمل لديه بالنجاة. لكن لوثاين أدركت بأن لا أحد في الأرض يستطيع مساعدته. لذلك صممت على السفر بسرعة من دورياث والذهاب إليه بنفسها. لكنها طلبت المعونة من دايرون. لكنه غدر بها، فقد كان يريد حرمان لوثاين من ضوء السماء الخشيتة عليها من الفشل والتلاشي. لذلك راح يعيتها وكان هو السبب في البيت الذي مسيني لها كي لا تهرب. في مكان ليس بعيد عن بوابة مينيفروث تنصب الشجرة الأعظم

في غابة نيلدوريت. كانت تقع تلك الغابة من أشجار الزان في النصف الشمالي للملكة، وكان هذا الزان الهائل يدعى هيريلورن وكانت لدية ثلاثة جذوع متساوية في الاستدارة، وذو قشرة طويلة مصقولة ومتلاصقة. لم تنمو من هذه الجذوع فروع لمستوى عالي فوق الأرض، ويمكن مرتفع جداً بين أغصان هيريلورن بُني هناك بيتٌ خشبي، وأسكنوا لوثايين فيه، ووضعو لها الحراسة على السلام من خدم ثينغول، وأمنوا لها كل ما تحتاج إليه.

وقبل في (لاي أوف ليثيان) كيف تمكنت لوثايين من الهرب من البيت في هيريلورن لأنها تعلمت فنون السحر، بسبب زيادة طول شعرها بشكل كبير، قامت بنسج عباءة قائمة من شعرها ولقت بها جملها وأخفته، وكان شعرها محمّلٌ بتعويذة من النعاس. ثم قامت بصنع حبل من جدائلها. وأزلته من النافذة، وعندما تدل من فوق الحراس، أصابهم بالنعاس وغطوا في نوم عميق، عندها خرجت لوثايين من سجنها مغطأة بعباءة الغامضة وهربت. محتفيةً خارج دوريات.

تصادف خروج كيليجورم وكوروفين للصيد على السهل المحمي. وسبب ذلك هو أن ساورون شك بأمر الجان فأرسل إلى أراضيهما الكثير من الذئاب. لذلك أخذوا معهم كلاب صيدهم وركبوا لطردها. معتقدين أنه قبل عودتهم سيسمعون أحباراً تتعلق بالملك فيلاغوند. وكان كلب الصيد الذي يتبع كيليجورم، اسمه هوان وهو سيد كلاب الصيد، لم يولد هذا الكلب في الأرض الوسطى، لكنه أتى مع كيليجورم من الأرض المباركة، فقد أعطاه إياه أرومي في فالينور منذ زمن بعيد. كان هوان يتبع بوق سيده هناك في فالينور قبل مجيء الشر. وبعد النفي بقي يتبع كيليجورم في المنفى وكان مخلصاً له. هكذا وقع عليه قدر الموت المحتم على نولدور، وحتماً سيلاقي حتفه لكن ليس قبل أن يلتقي ويتقاتل مع أقدر ذئب يمشي في هذا العالم.

وجد هوان لوثايين تطير مثل ظلال النهار تحت الأشجار بينما كان كيليجورم وكوروفين يستلقيان للاستراحة عند الطرف الغربي لدوريات. فلا شيء يمكن أن يهرب من أمام بصر أو حاسة شم هوان، فهو لا يقع تحت السحر. ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار. وعندما وجدها جلبها إلى كيليجورم. عرفه لوثايين بأنه أمير نولدور، وخصم مورغوث. فكان مسروراً بها. أعلنت لوثايين عن نفسها، بإلقائها للعباءة جانباً، مظهرهً جمالها المذهل تحت الشمس، فأعجب بها كيليجورم، ووعدها بأنه سوف يساعدها إذا عادت معه الآن إلى



نارغوثروند. لكنها لم تكشف له أي إشارة عن بيرين أو مسعاه أو أي شيء تعرفه عنه، ولا بأنها هي المشكلة الأساسية التي تمس بيرين.

هكذا قطعوا الصيد وعادوا إلى نارغوثروند، وحنانوا لوثناين لأنهم أبطأوا من سرعتها وأخذوا عباءة قما. ولم يسمحوا لها بعبور البوابة ولا بالكلام مع أحد إلا مع الأخوين كيليفورم وكورفين. لأنهم اعتقدوا بأن بيرين وفيلاغوند محتجزان ولم يعد هناك أمل في المساعدة. لذلك صمما على ترك الملك يموت. والاحتفاظ بلوثناين ثم إجبار ثينغول على إعطاءها للأمرء الأقدر في نولدور. فهما لم يعتقدوا العزم للحصول على السيلماريلس بالحيلة أو بالحرب. ولم يعاني الناس بسببهم، حتى أصبحت كل قوة ممالك الجان تحت أيديهم. ولم يكن أوردوريت يمتلك القدرة على مقاومتهم، فقد أمالوا قلوب ناس نارغوثروند. وأرسل كيليفورم الرسل إلى ثينغول يخون حميته.

لكن كلب الصيد هوان كان صادق القلب، أحب لوثناين منذ أن التقى بها لأول مرة وحرز لأسرهما. لذا كان يأتي في أغلب الأوقات إلى غرفتها، ويمتدد أمامها بالليل، لشعوره بأن الشر قد أتى إلى نارغوثروند. وغالباً ما كانت لوثناين تتكلم مع هوان في وحدتها. وتخبره عن بيرين الذي كان صديقاً لكل الوحوش والطيور التي لا تتخد مورغوث. أعلن هوان لها بأنه يفهم كل الأصوات والكلام الذي قالته له لوثناين لكن غير مسموح له بالكلام سوى ثلاث مرات قبل أن يموت.

لذلك ابتكر خطة لمساعدة لوثناين، وفي الليل جلب لها العباءة، وتكلم للمرة الأولى معها مقدماً لها النصيحة، ثم قادها من المخارج السرية لنارغوثروند وهربا سويةً باتجاه الشمال، أحس ظهره وتحمل ركوبها على ظهره كحواد. كما يركب الأوركس أحياناً على الذئب العظيمة. وبهذا فقد كانت سرعتهم كبيرة، لأن هوان سريعاً جداً ولا يعاني أبداً من التعب.

ألقى ساورون بكل من فيلاغوند وبيرين في الحفرة. فقد مات كل رفاقهم لحد الآن، لكن ساورون كان مصمماً على إنشاء فيلاغوند على قيد الحياة لإدراكه بأنه حكيم ومن عظماء نولدور، واعتبر بأن سر المهمة معه. لكن عندما جاء الذئب ليأكل بيرين، فما كان من فيلاغوند إلا أن وثب عليه وبكل قوته، قاطعاً قيوده، فتصارع مع الذئب وقتله بيديه وأمسأنه. لكنه بالمقابل تعرض لجراح مميته، مما دعاه ليتكلم مع بيرين قائلاً: الآن سأذهب إلى راحتي الأبدية الطويلة في القاعات الخالدة وراء البحار وجبال أمان. وستمر مدة طويلة قبل أن أشاهد ثانيةً بين نولدور. وقد لا نلتئم ثانية لافي أوقات الموت ولا الحياة وسيكون

مضير أقربائنا كل على حده، الوداع! أخيراً مات فيلاغوند في الظلام في تول ان غاورهوث. والذي هو نفسه من بني برجها العظيم. وهكذا فقد برّ الملك فيرود فيلاغوند بقسمه، وكان الأجل والأحب من بين كل أفراد بيت فينوي. لكن بيرين جلس بجانبه يندبه ييأس.

في تلك الساعة وصلت لوثاين، ووقفت على الجسر المؤدي إلى جزيرة ساورون وغنت أغنية لا يمكن لأي جدران أن تمنع عبور صوتها. سمعها بيرين واعتقد أنه يحلم، فأشرفت النجوم فوقه وراحت عنادل الأشجار تغني. فحاولها بأغنية التحدي تلك التي تمتدح النجوم السبعة، منجل الفالار الذي علقتة فارداً فوق الشمال كعلامةٍ تشير إلى سقوط مورغووث وانكساره. ثم حارت قواه وسقط في الظلمة.

سمعت لوثاين جوايه فغئتُ أغنية بقوة أكبر، جعلت الذئاب تعوي، والجزيرة تتهز. وقف ساورون في البرج العالي تلفه أفكاره السوداء. لكنه اتسم عند سماع صوتها، لأنه عرف بأنها لوثاين بنت ميليان، المشهورة بجمالها وغنائها منذ مدة طويلة في دورياث. واعتقد أن باستطاعته أسرهما وتقديمهما كهدية لسلطة مورغووث، عندها ستكون جائزته عظيمة. لذلك أرسل أحد الذئاب إلى الجسر. فقتله هوان بصمت. ومازال ساورون يرسل ذنابه الواحد تلو الآخر، وكان هوان يمسكهم من العنق ويقتلهم. حتى أرسل أخيراً دراوغلوين<sup>1</sup> وحش مخيف. قدم في الشر، سيد وزعيم ذئاب أنغياند الضارية. كانت قوته عظيمة. دارت معركة شرسة بين هوان ودراوغلوين، رغم ذلك وبعد مدة طويلة هرب دراوغلوين عائداً إلى البرج وسقط قتيلاً أمام أقدام ساورون. لكنه قبل أن يموت أخبر سيده بأن هوان هناك. يعرف ساورون جيداً كما يعلم كل من في تلك الأرض. المصير المقدر لكلب فالينور، وخطر في باله لما لا أكون أنا قاتله، لأجل ذلك تنكر ساورون بشكل ذئب وجعل نفسه أقدر ذئبٍ مشى على الأرض لحد الآن. وصعد إلى الجسر ليربح.

عظيم جداً كان منظره عند هجومه على هوان الذي تحاشاه وتحنى جانباً، فقفز ساورون على لوثاين. التي تلاشت تدريجياً أمام عنف تهديد الروح التي في عينيه، ومن البخار الكريه الخارج من أنفاسه، لكنها التفت بعباءتها قبل أن يقع عليها فاختفت من أمام عينيه. فتعثر وسقط، وبسقوطه أمام عباءتها أصابه النعاس. عندها قفز عليه هوان ودارت

<sup>1</sup> دراوغلوين Drauglwin. كبير ذئاب سيلورين الضارية. وقد قتله هوان كلب صيد فالينور. وهو نفس شكل الذئب الذي أخذ بين جله وتحقق به عندما دخل على مورغووث ليأخذ السيلماريل.

معركة بين هوان وذئب ساورون. كان العواء والنباح يتردد صدهاء عبر التلال. فسمع الحراس على أسوار إيريند ويثرين عبر الوادي الصوت من بعيد جداً، وأصاحمهم الفزع. لكن بما أنه، لا سحر ولا تعويذة. ولا شُتم ولا ناب، ولا فنون الشيطان ولا قوة الوحوش قادرة على هزيمة هوان دون نبذ جسده تماماً. فقد سقط ذئب ساورون بأنياب هوان، وقبل أن تغادر روح ساورون الكريهة بيتها المظلم. جاءته لوثايين وقالت: سأرجعك إلى مورغوث شبحاً يرتجف، لتبقى هناك روحاً عارية تتحمل عذاب احتقاره ونظرات عيونه إلى الأبد، ما لم تتمكني من السيطرة على برحك.

خضع ساورون لإرادتها. واستلمت لوثايين السيطرة على الجزيرة وكل ما فيها، وبعد ذلك قام هوان بإطلاق سراحه. فاتخذ فوراً شكل مصاص دماء، وعبر أمام ضوء القمر كغيمة مظلمة كبيرة. هارياً تقطر دماء حنجرته على الأشجار. حتى وصل إلى تار نو فوين، وسكن مرغوباً هناك.

وقفت لوثايين على الجسر معلنةً سلطتها. وفككت بالنعويذة روابط الحجارة من الحجارة فأنزلت الأبواب، وانفتحت الأسوار فتكشفت الأقيية وخرج الكثير من الأسرى والعبيد، متعجبين خائفين. يغطون أعينهم من شحوب ضوء القمر، بسبب إقامتهم الطويلة في ظلمات ساورون. لكن بيرين لم يأت، لذلك ذهب هوان ولوثايين للبحث عنه في الجزيرة. أخيراً وجدته لوثايين مستلقياً بحزنه العميق يندب فيلاغوند. لكنه لم يسمع وقع أقدامها. فظنته ميتاً، لذلك وضعت ذراعها عليه وسقطت إلى ظلام النسيان، لكن بيرين عاد إلى الضوء، بعد أن انقشع اليأس. ونظرا ثانيةً إلى بعضهما أحدهما إلى الآخر عندما كان النهار يشرق عليهما بنورة من خلف التلال المظلمة.

دفن جثمان فيلاغوند على قمة تل في جزيرته، بعد أن عادت الجزيرة نظيفةً ثانيةً. وبقي قبره الأخضر منيعاً حتى تغيرت الأرض وتكسرت منهارةً تحت حطام البحار. لكن فينرود ابن فينارفين أتقى وأجمل أمراء الجان، مشى مع فينارفين أباه تحت الأشجار في إيلدامار.

أصبح بيرين ولوثايين تينوفيل أحرار ثانيةً وتمشيا سويةً في الغابة وجددا لفترة من الوقت بمحبتهما، مع أن الشتاء أتى عليهم ولم يؤذيهم، حيث الزهور كانت توجد حيثما ذهبت لوثايين. وغنت الطيور على التلال المغطاة بالثلوج. لكن هوان المخلص عاد إلى سيده كيليفورم. وما كان حبهما بأقل من قبل.

وقعت اضطرابات في نارغوثروند، بسبب عودة الكثير من الجان الذين كانوا سجناء في جزيرة ساورون، وهُض الصخب بين الناس لأنهم لم يسمعوا أية كلمة من كيليجورم، تندب موت فيلاغوند ملكهم. وقالوا بأن العذراء تجامرت على فعل ما لم يتحاصر على فعله أبناء فيانور. فأدرك الكثيرون بأن الخيانة كانت وراء مواقف كيليجورم وكورفين وليس الخوف. تلك كانت بداية ابتعاد الناس عن قبول سيادتهم على نارغوثروند، ويجب أن تعود السيادة ثانية إلى بيت فينارفين. أطاع الشعب أورودريث لكنهم لن يتحملوا ذنب مذمجة الأقارب معهم، كما رغب البعض، لأن إراقة دم القريب لقرينه سوف تعيد لعنة ماندوز عليهم كلهم، رغم ذلك فلا يمنح كيليجورم وكوروفين لا الخبز ولا الإستراحة ضمن مملكتهم وأقسموا على أنه يجب أن يكون هناك القليل من الود بين نارغوثروند وأبناء فيانور فيما بعد.

قال كيليجورم: فليكن! ولع الضوء الأخضر في عينيه لكن أخيه كوروفين كان يبتسم. أخذوا معهم عشرة من خيولهم وغادروا غاضبين كعاصفة النار، باحثين عن أقرباء لهم في الشرق. لم يذهب معهم أحد، حتى من الناس الذين كانوا من شعبهم، فقد أدرك الكل بأن اللعنة أثقل ما تكون على الأحوة. تبعهم فقط شر تلك اللعنة. وفي ذلك الوقت كيليجورم بن كوروفين أنكر أفعال أبيه وبقي في نارغوثروند. ثم تبعهما هوان فما زال يعتبر كحصان لسيدة كيليجورم.

ركبوا شمالاً لنيتهم الإسراع في عبور ديمبار على طول الحدود الشمالية لدوريات، قاصدين بذلك الطريق السريع إلى هيمرينغ، حيث يسكن أخوها مايدروس متمنين الوصول بسرعة. لكونه على مقربة من حدود دوريات، وقد تجاوزوا نان دونغورثيب والتهديد البعيد لجبال الإرهاب.

يحكى بأن بيرين ولوثاين وصلا بتحوالهما إلى غابات بريثيل واقتريا بنهاية المطاف من حدود دوريات. فأخذ بيرين يفكر بيمينه الذي أقسمه لثينغول، وصمم على تنفيذه ولو كان ضد رغبات قلبه، فأخبر لوثاين قائلاً لها بأنه سيعيدها ثانية بالسلامة إلى أرضها أما هو فسيعود لتحقيق قسمه. لكنها لم تكن راغبة بالانفصال عنه مرةً أخرى، فقالت له: عليك أن تختار بين أمرين إما أن تتخلى عن قسمك ويمينك وتعيش في الأرض متشرداً. أو أن تتمسك بكلمتك وتتحدى قوى الظلام على عرشها. وفي كلا الطريقين ستجدي معك وموتنا سيكون معاً.

وبينما هما في الغابة عُمَشَيان ويتكلمان مع بعضهما بهذه الأشياء بدون انتباه. وإذا يكيليغورم وكورفين عَمَرَا مستعجلين عبر الغابة. لخمهما الأخوين من بعيد وعرفاهما. فأدار كيليغورم لجم حصانه وأوقفه على قائمته الخلفيتين قاصداً دفع بيرين بتأتمتي الحصان الأماميان لإلقائه على الأرض. ثم مال كوروفين وانحنى عن حصانه وأمسك بلوثاين، ووضعها على حصانه. فقد كان خيلاً بارعاً وقويماً. نهض بيرين عن الأرض من أمام كيليغورم وانطلق بكامل سرعته باتجاه حصان كوروفين للسرع الذي يتجاوزه، وقفز بيرين قفزته التي اشتهر بها بين الإنس والجان. فأمسك بكورفين من الخلف بحجرته وقذفه خلفه، وسقط سوية على الأرض، فارتفع الحصان وسقط على الأرض، راميماً لوثاين عن ظهره فوقعت ممددة على العشب.

ضغط بيرين بقسوة على عنق كوروفين يريد خنقه، وكان الموت قريباً منه لولا أن كيليغورم أبعده عنه بالرمح. وفي تلك اللحظة ترك هوان الخدمة وكيليغورم معاً. ووثب على كيليغورم لكي لا يقترب من بيرين، وبسبب الرهبة العظيمة لكلب الصيد، قفز الحصان ورعى كيليغورم عن ظهره. فلعن كيليغورم كلاً من كلب الصيد والحصان، لكن هوان لم يتأثر. ثم نهضت لوثاين ونهت بيرين عن قتل كوروفين. لكن بيرين سلبه ترسه وأسلحته وعندما أخذ منه سكينه بقي الغمد على جانب كوروفين. وانشطر إلى نصفين كما لو كان من الخشب الأخضر. ثم قام بيرين برفع كوروفين ودفعه عنه، وطلب منه العودة إلى أهله النبلاء فوراً. كي يعلموه الاستخدام الأجدد للشجاعة، ثم قال له: حصانك أبقه لخدمة لوثاين. وهو قد يكون سعيداً لأنه تحرر من سيد مثلك.

قام كوروفين بلعن بيرين تحت الغيم والسماء. وقال له: ارحل من هنا إلى الموت السريع المر، ثم حمله كيليغورم بجانبه على الحصان، وتأهب الأخوين للمسير بعيداً. استدار بيرين من دون أن يحسب حساباً لكلامهم. لكن كوروفين المملوء بالخزي والحقد أخذ قوس كيليغورم وأطلق سهماً، كان السهم مصوباً نحو لوثاين. فقفز هوان والتقط السهم بقمه، لكن كوروفين أطلق سهماً ثانياً فقفز بيرين إلى إمام لوثاين ليحميها فأصابه السهم بصدرة.

قبل بأن هوان طارد أبناء فيانور، فهربا مسرعين من الخوف. وعاد من الغابة إلى لوثاين ومعه عشب لتوقف نرف جرح بيرين. وبفضل فنونها ومحبته له فقد شفي جرحه. هكذا عادوا أخيراً إلى دورياث، وهناك كان بيرين يتمزق بين قسمه ووجه. ولأنه يعلم بأن لوثاين

أصبحت بأمان الآن، بكر قبل إشراقة شمس أول صباح وتعهدنا بحماية هوان، وغادر  
لمعاناته الكبيرة بينما ماتزال هي نائمة على العشب.  
مبار شمالاً بأقصى مسرعة إلى معبر مسيريون بمحاذاة تاور نو فوين ونظر عبر صحاري  
إنفاوغليث فرأى من بعيد قمم ثانغورودريم. وبذلك المكان أطلق حصان كوروفين وطلب  
منه المغادرة ليعيش حراً ويترك حياة الفزع والعبودية على المروج الخضراء لأراضي مسيريون،  
ويبقى على عتبة الخطر النهائي لوحده، فغنى أغنية الفراق، وفيها مديح للوثايين وأضواء  
السماء لأنه اعتقد بأن عليه الآن أن يقول وداعاً للحب والضوء. وهذا جزء من كلمات  
تلك الأغنية:

الوداع أيتها الأرض الحلوة والسماء الشمالية

زرقاء إلى الأبد لأننا مستلقية هنا.

فهنا ركضت بأقدامها الطرية

تحت القمر، تحت الشمس

لوثايين تينوفيل

فهي أجمل ما يمكن أن تصفه لغة البشر

فلو أن الدمار نزل على العالم

وأذابه ورماه بعيداً

ودمره بالهاوية

مع ذلك فقد أحسن صنع

الغسق، الفجر، الأرض، البحر،

ولوثايين تلك التي يجب أن تبقى.

كان يغنى بصوت عالٍ، فلم يكن مهتماً للأذن التي تستمعه لأنه كان يائساً، ولم يبحث  
عن مهرب.

لكن لوثايين سمعت أغنيته وأجابته بأغنية. كما أن مجيئها عبر الغابة كان غير متوقع. لأن  
هوان رضي أن يكون جوادها مرة أخرى. وقد حملها بسرعة شديده بإثر بيرين، ولمدة طويلة  
كان يفكر في نفسه، عن ماهية الرأي الذي يمكن تبنيه لشخصين واقعيين في الحب، لكي  
يتجحا من الخطر. لذلك سار بجانب جزيرة ساورون، وهما يتجهان للشمال ثانية. هناك

التقى الذئب الفظيخ دراوغلوسين، والخفاش مصاص الدماء ثورينغوويثيل<sup>1</sup>، رسول ساورون الذي كان يطير إلى أنغباند عادةً على شكل مصاص دماء. يرتدي ملابس مخيفة ذات مخالب وأجنحة كبيرة مزودة بأشواك، وكان يوجد في نهاية كل مفصل مخلب حديدي. أما هوان ولوثاين فقد مر عبر تاور أون فوين وهربت كل الأشياء من أمامهما.

رأى بيرين اقترابهم فأصابه الفزع وتساءل عند سماعه لصوت تينوقيل. لاعتقاده بأن ما يراه ما هو إلا شبح ليوقعه بالفخ. لكنهما عندما وقفا وخلعا تنكرهما، ركضت لوثاين نحوه، هكذا اجتمع بيرين ولوثاين ثانيةً بين الصحراء والغابة، وبقي صامتاً لفترة وكان مسروراً، لكنه بعد فترة ناضل كثيراً لكي يثني لوثاين عن مرافقته في الرحلة.

وقال: للمرة الثالثة العن قسمي لتينغول فبا ليته ذبحني في مينينغوث بدلاً من أن أجلبك إلى هنا، إلى تحت ظل مورغووث.

وللمرة الثانية تكلم هوان ونصح بيرين قائلاً: لم يعد بإمكانك حماية لوثاين من ظل الموت، فبفضل حبها أصبحت معرضةً له. يمكنك أن تملص من مصيرك وتتوجه بها إلى المنفى. تلتمس السلام دون جدوى بينما حياتك بأواعرها. لكنك إذا واجهت موتك. فستكون لوثاين مهجورة وبالتالي ستموت وحيدة. أو أنها ستتحدى معك مصيراً ميؤوساً منه. مع ذلك فهو غير مؤكد. ولا يمكنني أن أنصحك أكثر من ذلك، ولا أود أن تذهب أبعد من ذلك في طريقك. لكن قلبي يندرن ما الذي ستجده عند البوابة، أما خلفها فعيون لا تستطيع الرؤية، فلا أرى إلا الظلام. مع ذلك لدينا ثلاثة طرق تؤدي إلى دورياث. وقد نلتقي قبل النهاية.

أدرك بيرين بأن لوثاين لا يمكنها أن تنفصل عن القدر الملقى عليهما معاً. ولم يعد هناك من يسعى لثيها عن عزيمها. فالنصيحة من هوان والسحر من لوثاين. لذلك أليسته جلد الذئب دراوغلوسين، وليست هي أجنحة وأصبحت تشبه ثورينغوويثيل. أصبح بيرين يشبه الذئب في كل شيء إلا في عيونه، فقد أشرقت منهما روح متجهمة لكنها نظيفة. وأرتعب عندما رأى بجانبه مخلوق يشبه خفاش متعلق بأجنحته المجدعة. ثم دوى عواء تحت ضوء القمر وقفز إلى أسفل التل. وتحرك الخفاش مصفقاً بجناحيه فوقه.

<sup>1</sup> ثورينغوويثيل Thuringwethil. هي امرأة من أسرار الظل. ويعتقد أنها مايا لكن بدرجة أقل، تأخذ شكل مصاص دماء، وتعتبر من أوائل الرسل الذين استخدمهم ميلكور، وقد اتخذت لوثاين شكلاً يشبهها عندما دخلت مع بيرين إلى مورغووث لأخذ السماريليل.

عبروا المخاطر حتى وصلوا لعلوهم الإرهاق وغبار الطريق الطويل إلى الوادي الكئيب الممتد أمام بوابة أنغباند. وفجوات سوداء مفتوحة بجانب الطريق، فيها تتصارع أشكال شيطانية. ومن الجهة الثانية تقف السفوح كالجدران المحصنة. وتجلس فوقهم طيور الجيفة تصرخ بصوت خفيف. وأمامهم كانت البوابة الحصينة. كقوس عريض وكبير سوداء قائمة تقبع أسفل الجبل، ورفع فوقها ألف قدم من الجروف والمنحدرات.

دخل الاستياء إليهم. لأن حارس البوابة كان الذئب كارخاروث. فمنذ أن شمع في أسفل ممرات الغابة. نباح هوان، كلب الحرب العظيم. وهو الكلب الذي أطلقه الفالار منذ عهد بعيد. وتذكر مورغوث قدر هوان وكيف سيواجهه، لذلك قام مورغوث باختيار جرو صغير من جنس دراوغلوين. وأطعمه بيديه ورياه على اللحم الحي ووضع قوته عليه. كبر هذا الجرو سريعاً كذئب، وتضخم حتى أصبح غير قادر على الاختباء في الوكر، بل كان يتمدد جانحاً أمام أقدام مورغوث. هناك دخل إليه ألم المحيم والنار. فأصبح روحاً مفترساً قوية، فظيعة ومعذبة. وأسماء كارخاروث، أي الحوصلة الحمراء. وفي حكايات تلك الأيام، كان يسمى أنفاوغلير، الفكوك العطشة. وضع مورغوث هذا الذئب أمام أبواب أنغباند بهيمة نائم خشية قدوم هوان.

لحمهم كارخاروث من بعيد، وشك بهم لأن أخباراً وصلت لأنغباند منذ فترة طويلة تحير بموت دراوغلوين. لذلك عندما اقتربوا من البوابة منعهم من الدخول، واعترض طريقهم واقفاً ومهدداً. وشم رائحة غريبة في الهواء حولهم. لكن فجأة نزل شيء من القوة المقدسة وتملكت لوثاين. فقامت بنزع رداء التنكر. ووقفت صغيرة أمام جبروت كارخاروث لكنها كانت متألقة وفضيعة، فرغعت يدها وأمرته بالنوم قائلة: أيتها الروح الملوثة بالكآبة اسقطي الآن إلى غياهب النسيان المظلم. وانسي لبعض الوقت عذاب الحياة الرهيب. فسقط كارخاروث. كما لو أن صاعقة ضربته.

مرّ بيرين ولوثاين عبر البوابة ونزلا درجات المناهة. جنباً إلى جنب مع بعضهما قاما بعمل عظيم، وهو العمل الذي لم يتجرأ على القيام به من قبل أي من الإنسان والجان على حد سواء. نزلا إلى مجلس مورغوث في أخفض قاعاته الملوثة بالرعب، والمضاعة بالنار والملوثة بأسلحة الموت والعذاب، إلى هناك تحث عرشه، انسل بيرين على هيئة الذئب. لكن لوثاين كانت متحدرّة من تنكرها، لإلهاء مورغوث. فأمال بصره نحوها، ولم ترعها عينونه. وعرفت عن نفسها باسمها الحقيقي عارضةً خدمتها بأن تغني أمامه على طريقة المغنين. نظر



مورغوث إلى جالفا، وحمته أفكاره إلى رغبة شريرة بتصميم بأكثر تصاميم قلبه الظلامية منذ خروجهم من فالينور. وهكذا تم خدع مورغوث بحقه. لأنه راح يراقبها، وتركها حرة للحظة. فدخل على فكره بمحة سرية. وفجأة تملصت من بصره، وخرجت من الظلال وبدأت بأغنية فاتحة الحسنى، فيها قوة تعمي الأبصار. وأصبح يستمع إليها مرغماً، فوق العى على عيونته، وراحت عيناه تدور يمينا ويساراً تريد رؤيتها. أصبح كل قصره يغط بالنوم، وبهتت كل النيران وانطفأت. فتوهجت جواهر السيلماريليس في تاج مورغوث تتألق بالإشعاع الأبيض. وهذا الحمل الثقيل للتاج وجواهره أحتت رأس مورغوث، كما لو أن أنقال العالم محمولة بالحرص والخوف والرغبة وضعت فوقه. لم تستطع إرادة مورغوث دعمه كي لا ينحني. عندها انقطعت لوثاين عباها التي كانت على الأرض ورفعتها في الهواء، وجاء صوتها متهدجاً ينزل كالملطر المتساقط على وجه البحيرات. وألقت بعباءتها عميقة ومظلمة أمام عيني مورغوث، فسقط في حلم معتم كظلام الفراغ عندما كان يحشي هناك لوحده.

فجأة سقط مورغوث كانهيار تلي جليدي، ووقع عن عرشه ممتدداً على أرض المحميم فخرج التاج عن رأسه. وبقيت كل الأشياء كما هي.

أما بيرين الذي كان مستلقياً على الأرض كوحش ميت. فأمسكته لوثاين من يده، وهزتها لتوقظه. ثمض ورمى برداء الذئب جانباً. وسحب السكين أنغريست<sup>1</sup> وفصل السيلماريل عن المخالب الحديدية.

أمسك السيلماريليس بيده. فتدفق الشعاع في اللحم الحي، وأصبحت يده كالمصباح المشرق. ولم تؤذيه الجوهرة عندما لمسها. جاء إلى فكره بأن قسمه ميتحقق، ولم يبقى عليه إلا اخراج مجوهرات فيانور الثلاثة من أنغياند. لكن قدر السيلماريليس لم يكن كذلك. فقد انكسرت السكين أنغريست، وتطايرت قطعة من نصلها وأصابت خد مورغوث، فتأوه واضطرب واستيقظ كل سكان أنغياند وهضوا من نومهم وغفلتهم.

وقع الرعب على بيرين ولوثاين وهربا طائشين بدون تنكر، راغبين برؤية الضوء مرة أخرى، ولم يطاردهم ولم يقاومهم أحد، لكنهم منعوا من الخروج من البوابة لأن كارخاروث استفاق

<sup>1</sup> أنغريست: Angrist . هي سكين غير عادية تصنع الحديد. وقد صنعها تيلبار آخر صانعي نوغورد. فقد كانت قادرة على قطع الحديد بسهولة قطع الخشب. حملها كروفين بين فيانور، وقد أخذها منه بيرين.

من النوم ووقف على عتبة بوابة أنغباند غاضباً. فمن قبل أن يدركاً وجوده كان قد رآها وقفز عليهما وهما يركضان.

لكن لوثايين كانت مرهقةً ومتعبة فليس لديها قدرة على مقاومة الذئب. أما بيرين كان يمشي أمامها وييده اليمنى كان يحمل السيلماريل، توقف كارخاروث وخاف للحظة. فصرخ عليه بيرين تراجع واهرب لأنه مشتعل وسيبئك أنت وكل الأشياء الشريرة، ودفع بالسيلماريل أمام عيون الذئب.

لكن كارخاروث نظر إلى تلك الجوهرة المقدسة ولم يخف. وفجأة امتيقت روحه المفترسة الكائنات وفغر فاه وأخذ يفكيه اليد والجوهرة وقطعها من الرسغ. فامتلاً جوفه بسرعة بالذهب والألم، وحرقت السيلماريل لحمه الملعون. فانسحب من أمامهم يعوي، رددت جدران الوادي خلف الباب أصداً صوت عذابه. فقد أصبح فظيلاً جداً بجنونه، حتى أن جميع مخلوقات مورغووث المقيمة في الوادي، أو التي كانت متواجدة على الطرق المؤدية إلى هناك، هربت منه إلى الشمال لأنه كان يقتل كل الكائنات الحية التي تقف في طريقه. وانفجرت من الشمال بالخراب على كل العالم. وكانت تلك أكبر من كل الرعب الذي اجتاح بيلرياند قبل سقوط أنغباند، بسبب جنون كارخاروث المخيف جداً التي سببته له قوة السيلماريل المخفية في جوفه.

أما بيرين فقد سقط مغيباً عليه داخل الأبواب الخطرة وكان الموت قريباً منه بسبب أنياب الذئب السام. قامت لوثايين بسحب السم بشفتيها، ووضعت كل قوتها لسد الجرح القبيح. لكن خلفها في أعماق أنغباند مشت الأخبار عن إثارة الغضب العظيم وامتيقت جماعات مورغووث.

هكذا كان السعي وراء السيلماريل قد أدى في النهاية إلى الخراب واليأس. لكن في تلك اللحظات ظهرت ثلاثة طيور هائلة فوق جدران الوادي، ترفرف بأجنحتها شمالاً أسرع من الريح. فقد انتشرت الأخبار بين الطيور والوحوش. حول مسعى وحاجة بيرين. وهوان نفسه هو من طلب مراقبة كل شيء، لأنهم قد يطلبونهم للمساعدة. ارتفع ثوروندور وأتابعه فوق مملكة مورغووث. وكانوا يشاهدون جنون الذئب وسقوط بيرين. فنزلوا بسرعة للأسفل. قبل أن تستيقظ قوى أنغباند وتنهض من النوم السحري.

قام ثوروندور ورفاقه برفع بيرين ولوثايين عن الأرض وحملوها عالياً إلى الغيوم. وتحتهم فجأة هدر الرعد وتصاعد السيق واهتزت الجبال وانطلق الدخان متصاعداً من ثانغورودريم.

انطلقت سهام مشتعلة قذفت بعيداً وسقطت تدمر الأرض تحتها، فارتعد شعب نولدور المقيم في هيثلوم. لكن دروب ثوروندور كانت بعيدة فوق الأرض، قاصداً الطرق العالية في السماء، حيث الشمس تلمع طوال النهار والقمر يمشي وسط النجوم الصافية. هكذا عبروا بسرعة من فوق دور نو فاوغليث وفوق تاور نو فوين، ووصلوا فوق الوادي المخفي توملادين. حيث لا غيمة ولا عتمة تمتد هناك. نظرت لوثاين فرأت من بعيد بداية ضوء أبيض من جوهرة حضراء. أنه يريق غوندولين الجميلة حيث يسكن تورغون. لكنها بكت لأنها اعتقدت بأن بيرين سيموت بالتأكيد. فهو لم يتكلم ولم يفتح عينه، ولم تعرف شيئاً عن طيرانه، أخيراً أنزلتهم النسور عند حدود دورياث، في نفس المكان من الوادي الذي انسل منه بيرين بياسه تاركاً لوثاين نائمة.

هناك وضعتهما وعادت إلى أوكارها في قمم كرسايغريم العالية، وصل هوان إليها وأصبحتا يعتنجان سويةً بييرين، كما صنعا عندما شفت جرحه الذي سببه له كوروفين، لكن هذا الجرح سام ومميت. نام بيرين لفترة طويلة، وتحولت روحه على حدود الموت المظلمة، مع العلم بأن كل الآلام كانت تطارده من حلم إلى حلم. ثم فجأة وبعد أن غادرها الأمل تقريباً استيقظ بيرين ثانيةً ونظر للأعلى وشاهد الأوراق مقابل السماء. وسمع من تحت الأوراق لوثاين تينوقيل تغني بنعومة ورقه. وكان ذلك في وقت الربيع ثانيةً.

فيما يعد دُعي بيرين باسم إيرخاميون ومعناه صاحب اليد الواحدة، وحفرت المعاناة في وجهه. لكنه أخيراً انسحب إلى الحياة بحب لوثاين وظهراً سويةً يمشيا في الغابة مرة أخرى فلم يستعجلا الخروج من ذلك المكان لأنه كان يبدو جميلاً إليهما، وبالْحَقِيقَة فإن لوثاين كانت راغبة بالانشرد في البرية دون عودة، فهي تريد نسيان البيت والناس ومجد ممالك الجان. بقي بيرين راضياً لفترة من الوقت، لكنه لا يستطيع أن ينسى قسمة لمدة طويلة لكي يتمكن من العودة إلى مينيجروث، وهل سيحجب لوثاين عن أبيها ثينغول للأبد. لأنه عقد عليها وفقاً لقانون البشر، وهو ما يعتبر خطيراً بالنسبة لهما لأنه احتقار لإرادة الأب. وبدأ إليه أنه من غير المستحسن أن تكون واحدة مثل لوثاين وهي فرد من عائلة مالكة، تعيش دائماً حياة الانشرد في الغابة، كالمطرودين الوقحين بين أبناء البشر. بدون بيت أو شرف أو الأشياء الجميلة التي تتمتع بها ملكات إيلدالي. لذلك فقد أقنعها بعد فترة بأن تترك تشردها في الأرض بدون بيت، وعبر إلى دورياث. متوجهاً إلى بيت لوثاين، حيث شاء قدرهما.

وقعت أيام شمريرة على دوريات. عم الصمت والحزن على كل الناس عندما ضاعت لوثاين، وبخشا عنها لمدة طويلة لكن دون جدوى، ويقال أنه في ذلك الوقت دايرون منشد ثينغول ابتعد عن الأرض، ولم يره أحد بعد ذلك. كان قد عمل موسيقى لترقص عليها لوثاين قبل مجيء بيرين إلى دوريات، فقد أحب لوثاين ووضع كل أفكارها في موسيقاه، وأصبح هو المنشد الأعظم للجان في شرق البحر، حتى أنه قدم على ماغلور بن فيانور، لكن حبه للوثاين جعله يائساً متشرداً على أرضفة الشواطئ الغربية. فعبر من فوق الجبال وأتى إلى الأرض الوسطى. مرت عصوٌ كثيرة ومازال بجانب المياه المظلمة يندب لوثاين، أجمل كائنٍ حيٍّ على الإطلاق.

في ذلك الوقت أتته ثينغول إلى ميليان التي حجبت نصيحتها عنه. وقالت: ذلك القدر الذي دبرته يجب أن يمسي إلى نهايته المحددة، والآن يجب انتظار مرور الوقت. لكن علم ثينغول بأن لوثاين سافرت بعيداً عن دوريات، وقد جاءت الرمايل من كيليجورم. يقول فيها، بأن فيلاغوند قد مات، وبيرين مات أيضاً، لكن لوثاين في نارغوثرون وويرد كيليجورم الزواج منها. غضب ثينغول وبعث الجواسيس مفكراً بشن الحرب على نارغوثرون، لكنه علم بأن لوثاين هربت ثانيةً. وطُرد كيليجورم وكوروفين من نارغوثرون. وتخيّر رأيه، لأنه لم تكن لديه القوة الكافية لمهاجمة أبناء فيانور السبعة. لذلك أرسل الرسل إلى هيمرينغ يطلب مساعدتهم في البحث عن لوثاين. لكون كيليجورم لم يرسلها إلى بيت أبيها، ولم يستطع الحفاظ عليها بأمان.

أما في الشمال من مملكته فقد اجتمع رسله على خطري مفاجئ لم يكن بالحسبان. عبر هجوم مياغت من كارخاروث ذئب أنغباند. ففي جنونه بدأ بالدمار من الشمال، ومر على طول تاور نو فوين ونزل على الجانب الشرقي من منابع إيسغالدين مثل النار المدمرة. ولم يستطع أي شيء منعه فلم يكن جيروت ميليان قادراً على إيقاؤه خارج حدود الأرض. فقد قاده مصيره وحملته قوة السيلماريل إلى عذابه هذا. هكذا اقتحم غابة دوريات المحرمة، وهرب الجميع من الخوف مبتعدين. نجا من بين الرسل فقط مابلونغ قائد الحرس الملكي. فقد هرب وأتى إلى ثينغول جالباً له الأخبار المرعبة.

عاد من الغرب في تلك الساعة المظلمة بيرين ولوثاين مستعجلين، وخبر قدمهم سار أمامهما مثل صوت الموسيقى المحمول بالريح إلى البيوت المظلمة حيث يجلس البشر حزان. ثم وصلوا أخيراً إلى بوابة مينيجروث، وتبعهم خلق كبير، أخذ بيرين لوثاين إلى أمام عرش

أيها ثينغول، نظر الملك بتعجب إلى بيرين، فقد كان يعتقد أنه ميت، لكنه لم يجبه، بسبب المشاكل التي جلبها على دوريات، لكن بيرين انحنى أمامه وقال: أعود طبقاً لكلمتي، وأني مطالباً بمكسي.

فأجابه ثينغول ما هو مسعاك وما هو قسمك؟

أجابه بيرين: لقد أنجزته وحتى الآن السيلماريل في يدي.

عندها قال ثينغول: أربي إياه!

فرفع بيرين يده اليسرى وفتح أصابعه ببطء، لكنها كانت فارغة. ثم رفع ذراعه الأيمن، ومنذ تلك الساعة سمي كاملوست أي فارغ اليدين.

راق مزاج ثينغول ولان فأجلس بيرين عن يساره على العرش ولوثاين عن يمينه، وأخبراه بكل القصة في مساعها، بينما كان كل المستمعين مذهولين، فقد بدا بيرين إلى ثينغول بأنه يختلف عن كل البشر الفانيين، وكل عظماء أردا. ومحبته للوثاين غريبة وجدده. فهي القدر الذي لا يمكن لأي قوة في العالم أن تقاومه. لذلك امتسلم أخيراً لإرادتهما. واستلم بيرين يد لوثاين من أمام عرش أيها.

وقع الظل على بحجة دوريات بعودة لوثاين الجميلة، لعلمهم بقصة جنون كارخاروث فقد ازداد خوف الناس، لإدراكهم بأن قوته كانت مشحونة بقوة مخيفة بسبب الجوهرة المقدسة، ومن الصعب القضاء عليه. سمع بيرين عن هجوم الذهب، وفهم بأن مسعاها لم ينجز بعد.

ومنذ اليوم الذي اقترب فيه كارخاروث أكثر من مينيجروث، وهم مستعدون لصيد الذهب من بين كل مخاطر صيد الوحوش كان هو الأكثر والأشد خطورة. وإلى ذلك الصيد ذهب كل من هوان كلب صيد قالينور. وما بلونغ اليد الثقيلة. ويبلغ القوس القوية. وبيرين إيرخاميون. وثينغول ملك دوريات. فلقد ركبوا في الصباح الباكر وعبروا من فوق نهر إيسغالدوين. لكن لوثاين بقيت خلف أبواب مينيجروث. ونزل عليها ظل أسود فبدأ إليها لكأنما الشمس مرضت وأسودت.

استدار الصيادون شرقاً وشمالاً ويعد عبورهم بحرى النهر وصلوا أخيراً إلى الذهب كارخاروث، حيث كان في الوادي المظلم. أسفل الجانب الشمالي في المكان الذي يسقط فيه إيسغالدوين إلى سيل ينتهي بالانهيارات الحادة، وفي أسفل الانهيارات كان كارخاروث يشرب ليخفف من العطش الذي أنهكه، وراح يعوي. كانوا مدركين له أمّا هو فكان يراقب نظرهم ولم يندفع لمهاجمتهم بسرعة. قد يكون ذلك من حيل شيطان قلبه الذي

صحاحاً. أو من حلاوة مياه إيسغالديون التي خففت ألمه، لكن عندما هاجمته تمحى جانباً إلى أجمة عميقة واختفى فيها. أخذوا حذرهم من ذلك المكان وانتظروه طويلاً، فلم يخرج وطالت الظلال في الغاية.

وقف بيرين بجانب ثينغول، وأدركوا فجأة بأن هوان لم يكن بجانبهم. فجأةً علا نباحٌ عظيم ارتفع من الأجمة، فقد نفذ صير هوان في انتظار الذئب، لذلك دخل لوحده لإخراجه من هناك. لكن كارخاروث تحاشاه، وقفز على ثينغول بسرعة ككثلة من الأشواك، وبسرعة شديدة قفز بيرين من أمامه وأبعده عن ثينغول برمح كان في يده، لكن كارخاروث دفعه وأوقعه أرضاً وعضه بصدرة. عندها قفز هوان من الأجمة على الذئب من الخلف وسقطاً مسوية يتقاتلا بشكل عنيف. بمعركة لا تشبهها أي معركة أخرى بين ذئب وكلب صيد. فقد شمع في نباح هوان صوت أبواق أورومي وغضب الفالار، وفي عواء كارخاروث كان حقد مورغوث أفسى من الأسنان الفولاذية. فتمزقت الصخور من الصخب وسقطت محتقةً في إيسغالديون. هناك تقاتلا حتى الموت، لكن ثينغول لم يعط لذلك أي انتباه لأنه كان راعياً أمام بيرين. الذي تأذى كثيراً من عضّة الذئب.

قضى هوان على كارخاروث في تلك الساعة. وهناك في نسيج غابة دوريات كانت قصة موته الطويل المعروفة قد أُجرت فقد أصيب بجروح قاتلة ودخل إليه سم مورغوث، عندها سقط بجانب بيرين ونطق للمرة الثالثة بالكلام. مودعاً بيرين قبل أن يموت، وبيرين لم يتكلم، لكنه وضع يده على رأس كلب الصيد حتى افترقا.

أمرع مابلونغ وبيليغ لمساعدة الملك لكن عندما رأوا ما حدث وضعوا رماحهم جانباً وبكوا. ثم أخذ مابلونغ السكين ومزق بطن الذئب. وضمن بطنه كان كل شيء كمن أكلته النار، إلا يد بيرين التي حملت الجوهرة فقد بقيت على حالها. لكن عندما أراد مابلونغ لمسها فقد كانت يد لا أكثر، والسيلماريل ملقاةً هناك مكشوفة والضوء المنبعث منها ملاً ظلال الغاية من حولهم، أخذها مابلونغ بسرعة وبخوف ووضعها في يد بيرين الحية، تحرك بيرين عندما لمس السيلماريل. ورفعها عالياً، وعرضه على ثينغول ليسلمه إياه وقال له: الآن أُجرت مساعي تماماً، وموتى المقدر حصل ولم يتكلم بعدها.

حملوا بيرين كاملوست بن باراهير على نعش من فروع الأشجار، وجثة هوان كلب الصيد بجانبه. حلّ الليل قبل أن يصلوا إلى مينينغروث، قابلتهم لوثاين يسرون ببطء وبعض الضوء بجانب الترابوت عند هيريلورن الزان العظيم. هناك وضعت ذراعيها حول بيرين وقبّلته

وطلبت منه أن ينتظرها وراء البحر الغربي. فنظر في عينيها قبل أن تغادره الروح، وخفت ضوء النجوم وسقطت العتمة على لوثايين تينوقيل، وهكذا انتهى السعي إلى السيلماريلين. لكن (لاي أوف ليثيان) التحرر من العبودية لم ينتهي بعد.

لأن روح بيرين غير راغبة بتلك هذا العالم فقد تأخرت في العرض أمام قاعات ماندوز حتى جاءت إليها لوثايين لتقول لها في وداعها الأخير، على الشواطئ الناقمة للبحر المحيط. من حيث أن البشر كلهم يموتون بغير رجعة. حتى هربت روح لوثايين وفي النهاية نزلت إلى الظلام، أما جسدها فقد تمدد مثل الزهرة التي قُطفت للتو وألقيت لفترة على العشب غير ذابله.

أتى شتاء العمر على ثينغول كما يأتي الشيب على البشر الفانين، لكن لوثايين جاءت إلى قاعات ماندوز إلى الأماكن المخصصة لإيلدالي، على حدود العالم خلف قصور الغرب. هنالك يجلس المنتظرون في ظلال فكرهم، وهناك كان جمالها أكثر من جمالهم وحرمتها أعمق من حرمتهم. فانسحبت وسحبت أمام ماندوز وغنت له.

كانت الأغنية التي غنتها لوثايين أمام ماندوز، هي الأغنية الأجل على الإطلاق من بين كل الأغاني المنسوجة بالكلمات، والأكثر حزناً، والتي لن يسمع العالم مثلها من قبل، وبقيت خالدة، بدون تغيير، ومازالت تغنى خلف أسماع العالم في فالينور. سمعها الفالار فحزنوا، لأن لوثايين نسجت كلماتها من موضوعين معاً. حزن إيلدار وحزن البشر. من فترة قريهم من إلوقاتار إلى فترة سكنهم في أردا. مملكة الأرض وسط النجوم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى. وبسجودها أمام ماندوز فقد سقطت دموعها على أقدامه كما تسقط الأمطار على الحجارة فتحركت شفتته، والتي لم يعرفها من قبل منذ أن وجد.

لذلك استدعى بيرين، وكما تكلمت معه لوثايين في ساعة موته فقد اجتمعوا ثانية وراء البحر الغربي، لكن ماندوز لم تكن لديه قوة حجب أرواح البشر الذين ماتوا ضمن حدود العالم، بعد أن يأتي وقتهم. ولا يمكنه أن يغير مصير أبناء إلوقاتار، لذلك ذهب إلى مانوي سيد الفالار الذي يحكم العالم تحت يد إلوقاتار وأراد استشارة فكره العميق. في كشف إرادة إلوقاتار في هذه المسألة.

وضع ماندوز أمام لوثايين خيارين بسبب عملها وحرمتها، الأول: إما أن تخرج من عند ماندوز وتذهب إلى فاليمار، لتسكن هناك بين الفالار حتى نهاية العالم. حتى تنسى كل حزن كانت قد عرفته في حياتها. وإلى هناك لا يمكن لبيرين أن يأتي، فلم يكن مسموحاً

للفلار بأن يمنعوا الموت عنه. فالموت هدية إلفاتار إلى البشر. أما الخيار الثاني فهو بأنها قد تعود إلى الأرض الوسطى وتأخذ معها بيرين لتسكن هناك ثانية، لكن بدون يقين الحياة وبمحتها، وبالتالي تصبح هي هالكة أيضاً. وتعود إلى الأرض خاضعةً للموت الثاني، مثله هو، قبل أن تغادر العالم إلى الأبد، ويصبح جمالها مجرد ذكرى في أغنية.

اختارت لوثاين التنخلي عن العالم المبارك، وأن تضع جانباً كل ادعاءات القرابة مع أولئك الذين يسكنون هناك. مهما كان الحزن الذي سيلقى عليها. وهكذا ارتبط مصيرها بمصير بيرين. ليسيرا مسوية خلف حدود العالم. فهي الوحيدة من إيلدالي التي ماتت بالفعل، وتركت العالم منذ عهد بعيد، لكن باختيارها، وبهذا العمل فقد ضمت قبيلتين إلى بعضهما. فهي متقدمة بالمنزلة على كثيرين من إيلدالي من الذين مازالوا يُرَوّن لحد الآن. وقد تغير كل فكر العالم تشبهاً بلوثاين المحبوبة التي فقدوها.





## الفصل العشرين

### المعركة الخامسة: نيرنايث أرنوبي ديباد

يقال بأن بيرين ولوثاين عادا إلى السكن في الأراضي الشمالية من الأرض الوسطى، وعاشا معاً حياةً بشرية كرجل وامرأة، فأتخذوا ثانيةً الأشكال التي كانوا عليها في دوريات. تلك الأشكال التي رأوا فيها الحزن والفرح والخوف معاً. ذهبت لوثاين إلى مينيفروث ويلمسة من يدها أزاحت الهم والمهم عن قلب أبيها ثينغول. لكن ميليان نظرت في عيونها وقرأت الموت المكتوب هناك، لكنها استدارت عنها لعلها بأن الفراق سيحل بينهما للأبد حتى بعد نهاية العالم. لم يكن أي حزن أثقل من حزن المايا ميليان. بعدها خرج بيرين ولوثاين لوحدهما لا يخشيان جوعاً أو عطشاً وعزراً إلى ما وراء نهر جيليون، إلى أوسيرياند وسكنوا في تول غالين، الجزيرة الخضراء، وسط أدورانت. حتى انقضت كل أخبارها، وفيما بعد سمى إيلدار تلك البلاد دور فيرن أي غوينار، أرض الموتى الذين عاشوا. وهناك وُلِدَ لهما ديور أراتيل الجميل والذي عرف فيما بعد باسم ديور إيللوخيل. والذي هو ولي عهد ثينغول. لم يتكلم أي بشر هالك مع بيرين ثانيةً ولم يره أحد لا هو ولا لوثاين يتركا العالم، ولا توجد أية إشارة عن مكان دفن أجسادها.

في تلك الأيام نزع مايدروس بن فيانور الرهبة من قلبه لإدراكه بأن مورغوث لم يكن منيعاً ومحصناً. بسبب أفعال بيرين ولوثاين التي جسدها الناس بالكثير من الأغنيات في كافة أنحاء بيليرياند. على الرغم من أن مورغوث سوف يحطمهم كلهم واحداً تلو الآخر إذا لم يتحدوا ثانيةً، ويكون لهم حلفاً جديداً ومجلساً مشتركاً. فبدأ مشاوراته لرفع حظوظ إيلدار. ودعي ذلك الحلف، اتحاد مايدروس.

لكن بسبب قسَم فيانور والأعمال الشريرة التي تتحت عنه، فلم يحصل مايدروس بالنهاية على المساعدة التي كان يريها، مما أدى إلى إحباط جزء من مخططاته. فلقد امتنع أوردريث من الزحف لمساعدة أي شخص من أبناء فيانور بسبب الأفعال الشنيعة لكل

من كيلبيغورم وكوروفين. ومازال جان نارغوثرون واثقين بأنهم محميين في معقلهم المخفي. ولم يأت من نارغوثرون إلا كتيبة صغيرة، وهم أتباع غويندور بن غويلين، فلقد كان غويندور أميراً شجاعاً جداً، خالف إرادة أوروديث وذهب مع جماعته إلى حرب الشمال، لأنه حزن على فقد أخيه غيلمير الذي قتل في داغور براغوللاخ. ساروا إلى الحرب تحت رايات فينغون حاملين شارات بيت فينغولفين، ولم يرجع منهم إلا واحداً.

أما من دوريات فقد جاءت مساعدة صغيرة. لأن مايدروس وأخوته المقيدين بقسهم، أرسلوا إلى ثينغول وذكروه بكلمات متطرفة بأن يعيد لهم السيلماريل التي هي من حقهم، أو تكون العداوة بينهم وبين ثينغول. نصحته ميليان بأن يسلمهم إياها. لكن كلمات أبناء فيانور الفخورة والمهددة. أغضبت ثينغول، وتفكيره بمعاناة لوثنائين ودماء بيرين الذين كانوا الثمن لاكتساب هذه الجوهرة، بصرف النظر عن خبث كيلبيغورم وكوروفين. وكان ثينغول وفي كل يوم ينظر فيه إلى السيلماريلس، كانت تزداد رغبته في الاحتفاظ به للأبد، ومن هنا كانت قوته. لذلك رفض مايدروس وأعاد إليه الرسل بالكلام المختصر. لم يجب مايدروس على ذلك، لأنه كان قد بدأ بتصميم إنشاء تحالف واتحاد الجان، لكن كيلبيغورم وكوروفين أقسما وعلى الملأ بأن يذبحا ثينغول ويسحقا شعبه، إذا عادوا منتصرين من الحرب، ولم يكن ثينغول قد أعاد الجوهرة من تلقاء نفسه. قام ثينغول بتحصين تخوم مملكته ولم يذهب إلى الحرب، ولم يخرج أحد من دوريات، إلا مابلونغ وبيليغ الذين لم يكونا راغبين في التخلي عن حصة من هذه الأعمال العظيمة. فأعطاهما ثينغول إذناً بالذهاب، بشرط أن لا يخدموا أبناء فيانور. لذلك انضم مابلونغ وبيليغ في المعركة تحت راية فينغون.

لكن مايدروس كانت لديه المساعدة من ناوغريم بالسلاح والمقاتلين، فكانت ورشات الحدادة في نوغروود وبيليغوست تعمل بشكل مستمر في تلك الأيام. فقد استطاع ثانياً من جمع كل أخوته والشعوب التي تتبعهم. أيضاً جاءت مساعدة البشر من بور وأولفانغ، المنظمين والمدبرين على الحرب، واستدعوا أيضاً الكثير من أقاربهم من الشرق. علاوة على ذلك فقد جاء فينغون من الغرب، وهو صديق مايدروس الدائم. وعقد مجلساً في هيمرينغ.

أما في هيلوم فكان نولدور والبشر من بيت هادور مستعدين للحرب. وفي غابة بريثيل جمع هالمير سيد شعب هاليت رجاله وبدأوا بشحذ ففوسهم، لكن هالمير مات قبل أن تبدأ الحرب فاستلم ابنه هالدير الحكم من بعده. أيضاً وصلت الأخبار إلى تورغون في غوندولين المملكة المخفية.

لكن مايدروس عمل اختباراً لقوته في المناطق القريبة منه، قبل إتمام خططه بشكل كامل. حيث قام بطرد الأوركس من مناطق بيلرياند الشمالية، وحرر دورثونيون لفترة من الوقت. لذلك أخذ مورغوث حذره من انتفاضة إيلدار وأصدقاء الجان، واتخذ خطة لمواجهةهم، فقد بحث بينهم بالكثير من الجواميس والخونة، وهذا أكثر شيء كان قادراً على فعله الآن، لأن الخونة من البشر والموالين سرّاً لمورغوث، كانوا متغلغلين في معسكرات أبناء فيانور.

وبالتفصيل، بعد أن جمع مايدروس كل القوة التي يمكن أن يجمعها من الجان والبشر والأقزام. عزم على مهاجمة أنغياند من الشرق والغرب، وتعمدوا الزحف بالرايات المنشورة وبالقوة المفتوحة على سهل إنفاوغليث. لكن عندما كانوا صاعدين، كما كان مرجواً. كانت جيوش مورغوث بالمرصاد، عندها يجب على فينغون أن يهاجم عبر ممرات هيثلوم. هكذا كان الاتفاق من أجل أخذ قوة مورغوث بين فكي كماشة أو بين مطرقة وسندان وتفتيتها. والإشارة بينهما على ذلك كانت اشتعال منارة دورثونيون العظيمة.

في صباح اليوم المحدد في منتصف الصيف، حَيّت أبواق إيلدار شروق الشمس. وفي الشرق زُفعت راية أبناء فيانور، وفي الغرب راية فينغون الملك الأعلى لنولدور. نظر فينغون خارج جدران إيثيل سيريون، وجيشة مصطف في الوديان والغابات على الجانب الشرقي من إيريند ويشرين. وقد تحقّقوا جيداً عن أعين العدو، لكنه عرف بأنه كان عظيماً جداً. فقد اجتمع هناك نولدور من هيثلوم، جنباً إلى جنب مع جان الفالاس وجماعات غويندور من نارغوثرونند. وكانت لديه قوة كبيرة من الرجال. وعلى ميمنة الجيش كانت كل الشجاعة من هورين وأخوه هور من دور لومين، وانضم إليهم هالدير من بريثيل ومعهم الكثير من رجال الغاية.

ثم نظر فينغون باتجاه ثانغورودريم فرأى حولها غيمة سوداء، ثم بعد ذلك بدأ الدخان الأسود بالتصاعد منها، فعرف بأنهم قد أثاروا غضب مورغوث. وبأنه قبل التحدي. وقع ظلُّ الشك على قلب فينغون، ونظر شرقاً لعله يرى بنظره الجني غبار إنفاوغليث يتصاعد تحت أقدام جيش مايدروس. فهو لم يعلم بأن خطة مايدروس قد عرقلت، بإحاطته بخديعة من شعب أولدور الملعونين. الذين خدعوه بتحذيرات كاذبة عن هجوم من أنغياند.

تعالّت صيحات حملتها ريح جنوبية من وادٍ إلى وادي. ورفع الإنس والجان صوتهم بالبهجة والأعجوبة، لأن تورغون غير المستدعي فتح معسكراته من غوندولين، وأتى بمجيش من عشرة آلاف مقاتل بالدروع اللامعة والسيوف الطويلة ورماح كأنها غابة لكثرتها، وعندما

سمع فينغون من بعيد صوت البوق العظيم لأخيه تورغون، ارتفع الظل عن قلبه وصاح بصوتٍ عالي. أوتوليين آووري! أيا! إلدالي آر أتاتاري، أوتوليين آووري! أي، لقد حان الوقت! انظر شعب إلدالي وآباء البشر، لقد حان الوقت! وكل من سمع صدى صوته العظيم يتردد في التلال أجابوه بالصراخ آوتيا آي لومي! أي ذهب الليل.

والآن مورغوث الذي كان يعلم معظم خطط أعدائه، فقد اختار ساعته، وهو يثق بأعوانه الغادرين لمنع مايدروس وصد اتحاد خصومه، لذلك بعث بقوة تبدو كبيرة، (ولكن لم يظهر منها إلا جزء بسيط على أهبة الاستعداد لحد الآن) نحو هيثلوم. وكانوا ملتفتين بأردية قائمة، لم تظهر أجسامهم الصلبة. وبالتالي أصبحت بعيدةً بالفعل على رسال إنفاوغليث قبل أن تُظهر أسلوبها.

ازدادت حرارة قلوب نولدور. وتمنى القادة منهم بدء الهجوم على خصمهم في السهل، لكن كان رأي هورين مخالفاً لأنه كان يعتقد أن بالأمر مكر وخدعة من مورغوث. لأن قوته بالحقيقة أقوى مما تبدو عليه. وهدفه الحقيقي غير الذي يكشفه لنا. ومع أن الإشارة لم تأت بعد من مايدروس. فازداد نفاذ صبر الجيش. لذلك نبههم هورين إلى التحلي بالصبر وانتظار الإشارة. وليتركوا الأوركس يكسرون أنفسهم بالهجوم على التلال.

لكن قائد جند مورغوث في الغرب كان قد أمر بإخراج فينغون بسرعة من تلاله مهما كان الثمن. ولهذا الغاية سار حتى أصبحت مقدمة موقعه مرتفعة أمام مجرى سيريون، من أسوار قلعة إيثيل سيريون إلى تدفق ريفيل في مستنقع سيرينج. وكان باستطاعة المواقع الأمامية لفينغون رؤية عيون أعدائهم، لكن لم يستجب أحد إلى هذا التحدي، وتلعمت سخرية الأوركس عندما نظروا على الجدران الصامتة والتهديد الخفي من التلال. ثم أرسل قائد جند مورغوث بخيالة يحملون شارات التفاوض، فركبوا إلى ما قبل متاريس ياراد إيثيل، وأحضروا معهم غيلميز بن غويلين، ذلك السيد من نارغوثروند الذي أسروه في براغوللاخ. وكانوا قد فقأوا عينيه، ثم قام رسل أنغباند برفعه للأعلى وصرخوا قائلين: لدينا الكثير مثل هذا في البيت، لكنكم يجب أن تسرعوا إذا كنتم تريدون إيجادهم. لأننا سنتعامل معهم هكذا عند عودتنا، ثم قطعوا أقدام وأيدي غيلميز وأخيراً قطعوا رأسه على مرأى من الجان، وتركوا جثته ملقاةً على الأرض ورحلوا.

ولصدفة التعيسة. كان غويندور أخو غيلميز يقف في ذلك المكان خلف التاريس من نارغوثروند، فحسَّ جنونه من الغضب، وقفز على ظهر حواده ورافقه عدد من الفرسان.

حتى لحقوا بالرسل وقضوا عليهم. ثم تابع هجومه إلى عمق الجيش الرئيسي. وشاهد ذلك كل جيش نولدور فاشتعلوا من الغضب. ثم وضع فينغون على رأسه خوذته البيضاء ورتت أصوات أبواقه، وقفز كل جند هيثلوم خارجين من التلال بانقضاض مفاجئ، كان الضوء المرسوم من بريق سيوف نولدور يلمع مثل النار في حقل القصب. هكذا كانت سرعة وفظيعة بدائتهم التي أضعفت غالبية مخبطات مورغوث. وقبل أن يعزز الجيش الذي أرسله إلى الغرب كانوا قد اكتسحوه أيضاً، مرت رايات فينغون فوق إنفاوغليث ورفعت أمام أسوار أنغباند. وكان غويندور وجان نارغوثروندي في طليعة المقاتلين دائماً. فلم يستطع أحداً من إيقافهم حتى الآن. فما كان منهم إلا الإندفاع من خلال الأبواب وقضوا تماماً على كل الحراس المتواجدين على أدراج أنغباند. ارتعد مورغوث على عرشه العميق عندما سمع صوت ضرباتهم على أبوابه. لكنهم حوصروا هناك ودُبحوا جميعاً إلا غويندور فقد أخذوه حياً. لم يكن باستطاعة فينغون مساعدتهم. لأن مورغوث شنَّ هجوماً معاكساً بواسطة جيشه الرئيسي الذي أبقاه منتظراً وعلى أهبة الاستعداد عبر أبواب ثانغورودريم السرية الكثيرة، فضربوا جيش فينغون من الخلف، وكانت خسائر فينغون التي تلقاها من الهجوم العاكس الذي أتاه عبر الأسوار كبيرة جداً.

وفي اليوم الرابع للحرب، وعلى سهل إنفاوغليث بدأت نيرنايث أرنوي ديداء، الدموع غير المحصية، فلا أغنية ولا قصة يمكنها احتواء كل ذلك الحزن. تراجع جيش فينغون عن الرمال، ودُبح هالدير سيد هالادين الذي كان في حامية الجيش في المؤخرة وسقط معه غالبية رجال بريثيل، ولم يرجع بهم إلى الغابة أبداً. أما في اليوم الخامس ومع حلول الليل لكنهم لا يزالوا بعيدين عن إيريد ويشرين. هناك أحاطت جموع الأوركس بجند هيثلوم واستمر القتال طوال الليل، ضغط عليهم الأوركس كثيراً حتى جاء الصباح بالأمل، عندما سمعت أصوات أبواق تورغون تهاجر وقد زحف بجيش غوندولين الرئيسي الذي كان متمركزاً لحراسة معابر سيريون، منع تورغون غالبية الجيش من التهور والطيش في الهجوم، وأسرع لنجدة أخيه، فقد كان غوندوليندريم أقوىاء تغطيهم الدروع اللامعة، ومسير صفوفهم تحت أشعة الشمس كان يلمع كنهر من الفولاذ.

اختزقت كتيبة الحرس الملكي صفوف الأوركس، وقطع تورغون طريقة إلى جانب أخيه. وقبل بأنه هناك التقى تورغون مع هورين الذي وقف بجانب فينغون، فحدث السرور وسط المعركة وتجدد الأمل في قلوب الجان وفي ذلك الوقت بالتحديد، في الساعة الثالثة من

الصبح دوت أبواق مايندروس أخيراً صاعداً من الشرق، وهاجت ألوية أبناء فيانور مؤخرة العدو. قال البعض بأن الغلبة كانت لإلدار في ذلك اليوم. لأن كل الجنود أثبتوا عن إخلاصهم في المعركة، ولأن الأوركس كانوا مترشحين مع أن المحجوم كان قد هدأ، وبعضهم كان يتجه إلى الهرب. لكن عندما وقعت طليعة جيش مايندروس على الأوركس، أطلق مورغوث قوته الأخيرة، وقد أفرغ أنغباند نهماً، فقد بعث الذئاب وراكبي الذئاب، وجاء معهم إلى هناك بالروغر وغلارونغ أبو التنانين. وفي الحقيقة كانت قوة ورعب الدودة العظيمة كبيراً جداً. ذبلت قوة الإنس والجمان أمام هذه القوى العاتية، وفصلوا بين جيشي مايندروس وفينغون وأكتسحوا كل جيش على انفراد.

رغم كل ذلك لا بالذئاب ولا من بالروغ ولا بالتنين، أنجز مورغوث انتصاره، إنما بسبب خيانات بعض البشر، فقد انكشفت في تلك الساعة خدعة أولفانغ وتحول الكثيرين من إيستيرلينغ وهروبهم من المعركة. فقلوبهم مملوءة بالخوف والأكاذيب. لكن أبناء أولفانغ ذهبوا مباشرة إلى مورغوث وضربوا مؤخرة جيش أبناء فيانور، وضمن هذا الارتباك الحاصل فقد اقتربوا من راية مايندروس. ولم يحصلوا على المكافأة التي وعدهم بها مورغوث، لأن ماغلور ذبح أولدور اللعين زعيم الخونة. وذبح أبناء بور قبل أن يقتلوا كل من أولفانست وأولوارث. جاءت الآن قوة من البشر الأشرار التي كان قد استدعاهما أولدور، وأبقاها مخيأة في التلال الشرقية. هوجم جيش مايندروس من ثلاثة اتجاهات، فانكسر وتبعثر، وبهذه الطريقة تلاشى واندهر. رغم ذلك فقد حيا القدر أبناء فيانور، فلم يجرح أو يقتل أحد منهم، لأنهم انسحبوا معاً بعد أن جمعوا البقية من نولدور وناوغريم حوهم، وخرجوا من المعركة، هاربين بعيداً نحو جبل دوليد في الشرق.

القوة الأخيرة التي بقيت صامدة في الشرق كانت أقزام بيلغوست، وبهذا أكسبوا الصيت والشرف، لأن ناوغريم قاوم النار بجرأة أكثر من الإنس والجمان. وكان من عاداتهم، أن يلبسوا في المعارك أقمعة كبيرة وقبيحة المنظر، وهذا ما جعلهم يصمدون أمام التنانين، وحوهم ذبل غلارونغ وذريته الذين كانوا قد تركوا نولدور. قام ناوغريم بصنع دائرة من مقاتليهم عندما هاجهم غلارونغ، فلم تميه درعه كثيراً من ضربات فؤوسهم العظيمة، وفي حيا غضبه استدار غلارونغ وقتل أزاغال سيد بيلغوست. وأراد أن يدب عليه، لكن بضرته الأخيرة قبل أن يموت قطع أزاغال بسيفه جلد التنين ودخل النصل إلى بطنه وجرحه عميقاً، فر غلارونغ من الميدان، وتبعته وحوش أنغباند من الفزع. بعدها رفع الأقزام جسد

أزغال وحلوه بعيداً وساروا خلف جثثانه بخطواتٍ بطيئةٍ مرددين لحنا جنازياً بالأصوات العميقة. وصنعوا له حفلاً تأبينياً مهيباً في بلادهم، ولم يعطوا أي اهتمام لخصومهم، ولم يتحاسر أحداً عليهم.

لكن في المعركة الغربية فقد هوجم فينغون وتورغون بموجة من الأعداء أكبر بثلاثة أضعاف من القوة المتبقية معهم. فقد أتى غوثوغ، سيد الباروغز، القائد الأعلى في أنغباند، واقتحم الصفوف بين جيوش الجان المحيطة بالملك فينغون، ودحر تورغون وهورين نحو مستنقع سيرينج، ثم استدار نحو فينغون وهاجمه وكان لقاءً شرساً، أخيراً وقف فينغون وحارسة الذي مات وهو يدافع عنه، وقاتل مع غوثوغ حتى أتى بالروغ آخر ولفه بسياط النار، عندها قطعه غوثوغ بفأسه السوداء، فانطلق لهب أبيض من حوذة فينغون عندما انشقت، ومسقط الملك الأعلى لنولدور. لقد هزموه والغبار يعلو صولجانهم ودامسوا رأيتهم الزرقاء المرصعة بالفضة، وتركوه بمستنقعٍ من الطين الجبول بدمائه.

فُقد الميدان ومازال هورين وهور والمتبقين من بيت هادور ثابتين مع تورغون من غوندولين. ولحد الآن لم يستطع جيش مورغوث السيطرة على معايير سيريون، عندها تكلم هورين مع تورغون قائلاً: اذهب الآن ياسيدي، فما زال لدينا بعض الوقت، لأنه يبقائك حياً يعيش آخر أملٍ لإيلدار، وبقاء غوندولين واقفةً، يبقى الخوف باقي في قلب مورغوث. فأجابه تورغون: لا يمكن لغوندولين أن تبقى محظيةً لوقتٍ طويل، وعندما تنكشف سوف تسقط.

فقال له هور: إذا وقتت لفترة قصيرة، فإنه خارج بيتك سيعود الأمل للإنس والجان. أقول لك كلامي هذا يا سيدي ونحن في عيون الموت، مع أننا سنفترق للأبد، ولن يكون باستطاعتني النظر إلى أسوارك البيضاء مجدداً، وسيشرق منك ومني نجم جديد. الوداع.

كان يقف إلى جانب تورغون في تلك اللحظة، ما يغلين ابن اخته الذي سمع كل الكلام ولم ينسأه لكنه لم يقل شيئاً.

أخذ تورغون بنصيحة هورين وهور واستدعى المتبقين من جند غوندولين وبقية شعب فينغون بقدر ما استطاع أن يجمع وأنسحب متراجعا نحو معبر سيريون. وقام قاداته ايكثيليون وغلوفينديل بحراسة جناحي اليمين واليسرة لكي لا يخترقهما العدو. وقام رجال دور لومين بحماية المؤخرة كما تمنى هورين وهور، فلم تكن قلوبهم راغبة بمغادرة الأراضي الشمالية، وإذا لم يستطيعا العودة إلى الوطن فهناك سيصمدان حتى النهاية. هكذا تكون

قد غُوْضِتْ خيانة أولدور، بكل أعمال الحرب التي قام به أبناء البشر لمصلحة إيلدار. وقد كانت هذه الوقفة الأخيرة لرجال دور لومين مشهورة جداً.

هكذا شقَّ تورغون طريقه جنوباً حتى تراجع تماماً، وتحت حماية هورين وهور عبر سيريون ونجا. ثم احتفى في الجبال المنجأة عن أعين مورغوث. لكن الأخوة سحبوا بقية رجال بيت هادور حولهم حتى وصلوا إلى ما وراء مستنقع سيرينغ، وكان جدول ريفيل أمامهم، هناك وقفوا ولم يفسحوا المجال لأحد.

احتشد كل جنود أنغياند ضدهم، وقتلوا منهم خلق كثير حتى امتلأ مجرى النهر من جثث الأوركس فكانت هذه الجثث هي الجسر الذي عبروا عليه، وطوقوا بقية هيثلوم من كل الجهات، كما يطوق الموج الصخرة. هناك عند غروب شمس اليوم السادس، عندما أظلمت ظلال إيريد وثيرين، سقط هور بسهم مسموم أصابه في عينه، وقتل جميع الرجال الشجعان من بيت هادور حوله، فقطع الأوركس الرؤوس وكوموها، وكانت كومة رؤوسهم كتل من ذهب في غروب الشمس.

لم يبق في ساحة المعركة أخيراً إلا هورين واقفاً لوحده. قام بنزع درعه وأمسك بفأس ذي رأسين وراح يفتني، أنه الفأس الذي جعل الدم الأسود للغول حارس غومغونغ يتصاعد كالدهان حتى أفناه. وكلما قتل واحداً منهم كان هورين يصرخ ويقول، *آووري إيتتولونفا*، أي سيأتي النهار ثانية. سبعين مرة لفظ تلك الصرخة، ولكنهم أخيراً أخذوه حياً طبقاً لأوامر مورغوث. لأن الأوركس اشتبكوا معه بالأيدي وأمسكوه على الرغم من أنه مازال يقطع فيهم بنفأسه، لكنهم تكاثروا عليه حتى سقط تحتهم، ثم قيَّده غومغونغ وجرَّوه صاغراً إلى أنغياند.

هكذا كانت حماية نيزنايث أرنوي ديداد. مع هبوط الشمس خلف البحر. وسقوط الليل على هيثلوم، وقدوم عاصفة عظيمة من الريح الغربية إلى هناك.

كان نصراً عظيماً لمورغوث وقد حقق مبتغاه في التنفيذ كما في التخطيط. لأن البشر قتلوا بعضهم، وخانوا إيلدار، ونشأ الخوف والكراهية بين أولئك الذين يجب أن يتحدوا ضده، ومنذ ذلك اليوم فقد جافت قلوب الجان كل البشر. باستثناء فقط البيوت الثلاثة من إيدارين.

لم تعد مملكة فينغون موجودة. وأبناء فيانور تفرقوا مثل أوراق الشجر التي تبعثرها الريح. تبعثرت أسلحتهم وقوتهم وانكسرت أحلافهم، وأخذوا إلى حياة الغاية والبرية في سفوح



إيريد ليندون. مختلطين مع الجان الخضر في أوسيرياند، محرومين من قوتهم ومجدهم القديم. وفي بريثيل سكن بضعة من هالادين ولحد الآن ما زالوا يعيشون بحماية الغاية. وكان سيدهم هاندير بن هالدير. وإلى هيثلوم لم يرجع أحد أبداً من جند فينغون، ولا أي أحد من البشر من بيت هادور، ولم تعرف أخبارهم في المعركة ولا مصير ساداتهم.

أرسل مورغوث شعب إيستيرلينغز الذين خدموه إلى هيثلوم. ليحرمهم من أراضي بيليرياند الغنية التي طلبوها. فحاصروهم في هيثلوم مانعاً عبورهم منها، فهذه الجائزة كانت هي أكبر مكافأة لهم على حياتهم لمايذروس. وقد أرسلهم من أجل السلب وإزعاج الشيوخ والنساء والأطفال من شعب هادور. أما البقية الباقية من إيلدار الذين كانوا يسكنون في هيثلوم فقد أخذوا إلى مناجم الشمال، وعملوا هناك كعبيد. إلا مَنْ استطاع منهم المراوغة والمهرب إلى البراري والجبال.

أصبح الأوركس والذئاب يتحركون بحرية تامة في كل الشمال، حتى وصلوا إلى الجنوب، وإلى بيليرياند، ونان تائرين أرض الصفصاف، وحدود أوسيرياند، ولم يعد في البراري والمختول أي مكان آمن. فلم يبق فعلاً إلا دوريات، أما قاعات نارغوثوند فقد كانت مخفية. لكن مورغوث لم يعرهم الكثير من الاهتمام، إما لأنه لا يعرف الكثير عنهم. أو أن مساعمتهم لم تكن بعد في أعماق حقه. كثيرون هربوا إلى المرافئ وأخذوا لهم مأوى خلف أسوار كيردان. أما الملاحون فقد نزلوا إلى الشواطئ، حيث كانوا يناوشون العدو بغزوات سريعة ومفاجئة. لكن قبل مجيء الشتاء في السنة التالية، أرسل مورغوث قوة عظيمة إلى هيثلوم ونيفرامست، وصلت هذه القوة ونزلت إلى أنهار بريثون ونينينغ، فدمرها جان الفلاس كلها. وحاصروا أسوار بريثومبار وإيغلاريسست، وجلبوا معهم الحدادين وعمال المناجم وصناع النار. وبدأوا بصناعة المحركات العظيمة. وقاوموا بكل شجاعة لكن في النهاية انهارت أسوارهم وحرب كل شيء إلا المرافئ. دمر برج باراد نيمراس. وأكثر أقسام شعب كيردان كان مقتولاً أو مستعبداً. لكن البعض هرب وسافر خارجاً بالسفن عبر البحر، وكان بينهم إيرينيون غيل غالاد بن فينغون الذي أرسله أبوه إلى المرافئ بعد داغور براغوللاخ. أما البقية فقد أبحرت جنوباً مع كيردان إلى جزيرة بالار وجعلوها مأوى لكل من يأتي إلى هناك، لأنهم أبقوا لهم موطئ قدم في مصبات سيريون. فهناك يمكن للكثير من السفن السريعة المضاءة الاحتباء في الروافد والمياه حيث كانت حقول القصب كثيفة كالغاية.

وعندما سمع تورغون عن هذا، أرسل رُسله إلى منابع سيريون. وطلب مساعدة كيردان في بناء السفن. بنى كيردان لتورغون سبع سفن سريعة. أبحرت هذه السفن باتجاه الغرب لكن لم تعد أخبار منهم إلى بالار أبداً. بُحِت سفينة واحدة بعد أن دخلت العاصفة وكابد ملاحوها الكثير من المشقات والتعب طويلاً لكن أخيراً أحفقتوا بيأس في العاصفة على رمى البصر من الأرض الوسطى. وكان أولمو قد أُنقذ أحد ملاحيها من غضب أوسي، إذ حمله بالموج ورماه على اليابسة في نيفرامست وكان اسمه فورونوي. وهو أحد الرسل الذين بعثهم تورغون من غوندولين.

أصبح كلُّ تفكير مورغوث منصباً الآن على تورغون، لأن تورغون هو الوحيد الذي نجح منه ومن شروره، فهو خصم مرعج لأنه كان من أوائل الراغبين في تحطيم مورغوث. وهذا التفكير ألقاه وأفسد عليه فرحة النصر. فتورغون هو ابن البيت الهائل، بيت فينغولفين الذي كان بحق ملك كل تولدور، وكان مورغوث يخاف ويكره بيت فينغولفين لأنهم أصدقاء أولمو خصمه اللدود، وأيضاً بسبب الجروح التي أحدثها فيه سيف فينغولفين. والأهم من كل ذلك هو أن جمهور مورغوث وأعدائه، كانوا يخشون تورغون. لأنه منذ القدم في فالينور قد أضاءت عين تورغون على مورغوث، وكلما كان يقترب تورغون منه كان يسقط الظل على روح مورغوث. وهذا نذير شؤم لمورغوث بأنه في الفترة التي لا تزال فيها مملكة تورغون محفزية، فإن الخراب سيأتي لعالم مورغوث.

لذلك فقد أحضر هورين ووُضع أمام مورغوث. لأن مورغوث علم برابطة المودة والصداقة بينه وبين تورغون ملك غوندولين، لكن هورين سخر من مورغوث وتحداه. لذلك قام مورغوث بلعن هورين وزوجته موروين وكل ذريتهم، وقرر لهم عذاباً من الظلام والحزن. فأخذ هورين من السحن ووضع على كرسي من الحجارة في أعلى مكانٍ في ثانغورودرم. هنالك رُبط بقوة مورغوث. وقف مورغوث بجانبه ولعنه مرةً ثانية. وقال له: اجلس هناك وراقب الأراضي ولا حظ الشر واليأس اللذان سيقتعان على من أحببت. لأنك تجرأت على السخرية مني، وشككت بقدرات ميلكور سيد أقدار أردا. لذلك فسوف ترى يعيبي وتسمع بأذني. ولن تتحرك خطوة من هذا المكان حتى يتم كل شيء إلى نهاياته المريرة.

رغم ذلك يقال بأن هورين لم يطلب من مورغوث الرحمة أو الموت لا لنفسه ولا لأي شخص من أقاربه.

وطبقاً لأوامر مورغوثن قام الأوركس بتجميع كل أجساد الذين سقطوا في المعركة العظيمة هم وأسلحتهم وعتادهم الحربي. وكوموهم في كومة عظيمة وسط سهل إنفاوغليث. وكانت تبدو من بعيد وكأنها تل، وسموه هاوذا آين ندينغين. أي تل القتلى. لكن الجان سموه، هاوذا آين نيرنايث. أي تل الدموع. كان هذا التل هو المنطقة الوحيدة في كل صحراء مورغوثن الذي نمت عليه الأعشاب الخضراء الطويلة. ولم يتجرأ فيما بعد أحد مخلوقات مورغوثن من أن يدوس على تلك الأرض المدفون تحتها بقايا صدأ سيوف إيلدار وإيدارين.



## الفصل الحادي والعشرين

### تورين تورامبار

ريان بنت بيلغوند كانت زوجة هور بن غالدر، وكانت قد تزوجت منه قبل شهر من ذهابه مع أخيه هورين إلى نيرنايث أرنوي ديباد. وعندما لم تأمها أحياناً عن سيدها هريت إلى البرية، فساعدتها هناك الجان الرماديون من ميثرم، ولما ولدت ابنها تور فقد رياه الجان الرماديون، ثم غادرت ريان هيثلوم إلى تلة هاوذ آين نديغين وألقت نفسها عن التل وماتت.

موروين بنت باراغوند. كانت زوجة هورين سيد دور لومين، وكان ابنهم تورين قد ولد في تلك السنة نفسها التي التقى فيها بيرين إيرخاميون مع لوثاين في غابة نيلدوريث. وكانت لديهم بنت تدعى لالايت، أي الضاحكة، كانت محبوبة من قبل أخوها تورين. لكنها ماتت عندما كان عمرها ثلاث سنوات من الوياء الذي أتى على هيثلوم على إثر الريح التي خرجت من أنغياند.

بقيت موروين بعد نيرنايث أرنوي ديباد في دور لومين، وكان تورين بعمر حوالي ثماني سنوات، وفي بداية السنة رزقت مورين ثانياً بطفلة، وأطلقت عليها اسم نيانور، أي الخزينة. بنت هورين. وكانت تلك أيام شريرة، فقد جاء شعب إيستريلينغز إلى هيثلوم وأذلوا من بقي فيها من شعب هادور وقاموا باضطهادهم، وسلبوهم أراضيهم وأمتعتهم واستعدوا أبناءهم. لكنهم لم يتجرؤوا على سيده دور لومين الجميلة، أو على أحد من أفراد عائلتها. بسبب الإشاعة المنتشرة عن موروين، بأنهم خطرة وماهرة في السحر ومتحالفين مع الجان. على الرغم من أنها أصبحت فقيرة وجائعة ولم يساعدها أحد. إلا تلك المساعدات التي كانت تقدمها لها قرية تورين والتي تدعى آيرين زوجة برودا وهو من شعب إيستريلينغ. وقد اتخذ آيرين زوجة له بالقوة رغماً عنها. أما موروين فقد خافت كثيراً على ابنها تورين بأن يأخذوه ويستعبده لذا أرسلته سراً إلى الملك ثينغول لكي يأويه، لأن بيرين بن باراهير كان

من أقرباء أييها. وأيضاً لأن ثينغول كان صديق هورين قبل وقوع الشر. لذا ففي خريف عام الرثاء أرسلت إليها تورين عبر الجبال مع اثنين من خدمهم القدامى. لعلهم يجدون مدخلاً إلى مملكة دوريات، هكذا تُسج مصير تورين. وقصته الكاملة مذكورة في كتاب يدعى 'نارن إسي هيين هورين'، أي حكاية أبناء هورين، وهي النشيد الأطول الذي يتحدث عن تلك الأيام. وهنا نخرها بإيجاز. لارتباطها بمصير السيلماريليس وبالجان. وتدعى قصة الحزن، لأنها مؤلمة وفيها انكشفت أكثر أعمال موروث باوغليز الشريرة.

عبر تورين ورفاقه أخطاراً كثيرةً حتى وصلوا أخيراً إلى حدود دوريات، وأول من وجدهم هناك كان بيليج القوس القوية، رئيس الحرس الملكي للملك ثينغول والذي قادهم إلى مينيجروث. استلمهم ثينغول وأخذ تورين لكي يرعاه في بيته تكريماً لهورين الصامد. لأن مزاج ثينغول تبدل نحو بيوت أصدقاء الجان. ثم ذهب الرسل إلى هيثلوم في الشمال لكي يعرضوا على موروين الخروج من دور لومين والعودة معهم إلى دوريات. لكنها قالت بأنها لا تريد مغادرة المنزل الذي سكنت فيه مع هورين. وعندما غادرتها رُسل الملك أرسلت معهم خوذة التنين من دور لومين وهي أعظم إرث بيت هادور.

كبر تورين في دوريات وكان جميلاً قوياً لكنه كان موسوماً بالحزن، عاش في قاعات ثينغول لمدة تسع سنوات، ولم يكن حزنه يقل فقط، إلا عندما يذهب الرسل إلى هيثلوم، ويعودوا بأخبار جيدة عن موروين ونيانور.

بعد فترة لم يعد يرسل الملك ثينغول الرسل إلى الشمال، لأن رسله قتلوا ذات مرة بالشمال، فازداد خوف تورين على أمه وأخته، وفي كآبته وحزنه ذهب إلى الملك وطلب منه الدرع والسيف. وضع على رأسه خوذة التنين وخرج للقتال في معركة على تخوم دوريات. وأصبح رفيق سلاح مع بيليج كوثاليون.

بعد مرور ثلاث سنوات عاد تورين ثانية إلى مينيجروث، لكنه جاء من البرية، وكان أشعث الشعر، وملابسه ودرعه باليين. وكان هناك شخص من شعب نانador يسكن في دوريات، ويعمل بمنصب كبير مستشاري الملك واسمه سايروس. كان سايروس هذا يحسد تورين منذ مدة طويلة بسبب الشرف الذي منحه إياه الملك ورعايته له. وكان يجلس قبالة في المجلس عندما ويخذه قائلاً:

إذا كان رجال هيتلوم متوحشين بهذا الشكل وسقطوا أمام مورغوث، فما هو نوع نساء تلك الأرض، هل يركضون في البرية مثل الأيائل عراة يكسوهم الشعر فقط. فقام تورين ومن شدة غضبه يرفع كأس الشراب وضرب به سايروس، فجرحه بشكل كبير.

في اليوم التالي كمن سايروس لتورين منتظراً خروجه من مينيفروث للعودة إلى المعسكرات، لكن تورين تغلب عليه. وجعله يركض أعزلاً وطارده كما تُطارَد الوحوش في البراري، وأثناء هروبه خائفاً من تورين سقط سايروس في هوة جدول وتكشّر جسمه على صخرة كبيرة في الماء. رأى الآخرون ماذا حصل بين الرجلين ومن بينهم كان مايلونغ. فطلب من تورين العودة معه إلى مينيفروث والالتزام بقرار الملك. وطلب العفو، لكن تورين اعتبر نفسه مجرمًا وخاف من أن يسجنوه، فرفض عرض مايلونغ، وهرب مبتعداً بسرعة شديدة. عَبَّرَ زَنَار ميليان حتى وصل إلى الغاية الموجودة غرب سيريون. هناك انضم إلى عصاية من الرجال المشردين والباحسين مثله. وكما يمكن أن يحدث في تلك الأيام الشريرة في الغاية فقد تحولت أيديهم على كل من جاء في طريقهم من الإنس والجان والأوركس.

لكن عندما علم الملك ثينغول بكل الذي حصل. عفا عن تورين واعتبره مظلوماً، وفي ذلك الوقت عاد بيليج القوس القوية من المعسكرات الشمالية إلى مينيفروث يريد رؤية الملك. فقال له ثينغول، أنا حزين يا كوثاليون، لأنني أعتبر ابن هورين مثل ابني، وسيبقى كذلك ما لم يعود هورين من الظل لطلب ملكه. ولم يكن لدي أي مسؤولية تجاه خروج تورين إلى البرية وهو مظلوم، وأنا أرحب بعودته لأنني أحب له الخير.

فأجابه بيليج سأبحث عن تورين حتى أجده، وسأعيده إلى مينيفروث لأنني أنا أحبه أيضاً. بعدها غادر بيليج مينيفروث وعبر بعيداً في بيليراند، لكنه عبثاً سعى مكابداً الكثير من الأخطار لكي يخر تورين بأنه بريء ومظلوم.

استقر تورين لمدة طويلة مع الجرمين وأصبح قائدهم وسمى نفسه نيبان، أي المظلوم. وبمجرد شديد سكنوا في الأراضي المشجرة جنوب تيغليين. لكن بعد مرور سنة على هرب تورين من دوريات، عثر بيليج على مجباهم ليلاً، وتصادف ذلك مع ذهاب تورين لخارج المخيم، فألقوا القبض على بيليج وربطوه وعاملوه بقسوة، لأنهم ظنوه جاسوس ملك دوريات. لكن عندما عاد تورين ورأى ما فعلوه به، ندم على الأعمال الشريرة والفوضوية، وحرر بيليج، وجدد صداقته معه، فيما بعد تخلى تورين عن الحرب والنهب ضد الجميع باستثناء عدم أنغياند.

أخبر بيليج، تورين بغزو الملك عنه وأراد إقناعه بالعودة إلى دوريات لأنهم بحاجة إلى قوته وبساتنه في حماية المعسكرات الشمالية للمملكة. وقال له: لقد وجد الأوركس أخيراً الطريق للخروج من تاور نو فوين. ولقد عملوا طريقاً يمر من أناخ.

فقال له تورين: أنا لا أتذكره.

قال له بيليج: فعلاً نحن لم نذهب أبداً خارج الحدود، لكنك رأيت قسم كريسايفريم من بعيد. وإلى الشرق منها تقع الأموار المظلمة لغورغورث، وعبر أناخ يقع بينهما، فوق ينابيع مينديب العاليه، وهو طريق صعب وخطير إلا أن كثيرين يعبرونه الآن. ودعبار الذي اعتاد أن يكون آمناً، سقط الآن تحت اليد السوداء. ورجال بريثيل قلقون، فهم بحاجة هنا.

لكن بكبريائه رفض تورين عفو الملك ولم تنفع كلمات بيليج في تغيير مزاجه، ومن جهته حث بيليج على البقاء معهم في غرب سيريون، لكن بيليج قال له بأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، وقال له كم أنت قاسي وعنيد يا تورين. والآن جاء دوري فإذا تمتيت أن تكون بجانبك قوس قوية فابحث عني في ديمبار، لأنني عائدٌ إلى هناك.

في اليوم التالي خرج بيليج وزهّب معه تورين على بعد رمية قوس من المخيم لكنه لم يقل شيئاً. إذاً هذا وداعٌ يا ابن هورين؟ قالها بيليج. عندها نظر تورين إلى الغرب ورأى في البعيد وعلى ارتفاع كبير، آمون روذ، وغير مكترث لما يراه أمامه أجاب: لقد قلت لي ابحت عني في ديمبار لكنني أقول لك: ابحت عني على آمون روذ أيضاً. وهذا وداعنا الأخير، ثم افترقا كصديقين حزينين.

عاد بيليج إلى الكهوف الألف، ووقف أمام ثينغول وميليان وأخبرها بكل ما حدث معه، إلا المعاملة الشريرة التي لقيها من أصحاب تورين. تنهد ثينغول قائلاً: ماذا يريد مني تورين أن أفعل أكثر من ذلك؟

فقال له بيليج: دعني أغادر يا سيدي وأنا سأحرسه وأرشده مثلما أرشد نفسي. عندها لا نريد أن يقول أي إنسان، بأن كلام الجبان وعهودهم لا قيمة لها. ولا أتمنى رؤية الأشياء العظيمة الرائعة تسير إلى الفناء في البرية.

أذن له ثينغول بالذهاب كما أراد وقال له: يا بيليج كوثاليون لقد اكتسبت شكري وامتناني لك في الكثير من الأعمال، ولن يكون آخرها إيجاد الابن الذي ربيته، وفي هذا الافتراق أسألك أي مكافئة تريد ولن أنكر عليك شيء.

فقال بيلبع أريد سيفاً قيماً لأنني قد أواجه الأوركس وسيكون قريبين جداً مني، ومثل هذا النصل الذي في يدي غير قادر على اختراق دروعهم السميكة.  
فقال له ثينغول: اختر ما شئت إلا أراثروث<sup>1</sup>، فهو لي.

عندها اختار بيلبع سيف اسمه أنغلاخيل<sup>2</sup>، وكان سيف عظيم القيمة، وجاء اسمه من الحديد الذي سقط من السماء كنجم مشتعل، فهو يستطيع شق وقطع كل الحديد المستخرج من الأرض. هناك سيف آخر في الأرض الوسطى يعادل هذا السيف وهو من صنع نفس الحداد ونفس الحامة مع أن ذلك السيف لا يدخل في قصتنا هذه. وذلك الحداد يكون إيول الجسي المظلم المقيم في نان إيلموت، زوج أريذيل أخت الملك تورغون. وقد دفع هذا السيف أنغلاخيل للملك ثينغول كرمس لإقامته في نان إيلموت. لكنه احتفظ عنده بنظير هذا السيف وهو أنغويريل. حتى سرقه منه ابنه مايطلين.

لكن عندما أدار ثينغول مقبض أنغلاخيل نحو بيلبع، نظرت ميليان إلى النصل وقالت: هناك حقد في هذا السيف. فمازال القلب الأسود للحداد الذي صنعه يسكن فيه، وهو لن يحب اليد التي تمسكه. لكنه سيبقى معك لمدة طويلة.  
فقال بيلبع: مع هذا فأنا سأستخدمه ببراعة إذا صار لي.

قالت له ميليان: الهدية الأخرى ستكون مني لك يا كوثاليون، وتلك ستكون مَعينٌ لك في البرية، لتساعدك وتساعد من تختار معك. فأعطته مخزن من ليمباس وهو عجز الطير لدى الجان، ملفوفة بأوراق فضية، والخيوط التي ربطتها بما ختمت بعقد عظام الملكة. وهو عبارة عن رقائق من الشمع الأبيض يشبه شكل زهرة تيلبيريون طبقاً لعادات إيلدالي، فأعطاه الليمباس أو منعه مرتبط فقط بالملكة وحدها. فلم تعمل ميليان بأي عمل ظاهري يؤيد تورين، أعظم من هذه الهدية، ولم يسمح إيلدار لأي إنسان أن يستخدم الليمباس، عجز الطير، ومن النادر أن يعملها ثانيةً.

<sup>1</sup> أراثروث Aranrûth. هو اسم سيف الملك ثينغول ومعناه غضب الملك. أتخذ من عمليات السلب التي حملت أثناء انهيار نوريث وأختته إلبونغ، وبخورها أعطته لانجا إلموس، وأصبح فيما بعد هو سيف ملوك نوميور، ويقال أن آر فارلزون أخذه معه عندما ذهب إلى أمان، وما يزال هناك في الأقبية المسبية.  
<sup>2</sup> أنغلاخيل Anglachel. هو السيف الصنوع من حديد التيرك الذي سقط من السماء وقد صاغه إيول الجان المظلم، وهو نفس السيف الذي أخذه تورين فيما بعد وأصبح اسمه غورثانغ Gurthang. النصل الأسود. ويقال بأن إيول كان قد قدمه كرمس الملك ثينغول من أجل إقامته في غلات نان إلموت عندما أحاطت ميليان دوريات بزوار الحماة. وقد صاغ إيول سيفاً آخر من نفس المعدن وهو سيف أنغويريل Anguirel.



غادر بيليج بهذه الهدايا من مينيجروث عائداً إلى المعسكرات الشمالية حيث كان مسكنه هو وأصدقائه هناك. ثم طردوا الأوركس عن ديمبار، وأنغلاخيل في غمده. لكن عندما أتى الشتاء وهدأت الحرب فجأة تغيب الرفاق عن بيليج، ولم يعد إليهم بعد ذلك.

بعد أن افترق بيليج عن تورين والمخمرين الذين معه وعاد إلى دورياث. قاد تورين بمجموعته وخرجوا من غرب وادي سيريون، لأنهم تعبوا من حياة الترقب والمطاردة، وأرادوا البحث عن ملجأ أكثر أماناً. وتصادف في ذلك الوقت من المساء أن وقعوا على ثلاثة أقزام. هرب الأقزام من أمامهم وتخلّف واحد منهم، فقبضوا عليه وأسروه، وأخذ أحد أعضاء الصحبة سهماً ووضع في قوسه ورمى نحو القزمين الذين فرأ، لكنهما اختفيا في الغسق. كان اسم القزم الذي أسروه ميميم، تذرّع هذا القزم لتورين بأن يقيه حياً. وعرض عليهم كفدية لحياته، بأن يقودهم إلى قاعاته المخفية. والتي لن يتمكن أحد من إيجادها بدون مساعدته هو. فأشفق عليه تورين وأبقاه وقال له أين بيتك؟

عندها أجاب ميميم: أنه في الأعلى فوق التل، يتمدد بيت ميميم على التل الكبير المسمى آمون روز، فقد دعوه بهذا الاسم منذ أن غير الجان كل الأسماء.

صمت تورين ونظر مطولاً إلى القزم وقال له أخيراً: أنت الذي ستأخذنا إلى ذلك المكان.

ذهبوا في اليوم التالي إلى تل آمون روز يتبعون ميميم. يقف ذلك التل على حافة الأراضي البرية، المرتفعة بين وديان سيريون وناروغ. كمرجة خضراء مرفوعة كالتاج على أعلى القمم الحجرية. لكن رأس التل كان رمادياً وعرّاً، وغازياً من كل شيء إلا من السيريون<sup>1</sup> الأحمر الذي كان يغطي الحجارة. وعندما صعد رجال تورين واقتربوا أكثر، كانت أشعة الشمس الغارية تكسر الغيوم وتسقط على التاج. وفي وقتها كان كل السيريون مزهراً فقال أحد الصحبة هناك دماً على قمة التل.

قادم ميميم من طريق سرية، فوق سفوح آمون روز الحادة. وعند مدخل كهفه انحنى القزم لتورين قائلاً: ادخل بار آين دانويذ، بيت الفدية، ينبغي أن يصبح اسمه هكذا لأنني أفتديت به نفسي.

دخل عليهم قزمٌ آخر يحمل ضوء بيده، رحب بهم وتحدثوا معه ثم قام مسرعاً ونزل إلى ظلمة الكهف. فتبعه تورين، وبعد مسافة طويلة وصل إلى غرفة مضاءة بالمصابيح الخافتة المعلقة بالسلاسل، هناك وجدوا ميميم راكعاً أمام سرير حجري بجانب الجدار. بمزق لحيته

<sup>1</sup> السيريون. نبات معروف بهت بين الصخور وتكون أزهاره بلون الدم الأحمر.

وينوح صارخاً، مردداً اسماً واحداً. وعلى الأريكة كان يستلقي قزماً ثالث، فدخل تورين ووقف بجانب ميميم وعرض عليه المساعدة، نظر ميميم إليه وقال: لن تستطيع مساعدتي، لأن هذا هو ابني عييم، لقد مات بسهم أطلق عليه عند غروب الشمس. وابني إيون هو من أخيري بذلك.

عندها دخلت الشفقة إلى قلب تورين وقال لميميم: يا للأسف. ليس بإمكاننا استرداد ذلك السهم. وحقبة فهذا البيت هو بار آين دانويذ. فلم آتي من أجل الثروة، وسأدفع لك فدية ابنك ذهباً، كرمزٍ عن الحزن، على الرغم من أن قلبك لن يفرح بذلك كثيراً. وقف ميميم ونظر مطولاً إلى تورين وقال: سمعتك. فأنت تتكلم مثل سادة الأقزام القدماء. وأنا متعجب من هذا، الآن برد قلبي مع أنه غير مسرور، وفي هذا البيت مستسكن، إذا أردت، لأنني أنا سأدفع فديتي.

هكذا بدأت إقامة تورين في بيت ميميم المخفي على آمون روف. وراح يمشي على العشب أمام مدخل الكهف، وينظر شرقاً وغرباً وشمالاً، وبينما كان ينظر شمالاً لمح غابة بريثيل الخضراء تتسلق حول آمون أوبييل القابع في وسطها، فانسحبت عيونه إلى ذلك المكان ولم يعرف لماذا، لأن قلبه موجود بالأحرى في المنطقة الشمالية الغربية، حيث على بعد فراسخ فوق فراسخ بعيداً على مشارف السماء يمكنه أن يلمح جبال الظل، جدران بيته. وفي المساء نظر تورين إلى الغرب عند هبوط الشمس. وكان طريق الشمس الأحمر النازل إلى الأسفل يعتم فوق السواحل البعيدة حيث هناك يقع وادي ناروغ عميقاً بين الظلال.

في ذلك الوقت تحدث تورين مع ميميم كثيراً، وكان يجلس معه لوحده ويستمع إلى علمه وقصة حياته. لأن ميميم أتى مع الأقزام في الأيام الغابرة من مدن الأقزام العظيمة في الشرق، قبل عودة مورغوث بزمن طويل تجولوا إلى الغرب من بيليرياند. لكن بسبب تناقص قيمة حرفة الحدادة، فقد أخذ الأقزام إلى الحياة السرية، والمشي بأكتاف محمية وخطوات خفيفة وماكره. وقبل أن يأتي أقزام نوغروند وبيلغوست إلى الغرب عبر الجبال فلم يكن يعرف الجان من هم هؤلاء الآخرون. لذلك تعقبوهم وقتلوهم لكن بعد ذلك تركوهم وشأنهم، وأولئك دُعوا نويغث نيبين، أي الأقزام التافهين. بلغة سيندارين. فهم لم يجروا إلا أنفسهم. وكانوا يخافون الأوركس ويكرهونهم كثيراً، ولم يقلل كرههم لإيلدار عن ذلك، ومن إيلدار كرهوا أكثر من الجميع المنفيون لأنهم قالوا بأن تولدور قد سرق أرضهم وبيوتهم، فمنذ مدة طويلة اكتشف الأقزام كهوف نارغوثروند قبل أن يأتي إليها الملك فينود فيلاغوند من البحر ويبدأ

الحفر بواسطتهم. وتمت تاج آمون رود، الثلل الأقرع، فقد ضجرت الأيدي البطيئة للأقزام التافهين، وعمقت الكهوف التي يسكنوها هناك خلال السنوات الطويلة. غير متأثرين بالجان الرماديين الذين يسكنون الغاية، لكن الآن تضاءلوا كثيراً، واندرثوا من الأرض الوسطى. ولم يبق منهم إلا مييم وولديه. كان مييم كبيراً بالسن حتى في حسابات الأقزام. قديم ومنسي، حتى في قاعته فإن ورثة الحدادة كانت معطلة، والفؤوس صدأه. ولم يذكر اسمهم إلا في الحكايات القديمة لدوريات ونارغوثرون.

في منتصف الشتاء حيث نزل الثلج الثقيل من الشمال وكان أكثر مما تعودت عليه الوديان النهرية وغطت الثلوج آمون رود. قيل بأن قسوة شتاء ييليرياندا كانت بسبب ازداد قوة أنغباند، فلم يتحرأ على الحركة في الخارج إلا القليل من المتحاسرين، وسقط البعض مرضى والجميع قرصهم الجوع. لكن في أحد أيام ذلك الشتاء وفي الغسق الخافت ظهر فجأة بينهم رجل، ضخم الجثة والبطن، يرتدي عباءة طويلة ذات غطاء للرأس وكانت مغطاة بالثلوج. مشى إلى النار دون أن ينطق بحرف، وعندما نهض الرجال واقفين من الخوف، ضحك وازاح قلنسوته عن رأسه وتمت عبايته العريضة كان يحمل علبة كبيرة، وعلى ضوء النار نظر إليه تورين ثانيةً فرعفه وإذا هو ييليج كوئاليون.

هكذا عاد ييليج مرة أخرى إلى تورين وكان لقاءً سعيداً. وكان قد جلب معه من دهبار خوذة التنين من دور لومين. فقد كان يعتقد أن باستطاعته جعل تورين يتخلى عن عيشة التشرد في البرية كزعيم لجماعة تافهة، لكنه اصطدم بعناد تورين الذي لم يكن راغباً بالعودة إلى دوريات مجدداً. فاستسلم ييليج إلى عاطفته المحبة لتورين، ولو كان ذلك ضد قناعاته وقرر عدم المغادرة والبقاء إلى جانب تورين. وفي ذلك الوقت عمل أشياء كثيرة في مصلحة رفقة تورين، فقد كان بينهم المريض والجروح فأعطاهم الليباس الذي منحه إياه ميبيان فساعدهم ذلك على الشفاء بسرعة. مع أن الجان الرماديين كانوا أقل معرفة ومهارة من المنفيين من قباليون، لكنهم وفي دروب الأرض الوسطى كانوا يمتلكون الحكمة التي كانت خارج متناول البشر، ولأن ييليج كان قوياً وجلوداً، بعيد البصر والبصيرة، فقد جاء لكي يحمل الشرف بين مجرمين، لكن كراهية مييم للجن الذي دخل إلى بار آين دانويد ازدادت وتعاضمت. فجلس مع ابنه ايون في الظل الأعمق من بيته، ولم يتكلم بشيء، ولم يهتم تورين كثيراً لأمر القزم. لكن عندما انقضى الشتاء وجاء الربيع كان لديهم الكثير من الأعمال الصعبة ليفعلوها.

من يعرف الآن ماهي آراء مورغووث؟ ومن يستطيع أن يعلم إلى أين يصل الفكر الذي يمتلكه ميلكور، فقد كان جباراً بين آينور أثناء الأغنية العظيمة. وها هو الآن يجلس كسيد للظلام على عرش الظلام في الشمال، يوازن بين خبثه والأخبار التي تأتيه، فيدرك المقاصد والأعمال، حتى أحكم الحكماء بينهم يخافون منه، باستثناء الملكة ميلبان؟ وإليها في أغلب الأحيان اتجه تفكير مورغووث وامتد نحوها لكنه دائماً كان يعود محيطاً.

تحركت قوة أنغباند ثانيةً، وكأصابع اليد الطويلة التي تتلمس، كذلك كانت مقدمة جيوشة تنقصى الطريق إلى بيلرياند، حاصوا من خلال أناخ. وأخذوا ديمبار وكل المعسكرات الشمالية لدوريات. ونزلوا من الطريق القديم الذي يؤدي إلى الممر الضيق لسيريون. حيث الجزيرة التي بنى عليها في الماضي فينرود برج المراقبة ميناس تيريث، وهكذا من خلال الأرض التي بين المالدوين وسيريون، ومن خلال أطراف غابة بريثيل حتى معابر تيجيلين، ومن هناك يستمر الطريق إلى السهل المحروس. لكن الأوركس لم يذهبوا بعيداً فوجه، لأنه يسكن الآن في البرية إرهاب خفي، وعلى التل الأحمر كانت عيون يقظة، والتي لم تُحْدَرْ، لأن تورين وضع خوذة هادور، وسار الممس في بيلرياند بالطول والعرض، تحت الغابات وعلى الجداول ومن خلال معابر التلال، يقول بأن الخوذة والقوس الذين سقطا في ديمبار ظهرا ثانيةً وراء الأمل. عندها ذهب كثيرون بدون قيادة، محرومين لكن شجعان، أخذتم العاطفة ثانيةً وجاءوا قاصدين قائدين اثنين. دور كوارثول. أرض القوس والخوذة، هكذا كان اسم تلك المنطقة الواقعة بين تيجيلين والمعسكرات الغربية لدوريات. وسمى تورين نفسه غورثول، الخوذة المرعبة. وعاد قلبه قوياً كما كان في السابق. شمع عن الأعمال المشهورة للقائدين في مينيجروث وفي القاعات العميقة ل نارغوثروند وحتى في المملكة المخفية لغوندولين. وفي أنغباند أيضاً سمعوا عنهم، ضحك مورغووث لأنه الآن وبواسطة خوذة التنين فقد انكشف ابن هورين له ثانيةً. وقبل ذلك بمدة طويلة كان آمون رود، مطوّق بالجواميس.

خرج ميمم وابنه إيون من بار آين دانويذ في أواخر السنة لجمع الجذور من البرية لتخزينها للشتاء، فوقعوا أسرى بيد الأوركس. عندها وللمرة الثانية وعدهم ميمم بأن يدهم على الطرق السرية لبيتة على آمون رود. لكنه رغم ذلك حاول أن يوخرهم وطلب منهم عدم قتل غورثول. عندها ضحك قائد الأوركس وقال لميمم: بالتأكيد لن نذبح تورين بن هورين.

هكذا كانت خيانة بار آين دانويذ، لأن الأوركس وقعوا عليه في وقت غير متوقع من الليل، بإرشاد ميميم، وذبحوا كثيرين من جماعة تورين وهم نيام، والبعض هرب من الأدرج الداخلية إلى قمة التل وهناك قاتلوا حتى قتلوا جميعهم، فتدفق دمهم على سيريون الذي يغطي الحجارة. لكن ألقيت شبكة على تورين وهو يقاتل، مما جعلته يشتبك بما فتعلبوا عليه وقهره، واقتادوه معهم.

بعد أن حل الصمت ثانيةً بالمكان، زحف ميميم خارج عتمة منزله وكانت الشمس ما تزال تطل من بين السحب فوق سيريون. ووقف بجانب القتلى على قمة التل، وهو يدرك بأن ليس كل الملقون على الأرض هنا أموات. ألقى نظرة واحدة ثم عاد ونظر في عيون الجني بيليج، فاستيقظت الكراهية القديعة في قلبه. وقف ميميم فوق بيليج وسحب السيف أنغلاخيل الذي كان ملقى تحت جسد شخص مقتول بجانبه وضرب به بيليج، لكن بيليج تحاشى الضربة وأمسك بالسيف وطعن به القزم. هرب ميميم خائفاً مرتعداً من قمة التل، فصرخ عليه بيليج قائلاً، إن نأر بيت هادور سيحملك رغم كل شيء.

كانت جراح بيليج كبيرة ومؤذية، لكنه كان جباراً بين جان الأرض الوسطى وعلاوة على ذلك، كان بارعاً في المداواة. لذلك لم يمِت، وعادت إليه قوته ببطء، وأخذ يبحث عن تورين بين القتلى لكي يدفنه، لكنه لم يجده. فعلم أن ابن هورين مازال حياً وقد يكون أسيراً وأخذوه معهم إلى أنغباند.

غادر بيليج آمون روذ بالقليل من الأمل، ذهب شمالاً نحو معابر تيغيلين يقتضي أئر الأوركس، عبّر بريشاخ وسار من خلال ديمبار نحو معبر أناخ. ولم يكن بعيداً عنهم، لأنه كان يسير طوال الليل بدون نوم، بينما هم تلكأوا على طريقهم، حيث كانوا يصطادون في الأراضي فلا خوف من أن يطاردهم أحد، وأتجهوا نحو الشمال. حتى دخلوا الغابة المرعية تور نو فوين. عندها انحرف بيليج قليلاً عن أثرهم، لأن مهارة بيليج لا يضاهيها أحد في الأرض الوسطى. وعندما عبر تلك الأرض الشريرة ليلاً، أتى على شخص كان نائماً تحت جذع شجرة ميتة. وقف بيليج بجانب النائم فرأى بأنه جني. تكلم معه وأعطاه ليمباس وسأله ما الذي قاده إلى هذا المصير الفظيع، فقال له بأن اسمه غويندور بن غويلين.

نظر بيليج إليه بحزن لأن غويندور لم يكن سوى ظل مقوس الظهر لما عاناه من الخوف ونوبات الغضب. فأثناء نيرنايث أرنوي ديداد كان قد ركب مع سيد نارغوثروند بالشجاعة المتسرعة إلى أبواب أنغباند وهناك تم أسره. قتل مورغووث بعض الذين أمسك بهم من

نولدور، وبعث بالبقية للعمل في المناجم بسبب مهارتهم في التعدين وصناعة المجوهرات. وكان غويندور من بين الذين أخذوهم للعمل في مناجم الشمال. كان بعض حان التعدين هؤلاء يهربون من الطرق السرية التي لا يعرفها غيرهم. وهذا ما حدث مع هذا الشخص الذي وجده بيليج. وكان مستهلكاً ومختاراً في مناهات تور نو فوين.

أخبره غويندور أنه رأى وهو متخفي بين الأشجار، مجموعة كبيرة من الأوركس يتجهون إلى الشمال، ومعهم الذئاب وكان بينهم رجل يدها مقيدتان. كانوا يقتادوه بالسياط، وكان طويل جداً بطول رجال تلال هيثلوم الضبابية. ثم أخبره بيليج بمهمته الخاصة في تور نو فوين، أراد غويندور نفيه عن مسعاها قائلاً: لأنك ستنظم إليه في المعاناة والألم الذي ينتظره. لكن بيليج لن يتخلى عن تورين، حتى أنه أثار قلب غويندور اليأس، فتعقبا الأوركس معاً حتى خرجوا من الغابة إلى السفوح العالية النازلة إلى كيثان إنفاوغليث القاحلة. هنالك وعلى مرمى البصر من قمم نانغورودريم، نصب الأوركس معسكرهم في وادٍ صغيرٍ مكشوف، حيث ضوء النهار كان خافتاً. ووضعوا تورين في حفرة محروسة من الذئاب وهم جلسوا ليشربوا. آنذاك هبت عاصفة عاتية من الغرب، ولمع البرق بعيداً على الجبال الغامضة. عندها تسلل بيليج وغويندور إلى هذا الوادي الصغير.

وعندما نام كل من في المعسكر، أخذ بيليج قومه وراح يرمي في الظلام على الحراس، الواحد تلو الآخر وبشكل صامت. ثم خاطروا كثيراً ودخلا إلى المعسكر فوجدوا تورين مقيد اليدين والقدمين وقد ربطوه إلى شجرة يابسة. وعلى كافة أنحاء جسمه أثار خدوش السكاكين التي كانوا يرمونه بها. كان فاقداً للوعي، ونائماً من شدة الإرهاق. لكن بيليج وغويندور قطعوا القيود التي ربطته. فأخرجاه من الوادي، وحملاه إلى الطريق الذي يمر من فوق أجمة صغيرة من أشجار الزعرور. أصبحت العاصفة قريبة جداً الآن، فسحب بيليج سيفه أنغلاخيل وقطع به قيود تورين. لكن القدر كان معانداً في ذلك اليوم، لأن نصل السيف انزلق أثناء قطع الأغلال وجرح قدم تورين. فنهض تورين من نومه غاضباً وقد أثاره الجرح. وبخوفه وغضبه تراءى له بأن شخصاً قد انحنى فوقه بنصلٍ مجرّد، فقفز من مكانه وهو يصرخ. معتقداً بأن الأوركس بدأوا بتعذيبه ثانية، فأخذ يتصارع مع هذا الشخص في الظلام، ثم استولى على أنغلاخيل، وطعن به بيليج كوثاليون فقتله وهو يضنه عدواً.

لكنه عندما وقف ووجد نفسه حراً، وكان مستعداً لدفع حياته ثمناً باهضاً لمقاتلة الأعداء الذين تخيلهم. عندها مضت برقة عظيمة فوقهم وفي ضوءها نظر إلى وجه بيليج، فوقف

مثل الحجر الصامت يحدق في الموت المخيف، وعرف ما الذي فعله، فقد كان وجهه فظيلاً جداً. أضاء البرق كل المكان حوله هناك فرأى غويندور ينكمش على الأرض ولم يرفع عينيه.

اضطرب كل معسكر الأوركس في الوادي لأنهم كانوا خائفين من الرعد القادم من الغرب، لاعتقادهم بأنه أرسل إليهم من أعدائهم العظماء خلف البحر، ثم عصفت الريح وتساقت مطر غزير محدثاً سيولاً تكنس كل ما في طريقها من سفوح تاور نو فوين. مع ذلك فقد نادى غويندور إلى تورين يحذره من خطرهم لكن تورين لم يجب، بل جلس في العاصفة بجانب جثة بيليج كوثاليون بلا حراك ولا بكاء.

في الصباح مرت العاصفة عن الوادي باتجاه الشرق عبر لوثلان. وأشرقت شمس الخريف لامعة ودافئة. اعتقد الأوركس بأن تورين قد هرب بعيداً عن ذلك المكان حتى أن أثار هروبه أزالته العاصفة. لذلك رجعوا مستعجلين إلى مورغووث، فارغي اليدين تاركين ابن هورين خلفهم، شاهدتهم غويندور من بعيد يمشون على رمال إنفاوغليث الحارقة، أما تورين فقد جلس محبوباً غير مدرِك لما فعل على سفوح تاور نو فوين. ويحمل عبئاً أثقل من أغلال الأوركس.

حكَّ غويندور تورين على مساعدته في دفن بيليج، فنهض وكأنه يمشي بنومه، وضعا بيليج في القبر الضحل سويةً، ووضعاً بجانبه قوسه العظيم بيلثروندينغ. التي صُنعت من خشب السرو الأسود، لكن السيف المخيف أنغلاجيل فقد أخذه غويندور، قائلاً من الأفضل أن نتقم به من خدم مورغووث من أن نقيه ملقى على الأرض، وأخذ ليمباس ميليان لتقويهم في البرية.

هكذا كانت حماية بيليج القوس القوية، أوفى الأصدقاء، مهارته عظيمة أكثر من كل الذين آوهم غابات بيليرياند منذ القدم. وكانت حمايته على يد من أحب، وذلك الحزن محفور في وجه تورين ولن يمحي أبداً. لكن القوة والشجاعة تجددتا في غويندور حين نارغوثروند. فقاد تورين مبتعدين عن تاور نو فوين، ولا مرة أثناء تجوالهم سوية على الطرق الطويلة الصعبة سمع تورين يتكلم، فقد مشى كأنسان بدون هدف أو أمنية، وبينما اقتربت نهاية السنة واقترب الشتاء على الأراضي الشمالية، لكن غويندور كان دائماً إلى جانبه يحرسه ويوجهه، هكذا عبراً غرباً فوق سيريون، وجاء بعد طول مسير إلى إيثيل إيشرين، حيث منابع نهر ناروغ تحت جبال الظل. هناك تكلم غويندور مع تورين قائلاً: استيقظ يا تورين بن هورين

ثاليون، على بحيرة إيفرين ضحك لا نحائي، إنها تتغذى من الينابيع البلورية التي لا تنضب، ويحرمها من الدنس، أولو مسيد المياه، الذي صنع جمالها في الأيام الغاية. رجع تورين وشرب من ذلك الماء. ثم رمى نفسه على الأرض، وأخيراً أغمرت دموعه، وكان شفاؤه من جنونه. وهناك عمل أغنية ليليلغ. سماها لايركو بيليلغ، أغنية القوس العظيم، وغناها جهورياً غير مهتم للخطر. ووضع له غويندور السيف أنغلاخيل في يده، عرف تورين بأنه سيف قوي وثقيل ويمتلك قوة عظيمة. لكن نصله كان أسود وبيد، وحوافه مثلمه، ثم قال له غويندور: هذا نصل غريب ومختلف عن كل ما رأيت في الأرض الوسطى. أنه حزين على بيليلغ مثلك، لكن كُن مرتاحاً، لأنني سأعود إلى نارغوثروندي إلى بيت فينارفين ويجب أن تأتي معي. وأن تتعافى من جديد.

فقال له تورين: من أنت؟

فأجاب غويندور: جنّ متشرذم، عبد هارث، أنا الذي وجدته بيليلغ وأعانه. فقد كنت غويندور بن غويلين سيداً من نارغوثروندي، حتى ذهبت إلى نيرنايث أرنوي ديداد، وهناك وقعت في الأسر واستعبدت في أنغباند.

فقال تورين: إذا هل رأيت هورين بن غالدور، محارب من دور لومين؟

فقال له غويندور: لا لم أراه، لكن يشاع في أنغباند بأنه مازال يتحدى مورغوث. وقد وضع مورغوث حوله لعنة تلهه هو وكل أقبائه.

فقال تورين: اعتقدت ذلك.

بعدها غادرا إيفيل إيفرين مسافرين جنوباً على طول ضفاف ناروغ. فعثر عليهما كشافاً من الجان وأخذوهما أسيرين إلى المعتقل المخفي، وهكذا كان وصول تورين إلى نارغوثروندي.

في بادئ الأمر لم يتعرف الناس على غويندور الذي خرج صغيراً وقويماً وعاد كواحد من البشر المسنين، بسبب عذابه والأعمال التي كان يقوم بها، لكن فيندويلاس بنت الملك أوروبريث عرفته ورحبت به، لأنها كانت تحبه قبل نيرنايث، وكذلك هو أحب جمالها وسماها فايليفرين، ومعناه وميض الشمس على بحيرة إيفرين. ومن أجل تحاطر غويندور فقد أبقوا على تورين في نارغوثروندي، وسكن معه معزراً مكرماً، لكن عندما أراد غويندور أن يلفظ اسمه، كان تورين يقاطعه ويقول: أنا آغارواين من أبناء أومارث (أي هو الملتخ بالدماء، ابن المصير السيء) صباد في الغابات، بعدها لم يستحوه جان نارغوثروندي أكثر من ذلك.



وفي الأوقات اللاحقة ارتفعت قيمة تورين عند الملك أورووريث. وأصبح مقرباً من قلوب الجميع في نارغوثرونند، لأنه كان شاباً، وقد وصل الآن إلى اكتمال رجولته، لكن بالحقيقة فإن من ينظر إليه يعرف أنه ابن موروين إيلدوين. بشعرة الأسود وبشرته الشاحبة وعيونه الرمادية، ووجهه الأجل بين كل البشر. وكلامه ومعاناته في الأيام السابقة تلك التي كانت في مملكة دورياث، حتى بين الجان فإنه قد يظن بأنه أحد أبناء البيوت العظيمة لنولدور، لذلك فقد دعاه كثيرون أداينذيل الرجل الجان. أُعيد دق السيف أنغلاخيل ببراعة على أيدي حرفيين ماهرين من نارغوثرونند، مع أنه بقي أسود إلا أن حافته قد لمعتا كالنور الخافت، وسماه غورثانغ، حديد الموت. فقد كانت بطولته ومهارته عظيمة في القتال على حدود السهل المحمي وأصبح معروفاً للجميع باسم مورميغيل، السيف الأسود. وقال الجان: بأن مورميغيل لا يمكن أن يُقتل إلا بسوء الحظ أو بسهم شرير غادر من بعيد. لذا فقد أعطوه درع قزم لحمايته، ووجدوا له في مستودعات السلاح قناع قزم بحميّة متجهمة ومدّهّب بالكامل، وكان يضعه قبل كل معركة، فكان الأعداء يهربون من أمامه.

تحول قلب فيندويلاس عن غويندور فأحبت تورين رغباً عنها، لكن تورين لم يكن يعلم بذلك، وبدأ قلب فيندويلاس يتمزق من الحزن، وأصبحت شاحبة وصامتة، لكن غويندور جلس بالفكر المظلم، وفي الوقت المناسب تكلم مع فيندويلاس قائلاً: يا بنت بيت فينارفين، لا تدعي الحزن يقع بيننا، على الرغم من أن مورغوث قد وضع حياتي في الخراب فمازلت أحبك. اذهبي إلى حيث يقودك قلبك لكن رغم ذلك أحذرك، فلا يلاقم أبناء الإوقات الأقدم أن يتزوجوا من الأصغر، فهذه ليست من الحكمة لأنهم يحتزلون وعمرهم قصير ومرورهم في الحياة سريع، فهم يغادروننا بسرعة، يتكوننا للترمل بينما ما تزال نهايات العالم بعيدة، أو أنه سيعاني من مصيره مرة أو مرتين فقط. ونحن لا ندرك ماهية الغاية العليا للقدر. لكن أليس هذا الرجل هو بيرين، فالقدر بانتظاره، وأستطيع قراءة قدره بعيني، لكن القدر الأسود لن يدخل إليه. وإن فعلت فإن حبك سيدودك إلى المرارة والموت. لذلك يجب أن تصغي إليّ، في الحقيقة هو ليس أغارواين بن أومارث، فاسمه الحقيقي تورين بن هورين. الذي حمله مورغوث إلى أنغياند، وكل عائلته ملعونين، ولا أشك في قوة مورغوث باوغلير. وهذا القدر لم أكتبه أنا.

جلست فيندويلاس طويلاً تفكر، وفي الآخر قالت: لكن تورين بن هورين لم يجيني ولن يفعل.

وعندما علم تورين بالذي حدث بين غويندور وفيندويلاس، غضب وقال لغويندور: في الحب كنت سأحل لك الخلاص وأبقيه بأمان. لكنك الآن قد أذيتني يا صديقي. فقد غدرت بي بذكرك لاسمي الحقيقي. واستدعوك لقدرتي الذي هربت منه.

لكن غويندور أجابه: قدرك يكمن في نفسك وليس في اسمك.

عندما أصبح معروفاً لدى أروودريث بأن مورميغيل هو بالحقيقة ابن هورين ثاليون. منحه شرفاً عظيماً. وأصبح تورين هائلاً بين شعب نارغوثرونند، لكنه لم يكن ميالاً لأسلوبهم في الحرب. في الكمين والتسلل وإطلاق السهام بالخفاء. فهو يتوق إلى الشجاعة والمعارك المفتوحة في العراء، لاقت نصائحه مع الوقت آذاناً صاغية عند الملك. وفي تلك الأيام فإن جان نارغوثرونند تركوا مسرتهم وذهبوا إلى المعارك المفتوحة، وعملوا محزنين للأسلحة. وطبقاً لنصائح تورين، فقد بنى نولدور جسراً هائلاً على ناروغ، من أبواب فيلاغوند لكي يصلوا بسرعة إلى أسلحتهم، ثم طردوا خدم أنغباند من كل الأرض بين ناروغ وسيريون شرقاً، ومن نينينغ إلى عرائب فالاس غرباً، على الرغم من كل ذلك كان غويندور يتكلم دائماً ضد تورين في مجلس الملك، بأن كل أعمال تورين ما هي إلا سياسة سيئة، لذلك سقط غويندور إلى العار ولم يلق آذاناً صاغية، فقد ضعفت قوته ولم يعد يحمل السلاح لمدة طويلة. وهكذا قام بكشف نارغوثرونند إلى كراهية وغضب مورغوث. لكن لم يزل تورين في صلته لم يذكر اسمه الحقيقي، مع ذلك فقد ذاع صيته حتى وصل إلى دورياث وإلى آذان ثينغول، وسرت الإشاعات فقط حول السيف الأسود لنارغوثرونند.

بسبب أعمال مورميغيل فقد استأصلت قوة مورغوث من غرب سيريون، وفي ذلك الوقت من الرجاء والأمل، هربت موروين أخيراً من دور لومين ومعها ابنتها نيانور. وغامرت برحلة طويلة حتى وصلت إلى قاعات الملك ثينغول، لكن حزناً جديداً كان بانتظارها لأنها لم تجد ابنتها تورين هناك. لأنه كان قد غادر، ولم تأتي أخبار إلى دورياث منذ أن اختفت خوذة الثنين من أراضي غرب سيريون، لكن موروين بقيت في دورياث مع نيانور كضيوف ثينغول وميلبان، تعاملان بالكثير من التشريف.

بعد مرور أربعمائة وخمسة وتسعون سنة على ظهور القمر وفي ربيع تلك السنة، حدث أن أتى إلى نارغوثرونند اثنان من الجان يدعيان غيلمير وأرميناس، كانا من شعب أنغورود. لكنهما ومنذ داغور براغوللاخ سكنا في الجنوب مع كيردان صناع السفن. ومن رحلتهم البعيدة فقد جلبوا معهم أخباراً عن تجمعٍ عظيمٍ للأوركس والمخلوقات الشريرة تحت أطراف إيريد

ويشترين وفي معابر سيريون، وقالوا أيضاً بأن أولمو جاء إلى كيردان، وحذره من اقتراب الخطر العظيم نحو نارغوثروند.

وقالاً للملك: استمع لكلام سيد المياه مع كيردان صُتَّاع السفن حيث قال: لقد دنس الشر القادم من الشمال بناييع سيريون، وبدأت قوتي تنسحب من المياه المتدفقة، لكن الشيء الأسوأ لم يأت بعد. ونصيحتي لسيد نارغوثروند، عليه أن يغلق أبواب القلعة ولا يذهبوا خارج أسوارها. وليحطموا الجسر الذي بنوه وليلقوا بالحجارة العظيمة في صحب النهر. فلربما يتيه الشر الزاحف ولا يجد الباب.

انزعج أورودريث من الكلمات المظلمة للرسل، لكن تورين لم يصغ على الإطلاق لهذه النصائح. على الأقل سيعاني الجميع من تدمير الجسر فقد كان قوياً وصلباً، وسيأمر الجميع كما يتمنى.

سرعان ما اغتيل هاندير، سيد بريثيل، لأن الأوركس غزو أرضه وخسر هاندير المعركة، لكن شعب بريثيل كانوا مترابطين وتراجعوا نحو غاباتهم. وفي خريف تلك السنة عندما حانت ساعتهم أطلق مورغووث على شعب ناروغ. مضيفه العظيم الذي قضى مدة طويلة في إعداده، مرّ الأورولوكي غلاورونغ فوق إنفاوغليث ووصل أخيراً إلى الشمال من وادي سيريون، فعل هناك ضرراً عظيمة. وتحت ظلال إيريد ويشترين كان قد نجس إيثيل إيشرين، ومن هناك عبر إلى مملكة نارغوثروند، فأحرق ثلاث ديزنين، وهو السهل المحمي بين ناروغ وتينغيلين.

خرج محاربو نارغوثروند للحرب، وبدأ تورين في ذلك اليوم طويلٍ وفظيع. وتعلقت قلوب الجيش به وقد ركب عن ميمنة الملك. لكن جيوش مورغووث كانت تبدو عن بعد أعظم بكثير مما أخبر عنه الكشافون. لكن لم يصمد إلا تورين أمام اقتراب غلاورونغ بقناعه قناع القزم. تراجع الجان أمام ضغط الأوركس على سهل تومهاالاد بين غينغليث وناروغ. وحوصروا هناك، وفي ذلك اليوم ذهب كل كبرياء وفخر شعب نارغوثروند. فقد قُتل أورودريث منذ بداية المعركة. وأصيب غويندور بن غويلين إصابات قاتله، فهب تورين لمساعدته بينما تفرق الجميع من حوله. حمل غويندور وخرج به عن الطريق وأوصله إلى الغابة ومدده على العشب.

قال غويندور لتورين: دع نتيجة أعمالتي تدفع ثمن معاناتي، فسوء الحظ لي والحمد لك، لأن جسمي سيفسد بعد الشفاء، ويجب أن أترك الأرض الوسطى، مع ذلك فإنني أحبك يا

ابن هورين. رغم ذلك فلإني نادم على اليوم الذي أنقذتك فيه من الأوركس. لكن لمهارتك العالية وكبرياتك فإزال أمامك الحب والحياة. وسيصمد نارغوثرون لفترة، والآن إذا كنت تحيي، اتركني وأسرع إلى نارغوثرون وأنقذ فيندويلاس وهذا آخر شيء أقوله لك. فهي الوحيدة التي تقف بينك وبين قدرك. وإذا فشلت في إيجادها فلن تفشل هي في إيجادك، الوداع!

رجع تورين مسرعاً إلى نارغوثرون. فلم يجتمع مثل هذا الحشد المهزوم كالذي التقاه هناك على الطريق، فقد ذهبوا مثلما تذهب أوراق الأشجار المتساقطة في ربح عاتية، وعبروا من الخريف إلى الشتاء المريع. لكن حشود الأوركس والتنين غلاورونغ كانوا أمامه وقد وصلوا فحاًة. قيل أن يعلم أولئك الذين تركوا للحراسة ماذا حصل على حقل تومهلاد. وفي ذلك اليوم تبين أن الجسر على ناروغ كان مجلبةً للشر، لأنه كان كبير وصنع بقوة فلم يتمكنوا من تحطيمه بسرعة، ومنه عبر العدو بسهولة فوق النهر العميق. وجاء غلاورونغ يناره العظيمة إلى أمام بوابة فيلاغوند ودمرها وعبر منها إلى الداخل.

وعندما صعد تورين كان الذهب المريع لنارغوثرون قد بلغ حدّه. حيث قام الأوركس بذبح وطرده من تبقى بأسلحتهم، ونهبوا وحطموا كل القاعات والغرف الكبيرة. أما النساء والعداري اللواتي لم يحرقن أو يقتلن فقد جمعوهن على الأرصفة أمام الأبواب، ليأخذوهن إلى مورغوث كعبيد. أتى تورين فوق كل هذا الخراب والألم فلا يمكن لشيء أن يوقفه أو يمنعه، وضرب كل من صادفه أمامه ومر فوق الجسر حتى قطع الطريق نحو الأسرى.

وقف وحيداً لأن القلعة التي تبعوه كانوا قد هربوا. وفي تلك اللحظة ظهر من الأبواب المفتوحة غلاورونغ وتمدد وراءها بين تورين والجسر، وتكلم فحاًة بالروح الشريرة التي كانت فيه قائلاً: أهلاً بك يا ابن هورين، هذا لقاء جيد.

قفز تورين حوله ومشى نحوه وأشرقت حواف غورنانغ مثل اللهب، لم يطلق عليه غلاورونغ نفخته الحارقة، لكنه فتح عينونه الشيطانية وحدق في تورين، نظر تورين إليه بدون خوف رافعاً سيفه، ومباشرة سقط تحت التعويذة الملزمة لعيون التنين، فتوقفت حركته، ووقف ثابتاً كأنه تمثال من الحجارة، كانا لوحدهما صامتين أمام بوابة نارغوثرون، لكن غلاورونغ تكلم ثانيةً يعنف تورين ويقول له: كل طرقتك كانت شريرة يا ابن هورين. طفل مدلل ناكر للجميل، خارج مجرم، قاتل الصديق، لص الحب، معتصب نارغوثرون، قائد متهور، تارك أهلك وعشيرتك، أمك وأختك تعيشان كعبيد في دور لومين في البؤس والحاجة، وأنت

مصنف هنا كأمبر، وهما هناك تسيران في الحرق البالية، تتوقان لرؤيتك، ولكنك لم تحملهم إليك. ربما سيكون أبك سعيداً لمعرفة ولد مثلك عمل كما علمه أبوه. وأثناء ذلك كله وما يزال تورين تحت تأثير تعويذة عيون غلاورونغ مصغياً لكلماته، رأى نفسه كمن ينظر إلى نفسه في مرآة، ممسوخ بالمقصد فاحتقر الشخص الذي كان يراه.

وبينما كان تورين محتجز بتعويذة عيون التنين في عذاب العقل ولا يقوى على التحرك، أبعده الأوركس الأسرى، ومروا مقتربين من تورين. عبروا الجسر وكانت فيندويلاس بينهم، صرخت لتورين عندما ذهب، لكن لا صوتها ولا نوح الأسرى الذي فقد على الطريق الشمالي كان قادراً على تخليص تورين، ولم تتوقف أذناه عن سماع ذلك الصوت الذي طارده فيما بعد.

فحاة سحب غلاورونغ نظرت وابتعدت فتحرك تورين ببطء كمن يستيقظ من حلم قبيح. عاد إلى نفسه وقفز على التنين وهو يصرخ، لكن غلاورونغ ضحك قائلاً: إذا ضعفت ستموت، وأنا سأذبحك بكل سرو، لكن مساعدة صغيرة تلك التي طلبتها موروين ونيانور، ولم تلتفت إليها ولا لنداءات امرأة حنية. حتى أنك تتنكر لرابطة دمك.

لكن تورين سحب سيفه وطعن التنين في عيونه. فتحاشى غلاورونغ الضربة بسرعة وارتفع للأعلى وقال: كلا على الأقل أنت شجاع، فكل الذين التقيت بهم كانوا يكذبون ويقولون إننا لانكرم شجاعة أعدائنا، انظر فما أنا الآن أمنحك الحرية، اذهب إلى أقاربك، إذا كنت تستطيع، هيا اذهب، وإذا تركت خلفك إنس أو جان فسيجعل حكاية عن هذه الأيام. ومن المؤكد أن اسمك سيكون محترماً، إذا لم تحفره هذه الهدية.

بدأ تورين مرتبك بعيون التنين. كما لو كانت تلك معالجة من العدو الذي يعرف الشفقة، صدق كلمات غلاورونغ فامتشاط غضباً وأسرع مبتعداً عن الجسر، لكن عندما ذهب تحدث غلاورونغ خلفه بصوت عنيف، عجل الآن يا ابن هورين إلى دور لومين، أو ربما مستعد الأوركس أمامك مرة أخرى. وإذا تلكأت عن فيندويلاس. فإنك لن ترى موروين ثانيةً وأيضاً لن ترى نيانور أختك، التي ستلعنك.

لكن تورين أخذ طريقه إلى الشمال مبتعداً. ضحك غلاورونغ كثيراً لأنه أنجز مهمة سيده، ثم التفت إلى سعادته الخاصة، وأرسل نفخةً أحرق بها كل شيء حوله، لكن الأوركس الذين كانوا منشغلين بالنهب، فقد دفعتهم موجة النار ورمتهم بعيداً، وحرمتهم من نهبهم فلم يبق معهم أي شيء له قيمة. انهار الجسر وسقطت حجارتها وما عليها في زيد نارونغ،

وامستقرت في قاع ناروغ ثروات فيلاغوند مكذّسة، ومغلق عليها في قاعات عميقة، لتتاح لبعض الوقت.

استعمل تورين على طول الطريق عبر الشمال خلال الأراضي المهجورة الآن، بين ناروغ وتيغيلين. جاء الشتاء مبكراً في تلك السنة، فقد نزل الثلج قبل أن يمر الخريف. وتأخر قدوم الربيع وكان بارداً، بدا إليه كأنما يسمع نداءات فيندويلاس، تناديه باسمه عبر الغابات والتلال، فكانت معاناته كبيرة، أما قلبه فكان حاراً من أكاذيب غلاورونغ، وأصبح يتخيل الأوركس يحرقون بيت هورين، أو يعذبون موروين ونيانور، فحمل على طريقة ولم يلتفت إلى أي جانب.

أخيراً تلبث ملابساً وهيتته من سرعته وطول طريقه ( فقد ارتحل لمسافة أربعين فرسخاً أو أكثر بدون استراحة) ثم وصل مع بدايات ثلج الشتاء إلى بحيرات إيفرين، التي كانت قد شفتته بالماضي من الجنون. أما الآن فقد كانت طين متجمد، ولا يمكنه إلا أن يشرب لا أكثر.

مر بصعوبة من خلال معابر دور لومين بسبب قساوة الثلوج القادمة من الشمال، ووجد ثائية أرض طفولته. التي أصبحت كثيفة وعازيه. كانت موروين قد غادرت. وأصبح بيتها فارغاً محطماً وبارداً، فلا شيء حي يسكن بالقرب منه، لذا غادره تورين. وجاء إلى بيت برودا الإيستيرلينغ الذي زوجته هي آيرين قرية هورين، هناك علموا من خادمة قديمة بأن موروين قد فرت منذ مدة طويلة. ذهبت مع نيانور لخارج دور لومين. ولم يعرف أحد إلى أين ذهبت إلا آيرين.

خطا تورين نحو طاولة برودا وأمسك به ساحباً سيفه، وطلب منه بأن يخبره أين ذهبت موروين، عندها صرّحت له آيرين بأنها ذهبت إلى دوريات لتبحث عن ابنها، وقالت: لأن تلك الأراضي حُررت من الشر بالسيف الأسود من الجنوب. وهي نفس الأراضي التي سقطت الآن كما يقولون. عندها تفتحت عيون تورين لكأنما ذهبت الغشاوة عنهما وانتهت الخيوط الأخيرة من تعويذة غلاورونغ. وبسبب معاناته والغضب من الأكاذيب التي ضلّته. والكراهية من ظلم موروين، فقد استولى عليه غضب أسود، وذبح برودا في قاعته وهرب إلى الشتاء، رجل مطارد من إيستيرلينغ النزلاء عند برودا. لكن البقية الباقية من شعب هادور ساعدوه وأرشدوه إلى طريق البرية. هرب مع تساقط الثلوج وجاء إلى مأوى مجرمين في الجبال الجنوبية لدور لومين، ومن هناك عبر تورين مرة ثانية من أرض طفولته

وعاد إلى وادي سيريون، فقد شعر بالمرارة في قلبه لأنه جلب مشكلة أكبر إلى بقية شعبة في دور لومين. والذين كانوا مسرورين بهروبه، وهذه هي الراحة الوحيدة التي أحس بها. وبسبب براعته بالسيف الأسود فقد كانت الطرق إلى دوريات مفتوحة أمام موروين. وقال في فكره: تلك الأفعال ليست شريرة على الكل، من جهة ثانية ربما أمتح الأفضل لأهلي، حتى ولو أتيت متأخراً. فإذا كان زنار ميليان محطماً عندها يكون الأمل الأخير قد ضاع، كلا هو أفضل بالحقيقة من أشياء أخرى قد تكون وقعت، لأني أينما حللت يحل الظل، سأدع ميليان تقيهم. وسأتركهم يسلم غير مظللين لفترة من الوقت.

نزل تورين من إيريدي ويترين ليبحث عن فيندويلاس لكن دون جدوى. يجوب الغابات التي بجانب الجبال فقد كان برئاً ومتيقظاً كوحش، راقب كل الطرق التي تمر نحو الشمال إلى معابر سيريون، لكنه كان متأخراً جداً، وفقد آثارهم القديسة، أو أن سيول الشتاء طمستها، رغم ذلك عبر إلى الجنوب ونزل إلى تيغيلين، فوجد بعض البشر من بريثيل محاصرين تحيط بهم جماعة من الأوركس. فأنقذهم من الأوركس الذين هربوا من سيفه غورثانغ، وأدعى بان اسمه وايلدمان، رجل البرية، من الغابات، فتوسلوا إليه للبقاء والسكن معهم، لكنه قال بأنه لا يستطيع، لأن عنده مهمة غير منجزة بعد، وهي البحث عن فيندويلاس بنت أورودريث من نارغوثرونند. عندها أخبره دورلاس زعيم أولئك الخطابين عن قصة موتها البشعة. فلقد كمن رجال بريثيل للأوركس في معابر تيغيلين، ورأوا حشود الأوركس قادمين يقودون أمامهم أسرى نارغوثرونند، وعندما حاولوا إنقاذ الأسرى، قام الأوركس بذيح كل الأسرى ويقسوة، أما فيندويلاس فسمروها على الشجرة برمح، وبقيت هكذا حتى ماتت وآخر ما نطقته: أحيروا مورميغيل بأن فيندويلاس هنا. لذا قام الرجال بوضع جسما في تل بالقرب من هذا المكان وسما ذلك التل، هاود آين ايلث، تل فتاة الجان.

طلب منهم تورين أن يقودوه إلى ذلك المكان، ومن حزنه سقط في الظلام فاقداً للوعي وكان قريباً من الموت. وقد عرفة دورلاس من سيفه الأسود التي وصلت شهرته إلى أعماق بريثيل، ولبخته عن بنت الملك، فعلموا بأن وايلدمان ما هو إلا مورميغيل من نارغوثرونند، والمشهور بالإشاعة بأبن هورين من دور لومين. لذلك وضعه الخطابون على نعش وحمله إلى بيوتهم. فقد كانوا متحسين في غابة إيفيل براندير الواقعة على السفوح العالية لثلة آمون أويبيل. ولأن شعب هاليث كانت قد تناقصت أعدادهم بسبب الحرب، وزعيمهم الآن براندير بن هاندير، رجل لطيف لكنه كان أعرجاً منذ طفولته، وكان يعتمد على

السرية أكثر من الأعمال الحربية لتفادي قوة الشمال. لذا فقد خاف من الأخبار التي وصلت إليه عن الشخص الذي جلبه معه دورلاس، وعندما نظر إلى وجه تورين للممدد على النعش، امتدت إلى قلبه غيمة تنذر بالشوم وتحريك المشاكل، مع ذلك فقد أخذ الرجل إلى بيته وقام برعايته. كان براندير يمتلك قدرة على العلاج، ومع بداية الربيع قام بنزع الظلمة عن تورين، فاستيقظ من غيبوبته وعادت إليه عافيته من جديد. فكّر تورين بأن يبقى مختفياً في بريثيل، وبأن يضع ظله القديم خلفه ويترك الماضي، لذلك اتخذ اسماً جديداً هو تورامبار ومعناه في لغة الجان العالين، سيد الموت. والتمس من الخطابين أن ينسوا بأنه كان غريباً بينهم أو أنه كان يحمل اسماً آخر. مع ذلك فهو لا يستطيع أن يترك الأعمال الحربية تماماً، فلا يستطيع تحمّل رؤية الأوركس وهم يأتون إلى معابر تيغيلين أو يقتربوا من هاوذا آين ايلث، فقد جعل ذلك المكان مخيفاً لهم ولذلك فقد تجنبوه. وأيضاً ترك سيفه الأسود، واستخدم عوضاً عنه القوس والرمح.

وصلت أخبار نارغوثروند وما حلّ بها إلى دورياث مع بعض الناجين من هناك الذين استطاعوا الهرب من الموت والدمار والأسر. فبعد أن تحملوا قساوة الشتاء في البرية، تمكنوا من الوصول في نهاية المطاف إلى ثينغول يطلبون اللجوء عنده، حيث جلبهم حراس الحدود إلى الملك. وقال بعضهم بأن العدو انسحب إلى الشمال وقال آخرون بأن غلاورونغ مازال يقيم في قصور فيلاغوند. والبعض قالوا بأن مورميغيل قد دُبح. أو وقع تحت تعويذة التنين ومازال هناك كتمثال من الحجر. وصرخوا بأنه كان معروفاً لدى الجميع في نارغوثروند قبل النهاية، بأن مورميغيل هو نفسه تورين بن هورين من دور لومين.

دُهلّت موروين لسماح هذه الأخبار وأرادت الذهاب للبحث عن ابنها، رافضة نصيحة ميليان وراحت إلى البرية تفتش عن ولدها أو أية أخبار حقيقية عنه. لذلك فقد أرسل ثينغول خلفها مابلونغ مع العديد من الحراس الأشداء لإيجادها وحراستها أو ربما نقل الأخبار، ولم ينتهبوا إلى أن نيانور كانت خلفهم، فقد قادها الخوف على أهل بيتها من ساعة الشر. وعلى أمل أن تعود موروين إذا رأته تذهب معها إلى الخطر، لذلك تذكرت نيانور كأحد أفراد شعب ثينغول، وذهبت بذلك الركب المشووم .

وجدوا موروين على ضفاف سيريون وقد توسل إليها مابلونغ بأن تعود معه إلى مينيجروث، لكنها كانت طفولية ولم تقتنع، ثم انكشف مجيء نيانور معهم، وعلى الرغم من أوامر موروين لها إلا أنها رفضت العودة، فاضطر مابلونغ لأخذهم إلى الممرات المخفية في بحيرات



الغسق، عبروا نهر مسيريون، وبعد سفر لمدة ثلاثة أيام وصلوا إلى آمون إيثير، تل الاستطلاع، الذي رفعه فيلاغوند منذ زمن بعيد يعمل عظيم، كعمسك أمام أبواب نارغوثروند. وهناك وضع مابلونغ لها ولايتها، حرس من الحيتالة ومنعهم من الذهاب بعيداً. ثم نظر من التل فلم يرَ أية إشارة لوجود الأعداء فهبط مع كشافه خلسة إلى ناروغ. لكن غلاورونغ كان مدركاً لهم، فنفخ من حرارة غضبه في ماء النهر فتصاعد من النهر دخان كثيف وكريه، وعندما مرَّ هذا البخار على مابلونغ ومجموعته أعمى عيونهم وضاعوا. بعدها عبر غلاورونغ نهر ناروغ إلى الشرق.

شاهد الحراس على آمون إيثير بداية هجوم التنين فأرادوا إبعاد موروين ونيانور. وأسرعوا للعودة إلى الشرق. حملت الريح سحباً بيضاء من فوقهم فتأثرت الخيول وكأنها جئت من رائحة التنين الكريهة فأصبحت صعبة الانقياد، وأخذت تركض في كل الاتجاهات، فبعض الخيول اصطدمت بالأشجار وماتت، وبعضها الآخر هرب بعيداً. هكذا أضاعوا السيدات، وفي الحقيقة لم يأتي فيما بعد أي خبر مؤكد إلى دوريات فيما يخص موروين، لكن نيانور كانت قد سقطت عن ظهر جوادها ولم تتأذى، فأخذت طريقها عائدةً إلى آمون إيثير، لتتظر مابلونغ هناك، كان الدخان يغطي التل ويحجب نور الشمس، وعندما نظرت إلى جهة الغرب وجدت عيون غلاورونغ الذي وضع رأسه على قمة التل تحديق بها مباشرةً.

حاولت جاهدة مقاومته لفترة لكنه رفع من قوته، وبعد أن علم من هي أجبرها على التحديق في عينيه، واضعاً عليها تعويذةً من الظلام والنسيان المطلق، لكي لا تستطيع أن تتذكر أيَّ شيء حدث لها ولا اسم أيَّ شيء آخر، بقيت لعدة أيام لا تسمع ولا ترى ولم تتحرك بإرادتها، بعدها تركها غلاورونغ واقفةً لوحدها على آمون إيثير، وعاد إلى نارغوثروند.

قام مابلونغ والذي هو شجاع فعلاً، باستكشاف قاعات فيلاغوند عندما كان غلاورونغ غائباً عنها، ثم هرب من القاعات في غفلة عين التنين وعاد إلى آمون إيثير، غابت الشمس وحل الليل بينما هو يتسلق صاعداً إلى التل، فلم يجد هناك إلا نيانور التي كانت واقفة تحت النجوم كصورة منقوشة على حجر، ولم تتكلم بأية كلمة ولم تسمع كلامه، لكنها تبعته عندما أمسك يدها واقتادها بعيداً، كان حزنه عليها عظيماً جداً، مع ذلك فقد بدا إليه بأن مسعاه عقيم، لأن كلاهما مشرفٌ على الهلاك بدون معين لهم في البرية.

وجدهما في البرية ثلاثة من أصحاب مايلونغ، فسافروا ببطء شديد نحو الشمال ثم إلى الشرق نحو أسيجة أرض دورياث خلف ميريون. والجسر المحروس يقترب من تدفق إيسغالدوين، وببطء عادت قوة نيانور كلما اقتربوا من دورياث، لكنها مازالت لا تستطيع الكلام أو السمع، فمشت كأثما عمياء تسير حيثما اقتيدت، لكن عندما اقتربوا من الأسيجة غالبيتها النعاس وأرادت النوم، فوضعوها على الأرض وجلسوا ليرتاحوا هم أيضاً، لكنهم لم يكونوا حذرين بالشكل الكامل لأنهم مرهقين تماماً، فهاجمتهم هناك فرقة من الأوركس. على غير العادة، فقد أصبح الأوركس يتحرؤون على التحول بالقرب من أسيجة دورياث. تعافت نيانور في تلك الساعة وعاد إليها السمع والبصر واستيقظت من صيحات الأوركس، فنهضت مرعوبة وهربت قبل أن يأتي أحدٌ إليها.

ثم تعقبها الأوركس وكان الجان خلفهم، فتجاوزوهم وقتلوهم قبل أن يؤذوها، لكن نيانور هربت. لقد فرت كالجبن الحائف وكانت أسرع من الغزلان، فتمزق كل لباسها عنها وهي تركض حتى أصبحت عارية، وأجهت نحو الشمال. بحثوا عنها لمدة طويلة فلم يبدو لها أي أثر، وأخيراً عاد مايلونغ يباس إلى مينيجروث وأخبر الحكاية. حزن ثينغول وميليان كثيراً، لكن مايلونغ عاد مرة أخرى ليفتش عنها لفترة طويلة لكن دون جدوى فلا أخبر من موروين ونيانور.

ركضت نيانور داخل الغابة حتى استهلكت وسقطت من التعب فنامت، واستيقظت في صباح مشمس، مبتهجة بالضوء وبدا من حولها كل شيء جديد، فكل ما رآته عندها كان جديداً وغريباً، فلم تكن تعرف ماهي أسماء هذه الأشياء، لأنها لا تتذكر إلا الظلام الذي كان يلقي خلفها ظلال الخوف. لذا مشت في الغابة بحذر كمن يتعقب وحشاً، وكانت جائعة، لأنها لم تأكل ولا تعرف كيف ستحصل على الطعام. أخيراً قادتها خطواتها إلى معابر تيغيلين، فعبرتها قاصدةً ملاذ أشجار بريثيل العظيمة، لأنها كانت خائفة، حيث بدا لها بأن ظلالاً من أولئك الذين هربت منهم قد تجاوزتها ثانيةً.

ثم هبت عاصفة رعدية كبيرة من الجنوب، ومن الخوف والرهبنة حيات نيانور نفسها أسفل تل هاوذاين ايلث، وسدت أذنيها من صوت الرعد لكن المطر هطل عليها وبللها وهي مستلقية مثل وحشي برقي يعاني سكرات الموت. هناك وجدها تورامبار، حيث كان قد ذهب إلى معابر تيغيلين بعد أن سمع بأن فرقة متحولة من الأوركس كانت هناك. ورأى في شعلة ضوء البرق جسماً ممدداً وكأثما عذراء مقتولة على تل فيندويلاس. فتألم من قلبه،

لكن الخطابين رفعوها، ووضع عليها تورامبار عباءته. حملوها إلى كوخ قريب من المكان، ودفأوها وأعطوها طعاماً، وبمجرد أن نظرت إلى تورامبار شعرت بالارتياح، لأنه بدا إليها وكأنها أخيراً وجدت الشيء الذي كانت تسعى إليه في ظلمتها. ولا تريد الانفصال عنه. لكن عندما سألتها عن اسمها وأقاربها وتعاستها. اضطربت مثل الطفل الذي طلب منه شيء ولا يستطيع أن يفهم ما هو هذا الشيء، فيكت. قال لها تورامبار: لا تقلقي سنتنظر الحكاية، لكن سأعطيك اسماً، وأنا سأدعوك نينبال، العذراء الدامعة. فهزت رأسها دلالة على الموافقة. ثم قالت: نينبال، كانت هذه أول كلمة تقولها بعد ظلمتها، وأصبح هذا هو اسمها فيما بعد بين الخطابين.

حملوها في اليوم التالي نحو إيفيل براندير، لكن عندما وصلوا إلى دلمروست، درج الأمطار، حيث يهبط جدول كيليبروس مقترباً من تيغيلين. أصابتها رجة كبيرة، ولهذا السبب دعي ذلك المكان فيما بعد نين غريث، ماء الرجة، وقيل أن تصل إلى بيت الخطابين على آمن أوويل كانت قد مرضت بالحمى، وبقيت هكذا ممددةً لمدة طويلة ونساء بريثيل يعتنين بها، فعلموها لغتهم كما يعلموا الأطفال الرضع، وقيل أن يأتي الخريف وبفضل مهارة براندير شفيت من مرضها وأصبحت قادرة على الكلام، لكنها لم تتذكر شيئاً قبل أن يجدها تورامبار على تلة هاوذا آين ايلث. أحبها براندير كثيراً، لكن قلبها كان مع تورامبار.

في ذلك الوقت لم يعد يعاني الخطابون من هجمات الأوركس ولم يعد تورامبار يذهب إلى الحرب، وحلّ السلام في بريثيل، تعلق قلب تورامبار بحب نينبال وطلب منها الزواج، لكنها في ذلك الوقت تأخرت في الرد على الرغم من حبها له، لأن براندير تنبأ بوقوع الشر ولم يعلم لماذا، فأراد منعها، ليس من أجلها ولكن من أجل تنافسه مع تورامبار عليها. فقد كشف لها بأن تورامبار، هو تورين بن هورين، فلم يعني لها ذلك الاسم شيئاً. لأن الظل كان ساقطاً على عقلها.

بعد مرور ثلاث سنوات على نهب نارغوثروند، سألتها تورامبار ثانية وأقسم إن قبلت الزواج به الآن فلن يعود إلى الحرب في البرية. فأخذته نينبال إلى الفرج وتزوجا في منتصف الصيف. أقام لهما خطابوا بريثيل عرساً عظيماً. لكن قبل نهاية العام، أرسل غلاورونغ الأوركس الواقعين تحت سيطرته إلى بريثيل ثانية، وكانت تورامبار جالس في البيت لا يعمل شيء، لأنه وعد نينبال بأن لا يذهب إلى المعركة إلا إذا هوجمت بيوتهم، لكن مجتمع الخطابين كان متماسكاً كقطعة واحدة مترابطة، لذا فقد وبخه دورلاس لأنه لم يساعد الناس

الذين اعتبروه واحداً منهم، فقام تورامبار وأشهر سيفة الأسود ثنائية، وجمع كتيبة كبيرة من رجال بريثيل وهزموا الأوركس تماماً. لكن أخبار سيف بريثيل الأسود وصلت إلى غلاورونغ فتأمل ملياً فيما سمع، وابتكر لهم شراً جديداً.

وفي ربيع السنة التالية حملت نينبال، فأصبحت شاحبةً وحزينة، وبنفس الوقت جاءت الأخبار الأولى إلى إيفيل براندير، والتي تقول بأن غلاورونغ قد خرج من نارغوثروند. عندها بعث تورامبار الكشافون بعيداً للاستطلاع، ففي الوقت الراهن كان يأمر كما يشاء وقلما التفتت إلى براندير. ومع اقتراب الصيف، اقترب غلاورونغ من حدود بريثيل، وتمدد بالقرب من شواطئ تيغيلين الغربية. فوقع الخوف الكبير بين شعب الغابة، لأنه من السهل الآن على الندوة العظيمة أن تهاجمهم وتدمر أرضهم. لا أن يمر فيها فقط في طريق عودته إلى أنغباند كما كانوا يتمنون. لذلك طلبوا نصيحة تورامبار، فقال لهم: أنه لمن العيب مواجهة غلاورونغ ولو بكل قوتكم، فقط بالخداع والحظ السعيد يمكن أن تخرموه، لذلك سأقدم لكم عرضاً وهو بأن أذهب إلى التنين على حدود الأرض، وتبقى بقية الناس في إيفيل براندير، على أن يكونوا مستعدين للمغادرة بسرعة. فإذا كان النصر حليف غلاورونغ، فإنه سيأتي أولاً إلى بيوت الخطابين ليحطمها، ولا أمل لكم بالصمود، فإذا كنتم مبغضين ومشتتين فلن يبقى غلاورونغ مقيماً في بريثيل، بل سيعود إلى نارغوثروند.

ثم سأل تورامبار صحبته، عمّن يريد مرافقته إلى هذا الخطر العظيم، فوقف دورلاس ولم يقف غيره. لذلك وبخهم دورلاس وتكلم بازدراء عن براندير، الذي لا يستطيع أن يقوم بدوره كوريث لبيت هاليث، وفضح براندير أمام الشعب. ومن وقتها فقد براندير على دورلاس، لكن هونثور قريب براندير، طلب الإذن بأن يذهب بدلاً عنه. قال تورامبار لنينبال الوداع! لكنها كانت خائفة جداً ومثشائمة، وكان فراقهما حزين. خرج تورامبار مع رفيقيه وتوجهوا إلى نين غيريث.

لم تكن نينبال قادرة على تحمل الخوف، وغير راغبة بأن تبقى منتظرة في إيفيل لسماع أخبار مصير تورامبار، لذلك خرجت وراءه، وذهبت معها مجموعة كبيرة، وفي هذا كان فرع براندير عظيماً، وأراد نصحهم ونسيهم عن هذا التهور، لكنهم لم يحترموا نصيحته. لذلك تنازل عن السلطة، لأن كل الشعب احتقره. لكنه فكّر بأنه لن يترك خلفه شيء ذا قيمة إلا حبه لنينبال. لذلك توشح سيفه وسار في إثرها، لكن ولأنه كان أعرجاً فقد كان يتعثر في مشيته ويسقط لذلك بقي خلفهم ويعيداً عنهم.

وصل تورامبار إلى نين غريث عند المغيب، وعلم بأن غلاورونغ متواجداً على الشواطئ العالية لتيغيلين. لذلك رغب بالتحرك عند حلول الليل. ثم أتته أخبارٌ جيدة لأن التنين مستلقي الآن على كاييد آين أراس، حيث مجرى النهر هناك عميق وضيّق، فهناك الغزلان المطاردة قد تستطيع القفر والمهرب، واعتقد تورامبار بأنه يستطيع الذهاب إلى أبعد من ذلك، بأن يحاول المرور فوق الممر الضيّق، لذلك قرر أن يزحف إلى الأسفل عند العسق، وينزل إلى عمق الوادي في الليل، فيعبر المياه البريه، علاوة على ذلك، فسوف يتسلق الجرف الصخري، وهكذا حتى يأتي إلى التنين في محرمه.

هذه كانت خطته، لكن قلب دورلاس سقط في الخوف عندما وصلوا إلى تدفق تيغيلين الهادر في العتمة فلم يجرؤ على محاولة عبور الخطر بل انسحب متخفياً إلى الغاية، متقلاً بالعار. أما تورامبار وهونثور فقد عبرا بأمان. وبسبب هدير المياه الصاخبة فقد غرقت كل الأصوات الأخرى ولم يشعر غلاورونغ بهم بل بقي نائماً. وقيل منتصف الليل استيقظ التنين، لكن عندما تقدم للأمام أحدث ضجة عظيمة من تساقط الصخور والركام لأنه ألقى بالجزء الأمامي من جسده عبر الهوة، ثم بدأ يسحب باقي جسده فيما بعد. كان تورامبار وهونثور قرييين جداً من الهزيمة. لذلك بحثا بسرعة عن وسيلة أخرى للوصول إلى غلاورونغ. فقتل هونثور من جزاء تساقط الحجارة الكبيرة من الأعالي عندما كان يمر عليها التنين، فأصابته واحدة في رأسه وألقت به في النهر ومات. مثبتاً بأن يت هاليث لا تنقصهم الشجاعة.

استجمع تورامبار كل شجاعته وتسلق المنحدر لوحده حتى وصل إلى تحت التنين، ثم سحب غورثانغ وبكل جيروت ذراعة وحقده وكراهيته، طعن بطن الدودة الناعم فانغرس السيف فيه حتى وصل إلى المقيض. وعندما أحس غلاورونغ بالآلام موته، صرخ ومن مسكرات الموت المريعة رفع جسده للأعلى وألقى بنفسه عبر الهوة، وسقط ممدداً يلف ذيله من نزاع الموت. وجلس ينفخ النار من فمه فأحرق كل ما حوله، فضرب كل شيء بالحرايب، حتى انطفأت ناره أخيراً ولا يزال مستلقياً.

كان غورثانغ قد انتزع من يد تورامبار، بسبب شدة ألم غلاورونغ وبقي مغروساً في بطن التنين. عبر تورامبار للماء مرة أخرى رغباً في استعادة السيف وللنظر إلى خصمه فوجده ممدداً على طوله على جانب واحد. كانت مقابض غورثانغ لا تزال مستقرّة في بطنه. أمسك تورامبار مقابض السيف، ووضع قدمه على بطن التنين، وصرخ مستهزئاً بالتنين وبكلماته في

نارغوثرونند. رائع يا دودة مورغوث نلتقي ثانية، مُتَّ الآن، وليأخذك الظلام. هكذا انتقم تورين بن هورين.

مسح تورين السيف فتدفق الدم الأسود بغزارة وسقط على يده، فاحرقها السم الموجود في دمه، عند ذلك فتح غلاورونغ عينيه ونظر إلى تورامبار، وبنفس الحقد الذي ضربه به تورامبار، سدده إليه غلاورونغ ضربةً أوقعته أرضاً، ومن ألم السم وشدة الضربة، سقط تورين فوراً مغشياً عليه، تمدد على الأرض كشخصٍ ميت وسيفه تحته.

شُع صوت عويل غلاورونغ عبر الغابة، ووصل إلى الناس المنتظرين في نين غيريث. نظروا باتجاه الصوت فرأوا احتراق الخراب الذي عمله التنين من بعيد، فظنوا بأنه انتصر، وحطم منْ هاجوه. جلست نينبال ترتجف بجانب المياها المتساقطة، فزحف عليها الظلام ثانيةً من تأثير صوت غلاورونغ. لذلك لم تكن قادرةً على التحرك من مكانها بإرادتها.

أخيراً وجدها براندير بعد أن وصل إلى نين غيريث يعرج وكان متعباً جداً، لكن عندما سمع بأن التنين قد تغلب على خصومه وأوقعهم في النهر، أشفق على نينبال وحنَّ قلبه عليها، لأنه ظنَّ بأن تورامبار قد مات، فقال في نفسه: لكن نينبال مازالت حيةً وقد تأتي معي، سأقتادها ونُهر من التنين معاً. بعد فترة اقترب ووقف بجانب نينبال وقال: تعالي لقد حان الوقت للذهاب. إن أردت فأنا سأقودك، أمسك يدها فنهضت صامتةً وتبعته، لم يشاهدهما أحد وهما ذاهبان بسبب العتمة.

عندما هبطا طريق المعابر كان القمر يشرق ويلقي ضوءاً رادياً على الأرض فقالت نينبال: هل هذا هو الطريق. فأجابها براندير لا أعرف الطريق، إلا أنني أردت الهروب من غلاورونغ إلى البرية. فقالت له نينبال: لقد كان صاحب السيف الأسود حبيبي وزوجي وأنا أبحث عنه، فماذا كنت تعتقد؟ وهربت مسرعةً من أمامه حتى وصلت إلى معابر تيجلين، نظرت إلى هاوذا آين ايلث في ضوء القمر الأبيض، واتابها شعورٌ بالفرح، فاستدارت وهي تبكي نازعةً عنها عباءتها، ثم هربت نحو الجنوب على طول النهر.

رأها براندير تركض عن جانب التل، وكان رداءها الأبيض يشرق في ضوء القمر. فحول جانباً لكي يقطع عليها طريقها، لكنها كانت أسرع منه وكان خلفها عندما وصلت إلى خراب غلاورونغ مقتربةً من حافة كايبدا آين أراس. هناك رأت التنين ملقىً لكنها لم تنتبه له، لأنه كان هناك رجل ملقى بجانبه، ركضت ونادت له تورامبار، لكن دون جدوى، ثم انتهت إلى يده المحترقة فغسلتها بالدموع، ولفتها بقطعة قماشٍ من رداءها، وقبلته وصرخت

عليه لكي يصحو، تحرك غلاورونغ من هذه الصرخة وكانت حركته الأخيرة قبل أن يموت. وتكلم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قائلاً: رافع يا نيانور بنت هورين. نلتقي هنا ثانية قبل النهاية. أهنئك لقد وجدت أخيراً أحاك المفقود، والآن تعرفي على الذي يطعن بالظلام، الغادر بخصومه، الخائن للأصدقاء، جالب اللعنة على أهله، تورين بن هورين، لكن أسوأ أفعاله على الإطلاق مستشعرين فيها بنفسك.

بعد ذلك مات غلاورونغ أخذاً معه تعويذة الحقد الملقاة عليها، فتذكرت كل أيام حياتها ثم نظرت إلى تورين وصرخت. الوداع يا حبي مرتين، تورين تورامبار تورون أمبارتائين . سيد الموت بالموت يتهم. لتكن سعيداً بموتك. سمع براندير كل الكلام حيث كان يقف مصاباً على حافة الخراب، فأسرع نحوها لكنها ركضت منه مذهولة من الرعب والألم والحسرة، حتى وصلت إلى حافة كايب آين أراس، وألقت نفسها في المياه الوحشية وفقدت هناك.

جاء براندير إلى الحافة ونظر للأسفل فاستدار مرغوباً، على الرغم من أنه لم يعد راغباً بالحياة أكثر من ذلك فلا يستطيع أن يطلب الموت في ذلك الماء الهادر. فيما بعد لم ينظر أي رجل ثانية على حافة كايب آين أراس، ولم يأت وحش أو طير إلى هناك ولم تنمو أية شجرة وسمي فيما بعد كايب نايرامارث، قفزة الموت المروعة.

رجع براندير إلى نين غيريث. جلب الأخبار إلى الشعب، وكان قد قابل دورلاس في الغابة وقتله، حيث كان دورلاس هو الشخص الأول والأخير الذي يقتله براندير. ثم وصل إلى نين غيريث، فنادى عليه الرجال، هل رأيت نينبال، لقد ذهبت دون أن نراها؟

أجابهم: نينبال ذهبت إلى غير رجعه، ووجدت التنين ميت وتورامبار ميت، وهذه أخبار جيدة على كل حال. تدمر الناس من هذا الكلام وقالوا بأنه قد جن، لكن براندير قال: اسمعوني حتى النهاية، نينبال المحبوبة ماتت أيضاً. لقد رمت نفسها في تيجلين. لم تعد لديها رغبة بالحياة لأنها علمت بأنها هي نيانور بنت هورين من دور لومين، قبل أن يقع عليها النسيان، وتورامبار هو أخوها تورين بن هورين.

أخذ الناس ليكون، عندما توقف عن الكلام، وإذا بتورين يقف أمامهم. لأنه عندما مات التنين، فقد غادره الإغماء وسقط إلى نوم عميق من التعب لكن برودة الليل أزعجته ومقايض غورثانغ علّمت في جانبه فاستيقظ، ورأى كأن شخصاً كان إلى جانبه وهو من غصّب له يده، فتعجب كثيراً كيف يتركه مستلقياً على الأرض الباردة. ناداه ولم يجبه أحد، بحث عن المساعدة لأنه كان مرهق ومريض.

لكن عندما رآه الناس انتابهم الخوف معتقدين بأنه طيف روحه القلقة. وقال: كلا لتحلل السعادة والفرح لأن التنين مات وأنا حي، لكن لماذا سخرتم من رأيي، وجمتم إلى الخطر؟ أين نينبال؟ أنا مشتاق لرؤيتها، بالتأكيد لم تجلبوها من بيتها؟

أخبره براندير بما حدث، وبأن نينبال ماتت. لكن زوجة دورلاس صرحت لا يا سيدي أنه مخبول فعندما أتى إلى هنا قال أنك ميت، وقال تلك أخبار جيدة، لكنك حي.

غضب تورامبار، معتقداً أن براندير قال أو عمل ببحثٍ تجاهه هو ونينبال، لأنه استكثر عليهما الخبة. فتكلم بشكل شرير على براندير ودعا بالقدم المضروبة، فأخبره براندير عن كل الذي سمعه، بأن نينبال ما هي إلا نياتور بنت هورين، وصرخ بأخر كلمات غلاورونغ التي قالها. بأن تورامبار لعنةٌ على أهله وعلى كل من يأويه.

غضب تورامبار كثيراً، لأنه قد سمع بهذه الكلمات خطوات قدره تتجاوز، وأقم براندير بأنه هو من قاد نينبال إلى حتفها، ونشر أكاذيب غلاورونغ بفرح. إن لم يكن بالحقيقة هو نفسه محتج هذه الأكاذيب. ثم لعن براندير وقتله، وهرب إلى الغابات، لكن بعد فترة شفي من جنونه وجاء إلى هاود آين ايلث، جلس هناك متأملاً كل أعماله، ونادى على فيندويلاس كي تقدم له النصيحة، لأنه لم يكن يعرف ماذا سيفعل، سوى الذهاب بتعامسةٍ إلى دوريات للقاء أهله. أو تركهم إلى الأبد قاصداً الموت في معركة.

وبينما هو جالس هناك، وإذا بمابلونغ مع مجموعةٍ من الجان الرماديين جاءوا إلى معبر تيجلين، عرف تورين ورحب به وكان مسروراً بأن يجده على قيد الحياة، لأنه علم بأن خطة غلاورونغ تقضي بالمسير إلى بريثيل، كان مابلونغ قد سمع تقريراً بأن سيف نارغوثروند الأسود يقيم الآن في بريثيل. لذلك جاء ليحذر تورين ويعرض عليه المساعدة إن كان بحاجة لها. لكن تورين قال له: لقد تأخرت كثيراً لأن التنين قد مات.

تعجبوا مما سمعوا ثم مدحوه كثيراً وأثنوا عليه، لكنه لم يرد بشيء إلا أنه قال لهم: عندي سؤال واحد فقط أريد أخباراً عن أهلي الذين من دور لومين، لقد علمت بأنهم ذهبوا إلى المملكة المخفية.

فرح مابلونغ من سؤاله لكن لا بد من إخباره كيف فقدت سوروين وكيف وقعت نياتور تحت نوبة النسيان والخرس. وكيف هربت منهم على حدود دوريات، وذهبت نحو الشمال. أخيراً عرف تورين بأن القدر قد تجاوزه ويأته ذبح براندير ظملاً، لأنه رد كلمات غلاورونغ ولم يخلق الأكاذيب، فضحك كطفل ثم صرخ، هذه مزحةٌ مؤلمةٌ فعلاً. لكنه طلب من مابلونغ



العودة إلى دوريات، باللغات عليه، وعلى مهمته، ثم قال: كل ما أريده فقط، أن يصل الليل.

ثم هرب منهم مثل الريح، فتعجبوا وتساءلوا ما هذا الجنون الذي استولى عليه، وتبعوه لكن تورين أصبح بعيداً عنهم، فقد ذهب إلى كاييد آين أراس، واستمع إلى هدير الماء، فرأى أن كل أوراق الأشجار قد ذبلت وتساقطت كما لو أن الشتاء جاء. هناك سحب سيفه، فلم يبق له سواه من كل ما يملك وقال: رائع يا غورثانغ أنت لا تعرف سيداً ولا ووفاء، لا تعرف إلا اليد التي تستخدمك، فليس لك دم لكي تهزل وتتكلمش، لذلك فلا تكن ضعيفاً وخذ تورين تورامبار واذهبي بسرعة.

رُكَّ صوتٌ من النصل وكان بارداً في جوابه وقال: نعم سأشرب دمك بكل سرور فلم أنسى دم سيدي ييلغ، وبراندير المقتول ظلماً، فأنا سأذبحك بسرعة.

وضع تورين المقبض على الأرض ورمى نفسه على رأس غورثانغ، فأخذ النصل الأسود حياته، لكن مابلونغ والجان الذين معه وصلوا فرأوا غلاورونغ يتمدد ميتاً. ورأوا أيضاً جسد تورين الممدد بجانبه. فحزنوا كثيراً. وعندما جاء شعب بريثيل، أخبروهم عن سبب جنون تورين وموته، فكانوا مرعوبين. قال مابلونغ بشكل مرير: أنا أيضاً مشتبك بقدر أبناء هورين، وبالتالي مع حكايي هذه فقد قُتل اليوم شخصاً أحبه.

رفعوا جثة تورين فوجدوا غورثانغ مكسور ومفتت. قام الجان والبشر بجمع كمية كبيرة من الخشب وأحرقوا جثة التنين، فاستهلكه النار حتى أصبح رماداً. لكنهم احتفظوا بجثة تورين، ووضعوها على تلٍ عالي في نفس المكان الذي مات فيه ووضعوا شظايا غورثانغ بجانبه. وعندما تم كل شيء. غنى الجان أغاني الرثاء لأبناء هورين. ووضعوا حجارة رمادية كبيرة على التل. ونصبوا عليها شاهدة نُقش عليها بأحرف دوريات الرونية.

## TURIN TURAMBAR DAGNIR GLAURUNGA

وكتبوا تحتها NIENOR NINIEL

لكن جثتها لم تكن هناك ولا أحد يعرف إلى أي مكان أخذتها مياه تيغيلين الباردة.



## الفصل الثاني والعشرون

### خراب دوريات

هكذا كانت نهاية حكاية تورين تورامبار، لكن مورغوث لم ينم ولم يعرف طعم الراحة من الشر، فتعامله مع بيت هادور لم تنته بعد، ولم يشبع حقه ضدهم بعد. مع ذلك فقد كان هورين تحت عينيه. وموروين بقيت تتحول حائرة في البرية.

كان مورغوث مستاء كثيراً من هورين. لأن كل ما يعرفه عن أعمال حقه فإن هورين يعرفه أيضاً. لكن اختلط الكذب بالحقيقة، وبأية حال فإن ذلك جيد إن كان نجياً أو مشوّه. أراد مورغوث وبكل الوسائل أن يضع ضوءاً مشريراً على كل الأعمال التي عملها نينغول وميلبان، لأنه يكرههما ويخاف منهما، لذلك فقد تحيّر الوقت المناسب لشروره. وأطلق هورين وحرره من عبوديته. وعرض عليه الذهب أينما يريد. متظاهراً بذلك بأنه يشفق على هورين، وبأن عدوه قد هزم تماماً، لكنه كان كاذباً، فلقد كان قصده بالنسبة لهورين، بأن يلعب دوراً في تعزيز الكراهية بين الإنس والجان قبل موته.

مع أن ثقته بكلام مورغوث ضعيفة، لأنه يعرفه بأنه بالحقيقة بدون رحمة أو شفقة، لكنه أخذ حريته وخرج حزناً يشعر بالمرارة من كلام سيد الظلام. مرت سنة على وفاة ابنه تورين، فلثمانية وعشرين سنة بقي هورين أسيراً في أنغباند. وكان قد كبر بالعمر فأصبح متجهماً الوجه وابتيض شعره ولحيته منذ زمنٍ طويل، لكن ظهره لم ينحني. عبر إلى هيتلوم متوشحاً سيفه برفقة مجموعة كبيرة من خدم الظلام. أتت الأخبار إلى زعماء الإيستورلينغز، بأن هناك مسير عظيم من القادة والفرسان وجنود الظلام من أنغباند على رمال إنفاوغليث، ومعهم رجلٌ عجوزٌ، كشخص مكرم بالشرف العالي، لذلك لم يضعوا أيديهم على هورين، وتركوه يمشي في تلك الأرض وفق رغبته، كان من الحكمة أن يتجنب شعبه لقاءه لأنه أتى من أنغباند كواحد مكرم ومبجل من حلف مورغوث.

الحربة على هذا الشكل زادت من مرارة قلب هورين، لذلك غادر هيتلوم وصعد إلى الجبال. هناك لمح وسط الغيوم قمم كرسايغريم فتذكر تورغون، ورغب ثانية بالعودة إلى

غوندولين المملكة المخفية. لذلك نزل من إيريد ويثرين، ولم يكن يعلم بأن مخلوقات مورغوث تراقب كل خطواته. فعبر من بريثياخ إلى ديمبار، حتى وصل قعر إيخوريث المظلم. وكانت كل الأرض هناك باردةً ومقفرةً. نظر إليها بتليلٍ من الأمل. واقف عند كعب انمياري صخري كبير تحت سور حجري مائل. لم يعرف أن هذا هو كل ما تبقى من طريق الهرب القديم. فالنهر الجاف مسدود، والبوابة المقوسة مخفية، نظر هورين إلى السماء الرمادية، لعله يلمح النسور ثانيةً. كما حدث معه منذ عهد بعيد في شبابه، لكنه لم يرى إلا الظلال التي نفضت من الشرق والغيوم الملتفة حول القمم العالية الصعبة المنال، ولم يسمع إلا صوت الريح تصفر على الأحجار.

لكن مراقبة النسور العظيمة كانت مضاعفةً الآن، فقد ميزت هورين جيداً من على ارتفاع عالي وكان يائساً في الضوء الباهت. بدى وكان هناك أحجار عظيمة، لذلك ذهب ثوروندور بنفسه فوراً لإخبار تورغون. لكن تورغون قال له: إذا كنت تظن أن مورغوث نائم، فأنت مخطئ.

قال ثوروندور: ليس كذلك. إذا كانت نسور مانوي متعودة على خطأ كهذا. فإن اختفاءك يا سيدي كان يمكن أن يكون بلا جدوى منذ زمن بعيد. فقال له تورغون: هذا الكلام نذير شؤم، لأنها لا تحمل إلا معنى واحداً، حتى هورين ثاليون نفسه استسلم لإرادة مورغوث. لقد انغلق قلبي.

لكن بعد ذهاب ثوروندور، جلس تورغون يفكر لمدة طويلة، وكان مضطرباً. تذكر أعمال هورين من دور لومين، فانفتح قلبه وأرسل إلى النسور لكي يأتوا بهورين إلى غوندولين إن كان هو يريد ذلك، لكنه كان قد تأخر جداً لأنهم لم يروا هورين مرة ثانية لا في الضوء ولا في الظل.

وقف هورين ييأس أمام الجروف الصامته من إيخوريث، كانت أشعة شمس الغروب تحترق الغيوم وتصيب يياض شعره بالأحمر. صرخ بصوت عالٍ في البرية غافلاً عن أية آذان قد تسمعه. فلعن الأرض عديمة الرحمة، ثم وقف على صخرة عالية، نظر باتجاه غوندولين ونادى بأعلى صوته، تورغون. تورغون، أتذكر مستنقع سيرينج. آه يا تورغون أم أنك لا تستطيع سماع صوتي في قاعاتك المخفية؟ لم يكن هناك أي أثر لأي صوت إلا صوت صفير الريح على الأعشاب الجافة، رغم ذلك فقد وصل صوت همس الريح إلى سيرينج عند

مغيب الشمس، وبينما هو يتكلم غابت الشمس وراء جبال الظل وحلَّ الظلام، فسكنت الريح، وساد صمت في الأراضي القفر.

لكن كانت هناك أذان تسمع كلام هورين، فبعثوا بتقريهم إلى العرش المظلم في الشمال، ابتسم مورغوث لأنه عرف الآن وبشكل واضح منطقة سكن تورغون. حيث كان مسكنه محمي بسبب النسور، فلم يكن باستطاعة أي جاموس، الوصول إلى مرمى البصر من الأرض الواقعة خلف الجبال المحيطة، وهذا كان الشر الأول الذي أنجزته حرية هورين.

عندما حل الظلام تعثر هورين فسقط عن الصخرة، وغطَّ في نوم ثقيل بسبب الألم والحزن، سمع في نومه صوت موروين ينوح ويكي، وغالباً ما كانت تذكر اسمه، بدا له وكأن صوتها يخرج من بريثيل. لذلك عندما صحا مع بداية النهار قفل عائداً إلى بريشاخ، ومر إلى إفرير بريثيل فوصل مع الليل إلى معابر تيغيلين. شاهده الحراس الليليين، فحافوا منه لأنهم اعتقدوا بأنهم رأوا شبحاً يخرج من بعض تلال المعركة القديمة وراح يمشي حولهم في الظلال. لذلك لم يبق هورين هناك بل ذهب إلى المنطقة التي حرق فيها غلاورونغ، ورأى الحجارة الطويلة التي تقف بقرب حافة كايب نايامارث.

لم ينظر هورين للحجارة ولم يقرأ ما كتب عليها هناك، لكنه رأى بأنه لم يكن لوحده هناك، فقد كان في ظل الحجارة امرأة راکعة على ركبتيها، وعندما وقف هورين وكان صامتاً، رفعت هي فلتسوقها الرثة التي كانت تغطي وجهها، بدت من تحتها امرأة رمادية كبيرة بالسن، لكنه عندما نظر إلى عينيها، عرفها، مع أنها كانا في بيرة مليئة بالخوف، فما زال ذلك الضوء يلمع في عينيها، وهو ما أكسبها منذ عهد بعيد اسم إيلذوين. أعزُّ وأجمل النساء الفانيات في كل الزمان القديم.

قالت له: أتيت أحرراً، لقد انتظرتك طويلاً جداً.

أجابها: لقد كان طريقاً مظلماً، لكنني أتيت عندما استطعت الجيء.

فقالت له موروين: لكنك تأخرت كثيراً، فلقد ضاعوا.

قال: لقد علمت بذلك. ولكن لم أفقدك.

أجابته موروين: أنا منهكة تقريباً وسأذهب مع غروب الشمس، فلم يبق لي إلا القليل من الوقت. إذا كنت تعرف شيء أحريني. فانا لم أجدهم.

لم يجيبها هورين، لكنهما جلسا بجانب الحجارة ولم يتكلما ثانية، وعندما غربت الشمس تنهدت موروين وأمسكت يده، بقيت ممسكةً بها حتى ماتت. عرف هورين بأنها ماتت.

نظر إليها فقد بدت في الغسق وخطوط الحزن القاسية مصقولة على وجهها منذ زمن وقال: إنما لم تقهر، وأغلق عينها وجلس بجانبها بلا حراك بينما الليل كان يهبط، ومياه كاييد نايرامارث تهدر لكنه لم يسمع أي صوت، ولم يرى أو يشعر بأي شيء، فقد أصبح قلبه متحجراً. أتت ريحٌ باردةٌ حملت معها الماطر القاسي إلى وجهه، فاستيقظ وارتفع غضبه كما يتصاعد الدخان، وسيطرت على عقله رغبة أخذ الثأر، للتكفير عن أخطائه وأخطاء أهل بيته. متهماً كل الذين تعامل معهم في ما أصابه من ألم. صعد فوق الحجارة وعمل قبراً لموروين من الحجارة فوق كاييد نايرامارث، على الجانب الغربي. وكتب فوقه هذه الكلمات. هنا ترقد أيضاً موروين إيلدوين.

يقال بأن عزافاً وعازف قيثارة من بريثيل يدعى غليهورين، ألفا أغنية تقول:

تلك القبور النعيسة.

يجب أن لا يدنسها مورغوث.

ولا يجب أن يهدمها أحد.

حتى وإن غطى البحر كل الأرض.

ولو أن ذلك حدث فعلاً.

فيجب أن تبقى تول موروين.

واقفةً وسط الماء وحيدة.

خلف الشواطئ الجديدة.

التي وُجدت أيام غضب الثالار.

لكن هورين لا يستلقي هناك.

فما زال شقاؤه يسيرةً، والظل يتبعه.

عبر هورين من فوق تينغيلين ونزل جنوباً إلى الطريق القديم الذي يصل إلى نارغوثروند، ورأى في الشرق البعيد، المرتفع الوحيد لآمون روذ وعرف ما حصل هناك من أحداث. وبعد مسافة طويلة وصل إلى ضفاف ناروغ وخاطر بعبور النهر البري من فوق الحجارة التي كانت قد سقطت من الجسر. كما غامر من قبله مابلونغ. ووقف أمام أبواب فيلاغوند المكشرة، المتكئة دعاماتها على الخراب.

هنا يجب أن نقول أنه بعد رحيل غلاورونغ. استدل ميبم ذلك القمر النافه، على الطريق إلى نارغوثروند، زحف ضمن القاعات المخربة، واستولى عليها، وجلس هناك ممسكاً بصولجان

الذهب المرصع بالجوهرات، فلم يسمح لأي شيء أن يحرك إلا معرفته، لكي لا يقترب أحد منه ويسرقه، فقد كان خائفاً من روح غلاورونغ وذكراه المرعبة. لكن الآن أتى شخص. ووقف أمام العتبة، فخرج إليه ميميم وطلب معرفة غرضه، لكن هورين قال: من أنت حتى تمنعني من الدخول إلى بيت فينرود فيلاغوند؟

أجابته القزم: أنا ميميم. فلقد حفر الأقزام قاعات نولوكيزداين، قبل أن يأتي المتكبرون والمتغطرسون من البحر. وأنا عائدٌ لأخذ ما هو لي، لأنني أنا الأخير المتبقي من شعبي.

فقال له هورين: إذا لن تستمتع كثيراً بمرثلك فيما بعد، لأنني أنا هورين بن غالدرور، عائدٌ من أنغياند وأبني تورين تورامبار، الذي لم تنساه بعد. وهو من ذبح التنين غلاورونغ، الذي دمر هذه القاعات حيث تجلس أنت، ومعلومٌ لديّ من الذي غدر بخوذة تنين دور لومين.

خاف القزم ميميم كثيراً عندما سمع هذا الكلام، وتوسل إلى هورين بأن يأخذ ما يريد وينقذ حياته، لكن هورين لم يعر توسلاته أي اهتمام فذبحه أمام أبواب نارغوثروند. ثم دخل وبقي لفترة في ذلك المكان المخيف، حيث كنوز فالينور مشورةً على الأرض وبالية في الظلام. لكن قيل بأنه عندما خرج هورين من حطام نارغوثروند ووقف ثانية تحت السماء فقد كان يحمل معه إلى الخارج من كل ذلك الكنز العظيم شيئاً واحداً فقط . . .

مسافر هورين شرقاً حتى وصل إلى بحيرات الغسق فوق شلالات سيريون، وهناك أخذهُ الجان الذين يجرسون المعسكرات الغربية لدوريات. للمثول أمام الملك تُينغول في الكهوف الألف. تعجب تُينغول كثيراً وحنن عندما نظر إليه، لأنه عرف أن ذلك المتحجم الهرم هو هورين ثاليون أمير مورغوث، رحب به بلطافة وأظهر له الشرف. لم يجب هورين بأي شيء، لكنه أخرج من تحت عباءته الشيء الوحيد الذي أخرجته معه من نارغوثروند. وكان ذلك كنز ناوغلامير، عقد الأقزام، الذي صنَّع لفينرود فيلاغوند، منذ زمن طويل من قبل حريفو نوغورد وبيليغوست، وهو من أشهر أعمالهم في أيام إيلدار. وكان فينرود يقدمه على كل كنوز نارغوثروند. أخرجته هورين ورماه أمام أقدام تُينغول وهو يصرخ بالكلمات البرية المرة.

خُذهُ كأجر لك لأنك حافظت على زوجتي وأولادي. فهذا ناوغلامير المشهور اسمه بين الإنس والجان، وأنا أخرجته لك من ظلام نارغوثروند. حيث أن قريبي فينرود تركه خلفه عندما صعد مع بيرين بن باراهير لإنجاز مهمة تُينغول من دوريات.

نظر تُينغول إلى الكنز العظيم وعرف أنه ناوغلامير، وحسناً فعل بأنه عرف قصد هورين، لكن شففته منعت غضبه، وتحمل ازدراء هورين له. أخيراً تكلمت ميليان قائلةً: هورين

ثاليون لقد مسحك مورغووث، والألن عيون مورغووث تبصر من خلالك، بإرادتك أو خارج إرادتك. فإنك ترى كل شيء بشكل مخادع. لقد ترى اينك تورين لمدة طويلة في قاعات مينيجروث، ورأى الحب والشرف كابن ملك. ولم يكن بإرادة الملك ولا بإرادتي عدم عودته إلى دوريات، وبعد ذلك زوجتك وأبتك استضفناهما بالشرف وحُسن النية، وحاولنا بكل الوسائل تقديم النصح لموروين بعدم الذهاب إلى طريق نارغوثروند. وأنت الآن توبخ أصدقاءك بصوت مورغووث.

كان هورين يستمع إلى كلمات ميليان وهو يقف ثابتاً، ثم حذق مطولاً في عيون الملكة، وهناك في مينيجروث مازال زنار ميليان يحميهم من ظلام العدو، فقرأ الحقيقة التي كانت، وتذوق أخيراً حجم المشكلة التي وضعه فيها مورغووث باوغلير. ولم يتكلم أكثر عن الماضي. لكنه أثنى ورفع ناوغلامير بعد أن كان قد ألقاه أمام كرسي نينغول وأعطاه إياه قائلاً: خذ يا سيدي عقد الأقرام كهدية من شخص لا يملك أي شيء، وكنتذكار من هورين الذي من دور لومين، لأن مصيري الآن قد أُجُز. وتحقق هدف مورغووث، لكنني لم أعد عبداً له.

استدار وغادر الكهوف الألف. وكل من رآه تراجع من أمام وجهه. ولم يشأ أحد مقاومة ذهابه، لم يعرفوا إلى أين سيذهب. لكن قيل بأن هورين لم يعيش بعد ذلك. ولأنه كان مجرداً من الأهداف والرغبات، فقد رمى نفسه أخيراً في البحر الغربي. هكذا كانت نهاية المحارب الأكثر جبروتاً بين البشر الفانيين.

بعد أن ذهب هورين من مينيجروث، جلس نينغول لمدة طويلة صامتاً يحذق في الكنز العظيم الملقى على ركبتيه، وجاء إليه رأي بأن يعاد تصنيع عقد الأقرام ويجب أن تكون السيلماريل موضوعة فيه كمجموعة واحدة. لكن بمرور السنين زاد انشغال فكر نينغول بجمهرة فيانور بشكل مستمر، وأصبح مرتبطاً بها. ورغب بأن لا يقي السيلماريل مرتاح وراء أبواب الخزائن العميقة، فتدبر الأمر لحملة معه دائماً، في النوم وفي اليقظة.

وفي تلك الأيام كان مايزال الأقرام يأتون برحلاتهم إلى بيليريناند من قصورهم في إيريند ليندون، ويمرون فوق جيلبون من سارن أنراد، المعبر الحجري. كانوا يسافرون عبر الطريق القديم إلى دوريات. ولأن مهارتهم في أعمال التعدين والحجارة كبيرة. كانت الحاجة ماسة إلى مهارتهم في قاعات مينيجروث. لكنهم لم يأتوا كما كانوا في السابق كمجموعات صغيرة. بل كمجموعات كبيرة مسلحة بشكل جيد لحمايتهم عند مرورهم في الأراضي

الخطرة بين آروس وجيلبون. سكنوا وقتها في مينيجروث في غرف الحدادة الموضوعة جنباً إلى جنب مع الحرفيون العظماء الذين جاؤوا من نوغروود إلى دوريات. لذلك أعلن لهم الملك عن رغبته. بما أن مهارتهم عظيمة بما فيه الكفاية، فعليهم أن يعيدوا صياغة ناوغلامير، وأن يضعوا فيه السيلماريل. نظر الأقرام إلى عمل آباتهم. واندششوا من جوهرة فيانور المشرقة، وكانت لديهم رغبة عارمة بأن يمتلكوها ويحملوها معهم إلى بيوتهم البعيدة. لكنهم أخفوا نيتهم ووافقوا على المهمة.

عملوا لمدة طويلة، وكان ثينغول ينزل لوحده إلى ورش الحدادة العميقة، ويجلس دائماً بينهم عندما كانوا يعملون، ويمرور الوقت أنجزت رغبته، والعمل الأعظم لاجتماع الجان والأقرام قد أنجز كعمل واحد. كان جماله عظيم جداً. فقد عكست جواهر ناوغلامير التي لا تعد ولا تحصى، أشعة ضوء السيلماريل الموضوعة في منتصفها، إلى الخارج بأشكال رائعة. وبينما كان ثينغول يتواجد بينهم لوحده، أراد أخذ الطوق ووضعها حول عنقه، لكن الأقرام حجوه عنه في تلك اللحظة، وطلبوا منه بأن يتنازل عنه قائلين: بأي حق يدعي ملك الجان حقه في امتلاك ناوغلامير، الذي صنعه آباتنا لفيرود فيلاغوند المتوفي؟ صحيح أنه جاء إليك بيد هورين الرجل الذي من دور لومين. لكنه قد أخذه كحص في الظلام وأخرجه من نارغوثرونند. أدرك ثينغول نواياهم وما في قلوبهم، ورأى جيداً بأن رغبتهم إلى السيلماريل، لكنهم أرادوا ذريعة وتغطية عادلة لنيتهم الحقيقية. وفي غضبه وفخره لم يعطي أي انتباه إلى الخطر المهدق به، لكنه تكلم معهم باحتقار قائلاً: كيف تجرؤون أنتم أيها النسل الجلف على المطالبة به مني، أنا إيللو ثينغول. سيد بيليريناند، والذي ابتدأت حياته بمباه كوفيينين، منذ سنوات كثيرة لا تعد ولا تحصى من قبل أن يستيقظ آباء الشعب القزم؟ كان يقف طويلاً متفخراً بينهم وتعرض لهم بالكلمات المحزبة التي لا مقابل لها خارج دوريات.

توقدت رغبة الأقرام وغضبوا من كلام الملك فوثبوا عليه ووضعوا أيديهم عليه. ذبحوه وهو لايزال واقفاً. هكذا مات في الأماكن العميقة من مينيجروث إيلوي سينغولو. ملك دوريات. والوحيد من بين أبناء إلقاتار الذي كان مرتبطاً بواحد من آينور. وهو الوحيد من الجان المنبوذين الذي رأى ضوء أشجار فالينور. وبنظرته الأخيرة قبل أن يموت حذق على السيلماريل.



أخذ الأقرام ناوغلامير وغادروا مينيجروث هارين إلى المناطق الشرقية. انتشر الخبر بسرعة عبر الغاية، وطاردهم الجان حتى الموت، فبعض تلك الفرق مرت من أروس، ووجدوهم أثناء بحثهم عن الطريق الشرقي. واسترجع الجان ناوغلامير. فقد عاد بالحزن إلى الملكة ميليان، رغم ذلك فقد هرب اثنان من قنلة ثينغول، هربا من الملاحقة على الحدود الشرقية، وعادا أخيراً إلى مدينتهم البعيدة في الجبال الزرقاء. هناك في نوغروود أخبروا ببعض ما حصل وقالوا: بأن الأقرام قتلوا في دورياث بأوامر من ملك الجان الذي خدعهم ولم يعطيهم مكافأته.

كان هناك حزن ورثاء عظيمين في نوغروود لدى الأقرام بسبب موت أقربائهم أولئك الحرفيون العظماء، فتنفوا لحامهم وناحوا، وجلسوا يفكرون لمدة طويلة بكيفية الثأر. يقال بأنهم طلبوا مساعدة أقرام بيليجوست لكن لم يجيبهم أحد، بل أراد أقرام بيليجوست ثيهم عن مسعاهم. لكن نصيحتهم كانت غير مجدية، وقبل مدة طويلة زحف جيش عظيم من نوغروود، وعبر جيلون غرباً إلى بيليرياند.

وقع على دورياث تغيير ثقيل، فقد جلست الملكة ميليان بصمت ولمدة طويلة بجانب الملك ثينغول. ورجعت بالفكر إلى السنوات الماضية بالنجوم وإلى لقاءهما الأول بين عنادل نان إيلموت في العصور الماضية. فعرفت بأن فراقها عن ثينغول كان أعظم فراق وإن حماية دورياث اقتصرت كثيراً، لأن ميليان تعبر من الجزء المقدس من الفالار، وهي من المايا عظماء القوة والحكمة. لكنها عندما أحبت إيلوي سينغولو اتخذت لنفسها شكل أبناء الؤقاتار الأقدم. وبهذا الاتحاد أصبحت ملزمة بسلسلة قيود من لحم أردا. وفي ذلك الشكل والهيبة حملت وولدت لوثايين تينوقيل، وفي تلك الهيبة والشكل اكتسبت قوة على جوهر أردا، فكانت دورياث محمية ولعصور طويلة من الشرور المحيطة بها بواسطة زنار ميليان. لكن الآن، مات ثينغول وعبرت روحه إلى قاعات ماندوز. وموته رجع التغيير إلى ميليان أيضاً. ففي ذلك الوقت سحبت قوتها من غابات نيلدورث والإقليم. وتكلم نهر إيسغالدوين المسحور بصوت مختلف. وأصبحت دورياث مفتوحة أمام أعدائها.

فيما بعد لم تتكلم ميليان مع أحد إلا مع ما بلونغ فقط، فقالت له بأن ينتبه إلى السيلماريل، وأن يرسل بسرعة إلى بيرين ولوثايين في أوسيرياند، أما هي فقد اختفت من الأرض الوسطى وعبرت إلى أرض الفالار خلف البحر الغربي، جلست من حيث جاءت، في حدائق لورين مستغرقة في حزنها. ولم تعرف عنها فيما بعد حكاية غير هذه الحكاية.

عبر جيش ناوغريم فوق أروس ومرّ بدون مقاومة إلى غابة دوريات، فلم يصمد أحد أمامهم لأنهم كانوا أكثرين وشرسين. اعتزى الشك والياس قادة الجان الرمادين، فكانوا يذهبون هنا وهناك بلا هدف محدد. أما الأقرام فقد حملوا على طريقهم ومروا فوق الجسر العظيم ودخلوا إلى مينيغروث. فحدث هناك شيءٌ من أكثر وأشد الأعمال خزناً في الأيام القديمة، حيث دُبح الكثير من الجان والأقرام في معركة الكهوف الألف، ولم يكن ذلك من الأيام المنسية، كان النصر حليف الأقرام. ومثلت قاعات ثينغول واستبيحت. هناك سقط مايلونغ اليد الثقيلة أمام أبواب الخزنة حيث يوضع ناوغلامير، فأخذوه وأخذوا السيلماريل.

في ذلك الوقت سكن بيرين ولوثاين في تول غالين، الجزيرة الخضراء في نهر أوردوانت في الجهة الجنوبية من المنطقة، التي تندفق إليها معظم الجدول النازلة من إيريد ليندون لتتضم إلى نهر جيليون. وكان ابنتها ديور إيللوخيل، وزوجته نيملوث قرية كيليبورن أمير دوريات الذي تزوج من السيدة غالادريل، وأبناء ديور ونيملوث كانا إيللوريد وإيللورين، وولدت لهم أخت، اسمها إيلبولينغ ومعناه النجوم المشورة، لأنها ولدت بلبلة مليئة بالنجوم، تتألق أضواؤهم كشلال من رذاذ لانثير لامات بجانب بيت أبيها.

انتشرت الأخبار بسرعة شديدة بين جان أوسيرياند، بأن جيش عظيم من الأقرام يحملون أعتدة الحرب قد نزل من الجبال ومرّ فوق جيليون من معبر الحجارة، وصلت هذه الأخبار حالاً إلى بيرين ولوثاين، وفي ذلك الوقت جاءهم رسولٌ يخبرهم عما حدث في دوريات. عندها عرج بيرين من تول غالين وأستدعى ابنه ورحلوا إلى الشمال إلى نهر آسكار. ورحل معهم الكثير من الجان الخضر من أوسيرياند.

هكذا حدث عندما عبر أقرام ناوغرود عائدتين من مينيغروث، وقد تناقصت حشودهم، فمروا ثانيةً بطريق عودتهم على ساران أنراد. هناك هوجموا من قبل أعداء غير مرتين، لأنهم عندما تسلقوا ضفاف جيليون كانوا مرهقين بغنائمهم التي نهبوها من دوريات، وفجأة امتلأت الغابة بأصوات أبواق الجان. فأعملوا فيهم الرماح والسهام السريعة، التي كانت تأتيهم من كل جانب. فدُبح الكثير من الأقرام في بداية الهجوم، لكن هرب بعضهم من الكمين وانجھوا شرقاً نحو الجبال، وبينما هم يتسلقون المنحدرات الطويلة تحت جبل دوليد، هناك ظهر عليهم رعاة الأشجار وطردوا الأقرام إلى حدود الغابات الغامضة من إيريد ليندون. ولهذا السبب يقال بأنه لم يتسلق أحد فيما بعد الممرات العالية المؤدية إلى يوتهم.

في تلك المعركة في ساران أتراد، قاتل بيرين بمعركته الأخيرة، وهو نفسه من ذبح سيد نوغورود وأخذ منه عقد الأقزام، لكن وهو يموت لعنه ولعن الكنز الذي معه. حذق بيرين بتعجب على جوهرة فيانور نفسها التي قطعها من تاج مورغووث. والآن هي مشرقة ضمن مجموعة من الأحجار الكريمة والجوهرات المصاغة بحرفية ومكر الأقزام. فقام بغسله وتنظيفه من الدم في مياه النهر، وعندما انتهى من كل ذلك كان كنز دوريات قد غرق في نهر أسكار. ومنذ ذلك الوقت فقد أصبح اسم النهر رائلوريل، أي السرير الذهبي. أخذ بيرين ناوغلامير وعاد إلى تول غالين، فقد خفف قليلاً من حزن لوثايين عندما علمت بأنه ذبح سيد نوغورود، وذبح الكثير من الأقزام إلى جانبه. لكنه قال وغنى بأن لوثايين معدة لارتداء هذا العقد وتلك الجوهرة الخالدة، فقد كان منظرها أعظم بمجد وأجل ما خرج من مملكة فالينور. ولفترة قصيرة أصبح منظر أرض الموت حيث كانوا يعيشون أشبه بمنظر أرض الفالار. وفي وقتها لم يكن أي مكان على الأرض أكثر جمالاً وصفاءً أو أكثر امتلاءً بالضوء من هذه الأرض.

قام ديور ولي عهد ثينغول بوداع بيرين ولوثايين، وغادر لانتير لاماث مع زوجته نيملوث فوصل إلى مينيجروث وسكن هناك. رحل معهم أبناءهم الشباب إيللوريد وإيللورين وابنتهم إيلوينغ. فاستقبلتهم عشائر سيندار بالبهجة والفرح. لأنهم أخرجوهم من ظلام حزمم بسبب سقوط أقاربهم وملكهم ومغادرة ميليان. اتخذ ديور إيللوغيل على نفسه عهداً بأن يرفع ويعيد مجد مملكة دوريات.

في وقت متأخرٍ من إحدى ليالي الخريف، جاء شخص ودق على أبواب مينيجروث وطلب للتول أمام الملك، كان هذا الشخص هو سيد الجان الخضر، وقد أتى مسرعاً من أوسيرياند. جلبه حراس الباب إلى حيث يجلس الملك ديور لوحده في غرفته. وهناك لم يتكلم أي شيء إنما أعطى الملك صندوق واستأذن بالعودة. وفي ذلك الصندوق كان يوجد عقد الأقزام حيث وضعت السيلماريل. نظر ديور إليه وعرف الإشارة، بأن بيرين إيرحاميون ولوثايين تينوقيل قد ماتا فعلاً، وذهب إلى المكان الذي يذهب إليه مصير نسل البشر خلف العالم.

بقي ديور يحرق مطولاً في السيلماريل، الذي جلبه أباه وأمه وأخرجاه بالأمل من إرهاب مورغووث. فقد كان حزنه عظيم لأن ذلك الموت جاءهم بسرعة. لكن الحكماء قالوا بأن السيلماريل قد عجل بنهايتهم، لأنه ألهم جمال لوثايين عندما لبسته، فقد كان مشرقاً للغاية في تلك الأراضي الميتة.

قام ديور بارتداء ناوغلامير حول عنقه، وظهر بأنه هو الابن الأجل في العالم من بين كل الأجناس الثلاثة، إيدايين وإيلدار وميَّار في كل العالم المبارك.

مشت الأشعة بين الجان المتفرقين في بيليرياند بأن ديور وريث ثينغول قد ارتدى ناوغلامير، فقالوا: بأن سيلماريل فيانور سيحرق غابة دورياث ثانية، وقد أيقظ قسم أبناء فيانور من النوم ثانية. لأنه عندما ارتدت لوثايين عقد الأقرام لم يتحاصر الجان على مهاجمتها، لكن سمع الآن عن استعادة النشاط في دورياث وكرياء ديور. لذلك تجمع شتات أبناء فيانور السبعة ثانية، وأرسلوا إليه مطالبين بملكهم.

لم يرد ديور أيَّ جواب على أبناء فيانور، فأثار كيليجورم أخوته ليستعدوا لهجوم مباغت على دورياث، وحاووا على غير توقع في منتصف الشتاء وقتلوا ديور في الكهوف الألف. وحدثت القتل الثاني للجان بيد الجان. هناك قُتل كيليجورم بيد ديور، وقُتل هناك أيضاً كوروفين وكاراتير المظلم. وقُتل أيضاً ديور وزوجته نيملوت. واستولى خدم كيليجورم القساة على أبناء الشباب. وتركوهم للموت جوعاً في الغابات. وبالفعل فقد ندم مايزروس عن ذلك الفعل، وبحث عنهم لفترة طويلة في الغابة، لكن بحثه كان بلا جدوى. ولم تعرف أئمة أخبار فيما بعد عن مصير إيللوريد وإيللورين. هكذا دمرت دورياث ولم تقم لها قائمة ثانية.

لم يحصل أبناء فيانور على متغاهم، فلم يكونوا رايجين كما تصوروا لأن بقية الشعب هربوا، وأخذوا معهم إيلوينغ بنت ديور، فكانوا يحملون معهم السيلماريل. وقد ذهبوا إلى مصبات نهر سيريون بجانب البحر.



## الفصل الثالث والعشرون

### تور وسقوط غوندولين

قبل بأن هورور أخو هورين والذي كان قد قُتل في معركة الدموع غير المحدودة. وكانت زوجته ريان قد ولدت في شتاء تلك السنة طفلاً في برية ميثريم، وسمّته تور. وتبناه أننايل من الجان الرماديين الذين مازالوا يسكنون لحد الآن في تلافهم. قرر الجان الرماديون مغادرة كهوف أندروث حيث يسكنون عندما كان تور بعمر ستة عشر عاماً. شقوا طريقهم سراً إلى مرفأى سيريون في الجنوب البعيد. لكنهم هوجموا على الطريق من قبل الأوركس والإيستريليغز قبل أن يهربوا. فاقتيد تور أسيراً، وأصبح عبداً عند لورغان، زعيم إيستريليغز من هيثلوم. تحمل تور العبودية لثلاث سنوات، لكنه في النهاية هرب، وعاد إلى كهوف أندروث، هناك سكن لوحده في ذلك الوقت. وبهذا الهروب فقد شعر لورغان بأن تور أهان إيستريليغز، لذلك وضع مكافأة عظيمة لمن يأتيه برأس تور.

عاش تور في هذه الخلوة كهارب من العدالة لأربع سنوات، عندها وضعه أولمو في قلبه لكي يخرج من أرض آياته، لأن أولمو اختار تور كأداة لتنفيذ مخططاته. ترك تور كهوف أندروث مرة أخرى وذهب غرباً باتجاه دور لومين. عثر على أنون إين غيلايذ، وهي بوابة نولدور التي بناها شعب تورغون عندما سكنوا في نيفرامست منذ مدة طويلة. وهناك عثر على نفق معتم يمر تحت الجبال ويخرج من كيريث نيبياخ، مُسق قوس قزح. التي من خلالها يمر الماء الهادر نحو البحر الغربي. هكذا كانت رحلة تور في ذلك الزمان، حيث غادر هيثلوم مسرعاً ولم يعلم به أو يراه أو يسمع عنه بشر أو أوركس، ولم تأت أية معلومات عنه إلى مسامع مورغوث.

وصل تور إلى نيفرامست ونظر إلى بيلغار ذلك البحر العظيم الذي يحبه، ودائماً ما يكون في قلبه شوق إليه ولسماع صوته بأذنيه، كان يادياً عليه الاضطراب الذي أحدثه في نهاية المطاف إلى مملكة أولمو. سكن تور في نيفرامست لوحده. مرّ صيف تلك السنة، واقترب

قادر نارغوثروند، لكن عندما أتى الخريف، شاهد سبع جمعات عظيمة تطير نحو الجنوب. عرف تلك الإشارة التي تأخرت كثيراً. فتبع طيراتهم على طول شواطئ البحر. وهكذا حتى وصل بعد طول مسيرٍ إلى قاعات فينيامار المهجورة الواقعة تحت جبل تاراس. دخل إلى تلك القاعات ووجد هناك الترس والدرع والسيف والخوذة. الذين تركهم تورغون طبقاً لأوامر أولمو منذ مدة طويلة. فحمل هذه الأسلحة ولبس الدرع والخوذة ونزل إلى الشاطئ. في تلك الأثناء جاءت إلى هناك عاصفة عظيمة خارجة من الغرب، خرج من هذه العاصفة أولمو سيد المياه، فظهر في الفخامة وتكلم مع تور الواقف بجانب البحر، وعرض عليه أن يغادر من ذلك المكان من أجل البحث عن غوندولين، المملكة المخفية. وأعطاه عباءة كبيرة لتغطيه بالظل عن عيون أعدائه.

بعدما عبرت العاصفة في الصباح. وجد تور بجانب أسوار فينيامار شخص من الجان يقف هناك. كان ذلك الشخص هو فورونوي بن أرانوي من غوندولين، وهو الذي أبحر بآخر سفينة أرسلها تورغون إلى الغرب، لكن عندما عادت تلك السفينة في آخر الأمر من أعماق المحيط منهكة ولم تنجو من العاصفة الكبيرة التي وقعت على مرمى البصر من سواحل الأرض الوسطى. فقد أخذه أولمو لوحده من بين كل البحارة، وألقى به في الأرض القريبة من فينيامار. وعلمه بأن يتلقى أوامره من تور، الذي يتبع لأوامر سيد المياه. اندهش فورونوي عندما رأى تور. وقبل أن يكون هو دليله ومرشده إلى الأبواب للمخفية لغوندولين، لذلك فقد خرجا سوية من ذلك المكان. وعندما حل شتاء تلك السنة قادماً من الشمال، سارا متيقظين باتجاه الشرق تحت افير جبال الظل.

بعد سفر طويل وصلوا إلى بحيرات إيفرين. نظرا بحزن للدنس المعمول من جراء مرور التنين غلاورونغ من هناك، وبينما هما يحدقان على الخراب وإذ بشخصٍ يمرُّ من أمامهما مسرعاً باتجاه الشمال، كان رجلاً طويلاً يلتف برداء أسود. ويحمل سيفاً أسوداً، لكنهما لم يعرفا من هو، ولم يعرفا ما حدث في الجنوب. تجاوزهما ومرَّ بجوارهما ولم يقلوا أية كلمة.

أخيراً وبالقوة التي وضعها عليهما أولمو فقد وصلوا إلى الباب المخفي لغوندولين. ثم نزلوا إلى النفق الذي أوصلهما إلى البوابة الداخلية. هناك أخذهما الحراس كسجناء، واقتادوهما من فوق وادي أورفالخ إلى بحور الجبار، الخمي بسبعة أبواب، وجلبوهما أمام النافورة إلى إكتيليون. مراقب البوابة الكبيرة في نهاية الطريق الصاعدة. هناك أراح تور عباءته عن جانبية لتظهر الأسلحة التي حملها من فينيامار، فعرفوا بأنه مرسل من قبل أولمو. نظر تور إلى الأسفل إلى

وادي توملادين الجميل، فبدا وكأنه جوهرة حضراء وسط التلال المخيطة به، ونظر إلى البعيد فرأى على مرتفع آمون غواريث الصخري، مدينة غوندولين العظيمة، مدينة بسبعة أسماء، المدينة الأشهر وصاحبة المجد الأعظم الممجد بالأغنية من بين كل مساكن الجان في هيثير لاندس. أصدر إكثيليون الأوامر لينفخ في الأبواق على الأبراج العظيمة، فتردد الصوت في التلال البعيدة لكنه جاء واضحاً صوت الإجابة من الأبواق على الأسوار البيضاء للمدينة، فتوهجت وأشرقت كالفجر على السهول.

هكذا كان ابن هور الذي عبر توملادين وجاء إلى أبواب غوندولين، وصعد إلى السلام العريضة للمدينة، أخيراً وصل إلى برج الملك، وشاهد صور أشجار فالينور. ثم وقف تور أمام الملك تورغون بن فينغولفين، الملك الأعلى لنولدور. وعن يمين الملك كان يجلس مايقلين ابن اخته، وعن يساره جلست ابنته إيدريل كيلبيريندال. استغرب كل من سمع صوت تور. وارتابوا فيه، فهل هو فعلاً من جنس البشر الفانين. لأن كلماته هي كلمات أولو سيد المياه التي جاءت في تلك الساعة. فقدم تحذيراً إلى تورغون بأن لعنة ماندوز أصبحت قريفة الإنجاز. والتي تقول بأن كل أعمال نولدور يجب أن تقضى، وعليه أن يغادر، ويترك المدينة الجميلة الهائلة التي بناها وأن يهبط إلى سيريون ومن ثم إلى البحر.

تأمل تورغون في نصيحة أولو مطولاً، وجاء إلى فكره الكلمات التي تحدث معه فيها في فينيامار. من غير الجيد أن يكون حبك لما هو ناتج عن عمل يديك وتصاميم قلبك، تذكر بأن الأمل الحقيقي لنولدور يضطجع في الغرب، آتياً من البحر، لكن تورغون أصبح الآن متكبهاً وغوندولين جميلة مثل ذاكرة من جان تيريون. فمازال يثق بسرقتها وقوة حصونها، حتى لو أنها عارضت أحداً من الفالار. وبعد نيرنايث أرنوي ديداد كانت رغبة شعب هذه المدينة بعدم التدخل بمشاكل الجان أو البشر مرة أخرى، ولا للعودة من خلال الخطر والفرع إلى الغرب. فأغلقوا خلفهم ولم يقوا هناك على أية ممرات، فالتلال المسحورة واجهت كل من كان يريد الدخول. مع ذلك فقد هربوا من ملاحقة حقد مورغوث، وكانت أخبار بقية الأراضي تصلهم ضعيفة ومتأخرة. ونادراً ما اهتموا بأخبار غيرهم. بحث عنهم جواميس أنغباند دون جدوى، ومسكنهم كان كالإشاعة والسر الذي لا يمكن لأحد أن يجده. تكلم مايقلين في مجلس الملك بعكس نصيحة تور وبدت كلماته ذات وزن لأنها ذهبت بعيداً في قلب تورغون، وبالنهاية رفض تورغون عرض أولو ورفض نصيحته. لكن في تحذير الفالار سمع ثمانية الكلمات التي قبلت أمام شعب نولدور، أثناء مغادرتهم وهم على ساحل أرامان

منذ عهد بعيد. فاستيقظ الخوف في قلب تورغون من الخيانة والغدر. لذلك أغلقوا في ذلك الوقت كل المداخل المؤدية إلى الأبواب المخفية في الجبال المحيطة. وبعد ذلك لم يذهب أحدٌ من غوندولين لا في الحرب ولا في السلم، بينما ما تزال تلك المدينة واقفة. جاءت الأخبار من قبل ثوروندور سيد النسور تفيد بسقوط نارغوثروند. وبعد اغتيال ثينغول ووريه ديور وخراب دورياث. لكن تورغون أغلق أذنيه عن الكلام بدون مشاكل، وأقسم بأن لا يقف بصف أحدٍ من أبناء فيانور. ومنع شعبه مرور أحلافهم من التلال.

بقي تور في غوندولين بسبب جمالها ونعمتها وحكمة شعبها التي منعتها من الاستعباد. وأصبح تور هاملاً في القوام والعقل، وغاص بأعماق علوم الجان المنفيين. مال قلب إيدريل نحو، وانجذب هو إليها، أما كراهية ما يغلين لتور فقد ازدادت، لأنه رغب بامتلاك إيدريل قبل كل الأشياء لأنها الوريث الوحيد لملك غوندولين. لكنها الآن بعيدة جداً، لأن تور لقي حظوة عند الملك، والذي منذ أن سكن هنا ومنذ سبع سنوات لم يرفض له تورغون طلب، حتى يد ابنة الملك. على الرغم من أنه لم يستمع إلى تحذيرات أولمو. فقد أدرك بأن مصير نولدور ارتبط بمصير شخص واحد، وهو من أرسله أولمو. ولم ينس كلام هورور له أمام جمهور غوندولين المغادر من معركة الدموع غير المرقمة.

كان هناك بهجةٌ وعرسٌ عظيم. لأن تور ربح قلوب كل الشعب. إلا ما يغلين وأتباعه السريين. وهكذا حدث الاتحاد الثاني بين الجان والبشر.

وفي ربيع السنة التالية كان قد ولد في غوندولين إيارينديل، الجان النصف ابن تور وإيدريل كيلبيريندال. وكان ذلك في السنة الخمسمائة وثلاثة منذ مجيء نولدور إلى الأرض الوسطى. فقد كان إيارينديل فائق الجمال، فني وجهه كان ضوءاً كأضواء السماء، وعنده حكمة وجمال إيلدار، وقوة وصلابة قدماء البشر. وتكلم البحر دائماً في قلبه وأذنه، كما كان الحال مع أبيه تور.

كانت أيام غوندولين لحد الآن مليئة بالبهجة والسلام، فلا أحد يعرف المنطقة التي تقع فيها المملكة المخفية. التي كُشفت أخيراً لمورغوث بسبب نداءات هورين عندما وقف في البرية خلف جبال التطويق ولم يجد المدخل فنأى ييأس إلى تورغون. بعدها تركز تفكير مورغوث وبشكل مستمر على الأراضي الجبلية بين أناخ ومياه سيريون العليا. حيث لم يصل إليها غداة من قبل، رغم ذلك فلم يستطع أي جاسوس أو أي أحد من مخلوقات أنغباند من الوصول إلى هناك بسبب بقظة النسور. وبالتالي فقد أحطت كل مخططات



مورغووث. كانت إيدريل كيلبيريندال حكيمة وبعيدة النظر. لكن قلبها كان متوجساً وزحفاً نذير الشوم كغيمة على روحها، لذلك في ذلك الوقت دبرت خطة لكي تنحز طريقاً سريعاً يجب أن يقود من تحت للمدينة ويعبر إلى الخارج، فيمر من تحت الأرض ويظهر بعيداً خلف الأسوار، من الجهة الشمالية لأمون غواريث. ودبرت ذلك بحيث لا يعرف بهذا العمل إلا بضعة، ولم تصل أي همسة بخصوص هذا العمل إلى آذان ماغيلين.

وفي الوقت الذي كبر فيه إيارينديل، كانوا قد فقدوا ماغيلين، لأنه كما قيل بأنه أحب الحفر والتنقيب عن المعادن وفضّلها على أي حرفة أخرى. كان ماغيلين سيداً وزعيماً للجان الذين عملوا في الجبال بعيداً عن المدينة، يذهبون لطلب المعادن من أجل حرفهم لصناعة أشياء تصلح للحرب والسلام، لكن في أغلب الأحيان ذهب ماغيلين مع بضعة من قومه إلى أبعد من مخافر التلال، ولم يعرف الملك بأن ذلك كان تحدياً له ومخالفة لأوامره. شاءت الأقدار بأن يقع ماغيلين أسيراً لدى الأوركس، فأخذوه إلى أنغياند. ولم يكن ماغيلين جباناً ولا ضعيفاً، لكن العذاب الذي لقيه أجبر روحه على الإذعان، فاشتري حياته وحرته بكشفه لمورغووث عن مكان غوندولين والطرق المؤدية إلى مهاجتها. لقد كانت فرحة مورغووث عظيمة فعلاً، لذلك وعد ماغيلين بأن ينصبه سيداً على غوندولين التابعة لمورغووث. ووعده بالزواج من إيدريل كيلبيريندال عندما يحتلوا المدينة، في الحقيقة فإن رغبته بإيدريل وكراهيته لتور سهلا على ماغيلين الخيانة. كان ماغيلين صاحب أسوأ سمعة في كل تاريخ العصور القديمة كلها، لأن مورغووث أعاده إلى غوندولين، خشية أن يفقدوه فيعلموا أنه أمير عند مورغووث فيتوقعون نجاته، ولكي يستطيع ماغيلين مساعدتهم بالمحوم من الداخل عندما تحين الساعة. بعدها بقي ماغيلين في قاعات الملك مبتسماً بوجهه وقلبه مليء بالشر، بينما تجمع الظلام في قلبه أكثر ما يكون على إيدريل.

أخيراً كان مورغووث مستعد للهجوم على غوندولين، وذلك عندما كان إيارينديل بعمر سبع سنوات. أرسل مورغووث الباروغز والأوركس على غوندولين وأرسل معهم ذقابه وأتت معهم تسائين من ذرية غلاورونغ الذين أصبحوا الآن كثر ومرعبين. وصل جيش مورغووث إلى التلال الشمالية العظيمة الارتفاع وكانت قليلة المراقبة بسبب ارتفاعها، فقد وصلوا إليها ليلاً في وقت الإحتفال. في الوقت الذي كان فيه كل شعب غوندولين على الأسوار ينتظرون شروق الشمس، وينشدون من أجل ارتفاعها الأغاني، لأنه كان عندهم في الغد عيد عظيم اسمه بوابات الصيف. لكن صعد ضوء أحر أضاء تلال الشمال وليس الشرق، ولم يكن

هناك مجال لإيقاف تقدم الحصم حتى وصل الأعداء أخيراً تحت أسوار غوندولين. وحوصرت المدينة بدون أمل في النجاة. ومن أعمال الشجاعة اليايسة التي عملت هناك كانت من قبل زعماء البيوت النبيلة وهم المحاربون. ناهيك عن الأعمال البطولية من قبل تور، فقد أُخبر الكثير عما حصل في سقوط غوندولين، في معركة إكيليون عند النافورة مع غوثمونغ سيد البالروغز، في نفس مساحة الملك، حيث ذبح كل منهما الآخر. وفي الدفاع عن برج تورغون من قبل أهل بيته، حتى أخيراً سقط البرج، وكان سقوطه هائلاً وسقط تورغون ميتاً في دمار البرج.

سعى تور لإقناده إيدريل من سبي المدينة، لكن ما يغلين كان عندها ووضع يده عليها وعلى إيارينديل. فتقاتل تور مع ما يغلين على الأسوار، وقام تور برمي ما يغلين بعيداً فسقط جسمه على المنحدرات الصخرية لأمون غواريث فارتطم بالصخور ثلاث مرات قبل أن يقع في النيران المشتعلة بالأسفل. قاد تور وإيدريل بقية الناس الناجين من غوندولين والمتحمسين من الحرائق إلى الأسفل، إلى الطريق السري الذي أعدته إيدريل. وعن هذا المعبر لم يعرف قادة أنغباند أي شيء. لكنهم فكروا بأن أي هارين لن يذهبوا نحو الطريق الشمالي، أو أجزاء الجبال العالية القريبة من أنغباند. دُمرت غوندولين من لبيب تنانين الشمال، وكان دخان الحرائق وبحار نافورات غوندولين يسقط على وادي توملادين بسحب الكآبة. هكذا كان هروب تور بمساعدة مجموعته. لكن ما تزال الطريق طويلةً ومفتوحة للمرور من مدخل النفق حتى سفوح الجبال. مع كل هذا فقد وصلوا إلى هناك، وبعد الأمل تسلقوا الأماكن العالية في المصيبة والبؤس. فقد كانت باردة وفظيعة. وكان بينهم الكثير من الذين جرحوا والكثير من النساء والأطفال.

كان هناك ممر مخيف اسمه كبريث ثوروناث، أي شق النسور، وهو يمر تحت ظل القمم العالية ويضيق كالجرح على طول الطريق، وعن اليمين كان محاطاً بمنحدرات نحو الهاوية، وإلى اليسار ينحدر بشكل مخيف نحو الفراغ، على طول هذا الطريق الضيق اصطف موكبهم. وكانوا قد تعرضوا لكمين من قبل الأوركس لأن مورغوث وضع مراقبين على كل شيء في التلال المحيطة، وما زاد من مخنتهم المخيفة هو تواجد البالروغ مع الأورك. وبالكداد تم انقاذهم بفضل شجاعة أصفر الشعر غلورفينديل، رئيس بيت الزهرة الذهبية لغوندولين، فلم تكن النسور موجودة هناك لمساعدتهم.

خلدَّت الكثير من الأناشيد مبارزة غلورفينديل مع الباروغ على قمة صخرة ذلك المكان العالي، وسقط كلاهما في حطام الهاوية. عندها جاءت النسور وهاجمت الأوركس. فأرجعهم على أعقابهم يصرخون، وغالبيتهم قتلوا أو سقطوا إلى الأعماق. كل ذلك ولم تصل بعد إشاعة المروب من غوندولين إلى آذان مورغوث. بعدها قام ثوروندور بحمل جسم غلورفينديل وأخرجه من الهاوية. ودفنوه هناك إذ بنو تل من الحجارة فوق قبره بالقرب من المر، ونبت العشب الأخضر على القبر هناك، ونبت هناك زهور صفراء فوق الحجارة الجرداء، وبقيت هكذا حتى تغيير العالم.

هكذا عبرت البقية الباقية من غوندولين فوق الجبال تحت قيادة تور بن هوور، ونزلوا إلى وادي سيريون. ثم هربوا إلى الجنوب مرهقين يسرون بالقرب من المعسكرات الخطرة، حتى وصلوا بعد طول مسير إلى نان تاترين، أرض الصفصاف. لأن قوة أولو مازالت تمشي في مياه النهر العظيم، وكان أولو دائماً حولهم. هناك استراحوا لفترة، وقد شفيت جراحهم وتعبهم وآلامهم، لكن حزنهم لم يشفى. فجعلوا هناك عيد لتذكّار غوندولين والجان الذين ماتوا للدفاع عنها. وللعداوى والزوجات ومحاربه الملك، لأنه يوجد لغوندولين الكثير من العشاق والمحبين الذين كانوا قد أنشدوا لها الأناشيد تحت صفصاف نان تاترين. وكان وقت ذلك العيد عند نهاية السنة. هناك عمل تور أغنية لابنه إيارينديل، تحكي عن مجيء أولو سيد المياه إلى شواطئ نيفراست في الوقت السابق. فاستيقظ الشوق في قلبه وقلب ابنه إلى البحر. غادر تور وإيدريل نان تاترين ونزلا جنوباً إلى النهر ومنه إلى البحر. وسكنا هناك عند مصبات نهر سيريون، ثم جمعا شعبهم إلى جماعة إيلونج بنت ديور التي كانت قد هربت إلى هناك منذ مدة قليلة. وصلت إلى بالار الأخبار التي تفيد بسقوط غوندولين وموت تورغون. عندها نُودي على إيرينيون غيل غالاد بن فينغون، ليكون هو الملك الأعلى لنولدور في الأرض الوسطى.

اعتقد مورغوث بأن نصره كان تاماً، لذلك فلم يهتم كثيراً بأمر أبناء فيانور ويقسمهم الذي لم يؤذيه أبداً، إنما كان منقلباً لمساعدة الأقدار له، فضحك في قلبه لطغيان فكره الأسود، وأسف لأنه فقد أحد السيلماريل، فهو يعتقد بأنه وبالسيلماريل سيتم القضاء على آخر ذرة من شعب إيلدار الذي يجب أن يختفي من الأرض الوسطى، ويرتاح هو بما قد يسببه له من الإزعاج. علم مورغوث بأنهم يسكنون الآن عند مياه سيريون، لكنه لم يعطي أية إشارة، بل تحيّن وقته، وانتظر عمل القسم والكذب. رغم ذلك فقد ازداد شعب الجان عند

نهر سيريون والبحر. إذ كانت غالبية الشعب ممن نجوا من دوريات وغوندولين، وانضم إليهم بحارة كيردان من بالار. للأخوذيين دائماً إلى الموج وبناء السفن، وسكنوا دائماً بالقرب من سواحل آرڤيرنين تحت ظلال يد أولمو.

يقال أنه في ذلك الوقت خرج أولمو من المياه العميقة وذهب إلى فالينور، هناك تحدث مع الفالار عن حاجة الجان لهم، فطلب منهم أن يغفروا لهم، وينقذوهم من جيروت تفرد مورغوث بحكم الأرض الوسطى، واستعادة السيلماريل. لأنها هي الشيء الوحيد الذي أزهق وأخذ نوره من الشجرتين اللتين أزهرتا في أيام البركة، عندما كانتا تشرقان في فالينور. لكن مانوي لم يتحرك. ولم تُعرف بعد ما هي نصيحة قلبه وعن أية حكاية مستخبر.

قالت الحكماء: بأن الساعة لم تكن بعد، لأن هناك تحدث واحد فقط وهو متحسد في شخص، سوف يأتي من أجل قضية الجان والبشر. لكي يتوسل طالباً العفو عنهم وعن جرائمهم وآثامهم، والشفقة على معاناتهم. عندها ربما سوف يتغير رأي القوي، حتى مانوي، ربما لا يستطيع أن يحرق قسم فيانور حتى يصل إلى نهايته، ليتخلى أبناء فيانور عن السيلماريلس، وعن ادعائهم المحصف بحقهم في امتلاك نوره. لأن النور الذي أضاء السيلماريلس هو بالأساس من صنع الفالار أنفسهم. ولا يحق لأبناء فيانور ادعاء ملكيته.

أحسن تور في تلك الأيام بالشيخوخة ترحف إليه، وازداد شوقه إلى أعماق البحر، لذلك بنى سفينة سماها إياررامي، ومعناها جناح البحر. وأبحر مع غروب الشمس برفقة زوجته إيدريل كيلبيريندال نحو الغرب. لم تأتي عنهم أية أغنية أو حكاية. لكن في الأيام اللاحقة أنشدت أغنية عن تور بأنه هو الوحيد من بين جنس البشر الفانيين، الذي اعتبر على أنه من الجنس الأول (الجان)، وارتبط بنولدور التي أحب، وانفصل مصره عن مصير البشر الفانيين.



## الفصل الرابع والعشرون

### رحلة إيارينديل البحرية وحرب الغضب

إيارينديل المشرق الذي أصبح سيد الشعب الذي سكن بالقرب من مصبات نهر سيريون. فقد اتخذ إيلوينج الجميلة زوجةً له. وهي ولدت له إيلرون وإيلروس اللذين يدعيان بالجان النصف، رغم ذلك فلم تدخل الراحة إلى قلب إيارينديل. وقصة رحلته البحرية حول الشواطئ لم تكن هي ما يقلقه، فقد نما في قلبه هدافان، مُزجا كههدف واحد وهو شوقه الدائم إلى البحر الواسع. فأراد الإبحار للبحث عن تور وإيدريل الذين لم يعودا. فهو يعتقد بأنهما ربما وجدا الشاطئ الأخير. وربما يستطيع قبل موته أن يوصل رسالة الإنس والجان إلى الشمال في الغرب. الذين يجب أن يحركوا قلوبهم من أجل رحمة أحزان الأرض الوسطى.

أصبح إيارينديل صديقاً لكيردان بناء السفن، الذي يسكن في جزيرة بالار مع شعبة الذي بُحا، مقتربين من مرافق بريثومبار وإيغلاريسست. بنى إيارينديل بمساعدة كيردان سفينة فينغيلوت، أي زهرة الزيد. والتي كانت أجمل من سفن الأغنيات، فقد كانت بمخاديفها ذهبية، وأخشابها بيضاء مقطوعة من غابات فامبرييل العذراء، وأشرعتها كانت كالقمر الفضي. وفي مخطوط "لاي أوف إيارينديل" يوجد الكثير من الأناشيد عن مغامراته في أعماق الأراضي غير المداسة التي زارها، وكذلك عن الكثير من البحار والجزر، وفي كل ذلك لم تكن إيلوينج معه، لكنها جلست حزينة في مصبات نهر سيريون.

لم يجد إيارينديل لا تور ولا إيدريل، ولم يستطع الذهاب برحلة إلى شواطئ فالينور المغيبة بالسحر والظلال. فلقد سار كثيراً بعكس الريح، حتى أعاده الشوق إلى إيلوينج والعودة مجدداً باتجاه شواطئ بيليريناند. لكن قلبه كان يدعوه دائماً إلى الإسراع، بسبب خوف

مفاجئ وقع عليه كطيف الأحلام، والريح المعاندة له بالمسير قد لا توصله بسرعة كما يرغب.

الآن، عندما وصلت الأخبار إلى مايندروس بأن إيلوينغ مازالت على قيد الحياة وهي تعيش في مصبات نهر سيريون ومازال السيلماريل بحوزتها. ندم على الأعمال الشنيعة التي قاموا بها في دوريات. لكن مع مرور الوقت وإدراكه بعدم تحقيق القسم تعود إليه ولأخوته عذاباتهم ومعاناتهم. لذلك جمعهم من طرق التيه والتشرد، وأرسلوا الرسائل شديدة اللهجة إلى مرافق أصدقائهم وأكدوا على مطلبهم بحقهم الأيدي في امتلاك السيلماريل. لكن إيلوينغ وشعب سيريون لن يسلموا الجوهرة التي فاز بها بيرين وليستها لوثاين وكانت السبب في ذبح ديور الجميل. على الأقل لن يفعلوا ذلك مادام سيدهم إيارينديل لم يعد من البحر بعد، لأنه يبدو إليهم بأن السيلماريل تضع الشفاء والبركة عليهم وعلى بيوتهم وسفنهم. لذلك حدثت هناك المذبحة الأخيرة والأشد قسوة لقتل الجان لبعضهم. وكانت تلك ثالث الأخطاء العظيمة التي ارتكبت بسبب ذلك القسم الملعون.

حدث ذلك بأن نزل، المتبقيين من أبناء فيانور على قيد الحياة، فجأة على المنفيين من غوندولين والبقية من دوريات وحطموهم، وفي تلك المعركة بعض الناس تنحوا جانباً، والبعض تمرد وعصى فذبح لأنه قام بمساعدة إيلوينغ ضد أمياده (ولهذا كان الحزن والاضطراب في قلوب إيلدار في تلك الأيام)، لكن مايندروس وماغلور رحبا في ذلك اليوم. مع أنه لم يبق من أبناء فيانور سواهما، لأن أمرود وأمراس كانا قد قتلا. تأخرت كثيراً بجدة مسفن كيردان وغيل غالاد الملك الأعلى لنولدور لمساعدة جان سيريون، وذهبت إيلوينغ وأبنائها. انضم قلّة من الناس التي لم تمت بالمجموع إلى غيل غالاد وذهبوا معه إلى بالار، وأخبروا بأن إيلروس وإيلرون كانا قد أسرا. لكن إيلوينغ رمّت نفسها في البحر وكانت لاتزال تلبس السيلماريل على صدرها.

وهكذا فلم يستطع مايندروس وماغلور أن يحصلوا على الجوهرة. لكنها بالمقابل لم تضع إلى الأبد، لأن أولمو أنقذ إيلوينغ، وأخرجها من الموج وسلمها إلى ما يشبه الطير الأبيض الكبير. ولاتزال السيلماريل مشرقة على صدرها مثل النجم. راحت تحلق فوق الماء باحثة عن محبوبها إيارينديل. وعندما حل الليل كان إيارينديل يوجه دفة القيادة في سفينته ويغي، رأها تتجه نحوه كغيمة بيضاء مسرعة تمر من تحت القمر، كنجم فوق البحر يتحرك في طريق غريب، كأنها لهب شاحب على أجنحة العاصفة. وبينما هو كذلك سقطت من

المساء على أخشاب فينغيلوت مغشياً عليها بسبب ارتطامها بسطح السفينة، اقترب إيارينديل منها وضمها إلى صدره، وعندما طلع الصباح نظر إلى وجه زوجته، والدهشة باديةً عليه، إنها زوجته نفسها بجانبه وشعرها يغطي وجهها لكنها ماتزال نائمة.

حزن إيارينديل وإيلوينغ كثيراً من أجل الخراب الذي حلَّ في مرفأى سيريون، وأسر ابنيهما، وكل الخوف من أن يكونا قد قُتلا. لكن ماغلور أشفق على إيلروس وإيلروند ولم يقتلهم، بل بالعكس فقد عزهم، وأحبهما كثيراً وقله كان يعتقدون أنه فعل ذلك. لكن بالمقابل فإن قلب ماغلور كان مريضاً ومرهقاً من عبء القسم المخيف.

رغم كل ذلك رأى إيارينديل بأنه لم يبقَ له أي أمل في الأرض الوسطى، فأدار مركبه ييأس ولم يرجع إلى بيته، لكنه عاد مرة أخرى إلى فالينور وإيلوينغ بجانبه. بقي في أغلب الأحيان يقف على جُوجو سفينته فينغيلوت والسيلماريل معلقاً بين حاجبيه، كان ضوء السيلماريل العظيم يثبُّ باتجاه الغرب. وقد قالت الحكماء أنه بسبب قوة تلك الجوهرة المقدسة فقد استطاع الوصول في الوقت المحدد إلى المياه التي لم تنفذ أية سفينة من قبل كما هو معروف في تيليري. ثم وصلا إلى الجزر المسحورة التي ذهب سحرها عنهما، ثم إلى البحار الغامضة وعبرا ظلالها، ونظرا إلى تول إيريسيا الجزيرة الوحيدة، ولم يتمهلا أبداً، وفي نهاية المطاف ألقى مرساة سفينته في خليج إيلدامار. رأى تيليري السفينة القادمة من الشرق فانددهشوا كثيراً، إذ كانوا يحدقوا من بعيد على السيلماريل، فقد كانت عظيمة جداً. يعتبر إيارينديل بأنه أول شخص من البشر الفانيين يهبط على الشواطئ الخالدة. ثم تكلم مع إيلوينغ ومع الذين كانوا معهم. فقد رافقه ثلاثة بحارة ملاحين، أبحروا معه عبر كل البحار، وهم فالاثار، إيريلونت وآيراندير. فقال لهم إيارينديل: هنا يجب أن لا يضع أحد قدمه إلا أنا خشية أن يقع تحت غضب الفالار. وهذا الخطر الذي ستواجهه نفسي لوحدها من أجل مصلحة الإنس والجان.

أجابته إيلوينغ: هل ستكون طرقنا منفصلة إلى الأبد، فلن أقبل إلا أن أكون معك في كل المخاطر. وقفزت إلى الرغوة البيضاء وركضت نحوه، لكن إيارينديل كان حزينا، لأنه كان يخشى غضب أسياذ الغرب على أي شخص من الأرض الوسطى قد يتجرأ على عبور حدود أمان. ثم ودع إيارينديل وإيلوينغ رفاق رحلتهم البحرية وافترقا عنهم للأبد.

طلب إيارينديل من إيلوينغ أن تنتظره في مكانها، وقال لها: إن مهمة إيصال الرسالة هي قدرتي الذي سأتحمله لوحدي. ثم صعد لوحده إلى الأرض، ووصل إلى كالاكيريا، فبدت له

فارغَةً وصامتةً، كما كانت عندما جاء إليها مورغووث وأونغوليانت في العصور الماضية. والآن أيضاً وصل إيارينديل في وقت المهرجان، وتقريباً غالبة شعوب الجان كانت ذاهبة إلى فاليمار، أو تجمعوا في قاعات مانوي على نبي كويتيل، ولم يتكوا إلا القليل منهم على أسوار تيرون من أجل الحراسة.

رآه بعض الناس من بعيد يحمل ضوءاً عظيماً، فذهبوا مسرعين إلى فاليمار. تسلق إيارينديل تل تونا الأخضر فوجده خالياً، ثم دخل إلى شوارع تيرون وكانت فارغَةً أيضاً. فأصبح قلبه ثقيل، لأنه خاف أن يكون قد أتى بعض الشر إلى العالم المبارك. مشى في شوارع تيرون المهجورة، فعلق على رداءه وحذاءه عُبار الألس والجوهرات. فأصبح يلعب ويومض من عُبار الألس عندما كان يصعد السلم البيضاء الطويلة. نادى بصوت عالٍ ويكلم لغات الإنس والجان، لكن لم يجبه أحد، لذلك قفل عائداً إلى البحر. وبينما هو يمشي على الطريق الشاطئية، وإذا بشخص يقف على التل، راح ينادي له بصوتٍ عظيم.

أهلاً بك يا إيارينديل أشهر الملاحين، القادم على غير توقع، ويمدوه الأمل. أهلاً بك يا إيارينديل، يا حامل ضوء ما قبل الشمس والقمر، فخامة أبناء الأرض، نجّم في الظلام. جوهرة في الغروب. إشعاع في الصباح.

كان ذلك الصوت صوت إيونوي رسول مانوي، وقد جاء من فاليمار لاستدعاء إيارينديل للبعث أمام سلطات أردا. دخل إيارينديل إلى فالينور، إلى قاعات فاليمار، وبعدها لم يضع قدميه على أراضي البشر. عقد الفالار مجلسهم واستدعوا أولمو من أعماق البحار، وقف إيارينديل أمامهم وألقى على مسامعهم رسالة الشعبين (الإنس والجان). طالباً العفو عن نولدور والرحمة لهم لأن حزنهم عظيم. أيضاً طلب الرحمة للإنس والجان وتقديم الدعم والمعونة لهم في حوائجهم. فقبل الفالار توسلاته.

قبل بين الجان، بأنه بعد خروج إيارينديل من مجلس الفالار قاصداً زوجته إيلونغ. تكلم ماندوز بشأن مصير إيارينديل قائلاً: هل ستتم ترقية حياة هذا الرجل الفاني لتستمر على الأراضي الأبدية، ليبقى حياً إلى الأبد؟ لكن أولمو قال: هل لأنه ولد في العالم، وسواء قيل لي بأنه إيارينديل بن تور من سلالة هادور، أو ابن إيدريل بنت تورغون من نسل الجان، من بيت فينوي؟ فأجاب ماندوز: أنه متساوٍ مع نولدور، الذين ذهبوا عمداً إلى المنفى، فقد لا يعودون إلى هنا.



لكن بعدما أنهى الجميع كلامهم، أصدر مانوي حكمه وقال: في هذه المسألة فقد أعطيت قوة الموت لي، والمغامر الذي خاطر من أجل محبته لكلا الشعبين يجب أن لا يقع عليه الموت، لا عليه هو ولا على زوجته إيلوينغ، التي دخلت الخطر من أجل محبتها له. لكنهما لن يمشيا ثانية أبداً بين الجان أو بين البشر في الأراضي الخارجية. هذا هو المرسوم المتعلق بإارينديل وإيلوينغ، أما بخصوص ابنيهما فسوف يمنحون حق الاختيار بحرية، وبأي مصير من مصائر أقرابائهم سيرتبطون، وتحت حكم من سيخضعون.

انقضى وقتٌ طويلٌ على غياب إارينديل، وكانت إيلوينغ وحيدةً وحائفةً، لذلك مشت تائهةً على ضفاف البحر، واقتربت من الكوالوندي حيث تنوضع أساطيل تيليري، هناك تصادقت مع شعب تيليري، واستمعوا لحكاياتها عن دورياث وغوندولين وأحزان بيليرياند. فامتألت شعب تيليري بالشفقة والدهشة لما حدث في الأرض الوسطى. وإلى هناك عاد إارينديل فوجدها في مرفأ الجعات. وقيل مدة طويلة تم استدعاؤها إلى فاليمار، هناك أعلن لهما مرسوم الملك القديم.

ثم قال إارينديل لـإيلوينغ اختاري أنتِ لأنني مللت من العالم، فاخترت إيلوينغ أن تكون محكومة بمصير الأبناء الأقدم من أبناء إلوقاتار، بسبب لوثناين، ولأجلها هي اختار إارينديل نفس المصير. مع أن قلبه كان أقرب إلى مصير البشر، فهم شعبه وشعب أبيه. ولتتمة عرض الفالار ذهب إيونوي إلى شاطئ أمان، حيث مازال رفاق إارينديل ينتظرون الأخبار هناك، فأخذ المركب والملاحون الثلاثة الذين كانوا هناك. وقادهم الفالار إلى الشرق عبر ربح عظيمة. لكنه أخذ منهم فينغيلوت، وقدمها الفالار، فحملتهم خارج فالينور إلى الحافة القصوى للعالم. ومرورها من خلال باب الليل، وهناك ارتفعت حتى وصلت إلى السماء الواسعة.

لقد كانت جميلة ورائعة تلك السفينة المصنوعة. فلقد كانت مملوءةً باللهب المتراقص الصافي اللامع. جلس إارينديل الملاح في دفة القيادة يبرق ويومض من غبار مجوهرات الجان، وكان السيلماريل معلقٌ بين حاجبيه. سافر بعيداً في تلك السفينة حتى وصل إلى فضاءاتٍ بدون نجوم، لكنه في أغلب الأحيان كان يُرى في الصباح أو في المساء يلعب عند شروق الشمس أو عند غروبها. كلما عاد من رحلاته، من خلف حدود العالم إلى فالينور.

لم تذهب إيلوينغ في تلك الرحلات لأنها لا تستطيع تحمل برودة الفراغ بلا دروب، أو بالأحرى لأنها أحببت الأرض والنسائم العليلية التي تمب على التل والبحر، لذلك بنوا لها

برحاً أبيض هناك في الشمال على حدود بحار الفصل، وفي أغلب الأوقات كانت تأتي طيور البحر إلى تلك الأرض للتزاوج، ويقال بأن إيلوينغ تعلمت لغة الطيور، التي ليست شكلهم عندما أنقذها أولمو من البحر، وهم من علمها حرفة الطيران، وكانت أجنحتها باللون الأبيض والفضة الرمادية. وأحياناً عندما كان إيارينديل يقترب من أردا كانت تطير لتلاقيه. كما طارت منذ عهد بعيد عندما أنقذت من البحر. حتى أن يعيدو النظر من بين الجان الذين يسكنون الجزيرة المنعزلة كانوا يشاهدوها من بعيد كطائر أبيض، مشرقه كوردة مصبوغة في الغروب. كلما ارتفعت بالبهجة لتحيي مجيء فينغيلوت إلى المرفأ.

وعندما قرر إيارينديل الإبحار لأول مرة بفينغيلوت في رحاب السماء. فقد ارتفع منطلقاً بتألق لامع، وقد شاهدته شعوب الأرض الوسطى من بعيد فتعجبوا، واتخذوه كإشارة وعلامة، وسموه غيل إيستيل نجمة الأمل العاليه. وعندما رأى مايدروس هذا النجم الجديد في المساء قال لأخييه ماغلور: بالتأكيد ذلك هو السيلماريل الذي يشرق الآن في الغرب.

فأجابه ماغلور: إذا كان حقاً هو السيلماريل الذي رأيناه يُلقى في البحر، فإنه يرتفع ثانية بقوة الفلار، لذلك دعنا نكون مسرورين بحده الذي يُرى من قبل كثيرين. فهو في مأمن الآن من كل الشرور. نظر الجان إلى الأعلى ولم يعودوا يائسين، أما مورغوث فقد امتلاً بالشك.

فيما بعد قيل بأن مورغوث لم يشاهد المحوم الذي أتاه من الغرب. لأن فخره كان عظيماً فهو يعتبر بأن لا أحد قادرٌ على أن يشرق حراً مفتوحة عليه، وكان عنده اعتقاد بأن الفحوة أصبحت كبيرة في الجفاء بين نولدور وأسياد الغرب، وهم قانون بعالمهم السعيد، عالم الفلار الذي لن يحترم أي مملكة أخرى في هذا العالم سواهم. وإليه تنسب عدم الرحمة، أما الشفقة، فهي عارحة من حساباته. لكن جيش الفلار استعد للمعركة، وزحف إليه شعب إينغوي تحت رايات فانبار البيضاء، ونولدور الذين لم يغادروا فالينور تحت زعامة فينارفين بن فينوي، وبعض تيليري الذين كانوا متحمسين للحرب، بسبب ذكرياتهم عن مجزرة القتل في مرفأ البهجة واغتصاب سفنهم. لكنهم أصغوا إلى إيلوينغ بنت ديور إيللوخييل وعادوا إلى أهلهم وأقاربهم، وأرسلوا ملاحين بما فيه الكفاية لعمليات إبحار السفن التي حملت جيش فالينور شرقاً عبر البحر. إلا أنهم بقوا في السفن ولم تطأ أقدام أحدٍ منهم هيثير لاندس.

ذُكر القليل من الحكايات والأخبار عن زحف جيش الفالار إلى شمال الأرض الوسطى، لأنه لم يكن من بين الجيش أحدٌ من أولئك الذين سكنوا وعانوا في هيثير لانديس. أما الذي جعل أعمال تلك الأيام تبقى مخلدةً ومعروفةً بالتاريخ، فهو ما علموه فقط بعد مدة طويلة من أهلهم في أمان، لكن في النهاية خرج جيروت فالينور من الغرب، وتحديات أبواق إيونوي ملأت السماء، فكانت بيلرياندا مشتعلةً بمجد أسلحتهم، لأن جيش الفالار مصطفٌ بأشكالٍ شبابيةٍ جميلةٍ ورهيبية. وكانت الجبال تهمتر تحت أقدامهم.

سمي اللقاء بين جيش الغرب وجيش الشمال بالمعركة العظيمة، أو حرب الغضب. فقد انظم إلى هناك كل قوى عرش مورغووث، والذي كان عظيمًا وفوق الحصر في عدده، حتى أن سهل إنفاوغليث لم يستطع استيعابه، وكل الشمال كان ملتهبًا بالحرب.

لكن كل تلك الحشود لم تنفعه، فقد قُضي على غالبية البالروغز، إلا القلة منهم الذين نجوا وانسحبوا إلى كهوفٍ عميقةٍ لا يمكن الوصول إليها في جذور الأرض. أما الجحافل العديدة للأوركس فقد هلكت مثل القش في النار العظيمة، أو جُرفوا مثل أوراق ذابلة أمام ريح حارقة. وبقي منهم البعض الذي أزعج العالم لسنوات طويلة فيما بعد. كذلك بقي بعض من بيوت آباء البشر الثلاثة من أصدقاء الجان، الذين حاربوا مع جيش الفالار، وانتقموا لباراغوند وباراهير، غالدور وغوندور، هور وهورين والعديد من السادات الآخرين. لكن جزء كبيراً من أبناء البشر، سواء كانوا شعب أولدور، أو القادمون الجدد من الشرق، فقد حاربوا مع العدو، ولن ينسى لهم الجان هذا الفعل القبيح أبداً.

رأى مورغووث كيف تم القضاء على جيشه وكيف تبعثرت وتشتت قواه، فحين ولم يجرؤ على إظهار نفسه، لكنه أطلق على خصومه هجومه اليائس الأخير الذي كان على أهبة الاستعداد، هناك خرجت من حفر أنغياندا التنانين المنحثة التي لم تُرى من قبل وكانت مفاجئةً ومُدمرةً جداً في بداية هجومها المروع، فقد شتت جيش الفالار الذي تراجع، وقد كان بجيء التنانين مع رعدٍ عظيمٍ وبرقٍ وعاصفةٍ من ناز.

أتى إيارينديل يشرق بالذهب الأبيض، وقد تجمعت حول فينغيلوت كل طيور السماء العظيمة، وكان قائدهم ثوروندور. دارت معركةٌ في الهواء طوال اليوم وخلال الليل المظلم المرعب. وقبل شروق الشمس تمكن إيارينديل من قتل أنكالاغون الأسود. وهو الأعظم بين جيش التنانين، فرماه من السماء إلى الأرض. سقط أنكالاغون على أبراج ثانغورودريم فدمرها. ثم ارتفعت الشمس وانتصر جيش الفالار، تقريباً تم قتل أغلب التنانين، وأصبحت

ككل حفر مورغووث محطمة ومن دون غطاء. طارده قنات الفلالر إلى أعماق الأرض، هناك أخيراً توقف مورغووث وهو يعوي. وعلى الرغم من جبنه، فقد هرب إلى أعمق حفرة له، وطلب العفو والسلام، لكنهم قطعوا أقدامه من تحته وألقى على وجهه، ثم كان لا بد من السلسلة أنغايونر التي رُبط فيها من قبل، وضربوه على تاجه الحديدي حتى غاص ووصل إلى عنقه وكاد يخنقه، فرجع على ركبتيه، وأخذت منه جوهرتا السيلماريلس اللتين في تاجه، فأشرفت أنوارهما لا تشوبهما شائبة حتى وصل نورهما إلى السماء، أخذهما إيونوي وحرسهما.

هكذا تم وضع حد لقوة مسطوة أنغياند في الشمال، فأصبح عالم الشر ضيقاً، وخرج أكثر العبيد من خلف السجون العميقة إلى أمل ضوء النهار، وشاهدوا العالم الذي تغير. لقد كان غضب أعداء الشمال عظيماً جداً، فقد تمزقت المناطق الشمالية من العالم الغربي، وهدر البحر من خلال الكثير من الفتحات العميقة، وكان هناك اضطراب وضوضاء عظيمين. فقد غارت أمواج كثيرة، أو وجدت طرقاً جديدة، وانتفخت الوديان وانسحقت التلال، وأصبح سيريون لا شيء.

استدعى إيونوي ويصفته رسول، الملك الأكبر مانوي، كل جان بيليرياند وطلب منهم مغادرة الأرض الوسطى لكن مايدروس وماغلور لم يصغيا إليه، لكنهما كانا مستعدين للبعضة والمتاعب، وللمحاولات اليائسة في سبيل الوفاء بقسمهم، فهما على استعداد لخوض حرب من أجل السيلماريلس التي كانت محجوبة حتى عن جيش فالينور المنتصر. رغم كل ذلك فقد وقفوا وحيدين ضد كل العالم، وأرسلوا رسالة إلى إيونوي يطالبانه فيها بالتنازل لهما عن السيلماريلس التي كان قد صنعها أبوهما فيانور منذ القدم، وسرقها منه مورغووث.

أجابهما إيونوي: صحيح أنهما من صنع أبيكما وقد امتلكها أبناء فيانور في الماضي، لكن الآن مات كثيرون منهم بسبب الأعمال القاسية التي قاموا بها فقد أعماهم ذلك القسم، والأهم من ذلك فقد كان السبب في قتل ديور والهجوم على المرافع، لذلك يجب أن يعود ضوء السيلماريلس إلى الغرب، من حيث كانت بدايته، ويجب أن يعود مايدروس وماغلور إلى فالينور، والالتزام بقرارات الفلالر. وقد أمر إيونوي بأن تكون السيلماريلس في عهده هو شخصياً. في الحقيقة كان ماغلور راغباً في الاستسلام، لأن قلبه كان حزين وقال: لقد

أجاز لنا القسم بانتظار وقتنا. وقد يكون ذلك الوقت في فالينور، والجميع سيغفر لنا وينسى، وسنكون نحن في بلدنا بسلام.

لكن مايدروس أجايه بأننا إذا عدنا إلى أمان، فلن نحظى بدعم الثالار، وبالتالي فإن القسم سيبقى، ولن يكون هناك أمل في الوفاء به، ومن يعلم إلى أي قدرٍ تخيف سنذهب إذا عصينا السلطة في أرضها. أو سيكون هدفنا هو حمل الحرب إلى عالمهم المقدس.

مع كل ذلك فمازال ماغلور يتراجع وقال: إذا أنكروا مانوي وفاردا تحقيق القسم، وهما من الشهود على القسم، أفلا يجعله ذلك مقضياً.

أجايه مايدروس: لكن كيف متصل أصواتنا إلى إلفاتار خلف دوائر العالم؟ ولقد أقسمنا بالوفاتار في هذا القسم الجنون. واستدعينا الظلام الأبدي ليكون فوقنا إذا لم نحفظ كلمتنا. فمن القادر على تحيرنا.

فقال له ماغلور: لا يمكن لأحد أن يحررنا، بل بالحقيقة فإن الظلام الأبدي سيكون نصيبنا، سواءً بقي القسم أو انكسر، لكن أقل الشرين هو في كسر القسم.

رغم كل ذلك، خضع ماغلور لرغبة أخيه مايدروس، وقد اتفقا على أن يضعوا أيديهما سوياً على السيلماريلس. لذلك تنكروا وجاءوا في الليل إلى معسكر إيونوي، زحفاً إلى المكان المحروس الذي فيه السيلماريلس، فقتلوا الحراس وأخذوا الجواهر. عندها انتفض كل المعسكر ضدهما، كانا مستعدين للدفاع عن حقهم حتى آخر نفس. لكن إيونوي لم يسمح بقتل أبناء فيانور، فهربا بعيداً من دون قتال، وأخذ كل واحد منهما سيلماريل واحد وقالوا لقد ضاعت منها واحدة وبقيت اثنتان، ولم يبق سوانا نحن الاثنين من إخواننا، وهذا مهل علينا مصير المشاركة في ميراث أينا.

أحرق الجوهرة يد مايدروس بألم لا يطاق، فأدرك في حينها مقولة إيونوي بأن حقه بما قد يصبح باطلاً، وسيكون القسم باطلاً. ويأس وألم رمى نفسه في هوة مفتوحة من النار، هكذا انتهى هو والسيلماريل التي كانت في يده حُملاً معاً إلى حضن الأرض.

وقيل بأن ماغلور لم يستطع تحمل عذاب السيلماريل، فرماها في البحر. وبعد ذلك بقي يتجول على الشواطئ ويغني أسفاً متألماً بجانب الأمواج، فقد كان ماغلور مقتدرًا بين المغنين منذ قدم الزمان، ولم يسبقه إلا دايرون من دوريات. لكنه لم يعد ليقيم بين شعب الجان أبداً. وهذا ما حصل للسيلماريلس، فقد وجدوا بيوتهم الدائمة، وأحدةً في هواء السماء، والثانية في نيران قلب العالم، والثالثة في المياه العميقة.

وفي تلك الأيام بُنيت الكثير من السفن على شواطئ البحر الغربي. ومن هناك أبحرت أساطيل إيلدار الكثرة إلى الغرب. ولم يرجعوا أبداً إلى أرض الحروب والأحزان. وعاد الفانيار إلى فالينور تحت راياتهم البيضاء متوجهين بالنصر، لكن بمحنتهم بالنصر كانت منقوصة بسبب فقدان السيلماريليس التي أخذوها من تاج مورغوث. وكانوا يعرفون بأن هذه الجواهر لا يمكن أن توجد أو تجتمع مرةً أخرى، ما لم يتم تدمير العالم وتعاد صياغته من جديد.

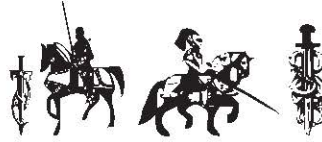
وفي طريق عودتهم إلى الغرب، أقام جان بيليراند على طول إيريسيا، الجزيرة المنعزلة، التي تبدو على حدٍ سواء للشرق والغرب، حيث أنهم قد يأتوا إلى فالينور، وكانوا مشمولين بعطف مانوي وعفو الفالار. فغفرت لهم تيليري الألم القديم. ودفنت اللعنة للأبد.

لكن هذا لا يعني بأن كل إيلدالي كانت مستعدةً للتخلي عن هيثير لاندس، حيث سكنوا وعانوا لمدة طويلة، لذلك تخلف البعض لعصرٍ من الزمان في الأرض الوسطى، ومن بين أولئك كان كيردان بناء السفن، وكيلبورن من دوريات مع زوجته غلادريل، فهي الوحيدة المتبقية من الذين قادوا نولدور للنفي في بيليراند. وبقي أيضاً في الأرض الوسطى غيل غلاد، الملك الأعلى. ومعه كان إيلروند، جان النصف، الذي اختار أن يُعد من بين إيلدار، عندما مُنح حق الاختيار. لكن أخوه إيلروس اختار البقاء بين البشر. ومن هذه الأخوة وحدها جاء إلى ما بين البشر دم البكر. وهي سلالة من الأرواح السماوية التي كانت قبل ولادة أردا. لأنهما أبناء إيلوينغ بنت ديور بن لوثاين بنت ثينغول وميلبان. وأبوها إيارينديل وهو ابن إيدريل كيلبيريندال بنت تورغون من غوندولين.

أما بالنسبة لمورغوث فقد دفعة الفالار بنفسهم من خلال باب الليل إلى ما وراء أسوار العالم. إلى الفراغ الأيدي. ووضعوا حراسةً دائمة على تلك الأسوار. واستمر إيارينديل بمراقبة متاريس أسوار السماء، رغم ذلك فأكاذيب ميلكور الجبار الملعون، مورغوث باوغليز. وقوة الحقد والإرهاب. كانت قد بذرت في قلوب الجان والبشر بذرةً لا يمكن أن تموت أو تُدَمَّر. ودائماً تبرع هذه الأكاذيب بشكلٍ مفاجئ ثانيةً، ووسوف تؤتي ثمارها المظلمة حتى آخر الأيام.

\* \* \*

هكذا تنتهي السيلمريون، إذ كانت قد مزت من الأعلى إلى الجميل إلى الظلام والخراب، فقد كانت منذ القديم مصير أردا المشوه. وإذا كان أي تغيير سيأتي ليصلح الفساد، فالوحيدان اللذان قد يعرفان ذلك لكنهما لن يكشفاه لأحد هما مانوي وفاردا، حتى لم يُصرح عن ذلك في أقدار ماندوز.



## أكالايبث

### غرق نوميونور

يُقال في إيلدار بأنَّ قدوم البشر إلى العالم كَانَّ بفترة انتشار ظل مورغووث، وقد سقطوا بسرعة تحت سلطته، لأنه كان قد أرسل مبعوثيه بينهم لتضليلهم، وقد أصغى البشر إلى كلامه المخادع والشري، فعبدوا الظلام ومازالوا لحد الآن يخافون منه. لكن كان هناك البعض ممن أداروا ظهرهم للشمر وتركوا أراضي أقرنائهم وذهبوا للتجول في الغرب البعيد. لأنهم سمعوا إشاعة تقول. (ضوءٌ يأتي من الغرب، يمنع الظل من تغطية العالم). فطاردهم خدام مورغووث بالحقْد، فأصبحت طرقهم طويلة وصعبة، وبعد طول مسير وصلوا إلى الأراضي المطلة على البحر، ودخلوا إلى بيلريماند في أيام حرب الجواهر. وفي لغة سيندارين كان اسمهم إيدارين، الذين أصبحوا فيما بعد أصدقاء وحلفاء إيلدار. وقاموا بأعمال الشجاعة العظيمة في الحرب ضد مورغووث.

ومنهم ظهر، من سار على طريق آباته. وهو إيارينديل اللامع. وفي مخطوط "لاي أوف إيارينديل"، يروى كيف في الماضي، عندما كان نصر مورغووث شبه كامل، فقد بنى سفينته فينغيلوت، والتي يدعوها البشر روئينزيل، ومافر بها عبر البحار التي لم يبحر بها أحد من قبل قاصداً قِالينور، فقد كانت لديه رغبة في التحدث إلى السلطات نيابة عن كلا الشعبين، لعله يجد رحمة عند الفلار ويرسلوا له المساعدة في حاجتهم القصوى. لذلك فإن كلاً من الجان والبشر يدعونه إيارينديل المبارك، لأنه نفذ مهمته بعد أن تجاوز الكثير من الأخطار الطويلة. ومن قِالينور جاء جيش أسياذ الغرب إلى هناك، لكن إيارينديل لم يرجع أبداً إلى الأراضي التي أحبها.

في المعركة العظيمة التي سقط فيها مورغووث نهائياً ودُمرت أبراج ثانغورودريم. كان إيدارين لوحده من بين قبائل البشر، هم الذين قاتلوا مع الفلار. بينما البشر الآخريين قاتلوا مع مورغووث. وبعد انتصار سادات الغرب، فإن أولئك البشر الأشرار الذين لم يقتلوا، هربوا



عائدين إلى الشرق، حيث الكثير من جنسهم مازال يتخبط في الأراضي البور، متوحشين فوضويين، رافضين على حد سواء استدعاء الفالار ومورغوث. وعندما سار بينهم البشر الأشرار، ألقوا فوقهم ظلال الخوف واتخذوهم ملوكاً عليهم. كان الفالار قد ترك لفترة من الوقت بشر الأرض الوسطى، فهم الذين رفضوا مذكرة الاستدعاء واتخذوا أعوان مورغوث سادات لهم. فقد سكن البشر في الظلام وضربوا بأكثر الشرور المبتكرة من قبل مورغوث في أيام حكمه وسلطانه. كالشياطين والتنانين والوحوش المسوخة والأوركس القذرين. تلك كانت سخريه قدر أبناء إلفاتار. وكان غالبية البشر تعساء.

لكن ماتوي طرد مورغوث، وأغلق عليه أسوار العالم في الفراخ الأيدي، فلن يستطيع إعادة نفسه إلى العالم مرة أخرى حاضراً ومرئياً. بينما سادات الغرب مازالوا على عروشهم. وبالرغم من كل ذلك فإن البذور التي زرعها مورغوث مازالت تورق وتؤتي ثمارها الشريفة، فمن كان يخدمه فإنه سيقتى وجهه نحو خدمته ومتحرك نحو إحباط إدارة الفالار وتخطيم كل من يطيعهم. هذا ما يعرفه سادة الغرب جيداً، لذلك فعندما أبعاد مورغوث إلى الفراخ، عقدوا مجلساً يتعلق بالعصور والأزمة اللاحقة، فاستدعوا إيلدار للعودة إلى الغرب. وأولئك الذي أصغوا للاستدعاء من إيلدار سكنوا في جزيرة إيريسيا. هناك في تلك الأرض مرفأ يدعى أقالوني، وهو من أقرب المدن إلى فالينور. ويرج أقالوني هو أول شيء يراه الملاحون على بعد فراسخ كثيرة من البحر عندما يقترّبون من الأراضي الأبدية. أعطيت مكافأة عظيمة لآباء البشر الثلاثة المخلصين، فقد سار إيونوي بينهم وعلمهم الحكمة وأعطاهم قوةً وحياءً أكثر تحملاً من الآخرين، أكثر من تلك التي يمتلكها الآخرين من الجنس الفاني. وجهمز لإيدايين أرضاً لتكون مسكناً لهم. هذه الأرض ليست جزءاً من فالينور ولا من الأرض الوسطى، فقد فصل بين هذه الأرض وبينهما البحر الواسع، على الرغم من أنها كانت أقرب إلى فالينور. رُفعت هذه الأرض من أعماق المياه الكبرى بواسطة أوسي، وقام أوليي بتثبيت أساماتها، ثم قامت ياقانًا بإحصائها. وجلب إيلدار إليها الأزهار والنافورات من تول إيريسيا. سمى الفالار تلك الأرض أندور، أي أرض الهدية. وأشرق نجم إيارينديل يلمع في الغرب كدليل على أن تلك الأرض أصبحت جاهزة، ومرشداً إليها عبر البحر. تعجب البشر كثيراً لرؤية ذلك اللهب الفضي على دروب الشمس.

أبحر إيدايين على المياه العميقة يتبعون ذلك النجم. وجعل الفالار البحر مسالماً لهم، فبعثوا لهم نور الشمس وأرسلوا الريح لعدة أيام. لذلك فقد تألقت المياه بعيون إيدايين مثل الزجاج

المتنوع، وتتطير الزبد أمام سفنهم كالثلج. وكان روئينزيل لامعاً جداً، حتى في الصباح كان البشر يستطيعون رؤيته في الغرب كالومضات، وفي الليالي المعتمة كان روئينزيل يشرق لوحده، لأنه لم يكن هناك أي نجم آخر بجانبه، لذلك وجهوا طريقهم نحوه مباشرةً. وأخيراً وصل إيلداين بعد أن قطع فراسخ طويلةً عبر البحر، فشاهدوا الأرض التي وعدوا بها، أندور أرض الهدية، تلمع في السديم الذهبي. ثم نزلوا من البحر إلى الأرض، ووجدوا بلاداً جميلةً ومشرقة فكانوا مسرورين. سمو تلك الأرض إيلينا ومعناه أجنحة النجوم. وتدعى أيضاً، أنادوني، أي الغربية. وهي التي تدعى نوميونور في لغة إيلدارين العالیه.

هذه كانت بداية أولئك الناس، وفي لغة الجان الرماديين كانوا يسموهم دونادانين، النوميونوريون، ملوكُ بين البشر. لكنهم بالتالي لم يفلتوا من قدر الموت الذي وضعه إلوقاتار على البشرية جمعاء. فمازالوا يعتبرون من الفانيين. مرت سنين طوال قبل سقوط الظل فوقهم ولم يعرفوا المرض. لذلك نموا بالحكمة والجد فكانوا في كل شيء أشبه بالأيناء الأوائل (الجان). منهم إلى أقربائهم الآخرين من البشر. فقد كانوا طوال القامة، أطول من أطول أبناء الأرض الوسطى. وكان الضوء في عيونهم مثل النجوم الساطعة. لكن أعدادهم ازدادت ببطء في هذه الأرض، مع أنهم أُنجبوا أبناء وبنات أجمل من آباؤهم لكن أعدادهم كانت قليلة.

منذ القدم كانت المدينة الرئيسية ومرفاً نوميونور في وسط السواحل الغربية وكان يطلق عليه اسم أندونيه لأنه يواجه غروب الشمس. وفي وسط الأرض كان هناك جبلٌ عالي وشديد الانحدار اسمه مينيلتارما، أي عمود السماء. وعلى القمة في أعلى نقطة منه، كرس معبداً لإيرو إلوقاتار، كان هذا المعبد مفتوحاً بدون سقف. ولم يكن عند النوميونوريين معبداً أو مكاناً مقدساً سواه. وعند سفح الجبل بنيت قبور الملوك بشكلٍ باهضٍ على تل أرمينيلوس. فقد كان أجمل من المدن. وهناك بنوا برجاً وحصناً في عهد إيلروس بن إيارينديل، الذي عينه الفالار ليكون الملك الأول لدونادانين.

ينحدر إيلروس وأخوه إيلروند من نسل البيوت الثلاثة لإيلداين، لكن فيهما أيضاً جزء من إيلدار ومن الجار. لأن إيدريل من غوندولين ولوثاين ابنة ميليان التي كانت مقدمة على كل الامهات. بالحققة فإن الفالار غير قادرين على مسح هدية الموت التي فرضها إلوقاتار على البشر. لكن في مسألة نصف الجان فقد منحهم إلوقاتار القرار، ليحكموا بذلك على أبناء إيارينديل بأن يختاروا قدرهم بنفسمهم. وقد اختار إيلروند البقاء مع البكر

(الجان) وقد منحت له حياة الجان، لكن إيلروس الذي اختار أن يكون ملك البشر، فقد بقي عظيماً، وعلى مدى سنوات خصص الكثير منها لبشر الأرض الوسطى. وكل نسله كانوا ملوكاً وأسياداً للبيت الملكي. كانت حياته طويلةً بالنسبة لمقياس النوميوريين. وقد عاش إيلروس خمسمائة سنة، وحكم نوميور أربعمائة وعشر سنين.

هكذا مرت السنوات وتراجمت الأرض الوسطى وهمت ضوؤها وحكمتها، فقد سكن دونادان تحت حماية الفالار وفي صداقة إيلدار، فكانوا متزايدين في العقل والجسم والقوام، ومع ذلك فإن هؤلاء الناس استخدموا لغتهم الخاصة، وملوكهم ومساعدتهم تعلموا وتكلموا أيضاً بلغة الجان، التي تعلموها في أيام تحالفهم. وهكذا أبقوا على التحدث مع إيلدار سواء في إيريسيا أو في الأراضي الغربية للأرض الوسطى. وتعلم سادة العلم بينهم أيضاً لغة العالم المبارك وهي لغة إيلدارين العليا. وهي التي حفظت بها أكثر القصص والأناشيد القديمة التي كانت منذ بدء العالم. وكان لهم الفضل في صناعة المخطوطات والرسائل والكتب، وكتبوا فيها العديد من أشياء الحكمة والعجائب، وكل ذلك بفضل المد العالي من عالمهم الذي نسي كله الآن. لذلك فكل السادة النوميوريون كان عندهم بجانب أسمائهم الخاصة بأسماء بلغة إيلدارين، وكذلك كان الأمر بالنسبة لأسماء المدن والأماكن الجميلة التي أسسوها في نوميور وعلى شواطئ هيثير لاندس.

أصبح دونادان هائلاً في الحرف والصناعة، وما أنهم يمتلكون القدرات العقلية الهائلة، فإنهم سيثفوقون بسهولة على ملوك الشر في الأرض الوسطى في الصناعات الحربية وصياغة الأسلحة. لكنهم كانوا رجال سلام، وأكثر شيء دعموه وساعدوه بفكرهم هو بناء السفن والصناعات البحرية، فكانوا البحارة الذين لم يكن مثلهم أحد منذ أن تناقص العالم. والسفر عبر البحار الفسيحة كانت المفخرة الرئيسية لهم. بالإضافة إلى المغامرة برجال شجعان في أيام شبابهم.

لكن سادات فالينور منعومهم من الإبحار بعيداً نحو الغرب، فلم تعد ترى شواطئ نوميور الغربية من بعيد، بقي دونادان راضياً لمدة طويلة، مع أنهم لم يفهموا المغزى الحقيقي لمنعهم من الإبحار غرباً. فقد كان مقصد مانوي من ذلك، هو كبح مسعى النوميوريين في الاقتراب من العالم المبارك. لكي لا يتجاوزوا الحدود المقررة لنعمتهم. فيصبحوا عاشقين للحلود مثل الفالار وإيلدار وبذلك فإن الأراضي عندها متعاني من كل شيء.

في تلك الأيام كان لا يزال فالينور مرثياً في العالم، وهناك في فالينور سمح إلفواتار للقالار بأن يقفوا على الأرض ويقيموا بأماكن دائمة. كتذكار تحذيري لمورغوث في محاولة إلقاء ضلة على العالم. هذه الحقيقة كان يعرفها النوميوريون جيداً. وأحياناً في الأوقات التي يكون فيها الهواء نقياً والشمس في الشرق، كانوا يلحون في البعيد للمدينة الغربية مشرفةً بالبياض على الشواطئ البعيد، والميناء والبرج العظيم. فقد كانت أعين النوميوريين ترى للبعيد. حتى هذا المشهد لم يكن يراه من بينهم إلا أصحاب العيون الناقبة النظر، وربما يجب أن ينظروا من مينيلتارما أو من بعض السفن العالية التي قد تقترب من شواطئهم الغربية، بقدر ما كان يسمح لهم القانون بالذهاب إلى الغرب. لأنهم لم يتجرأوا على كسر الحظر المفروض من قبل أمياد الغرب. لكن الحكماء من بينهم عرفوا بأن تلك الأرض البعيدة لم تكن في الحقيقة هي فالينور أرض العالم المبارك، بل كانت أقالوني. وهو مرفأ لإيلدار على أرض إيريسيا وهي تقع في أقصى شرق الأراضي الأبدية. ومن هناك لا يزال البكر (الجان) في بعض الأحيان، يبحر إلى نوميور في مراكب بدون مجاذيف، وهذه المراكب كانت مثل الطيور البيضاء التي تطير من مغرب الشمس. فقد جلبوا معهم إلى نوميور الكثير من الهدايا. كالطيور المغردة، والزهور العطرة، والأعشاب العظيمة المزاياء، وجلبوا أيضاً شتلة كيلبيورن، وهي الشجرة البيضاء التي نمت وسط إيريسيا. وذلك كان تحولاً في حياة شتلة غالايليون، شجرة تونا، وهي نسخة عن تيليريون التي أعطتها ياقانا إلى إيلدار في العالم المبارك، وهذه الشجرة كانت قد نمت وأزهرت في ساحات الملك في أرمينيلوس، وسميت نيملوث. فقد كانت تزهر في المساء وعملاً ضلال الليل يعطرها.

وبسبب حظر القالار المفروض على إبحار دونادان باتجاه الغرب. فقد ذهب دونادان برحلات بحرية كثيرة. فمن أقاصي الشرق، إلى ظلام الشمال وحرارة الجنوب وما بعد الجنوب إلى الظلام الأسفل. ووصلوا إلى البحار الداخلية، وأبحروا حول الأرض الوسطى، فلمحوا من خلال مقدمات سفنهم العالية أبواب الصباح في الشرق، وأحياناً وصل دونادان إلى شواطئ الأرض الرائعة. وتأسفوا لحال العالم المنبوذ في الأرض الوسطى، ووضع سادات نوميور أقدامهم ثانيةً على الشواطئ الغربية للأرض الوسطى في السنوات المظلمة من تاريخ البشر. لكن لم يتحاسر أحد على مقاومتهم. لأن غالبية البشر في ذلك العصر كانوا واقعين تحت الظل وكانوا عاقفين وضعفاء. وكان مجيء النوميوريين بينهم قد علمهم الكثير من الأشياء. لأنهم كانوا قد أحضروا معهم الخنطة والنبيد. وعلموا البشر على طحن

الحبوب وقطع الخشب وتشكيل الحجارة، وتنظيم الحياة في أراضي الموت السريع والنعمة القليلة.

من بعدها ارتاح أهل الأرض الوسطى، ومن هنا وهناك وعلى الشواطئ الغربية عاد المشردون من الغابات، ونفض البشر عنهم نير ذرية مورغوث وتناسوا رهبة الظلام. وبجلوا ذكرى ملوك البحر طوال القامه. وعندما غادروهم سموهم آلهة وتمنوا عودتهم. لم يدم سكن النومينوريين طويلاً في الأرض الوسطى، ولم يجعلوا لهم هناك مستعمرة فهم يجب أن يحجروا نحو الشرق. لكن قلوبهم تنو دائماً إلى الغرب.

مع مرور السنوات نما لدى النومينوريون شوق كبير إلى المدينة الأبدية التي رأوها من بعيد. وازدادت لديهم الرغبة بالخلود والبقاء والهروب من الموت. أيضاً ازدادت قوتهم ومجدهم بشكل كبير فازداد معه القلق والاضطراب. مع أن الفالار كان قد كافأ دونادانين بحياة طويلة، لكن هذه الحياة الطويلة لم تستطع أن تأخذ معها المعاناة والتعب، فلا مفر في نهاية المطاف من قدر الموت. حتى ملوكهم الذين هم ذرية إيارينديل واجهوا قدر الموت. مع أن حياتهم الطويلة كان مداها قصير بالنسبة لإيلدار. وهكذا سقط الظل فوقهم، وسبب ذلك ربما لأن إرادة مورغوث مازالت قادرة على الحركة ضمن العالم. تذر النومينوريون من هذا القدر في بادئ الأمر بقلوبهم، وبعد ذلك صرحوا بالكلام المباشر، ضد قدر البشر، والأهم من ذلك ضد الحظر الذي ناههم عن الإبحار نحو الغرب.

وقالوا فيما بينهم: لماذا يجلس سادة الغرب هناك بسلام دائم، بينما نحن هنا يجب أن نموت ولا نعرف إلى أين سنذهب. مغادرين أوطاننا وكل ما عملناه؟ حتى إيلدار الذي تمرد وثار ضد سلطنتهم أيضاً لا يموت. فلقد قهرنا كل البحار، ولا يوجد ماء متوحش أو واسع إلا وتستطيع سفننا أن تتغلب عليه، فلماذا لا يجب علينا الذهاب إلى أقالوني ونحبي أصدقاءنا هناك؟

قال بعض من كان هناك بينهم: لماذا يجب علينا أن لا نذهب إلى أمان وتذوق هناك حتى لمدة يوم واحد نعمة وبركة سلطات أربا؟ هل لم نصبح هائلين يعد بين شعوب أربا؟ نقل إيلدار فحوى هذا الكلام إلى الفالار، وكان مانوي مكتئباً لرؤية الغيوم تتلبد فوق قمة مجد نومينور. فأرسل الرسل إلى دونادانين، ليتكلموا بمجدية مع الملك ومع كل من يستمع إليهم، بخصوص المصير وصياغة العالم.

فقال الرسول: قدر العالم بيد واحد أحد هو وضعه وهو غيره. أما بالنسبة إلى العالم المبارك فكان لهم ذلك. ففي تلك الرحلة البحرية حيث تجوتم من الخداع والفخاخ ووصلتم فعلاً إلى أرض أمان العالم المبارك. فالتقليل ينفعكم. لأنها ليست أرض مانوي هي التي تجعل شعبها من الخالدين. لكن الخالدون هم الذين يقادسون الأرض والمكان حيث يسكنون. وإذا أصبحتم هناك فإنكم مستذبون وتتعبون قريباً، كالعث في الضوء القوي الصامد.

سأله الملك: حتى جدي إيارينديل الحي، أم هو لا يعيش في أرض أمان أيضاً. فأجابوه: أنت تعرف بأن إيارينديل لديه مصير مستقل، وهو محكوم بمصير البكر (الجان) الذين لا يموتوا. وأيضاً فإن قدره يحكم عليه بعدم العودة أبداً إلى الأراضي الفانية. بينما أنت وشعبك لستم من البكر (الجان) فأنتم بشر هالكون، كما خلقكم إلوقاتار. رغم ذلك يبدو بأنك ترغب بأن يكون عندك الصفات الجيدة لكلا الشعبين (الإنس والجان). لكي تحمر إلى فالينور متى تريد، وتعود إلى بيتك كما يحلو لك. لكن ذلك لا يمكن أن يكون. ولا يمكن للفالار أن يأخذ منكم هدية إلوقاتار. وأيضاً أنت تقول بأن إيلدار بدون عقاب وحتى أولئك الذين تمردوا على السلطات لم يموتوا. رغم ذلك فهذه ليست مكافأة ولا عقاب، لكن استكمالاً لوجودهم، فلا يستطيعون الهرب، بل سيقتلون مرتبطين بهذا العالم. فلا يغادرونه طالما بقوا على قيد الحياة، فإن حياتهم هي مسؤوليتهم. وقلت بأن البشر يعاقبون على التمرد. وتقول لك بأنه لديك حصّة صغيرة وهي الموت، لكن الموت في البداية لم يكن محمداً على أنه عقوبة بل هدية. وهكذا فأنت يمكن أن تمرب وتترك العالم، فأنت غير ملتزم به منتظراً بالأمل والضجر. لذلك فلا يجب علينا أن نحسد الآخرين.

فأجابهم النوميوريون: لماذا لا يجب أن نحسد الفالار، أو حتى أن نحسد الخالدين؟ لأنه مطلوب منا فقط الثقة العمياء، والأمل غير المضمون. مع العلم أننا لا نعرف ما ينتظرنا بعد فترة قصيرة. وبالرغم من كل ذلك فأنا نحب الأرض أيضاً ولن نفرط بها.

ثم قالت الرسل: في الواقع فإن توجهات عقل إلوقاتار المتعلقة بكم، غير مكشوفة للفالار. فهو لم يكشف عن كل الأشياء التي ستأتي. لكننا نتمسك بها عندما تصبح حقيقة، فإن بيتكم ليس هنا ولا في أرض أمان ولا في أي مكان ضمن دوائر العالم. وقدر البشر أن يموتوا ويغادروا. وفي البدء كانت تلك هدية لكم من إلوقاتار، ثم أصبحت تجلب لكم الحزن

وذلك فقط بسبب مجيئكم تحت ظل مورغووث، فبدا لكم بأن الموت محاط بظلمة عظيمة وأصبحتم منه خائفين. فلما لدى البعض منكم عناد وفخر وعدم تقبل لهذه الهدية، ويقوا هكذا حتى شُلبت منهم حياتهم وماتوا. نحن الذين نتحمل أُنْقَال السنين المتزايدة ولا نفهم ذلك بشكل واضح. لكن إذا عاد ذلك الحزن لإزعاجكم كما تقولون، عندها ستخافون من ظهور الظل ثانيةً ويعود للنمو في قلوبكم. على الرغم من أن دونادايين هو الأتقى بين كل أولئك البشر الذين هربوا قديماً من الظل وقاتلوا ببسالة ضده. ونقول لكم: كونوا على حذر! وإياكم أن تحالفوا إرادة إيرو. ويطلب منكم الفالار بشكل جدي أن لا تخسروا الثقة التي استعدتموها، خشية أن تُكرهوا على ذلك الرباط. وفي النهاية نأمل بأن تكون حتى أقل رغباتكم محققة. لقد وضع إلفاتار محبة أردا في قلوبكم. وهو لا يزرع إلا لهدف، ومع هذا فقد تمضي عصورٌ كثيرة من حياة البشر قبل أن يكون ذلك الهدف معروفاً. وإليكم سيكون الكشف والتوضيح وليس للفالار.

حدثت تلك الأشياء في أيام تار كيرياتان بناء السفن وأيام ابنه تار أتانامير. فقد كانوا رجالاً متكبرين، متلهفين للثروة، قاموا بفرض الجزية على أهل الأرض الوسطى. فكانوا يأخذون منهم بدل أن يعطوهم. وإلى تار أتانامير جاء أولئك الرسل، وكان هو الملك الثالث عشر. ففي أيامه بلغ عمر مملكة نومينور أكثر من ألفي سنة، ووصلت إلى قمة النعمة، لكنها لم تصل بعد إلى قمة القوة. لكن أتانامير كان شقيماً ولم يعط الكثير من الاهتمام لنصائح الرسل. وتبعته الغالبية العظمى من شعبة في ذلك، لأنهم مازالوا يتمتعون الفرار من قدر الموت في أيامهم، ولا يريدون انتظار الأمل. عاش أتانامير عمراً مديداً، وقد تشبث بالحياة وانغمس بملذتها، وهو الأول من بين النومينوريين الذي سار على هذا المنوال، ورفض المغادرة حتى بعد أن أصبح خرفاً ومهجوراً، فأنكر تسليم منصب الملك إلى ابنه في آخر أيامه. لأن عادة سادات نومينور كانت هي الزواج المتأخر من حياتهم الطويلة، ومغادرة العرش وترك السلطة إلى أبنائهم عندما يصبح الأبناء كاملين الجسم والقوام والعقل.

بعد أتانامير أصبح تار أنكالييمون بن أتانامير ملكاً، وكان يشبه أباه بالعقل، وفي أيامه انقسم شعب نومينور إلى حزبين. كان الحزب الأكبر بينهم هو حزب رجال الملك، وكانوا متكبرين وابتعدوا كثيراً عن إيلدار. أما الحزب الثاني فهو الأقل عدداً وكان اسمه إيلينديلي، أصدقاء الجان. وعلى الرغم من كل شيء فقد بقوا موالين للملك وبيت إيلروس، وكانوا يرغبون بالمحافظة على الصداقة مع إيلدار. وأصغوا إلى نصائح سادات

الغرب، لذلك سمو أنفسهم المخلصون. مع أنهم لم يتهربوا من مأساة شعبهم بشكل كامل وبقوا قلقين من التفكير بالموت.

هكذا تناقصت البركة الغريبة. لكن القوة والعظمة ازدادت لكل من الملوك والشعب، ولم يتركوا الحكمة بعد. وإذا كانوا يحبون الفلار قليلاً فمازالوا يهابونهم، ولم يتجرأوا وبشكل مفضوح على كسر الحظر أو الإبحار خلف الحدود المعينة. فمازالوا يحرون بسفنهم الطويلة إلى الشرق. لكن خوفهم من الموت زاد من الظلام فوقهم. فحاولوا تأخير القدر بكل الوسائل التي يملكونها، لذلك بدأوا بتشييد أبنية عظيمة لموتاهم، بينما عمل حكامهم بشكل مستعمر على محاولة اكتشاف سر استعادة الحياة. أو على الأقل إطالة أيام حياة البشر. رغم ذلك فلم ينحزوا فقط إلا فن تحنيط أجساد الموتى، ومالأوا الأرض بالقبور الصامتة، التي كان فكر الموت فيها محفوظاً في الظلام. لكن أولئك عاشوا بشكل مغاير وبلهفة أكثر للسرور والمرح واغبين دائماً بالزيد من السلع والغنى. وبعد أيام حكم تار أنكاليون، أهملت أول وصايا إيرو. ونادراً ما كان يذهب البشر للقناديس على مرتفعات مينيلنارما في وسط الأرض.

منذ أن كان الغرب محرماً عليهم. فقد اعتاد النوميوريون على بناء الأبراج القوية والموانئ الكبيرة، وفي ذلك الوقت أيضاً، أنشأوا مستوطنات كبيرة خارج أرضهم، وأول ما ابتدأوا به كان على الشواطئ الغربية للأراضي القديمة. لأن أرضهم ضاقت بهم، ولم يقنعوا أو يشعروا بالراحة في ذلك المكان، ولرغبتهم في السيطرة والتملك وسيادة الأرض الوسطى. وافق كثيرون منهم على السكن في تلك المستوطنات، لكنهم ظهروا كسادسة مسيطرين يسعون لكسب المديح والتبجيل، بدل من أن يظهرهم كمساعدين ومعلمين. وكانت سفن النوميوريين العظيمة تبحر شرقاً مع الرياح وتعود بالكثير من الحمولات والثروة. فازداد ملكهم قوة وفخامةً. فشربو وتمتعوا وكسوا أنفسهم بالفضة والذهب.

في كل هذه الأعمال كان نصيب حزب أصدقاء الجان صغيراً جداً، فقد ذهبوا لوحدهم إلى الشمال، وبالتحديد إلى أرض غيل غالاد، حافظين عهد صداقتهم مع الجان ومساعدتهم لهم في القتال ضد ساورون. وكان مرفأهم بيلارغير فوق منابع أندوين العظيم. لكن حزب رجال الملك أبحروا بعيداً نحو الجنوب، وتركت القلاع والسلطة التي صنعوها هناك الكثير من الإشاعات في أساطير البشر.



ظهر ساورون ثانيةً في هذا العصر في الأرض الوسطى. فكبر وعاد إلى الشر الذي رياه عليه مورغووث، وأصبح من أقوى خدمه. وفي زمان الملك الحادي عشر لنومينور تار ميناستير. حصّن ساورون أرض موردور وبني هناك برج باراد دور، وفيما بعد جاهد دائماً لسيادة الأرض الوسطى، لكي يصبح ملكاً على كل الملوك وإلماً للبشر. كره ساورون النومينوريين بسبب أفعال آباؤهم وتحالفهم القديم مع الجان وولاءهم المطلق للقالار، ولم ينسّ المساعدة التي قدمها في القلم تار ميناستير إلى غيل غالاد. وفي ذلك الوقت كان قد صاغ الخاتم الأوحده، وكانت هناك حرب بين ساورون والجان في إيريدور. أما الآن وقد علم بأن ملوك نومينور ازدادوا قوةً وعظمةً. فازداد كرههُ لهم وخاف أن يغيروا على أراضيهِ، ويسحبوا منه سيادة الشرق. ولوقت طويل لم يتحاصر على تحدي سادات البحار، فانسحب من السواحل.

رغم ذلك فقد كان ساورون ماكراً جداً، ويقال بأن من بين أولئك التسعة الذين تورطوا بالخواتم، كان منهم ثلاثة من عظماء سادات عرق النومينوريين. وعندما ظهر عبيده أولاييري، أي أشباح الخاتم، فقد ازدادت بشكل كبير قوة إرهابه وسيطرته على البشر. وبدأ بمهاجمة الأماكن القوية للنومينوريين على شواطئ البحر.

وفي تلك الأيام ازداد الظل عميقاً على نومينور، وحياة ملوك بيت إيلروس تلاشت بسبب تمردهم، لكن قلوبهم كانت قاسية على الفالار. أخذ الملك التاسع عشر صولجان آباؤه واعتلى العرش وتسمى باسم أدون أكور، سيد الغرب، وأمر بتك لغة الجان ومنع استعمالها في جلساته. على الرغم من أن مخطوطة الملوك والمسماة هيرونومين، مدرجة بلغة الجان العلويين. وذلك بسبب العادة القديمة والتي تخشى الملوك كسرها تماماً. خوفاً من وقوع الشر الآن، فقد اعتبر حزب المخلصين بأن هذا اللقب يبدو فخوراً أكثر من اللازم، لكونه لقب الفالار. أما قلوبهم فقد اجتازت اختباراً صعباً بين ولائهم لبيت إيلروس وبين تبجيلهم للسلطات المحددة. لكن الاسوأ لم يأت بعد. لأن آرغيميلزور الملك الثاني والعشرين كان هو العدو الأكبر للمخلصين. وفي أيامه لم يخدم الشجرة البيضاء وبدأت بالذبول، ومنع تماماً استعمال لغة الجان، وعاقب كل من رحب بسفن إيريسيا التي مازالت تجيء سراً إلى الشواطئ الغربية للأرض.

في الأغلب سكن أعضاء حزب ايلينديلي في المناطق الغربية لنومينور، لكن آرغيميلزور أمر بأن كل من يُكتشف بأنه من هذا الحزب، يرحل من مكان إقامته في الغرب ويسكن في

شرق الأرض. وهناك كانوا مراقبين، وكان المسكن الرئيسي للمخلصين في الأيام اللاحقة قريباً من ميناء روميننا، فأبحر كثيرون من هذا الميناء إلى الأرض الوسطى، قاصدين السواحل الشمالية، حيث أنهم مازالوا يتكلمون مع إيلدار الذين في مملكة غيل غالاد. هذا الأمر عرفه الملوك لكنهم لم يمانعوه طالما أن ايلينديلي غادر أرضهم ولن يرجع إليها أبداً. لأنهم رغبوا في إنهاء كل الروابط التي تربط بين الناس وإيلدار من إيريسيا. والذين كانوا يسموهم جواسيس الفالار. على أمل أن تبقى أعمالهم ومجالسهم مخفية عن سادات الغرب. لكن كل ما فعلوه كان معلوماً لماني، وكان الفالار غاضبين على ملوك نومينور. ولم يقدموا لهم النصيح والحماية فيما بعد. ولم تأتي فيما بعد سفن إيريسيا من مغرب الشمس وأصبحت مرفأى أندونيه مهجورة.

الأعلى شرقاً بعد بيت الملوك كانوا سادات أندونيه. فهم من نسل إيلروس. وبيديتهم تنحدر من سيلماريان بنت تار إيلينديل الملك الرابع لنومينور. كان هؤلاء السادة موالين للملوك، وكانوا يحلوهم كثيراً. وكان سيد أندونيه دائماً من بين المستشارين الرئيسيين لمجلس الصولجان. رغم أنهم منذ البداية حملوا حياً خاصاً لإلدار وتقديس الفالار. وعندما نما الظل قاموا بمساعدة المخلصين بقدر ما استطاعوا. لكنهم ولمدة طويلة لم يعنوا عن أنفسهم صراحةً، فكان سعيهم مع المستشارين الأكثر حكمةً بدلاً من أن يعدلوا نفوس أقطاب الصولجان.

كانت هناك سيده تدعى إنزيبيث مشهورةً بجمالها، وأمه كانت ليندوريه أخت إيريندور سيد أندونيه في أيام آرماسكالثور أبو آرغيميلزور. وقد اتخذها آرغيميلزور زوجةً له، رغم كل هذا فقليلاً ما كان يروق لها، لأنها في قلبها كانت من حزب المخلصين، لكونها متعلمةً من والدتها. لكن الملوك وأبنائهم يمدون بالفخر وعلى إنكار الرغبات. فلم يكن الحب موجوداً بين آرغيميلزور وزوجته الملكة، أو بين أبنائها. فالكبير إنزبلادون كان مثل أمه في العقل وفي الجسم، لكن غيميلخاد الأصغر فقد ذهب مع أبيه، إلا أنه كان أكثر غطرسةً وعناداً من أبيه. وإليه أراد آرغيميلزور أن يهب الصولجان بدلاً من الابن الأكبر لو سمحت له القوانين بذلك.

لكن عندما تسلم إنزبلادون الصولجان. اتخذ لنفسه لقباً بلغة الجان، كما في التقاليد السابقة. وسمى نفسه تاريلانثير. لأنه كان بعيد النظر في العين والقلب. حتى الذين كرهوه خافوا من كلماته لأنها تنبؤات صحيحة. وأيضاً كان قد منح السلام لحزب المخلصين.

وأعاد مواسم تقديس إيرو على مينيلتارما. الذي كان قد مُنجر في عهد آرغيميلزور. وخدم الشجرة البيضاء ثانية بالشرف، وتنبأ قاتلاً: عندما تموت الشجرة ينتهي نسل الملوك. لكن توبته كانت متأخرة جداً لتهدئة غضب الشالار بسبب وقاحة آباءه، وعدم توبة الجزء الأكبر من الشعب. وكان غيميلخاد فضأً وقوياً. فتسلم قيادة حرب رجال الملك وعارض إرادة أخيه بشكل سافر وبتحراً عليه. وكانت أكثر الأمور لحد الآن بشكلٍ مسري. وهكذا أصبحت أيام تاريلانتير مظلمة من الحزن، فكان يصرف معظم وقته في الغرب، يصعد في أغلب الأحيان إلى البرج القديم للملك ميناستير على تلة أوروويت القريبة من أندونيه. وهناك كان يحدق إلى الغرب متأملاً رؤية بعض الأشرعة القادمة من الغرب عبر البحر، لكنها لم تأت أي سفينة ثانية من الغرب إلى نوميور. وحبب أقالوبي بالغيوم.

مات غيميلخاد بعمر سنتان قبل المئة ( وهو أكثر موت مبكر في سلاله إيلروس منذ نشأتها وحتى ثلاثيتها)، لكن هذا لم يجلب أي سلام للملك. لأن فارازون بن غيميلخاد كان رجلاً عصبياً جداً وتواقاً للثروة والسلطة أكثر من أبيه. وفي أغلب الأحيان كان يرحل لخارج الديار، كزعيم للحروب التي عاضها النوميوريون في سواحل الأرض الوسطى، ساعياً لتمدد سلطاتهم على البشر. وبهذا كسب صيتاً عظيماً كقائد في البر والبحر، لذلك عندما عاد إلى نوميور، وسمع بموت أبيه، استدارت قلوب الشعب نحوه لأنه كان قد جلب معه ثروة عظيمة، وكانت عطاءاته للشعب كثيرة.

في ذلك الوقت مات تاريلانتير بعد أن أرقه الحزن. ولم يكن لديه ابن ذكر بل كانت لديه بنت فقط واسمها ميريل بلغة الجان. وحسب قوانين النوميوريين، يحق لها اعتلاء الصولجان. لكن فارازون تزوجها رغماً عنها. وهذا فعلٌ شرير، أيضاً شرير في قوانين نوميور التي لا تسمح بمكدا زواج بالإكراه، حتى ولو كان في البيت الملكي، للذين أكثر قراباً من قرابة أبناء العمومة والتي تأتي بالدرجة الثانية. وعندما تزوجها استولى على الصولجان إلى نفسه واتخذ لقب آرفارازون ( تاركاليون في لغة الجان)، وتغير اسم زوجته الملكة إلى آرزيمرافيل.

كان آرفارازون الذهبي فخوراً وأكثر جبروتاً من كل الذين امتلكوا صولجان ملوك البحر منذ تأسيس نوميور. وقد حكم نوميور قبله ثلاثة وعشرين ملكاً وملكة. وهم الآن نائمين في قبورهم العميقة بظلال جبل مينيلتارما، ممتددين على أسرهم الذهبية.

جلس آرفارازون على عرشه المرصع، في مدينة أرمينيلوس بمجد قوته، يطيل التفكير المظلم بالحرب، لأنه كان قد تعلم في الأرض الوسطى من قوة مملكة ساورون، وكراهيته للغربيين.

والآن كان قد رجع إليه رابنة السفن والقادة القادمين من الشرق، فأخبروه بأن ساورون قد فرض سيطرته هناك، منذ عودة آرفارازون من الأرض الوسطى. وراح الآن يضغط باستمرار على المدن الساحلية. وقد اتخذ لنفسه لقب ملك البشر. معلناً عن أهدافه بطرد النوميرويين إلى البحر، وحتى تدمير نوميور. إذا لم الأمر.

غضب آرفارازون كثيراً من هذه الأخبار وفكر كثيراً في سره، فقلبه مملوء برغبة السلطة غير المحدودة، والسيطرة المطلقة لإرادته، فقرر بدون استشارة الثالار، وحتى لم يطلب مساعدة الحكماء بل استبد برأيه. إذ إن لقب ملك البشر هو من يدعيه نفسه ويريد إرغام ساورون على أن يكون خادماً له وتابع. فيسبب كبريائه يعتبر أنه لا يجب أن يظهر ملك ينافس وريث إيارينديل. لذلك بدأ في ذلك الوقت بصناعة وتخزين الأسلحة في مخزن كبير، وبني الكثير من السفن الحربية وحزمتهم مع الأسلحة. وعندما أصبح كل شيء جاهز. أبحر مع جيشه نحو الشرق.

رأى البشر أشرعة قادمة من مغرب الشمس، مصبوغةً بلون قرمزي يلمع بالأحمر والذهب. فوقع الخوف على ساكني السواحل وهربوا بعيداً، لكن الأسطول وصل إلى المكان الذي يدعى أومبار. وهو المرفأ الطبيعي الهائل للنوميرويين، وهو مرفأ طبيعي لم تصنعه الأيدي. كانت الأراضي فارغة وصامتة حول موكب ملك البحر عندما سار في الأرض الوسطى. لسبعة أيام سافر بالراية والبوق حتى وصل إلى تل. فاعتلاه ووضع سرادقه وعرشه هناك، وجلس في وسط الأرض، وخيام جماهيره مصطفةً حوله. زرقاء وذهبية وبيضاء. فكانوا كزهور الحقل الطويلة. ثم بعث الرسل إلى ساورون وأمره بالجيء وتقديم الولاء.

جاء ساورون. حتى من وراء تحصينات برجه العظيم باراد دور. ولم يقدم أي اتفاق بخصوص المعركة، لأنه لاحظ قوة وفخامة ملوك البحر، والتي فاقت كل الإشاعات التي وصلته عنهم. فلم تكن لديه الثقة حتى بأقوى خدمه، من القدرة على مقاومتهم أو الصمود بوجههم. ورأى بأن وقته لم يحن بعد لتصفية حساباته مع دونادايين. فقد كان مأكراً، ومهازراً جداً لكسب ما يريد بالرفقة واللين عندما لا تنفع القوة. لذلك فقد تواضع أمام آرفارازون، وصقل كلامه. فتعجب البشر منه لأن كل كلامه كان يبدو عادلاً وحكيماً.

لكن آرفارازون لم ينخدع به بعد، وجاء إلى باله، بأن يأخذه إلى نوميور، ويسكنه هناك كرهينة هو وكل خدمه الذين كانوا معه في الأرض الوسطى. فبقى ساورون هناك محافظاً

على قسمه وولائه. وافق ساورون مكرهاً في ظاهراً الأمر، لكنه وفي سره كان مسروراً. لأن ذلك ينسجم بالحقيقة مع رغباته. عبر ساورون البحر وشاهد أرض نوميونور ومدينة أرمينيلوس في أيام مجدها. فاندعش لكن قلبه كان مملوءاً بالحسد والكراهية.

رغم ذلك مثلما كان الخداع في عقله كذلك كان بفمه، فقد كانت قوة إرادته الخفية. وقبل مضي ثلاث سنوات، أصبح من أقرب المستشارين السريين للملك، لحلاوة التملق التي كانت في لسانه كالعسل، ولمعرفته الكبيرة التي لم تكن مكشوفة بعد للبشر. وبسبب ما ناله من حظوة وإحسانٍ عند الملك فقد تودد له غالبية أعضاء المجلس، إلا واحداً وهو أمانديل سيد أندونيه. ثم جاء التغيير ببطء إلى الأرض، فاضطربت نفوس أصدقاء الجمان بشده، وانقطع الكثيرين عنهم مبتعدين بدافع الخوف. بالرغم من أن الذين بقوا منهم ما زالوا يطلقون على أنفسهم اسم المخلصين. لكن أعدائهم نعتوهم بالمتبردين. أما الآن وقد استحوذ ساورون على إصغاء البشر له، فقد خالف وبالكثير من الحجج، كل العلوم التي علمهم إياها الفالار. وأضاف بأن البشر يعتقدون بأن العالم يتمدد فقط إلى الشرق، وحتى في الغرب تتمدد الكثير من البحار والأراضي لنفوسهما، ففيها ثروات لا تحصى. وما زالت تنتظرن، وإذا كان ينبغي أن نصل أخيراً إلى نهاية تلك الأراضي والبحار. خلف امتداد كل الظلمات القديمة. فخارجها صنع العالم. لأن الظلام وحده هو المقدس، وقد يجعل الرب منه عوالم أخرى لتكون هدايا لأولئك الذين يخدموه. بحيث أن زيادة قوتهم لن تجد نهاية.

وسأله أرفارزون، من هو سيد الظلام؟

تكلم ساورون مع الملك خلف الأبواب المغلقة، وراح يكذب ويقول: أنه هو الذي اسمه لن يكون منطوقاً الآن. لأن الفالار عدوك فيما يخصهم. فقد فرضوا تقديم اسم إيرو الذي ابتكره خيالهم من حماقة قلوبهم. فهم يريدون تقييد البشر بالعبودية لأنفسهم. لأنهم هم الوحي لهذا الإيرو، الذي يتكلم فقط وفق إرادتهم. لكن هو سيدهم وسيؤد في النهاية. وهو سيفتلكم من هذا الوهم، واسمه ميلكور سيد الجميع، مانع الحرية، وهو الذي سيجعلك أقوى منهم.

عاد الملك أرفارزون إلى عبادة الظلام وميلكور سيد ذلك الظلام. وكان في بادئ الأمر سرياً، لكن بعد مدة أصبح بشكل مفضوح وأمام الشعب. ف تبعه بذلك الجزء الأكبر من الشعب. رغم ذلك فما زالت تسكن بقية من المخلصين، كما قيل، في رومينا وفي البلاد

القرية منها، والبعض الآخر منتشرين في الأرض هنا وهناك. وزعيمهم هو أمانديل الذي بحثوا عن قيادته الشجاعة في هذه الأيام الشريرة. كان أمانديل، عضو مجلس الملك، وابنه إيلينديل. وإيلينديل هذا له ولدان هما إيسيلدور وأناريون. كان أمانديل وابنه إيلينديل رباتين عظيمين. وهما من سلالة إيلروس تارمينياتور، رغم ذلك فهما ليسا من البيت الحاكم الذي يعود إليه التاج والعرش في مدينة أرمينيلوس. وفي أيام شبابهما معاً كان أمانديل عزيزاً على فارازون مع أنه كان صديقاً للجان، وبقي في مجلسه حتى مجيء ساورون. أما الآن فقد أقالوه من منصبه، لأن ساورون يكرهه أكثر من الآخرين في نوميونور. لكنه كان نبيلاً جداً، وقائداً بحراً جبار، وذلك ما جعله محمواً بالشرف من قبل الكثيرين من الشعب. فلم يتحاسر لا الملك ولا ساورون على وضع أيديهم عليه لحد الآن.

لذلك انسحب أمانديل إلى رومينا، واستدعى في الحفاء إلى هناك كل من كان يثق به، بأنه من المخلصين. لأنه خشي اشتداد الشر، وكل أصدقاء الجان كانوا في خطر. وسرعان ما حدث ذلك. لأن مينيلتارما هجر نمائياً في تلك الأيام. ومع ذلك حتى ساورون لم يتحرراً على تدنيس المكان العالي. والملك سوف لن يسمح لأي رجل ولو بلوث والألم، من الصعود إليه، حتى أولئك المخلصين الذين أبقوا على الوقتار في قلوبهم. راح ساورون يبحث الملك على قطع الشجرة البيضاء، نيملوث الجميلة، والتي تنمو في قصوره، لأنها نصب تذكري من إيلدار لضوء قالينور.

في البداية لم يوافق الملك على هذا، لأن المعتقدات الأولية تقول بأن مصير بيته مربوط بالشجرة كما تنبأ بذلك تاريلاتير. وهكذا في حماقته وهو الذي يكره إيلدار والفالار. لكنه الآن يتعلق عبثاً بالظلال القديعة لولاء نوميونور. وعندما سمع أمانديل إشاعة الهدف الشرير لساورون، كان الحزن في القلب لمعرفة بالنهاية بأن تلك كانت إرادة ساورون. تكلم مع ابنه إيلينديل وولديه وذكرهم بحكاية أشجار قالينور. فلم يقل إيسيلدور أي كلمة، لكنه خرج في الليل وعمل عملاً، فيما بعد أصبح ذلك العمل مشهور. فلقد ذهب متنكراً لوحده إلى أرمينيلوس حيث قصور الملك التي حرمت على المخلصين، وجاء إلى مكان الشجرة التي منع عنها الجميع يطلب من ساورون. كانت الشجرة محروسةً ليلاً نهاراً بحرس من خدم ساورون. وفي ذلك الوقت كانت نيملوث معتمة ولم تزهر بعد، لأن الوقت كان في أواخر الخريف وقد اقترب الشتاء كثيراً. مرَّ إيسيلدور من خلال الحراس وأخذ من ثمار الشجرة المعلقة عليها واستدار للذهاب، لكن الحارس انتبه له وهاجمه فتقاتلا، ثم تمكن

إيسيلدور من الهرب وشق طريقة للخارج مع بعض الجروح. ولأنه أخفى الثمرة فلم يعرف أحد بأنه وضع يده على الشجرة. لكن إيسيلدور بالكاد وصل أخيراً إلى روميننا وسلم الثمرة ليد أمانديل قبل أن تخور قواه، بعد ذلك زُرعت تلك الثمرة بالسر، وكانت مباركة من قبل أمانديل. وفي الربيع نشأت منها نبتة ثم أورقت، لكن عندما تفتحت أول ورقة منها نام إيسيلدور لمدة طويلة مقرباً من الموت. ثم استيقظ ولم تكن هنالك أية آثار لجراحه فقد شفيت تماماً.

لم يحدث ذلك بعد الهجوم مباشرةً. فقد استسلم الملك لإرادة ساورون وقطع الشجرة البيضاء. وانتقل مبتعداً تماماً عن ولاء آبائه. لكن ساورون كان المسبب في بناء الذهبي، وهو معبد هائل على تل في وسط أرمينيلوس مدينة النومينورين. كانت قاعدته بشكل دائري، وسماكة جدرانه خمسون قدماً، وعرض القاعدة غير مركز الدائرة خمسمائة قدم. أما جدرانه فقد ارتفعت خمسمائة قدم عن مستوى الأرض. وتوجوه بقبة هائلة مغطاة كلها بالفضة، ارتفعت متألّمة بالشمس، وكان يريق ضوءها يرى من بعيد جداً. لكن بعد حين أظلم ضوءها، واسودت فضتها، بسبب وجود مذبح للنار في وسط المعبد وفي أعلى القبة كانت الفتحة التي يخرج منها الدخان الكثيف. وأول شخص أوقد على ذلك المذبح كان ساورون ومن خشب نيملوث المقطوع. ففقطق خشبها في النار وكان مستهلكاً. استغرب البشر من الأجرة التي صعدت منها، فقد بقيت الأرض تحت الغيم لمدة سبعة أيام، حتى سارت الغيمة ببطء نحو الغرب.

فيما بعد وفي ذلك المعبد ارتفعت النار والدخان باستمرار لأن قوة ساورون تزداد يوماً، وفي ذلك المعبد، مع إراقة الدم والعذاب والفجور العظيم. فقد جعل من البشر قرابين تقدم لملكور، لأنه سيحررهم من اللوت. وفي أغلب الأحيان اختاروا ضحاياهم من أعضاء حزب المخلصين. ولم يتهمهم بشكل مسافر بأنهم لا يعبدون ملكور، مانح الحرية. بالأحرى كان يريد سبباً ضدهم، بأنهم يكرهون الملك وكانوا من المتمردين، أو بأنهم خططوا ضد أقربائهم. كلها أكاذيب مختلفة وسوم، وهذه التهم كانت يغاليتها باطلة. بعد ذلك أصبحت الأيام مريّة. والحدق يولد حقداً.

لكن رغم كل هذا. فلم يرحل الموت عن الأرض. بل بالأحرى كان الموت يأتي مباشرةً وفي أغلب الأحيان سريعاً، وبالكثير من المظاهر المخيفة. فبينما كان البشر الأوائل يكبرون ببطء، ثم يضعوهم أخيراً بعد أن يكونوا قد تعبوا من العالم في نوم أبدي. أما الآن فقد

هاجمهم الجنون والمرض على الرغم من أنهم مازالوا يخافون من الموت، ومن الخروج إلى الظلام، إلى عالم السيد الذي اتخذوه عليهم. فلعنوا أنفسهم من ألهم ومعاناتهم. وأصبح البشر يحملون السلاح دوماً في تلك الأيام، فكان أحدهم يذبح الآخر لأتفه الأسباب، لأنهم أصبحوا سريع الغضب. أما ساورون، أو أولئك الذين كانوا مرتبطين به. فقد استمروا في إعداد الأرض لتكون رجلاً ضد رجل، لكي يتذمر الناس ضد الملك والسادة. أو ضد أي شخص لم يكن معهم. وتحمل رجال السلطة انتقاماً قاسياً.

مع ذلك فقد بدا للنومينوريين وبطول المدة بأنهم نجحوا، مع أن مساعدتهم لم تكن زائدة، رغم ذلك فقد ازدادت قوتهم وأصبح رجالهم من أغنى الأغنياء، فيفضل مساعدة واستشارة ساورون، تضاعفت أملاكهم وصمموا الآلات الميكانيكية. وبنوا السفن الضخمة، وأبحروا بالقوة المدججة بالسلاح إلى الأرض الوسطى. فلم يأتوا إليها كمتقدمي هدايا ولا حتى كحكام بل كغزاة ورجال شرسين تواقين للحرب. فطاردوا بشر الأرض الوسطى وأخذوا متاعهم وبضائعهم واستبدوهم، وذبحوا كثيرين منهم بقسوة على مذابحهم. بالمقابل فقد شيّدوا في الأرض الوسطى في تلك الأيام، القلاع والمعابد والقبور الضخمة. وخاف منهم كل البشر، وحكايات الملوك العطوفين التي كانت تعج فيها في الأزمنة الماضية، تلاشت من العالم الآن، وأظلمت الدنيا بعيون الكثيرين بسبب أحبار الفرع والخوف.

هكذا تحول آرفارازون من ملك من أرض النجم، إلى أعنى طاغية مستبد على مر العصور منذ عهد مورغووث. وبالحقيقة فإن ساورون هو الذي كان يحكم من وراء العرش. ومع مرور السنين أحس الملك باقتراب ظل الموت، ومع ازدياد أيام حياته كان يزداد خوفه وغضبه. وجاءت الآن الساعة التي انتظرها ساورون لمدة طويلة. فتحدث ساورون إلى الملك قائلاً: بأن قوته أصبحت عظيمة الآن، ويجب أن يخضع كل شيء لإرادته وقيادته. ومن لا يخضع يكون مُداناً ومُحْتَمِلاً.

وقال أيضاً: بأن القلار يتكبرون لأنفسهم أرضاً خالية من الموت، وقد كذبوا بخصوص ذلك وأخفوه عنكم بأفضل ما يمكن. بسبب جشعهم وخوفهم من أن يستعيد ملوك البشر مملكة الخلود منهم ويحكمون العالم بدلاً عنهم. مع ذلك وبلا شك، فإن جدارة الحياة لا توهب للجميع بل لمستحقّيها. كان يكون رجلاً شريفاً وعزيزاً ومن سلالة ونسب عريقين، فإنه من غير العدل أن يكون محروماً من هذه الهدية الواجبة. فلا يجب أن يحجب الخلود عن آرفارازون ملك الضربات وأعنى أهل الأرض. والذي لا يمكن أن يقارن به أحد إلا



مانوي وحده. حتى ولو كان، فإن الملوك العظام لا يتحملون الرفض والإنكار ويأخذون ما هو مستحق لهم بالقوة.

جن جنون أرفارازون بإصغائه لهذا الكلام من ساورون. فمشى تحت ظل الموت لأن مدهاه كان ينسحب نحو نهايته، وبدأ بالتأمل في قلبه بأنه يجب أن يشن حرباً على الفالار، فقد كان يهيج لذلك منذ مدة طويلة. ولو لم يتحدث عن ذلك صراحةً إلا أنه لم يكن قادراً على إخفاءه عن الجميع. علم أمانديل بأهداف الملك فأصبح مرعوباً وملك بفرع عظيم. لأنه يعلم جيداً بعدم إمكانية قهر الفالار في الحرب من قبل البشر. وذلك سيحجر الخراب على العالم إذا لم تتوقف هذه الحرب الجنونة. لذلك دعا ابنه إيلينديل وقال له:

الأيام مظلمة وليس هناك أمل للبشر، لأن المؤمنين قلة. لذلك سأتدبر محاولة استشارة كالتي فعلها للملأضي جدنا إيارينديل. وسأبخر للغرب فلا يهيم إن كان هناك منع أو لا، وسأتحدث مع الفالار، وحتى مع مانوي نفسه إذا لزم الأمر وأتوسل مساعدته قبل أن يضيع كل شيء.

فقال له إيلينديل: هل ستخون الملك؟ فأنت تعلم ماهي التهمة التي يسوقونها ضدنا، بأننا خونة وجواسيس. وحتى هذا اليوم كانت غير صحيحه.

فقال له أمانديل: سأخون الملك، إذا اعتقدت بأن مانوي بحاجة لهكذا رسول. لأنه يوجد ولاء واحد للبشر ولا يمكن لأحد أن يكون بريء القلب منه لأي سبب كان. وهذه ليست خيانة بل طلب لرحمة البشر وبخاتم من ساورون المختال. تلك هي ذريعتي، مع أن المؤمنين قلة. أما بالنسبة إلى المنع فأنا نفسي سأعاني من العقوبة، خشية أن يصبح كل شعبي مذنباً.

لكن يا أبي، هل فكرت بما سيحل بأهل بيتك الذين تتزكهم خلفك عندما يعرفون ما قمت به؟

فقال له أمانديل: يجب أن لا يكون هذا الأمر معروفاً، فأنا سأهيج للدخول إلى هناك سرراً، سأبخر للشرق إلى المرافع التي كانت تبحر إليها سفننا يوماً. وبعدها كما تأتي الرياح سأذهب إلى الجنوب أو الشمال، ومن هناك أعود للغرب قاصداً ما قد أجده. أما بالنسبة لك ولبقية الشعب فالرأي عندي، بأن تهيئوا لأنفسكم سفناً أخرى وتضعوا على متنها من كل الأشياء التي لا يمكن الاستغناء عنها، وعندما تكون السفن جاهزة يجب أن تكمنوا في مرفأ رومينا. أخبر الناس عن أهدافك، وعندما ترى بأن الوقت قد حان اتبعني إلى الشرق.

فلم يعد أمانديل عزيزاً على قريبتنا، الذي على العرش فلن يحزن كثيراً لمغادرتنا لمدة أو لفائدة، لكن لا تدعه يعلم بأنك تريد أخذ الكثير من البشر. فقد يضطرب لأنه يحطط للحرب الآن. وهو بحاجة إلى تجميع كل قوة ممكنة. ابحث عن المؤمنين الذين مازالوا متمسكين بالحقيقة، ودعهم يرتبطون بك سرّاً، إن كانوا راغبين بالذهاب معك، وأشركهم في أهدافك.

فقال إيلينديل: وما هي تلك الأهداف؟

أجابته أمانديل: لا تدخلوا في الحرب بل ابقوا منتظرين فقط. وإلى أن أعود لن أقول أكثر من ذلك. لكن هذا يشبه كثيراً، أن تسافر من أرض النجم بدون نجم يرشدك، لأن تلك الأرض مدنسة، وأنتك ستفقد كل من أحببت. فالأوائل الذين سبقونا إلى الموت في الحياة، يسعون للحصول على أرض المنفى في مكان آخر. لكن هل في الشرق أو الغرب وحدهم الغالار يمكن أن يقولوا.

ودع أمانديل كل عائلته، كشخص موشك على الموت، لأنه قال: ربما يثبت بأنك قد لا تراني مرة أخرى، وعندها لن تكون قد ظهرت لي علامة كالتي ظهرت لجدنا إيارينديل منذ زمن بعيد. لكن ابقوا على استعداد دائم. لأن نهاية العالم الذي نعرفه باتت بمنناول اليد.

يشار هنا بأن أمانديل أبحر ليلاً في سفينة صغيرة، متجهاً إلى الشرق ثم استدار واتجه إلى الغرب. وكان قد أخذ معه ثلاثة خدم أعزاء على قلبه، ولم تُسمع أي كلمة أو إشارة عنهم فيما بعد في هذا العالم. ولا توجد أي حكاية أو تخمين عن مصيرهم. فلا يستطيع البشر أن يكونوا آمنين مرة ثانية في مثل هكذا سفارة. لأن خيانة نوميونور من الصعب أن تغتفر.

عمل إيلينديل بكل ما أوصاه به أباه. فكانت سفنه راسية قبالة السواحل الشرقية للبلاد. ووضع المخلصون على متنها زوجاتهم وأولادهم وميراثهم. كان فيها مخزن عظيم للسلع، والكثير من الأشياء الجميلة والقوية، كتلك التي أبدعها النوميونيون أيام حكمهم. من أواني ومجوهرات. ومخطوطات العلوم المكتوبة بالقرمزي والأسود. وسبعة أحجار كان قد أهداهم إياها إيلندار. قاموا أيضاً بنقل الشجرة الصغيرة، التي هي من سلالة نيملوث الجميلة، إلى السفينة، وكان يجرمها إيسيلدور. هكذا تجهز إيلينديل وكان متأهباً. ولم يتدخل في الأعمال الشريرة لتلك الأيام. وبدأ بالبحث عن الإشارة التي لم تأت بعد.

<sup>1</sup> الأحجار السبعة. palantiri. وهي أحجار الرؤية التي أعطها إيلندار إلى أمانديل، وقد نجحت من الشرق وذهبت إلى الأرض الوسطى وقسمت حثالة بين الأخوة فيها بعد: ثلاثة لمملكة الشمال أنور. وأربعة لمملكة الجنوب غوندور.

لذلك سافر سراً إلى الشواطئ الغربية محققاً من فوق مياه البحر. فقد كان الحزن والحنين فوقه لأنه يجب أباه كثيراً. لكنه لم يلمح شيئاً إلا تجمع أساطيل آرفارازون في المرافئ غربي البلاد.

في البداية كان الطقس في جزيرة نوميونور ملائماً جداً لحاجات وميول البشر. فالمطر في مواسمه ومقياس محدد، وأشعة الشمس تارة دافئة وتارة باردة، والرياح تأتي من البحر، وعندما كانت تهب الريح من الغرب، كان يبدو إلى الكثيرين بأنها مملوءةً بعبثٍ يعبرهم بسرعة لكنه حلوا ويشير القلب. كما كانت تعبر النسائم المحملة بأريج الزهور المتفتحة دائماً في شراب العسل الخالد وغير الموجودة على الشواطئ الفاتية. لكن كل هذا تبدل الآن فالسماة نفسها أظلمت وكانت هناك عواصف المطر والبرد في تلك الأيام وأصبحت الرياح عنيفة. ومن الآن وإلى الأبد ستعثر سفن النوميونوريين وتحقق في العودة إلى المرفأ. ومثل هذا الحزن لم يحدث منذ طلوع النجم. فكانت تخرج من الغرب أحياناً غيمةً عظيمةً في المساء. وتكون على شكل نسر ينشر أجنحته إلى الشمال والجنوب. فتلوح في الأفق ببطء كستار يخرج من مغرب الشمس. وبعد ذلك يحل ليل معتم على نوميونور. بعض هذه الغيوم التي على شكل نسور، كانت تحمل برقاً ورعداً تحت جناحيها، راح يتردد صوته بين البحر والغيمة.

ازداد خوف البشر من رؤيتهم لنسور سادات الغرب، فصرخوا قائلين إنها نسور مانوي وهي آتية لتقع على نوميونور. فخزوا على وجوههم ساجدين.

ندم القلة منهم وقرروا التوبة. لكن الآخرين صلبوا قلوبهم ووجهوا قبضاتهم نحو السماء قائلين لقد خطط سادات الغرب ضدنا، وإن كانت ضربتهم هي الأولى، فالضربة القادمة ستكون لنا. هذه كانت كلمات الملك نفسه، لكن المدير لذلك كان ساورون.

ازدادت شدة البرق فقتل عدد كبير من البشر على السلال والمقول وفي شوارع المدينة. وضربت صاعقة نارية قبة للمعبد فقطعت دعائمها إرباً، وأصبح مكللاً باللهب. لكن المعبد نفسه بقي راسخاً. وعلى الذروة وقف ساورون يتحدى البرق ولم يصب بأذى. وفي تلك الساعة دعاه البشر إلهً وفعل كل ذلك كما أراد. لذلك عندما جاء النذير الأخير كان المنتبهون له قلةً. لأن الأرض اهتزت من تحتهم. فكانت تمن لكأنه رعداً أت من تحت الأرض محتلط مع هدير البحر. وانبعث الدخان من قمة مينينتارما. وكل هذه الأفعال جعلت آرفارازون يضغط باتجاه التسليح.

في ذلك الوقت غطت أساطيل النومينوريين البحر غربي البلاد وكانوا مثل أرخبيل من ألف جزيرة، فكانت صواري سفنهم مثل غابة على الجبال، وأشرعتها تحضن الغيم. وكانت رأياتهم ذهبية ومسوداء. وكانوا كلهم بانتظار إشارة آرفارازون. أما ساورون فقد انسحب إلى أعماق دائرة للمعبود. وجلب رجالاً لكي يقدمهم كقرايين على الخرقه.

خرجت نسور سادات الغرب يوم السقوط. وحشدت قواها للمعركة تتقدم في خط إلى النهاية التي تقلصت في الأفق. ونشروا أجنحتهم التي غطت السماء، وكان الغرب من خلفهم يشع متوهجاً باللون الأحمر من تحتهم. كما لو أضيئ بلهب الغضب العظيم. فأثيرت كل نوميونور بالأحمر. كان الرجل منهم ينظر إلى زميله فيرى وجهه أحمر ويظنه محمراً من الغضب.

قوى آرفارازون قلبه وخرج بسفينته القوية الكارونداس، قلعة البحر. والتي تحوي على الكثير من الجحذفين والكثير من الصواري الذهبية الغامقة. موضوع فوقها عرش آرفارازون. الذي كان يلبس درعه وتاجه مما سمح له بأن يرتفع أعلى من مستوى كل من كان حوله، ثم أعطى الإشارة لرفع المراسي، ودوّت أصوات أبواق نوميونور خارجة كالرعد.

هكذا تحركت أساطيل النومينوريين تهدد الغرب. مع أن الريح كانت خفيفة، لكن بوجود الكثير من الجحذفون والكثير من العبيد الأقوياء الذين كانوا يعملون تحت السوط، لم تكن هناك مشكلة في التحرك. غابت الشمس وكان الصمت رهيباً، حال الظلام على الأرض والبحر كان هادئاً، بينما العالم ينتظر ماذا سيحدث. مرت الأساطيل ببطء من أمام نظر المرابطين في المرافىء. حتى بمنت أضواؤها وراحوا مع الليل. وفي الصباح كانوا قد اختفوا. ثم هبت ريحٌ شرقيةٌ نشطة أخذتهم بعيداً، وبذلك يكونوا قد كسروا حظر الفالار المفروض على الإبحار للغرب. وسافروا بالبحار الممنوعة، صاعدين للحرب ضد الخالدين، لكي يسحبوا منهم الحياة الأبدية بالقوة، ضمن دوائر هذا العالم.

خرجت أساطيل آرفارازون من عمق البحر وطوقت أقالوني وكل جزيرة إيريسيا. فراح إيلدار يندب لأن غيمة النومينوريين حجبت عنهم ضوء الشمس. أخيراً وصل آرفارازون حتى أرض أمان، العالم المبارك، وإلى سواحل فالينور. وكان الصمت مطبقاً على كل شيء، فالقدر معلقٌ بحيط رفيع، لأن آرفارازون تردد عند النهاية أو تقريباً تراجع. لأن قلبه توجس عندما نظر إلى الشواطئ العنيفة الصوت. ورأى نبي كويتيل مشرقاً. أشد بياضاً من الثلج، أبرد من الموت والصمت، راسخٌ فظيخٌ كظل ضوء إلفاتار. لكن الآن كان الكريياء سيده،

وأخيراً ترك سفينته وسار على الشاطئ، مطالباً بملكية هذه الأرض، فلم يكن هناك أحد ليدافع عنها. نزل جيش النوميرويين بالقوة الظاهرة حول تلة تونا، حيث كان كل إيلدار قد لاذوا بالفرار.

في ذلك الوقت استدعى مانوي من على الجبل قوة إلوقاتار. وأنزل الفالار حكمهم عن أردا. فأظهر إلوقاتار سلطته عليها. وقام بتغيير مظهر العالم. فُحِثُ هوة كبيرة في البحر بين نوميور والأراضي الخالدة. وتدفقت المياه نازلةً إليها، فارتفعت الضوضاء والدخان إلى السماء، واهتز العالم. ومُحِثُ كل أساطيل النوميرويين إلى أسفل الهاوية. فغرقوا وابتلعهم البحر إلى الأبد. لكن الملك أرفارازون والمحاربون الفانون الذين وضعوا أقدامهم على أرض أمان، فقد دُفِنُوا تحت انخيارات التلال. وهناك من يقول بأنهم مازالوا يقبعون هناك، مسجونون في الكهوف المنسية حتى يحين وقت المعركة الأخيرة ويوم الحساب.

ثم أخذت أرض أمان وأرض إيريسيا من إيلدار، وسحبنا بعيداً وأبعدنا عن إمكانية وصول البشر إليهما مطلقاً. أما أندور أرض الهدية، نوميور أرض الملوك، إيلينا أرض نجيم إيلينديل. فقد دُمِرت عن آخرها. لأنها كانت قرية جداً من الجهة الشرقية للانشقاق العظيم، فانقلبت أسماها، وانحارت وذهبت إلى الظلام، كأن لم تكن أبداً. ولم يبق لآن مكان مسكون على الأرض يحتفظ بذاكرة خالية من الشر. لأن إلوقاتار رمى بالبحار الكبيرة إلى غربي الأرض الوسطى، وأفرغ الأراضي إلى الشرق منها. وخلق أراضي وبحار جديدة. ونقص العالم لأن فالينور وإيريسيا قد سحبنا منه إلى عوا لم الأشياء المخفية.

في ساعة واحدة مفتوحه حل هذا العذاب للبشر. فمِنذُ اليوم التاسع والثلاثين لمرور الأساطيل. انفجرت النار فجأة من مينيلتارما. وأتت ريح هائلة فتزلزلت الأرض واضطربت السماء وانزلت التلال وغرقت نوميور في البحر. بكل أبنائها وزوجاتهم والعداوى وسيداتها الفخורות، وكل حدائقها وقصورها وقبورها وثروتها وجواهرها، وأقمشتها المصبوغة وعلومها، فاختفت نوميور من الوجود إلى الأبد. وفي النهاية غابت كلها في موجة حضراء باردة وأصبح كل مجدها زبداً ورغوة. والملكة تار ميريل، الأجل من الفضة أو العاج واللالئ، تسلفت متمدةً على الأرض، لكن بعد فوات الأوان فقد كافحت لصعود المنحدرات وطرق مينيلتارما الحادة للوصول إلى المكان المقدس، لكن المياه تفوقت عليها وضاع صراعها في هدير الريح.

لكن سواة وصل أمانديل إلى فالينور واستمع مانوي إلى دعائه أم لم يصل، فإن إيلينديل وأبناءه ألقوا من خراب ذلك اليوم بيركة الغالار. لأن إيلينديل بقي في رومينا رافضاً أمر الملك له بالخروج إلى الحرب. ولكي يتحاشى جنود ساورون من أن يقبضوا عليه ويسحبوه إلى نيران المعبد. قام بإبعاد سفينته عن الشاطئ ووقف في البحر ينتظر الوقت. هناك كان جمعياً بالأرض من تيار البحر العظيم الذي سحب كل شيء إلى الهاوية. وبعد أن احتسى من الغضب الأول للعاصفة. لكن الموجة الثانية المفترسة التي طوت الأرض وأبادت نوميونور. كانت قد أغرقته، وأصبح يعتبر أن الموت هو أقل الحزن. لأن ألم الموت لن يكون أكبر من الحسارة والعذاب الذي حدث في ذلك اليوم. لكن ألقاه من الغرق في ذلك اليوم ريح عظيمة، كانت وحشية أكثر من أية ريح عرفها البشر. هدرت من الغرب، فكنت سفنه إلى البعيد ومزقت أشرعتها وكسرت صواريخها. شتت الناس التعساء كالقش على الماء.

كانوا تسعة سفن، أربعة لإيلينديل وثلاثة لإيسيلدور واثنتان لأناريون. كلهم هربوا قبل العاصفة السوداء. خرجوا من ظلام القدر إلى ظلام العالم. فكانت الأعماق ترتفع من تحتهم بارتفاع الغضب، وموجات بحجم الجبال تتحرك بقممها العالية المكلفة بالتلوج، فترفعهم حتى أواسط حطام الغيم. وبعد عدة أيام رمتهم على شواطئ الأرض الوسطى. كل السواحل والمناطق البحرية في العالم الغربي قد تغيرت وعانت من الخراب العظيم. لأن البحار اجتاحت الأراضي وتبددت الشواطئ والجزر القديمة، وظهرت جزر جديدة، وأختارت التلال وتحولت مجاري الأنهار إلى مسارات أخرى جديدة.

بعدها أسس إيلينديل وأبناءه ممالك الأرض الوسطى. فبعلهم وحرفيتهم كانت هذه الممالك تحاكي على نحو كبير تلك المنشأة في نوميونور قبل مجيء ساورون إليها. ومع ذلك فقد بدت عظيمة جداً للبشر البدائيين في العالم. وقيل الكثير عن العلوم الأخرى التي فعلها ورثة إيلينديل في العصر التالي. ونزاعهم مع ساورون الذي لم ينتهي بعد.

خاف ساورون كثيراً من غضب الغالار، ومن العذاب الذي ألقاه إيرو على البر والبحر. فقد كان أكبر بكثير من الهدف التافه الذي كان يتطلع إليه. لأن أقصى آمانيته كانت هي موت النوميونوريين وهزيمة ملكهم المتكبر. كان ساورون جالساً في مقعده الأسود وسط المعبد يضحك عندما سمع صوت أبواق أرفارازون تعلن بدء المعركة. وضحك ثانية عندما سمع دوي العاصفة. وفي المرة الثالثة ضحك عندما فكر بداخله معتقداً أن ما يحدث الآن

في العالم هو بدايةً للتخلص من إيدايين إلى الأبد. فأخذ من وسط فرحه وبهجته وسقط هو ومعبده ومقعدته إلى الهاوية. لكن لم يكن لساورون حسد بشري حتى يفنى بل هيئة على شكل البشر، مع أنها سلبت منه الآن تلك الهيئة وذلك الشكل المعمول بالبشر العظيم. لذلك فلم يعد قادراً أبداً على أن يظهر جليلاً لأعين البشر. رغم ذلك فقد ظهرت روحه من الأعماق وعبرت كظل ربح سوداء على البحر، عاصفةً إلى الأرض الوسطى، إلى موردور، التي كانت هي بيته، وهناك أخذ ثابتهً عاتقه العظيم وسكن في برج باراد دور، مظلم وصامت، حتى أنه أنزل نفسه بمظهر جديد، فقد جعل صورة الحقد والكراهية مرئية، وعين ساورون، قلّةً من يستطيعون تحمل فظاعتها.

لكن هذه الأمور لم تأتي ضمن قصة غرق نوميور، والتي قيل عنها الآن كل شيء. حتى أن اسم تلك الأرض هلك، ولم يتكلم البشر فيما بعد لا عن إيلينا ولا عن أندور الهدية التي ضاعت، ولا عن نوميور التي لم تعد موجودة ضمن حدود العالم. لكن المنفيين على شواطئ البحر، إذا كانوا قد استداروا نحو الغرب تلبية لرغبة قلوبهم. تحدثوا عن حكاية مار نو فالمار. الذي تغلب على هيجان الموج. أكالايت الطوفان. أتالانتي في لغة إيلدارين.

يعتقد الكثيرون من بين المنفيين بأن قمة مينيلتارما، عمود السماء لم تغرق إلى الأبد، لكنها ظهرت ثانيةً فوق الموج، وضاعت كجزيرة منعزلة في المياه الكبيرة. لأنها كانت مكاناً مقدساً. وحتى في أيام ساورون لم يدنسها أحد، والبعض يقول بأن بعض سلاله إيارينديل يحضون عنها هناك. لأنه قيل بين سادة العلم في الزمن القديم، بأن بعيد النظر من البشر كان يمكنهم من قمة مينيلتارما رؤية وميض الأرض الخالدة. لأنه حتى وبعد الخراب فإن قلوب دونادايين مازالت ترنو إلى الغرب، مع أنهم علموا بحقيقة تغيير العالم. وقالوا بأن أقالوني زالت نهائياً من الأرض. وأرض أمان أخذت إلى البعيد. ولا يمكن العثور عليها في هذا العالم حيث الظلام الحالي. مع ذلك لقد كانتا موجودتين، ولذا فهما باقيتان. بوجود حقيقي وبالشكل الكامل كما خلقنا منذ البداية.

لأن دونادايين اعتقد بأن، حتى البشر إذا كانوا مباركين. قد تبدو لهم من تلك القمة مرة أخرى حياة أجساد الفالار، وكانوا تواقين أكثر للهروب من ظلال منفاهم إلى رؤية شيء من ضوء رسم الأشكال التي لا تموت. وبسبب كآبة فكرة الموت فقد سعوا لطردها حتى إلى أعماق البحار. وهكذا فقد كان من بينهم ملاحون عظماء مازالوا يبحثون في البحار الفارغة متمنين الوصول إلى جزيرة مينيلتارما، ورؤية المخلوقات التي كانت هناك. لكنهم لم

يوجدوا شيء، وأولئك الذين أبحروا بعيداً وصلوا فقط إلى الأراضي الجديدة. فوجدوها تشبه الأراضي القديمة. وتخضع للموت. وأولئك الذين أبحروا إلى المناطق الأبعد، لم يضبطوا سوى الحزام المحيط بالأرض وعادوا أحياناً مرهقين إلى المكان الذي انطلقوا منه، وهم الذين قالوا: كل الطرق منحنية ومقوسة.

وهكذا مع مرور الأيام. تعلم ملوك البشر، من رحلات السفن، ومن العلوم ومن حرفة التنجيم. بأن العالم في الحقيقة خلق على شكل كروي. وحتى الآن لا يزال مسموحاً لإيلدار بالمغادرة والعودة إلى الغرب القديم وإلى أقالوني إذا رغبوا بذلك. لذلك فإن سادة العلم من البشر قالوا بأن الطريق المستقيم يجب أن يبقى موجوداً. من أجل أولئك الذين سمح لهم أن يجدوه. وفسروا ذلك بأنه عندما غرق العالم الجديد (نومينور)، فإن الطريق القديم ومسار ذاكرة الغرب ما زالوا سالكين. وهو موجود كحجر ضخم غير مرئي يمر من خلال هواء التنفس وهواء التحليق (وهو الآن منحني كما أن العالم منحني). واجتياز طبقة إيلمين (طبقة الهواء فوق أردا) لا يمكن أن تتحملة الأجسام البشرية دون مساعدة. حتى يصل إلى تول إيريسيا الجزيرة المنعزلة. وربما حتى إلى أبعاد. إلى قالينور، حيث ما يزال الفالار يسكنون هناك، ويراقبون كشف تاريخ العالم. نشأت حكايات وإشاعات على شواطئ البحر بخصوص البحارة والرجال البائسين الذين كانوا على الماء. ومن قبل بعض المصير أو النعمة أو الحماية من قبل الفالار. قد دخلوا في هذا الطريق المستقيم ورأوا وجه العالم منخفض تحتهم. وبالتالي فقد وصلوا إلى منارة للبناء في أقالوني، أو من دون شك وصلوا إلى الشواطئ الأخيرة على حافة أمان. ورأوا هناك الجبل الأبيض، رهيب وجميل. قبل أن يموتوا.





## خواتم القوة والعصر الثالث

### (هنا تصل الحكايات إلى نهاياتها)

في القديم كان ساورون وهو من المايا، وقد سمته قبائل سيندار الذين في بيليريناند، غورثور. في البدء في أرداء، أغواه ميلكور لكي يكون موالياً له، فأصبح الأعظم والمؤمن الأكبر من بين جميع خدم العدو. وكان الأكثر شدة. لأنه يستطيع أخذ أشكال عدة، ولمدة طويلة سيقى وما يزال يستطيع أن يبدو نبيلاً وجميلاً لكي يكون قادراً تقريباً على خداع الأكثر حذراً.

عند انهيار ثانغورودريم وإحراق الهزيمة الساحقة مورغووث، عاد ساورون إلى شكله الصافي ومسجد أمام إيونوي رسول مانوي، مستنكراً ومتبراً من كل الأعمال الشريرة التي قام بها. ويفترض البعض بأن ذلك الأمر في بدايته لم يكن كذباً. بل بالحقيقة إن ساورون كان قد ندم وتاب ولو يدافع الخوف والفرع بعد هزيمة مورغووث والغضب العظيم لسادات الغرب. لكن لم يكن من ضمن صلاحيات إيونوي العفو عن المذنبين. لذلك أمر ساورون بالعودة إلى أمان وهناك سيستلم حكم مانوي. لكن ساورون كان خجلاً وغير راغب بالعودة صاغراً لتنفيذ العقوبة التي سيفرضها عليه الفالار، وقد تكون العبودية لمدة طويلة ليثبت أن توبته حقيقية. لكن ولأنه كان يمتلك قوة عظيمة تحت سلطة مورغووث. لذلك عندما غادر إيونوي، قام ساورون بإخفاء نفسه في الأرض الوسطى. وعاد إلى الشر لأن الروابط الشريرة التي وضعها عليه مورغووث كانت قوية جداً.

\*\*\*

أنشاء للمعركة العظيمة وصخب سقوط ثانغورودريم، فقد كانت هناك تشنجات هائلة في الأرض أدت إلى تكسّر بيليريناند فصار أغلبها قفراً. وغرقت مساحات شاسعة من الأراضي الشمالية والغربية تحت مياه البحر الكبير. وفي الشرق في أوسيريناند تكسّرت أسوار إيريد لوين، وفتحت فيهم فجوة عظيمة باتجاه الجنوب، فتدفقت إليها مياه البحر صانعةً خليجاً

هناك، وإلى هذا الخليج تدفقت مياه نهر لمون<sup>١</sup> نازلةً عبر مسار جديد، لذلك دعي هذا الخليج بخليج لمون. وفي القديم كان تولدور يسمي تلك البلاد ليندون، وحملت هذا الاسم فيما بعد. مازال العديد من إيلدار يسكنون هناك. وهم ياقون هناك غير راغبين بترك بيليرياند، تلك الأرض التي قاتلوا وكدحوا فيها لفترة طويلة. وكان ملكهم هو غيل غالاد بن فينغون، كان يقيم معه هناك في ليندون إيلرون والمان النصف، ابن إيارينديل للملاح، أخو إيلروس أول ملوك نوميور.

بنى الجان على شواطئ خليج لمون مرفأً لهم، وسموه ميثلوند، وإلى هذا المرفأً جلبوا الكثير من السفن لأنه كان ميناءً جيداً. ومن بين كل مرفأى الجان الرماديين مسيحر إيلدار من الآن وحتى نهاية الزمان عبر هذا المرفأً، هارباً من ظلمة أيام الأرض. فبرحة القالار مازال البكر (الجان) قادراً على إيجاد واتباع الطريق للمستقيم والرجوع إن أرادوا للاتحاق بعشائهم في إيريسيا وفالينور خلف البحار المحيطة.

أما الآخرين من إيلدار والذين كانوا هناك، فقد عبروا جبال إيريد لوين في ذلك العصر ومنها عبروا إلى الأراضي الداخلية، حيث كانت غالبيتهم من تيليري والناجين من دوريات وأوميرياند، فأسسوا ممالكهم هناك، بين الجان الفضيين في الغابات وبين الجبال البعيدة عن البحر التي لم يشتاقوا إليها في قلوبهم أبداً. فقط في إيريجين والتي يسميها البشر هولين، عمل الجان الذين هم من جنس التولدورين على تأسيس مملكة دائمة على الجانب الآخر من إيريد لوين. كانت إيريجين قريبة من القصور الكبيرة للأقزام والمسماة عازاد دوم، أما الجان فكانوا يسمونها هاذودرون. وهي التي فيما بعد أصبح اسمها موريا. يسير الطريق الرئيسي من أوست آين إينذيل، مدينة الجان، إلى البوابة الغربية لحازاد دوم. بسبب الصداقة التي كانت تجمع بين الجان والأقزام في تلك الأيام، كما لم يحصل من قبل في أي مكانٍ آخر، وهذه الصداقة أدت إلى إغناء تلك الشعوب. وحرفو إيريجين من غوايث أي ميرداين، الذين كانت حرفتهم صناعة الجواهر. فقد فاقوا في براعتهم كل من عمل في هذه الحرفة. فلم يسبقهم إلا فيانور نفسه، وفي الحقيقة أكثرهم مهارةً كان كيليريمبور بن كوروفين الذي انفصل عن أبيه وبقي في نارغوثرون عندما طردوا كيليجورم وكوروفين، كما قيل في كوينتا سيلماريليان.

<sup>١</sup> لمون. Lhûn. هنا حرف h يكتب ولا يلفظ إلا كهاء التنفس، أي تكتب لمون لكن تلفظ لوون، وكذلك الأمر بالنسبة للكلمات Rhovanion، رهمفانون وتلفظ روفانون، و Rhudaur، رهوداور تلفظ روداور، وهكذا... التي سردت في بعد...

في أماكن أخرى من الأرض الوسطى كانت تعيش بسلاام لعدة سنوات. رغم ذلك فقد كان القسم الأكبر من الأراضي يراري وحشية ومقفرة، إلا المناطق التي جاء إليها أهالي بيليريناند، وفي الحقيقة فقد سكن الكثير من الجان هناك في الماضي لسنتين لا تعد ولا تحصى، يتجولون بحرية في الأراضي الواسعة البعيدة عن البحر. لكنهم كانوا أقاري والتي تنسب إليهم أعمال بيليريناند، لكن الإشاعات وثالينور لم تكن سوى اسم بعيد فقط. وفي الجنوب وفي الشرق الأقصى كان يتواجد بشر ضخام ومعظمهم اتجه إلى الشر. لأن ساورون كان يعمل هناك.

يرى عراب العالم ويقول في قلبه لقد نسي القالار الأرض الوسطى بعد هزيمة مورغوث. فإزاد غروره بسرعة ونظر بالكراهية إلى إيلدار. لكنه كان خائفاً من رجال نوميونر الذين عادوا منذ مدة قصيرة إلى سفنهم إلى شواطئ الأرض الوسطى. ولمدة طويلة كان منافقاً فأخفى أهدافه وتصميمه الشريرة المظلمة التي كان قد صاغها في قلبه.

وجد ساورون بأن إقناع البشر كان أسهل من بقية الأعراق. لكنه حاول ولمدة طويلة إقناع الجان بالانضمام إلى خدمته، معرفته بأن البكر(الجان) كانت لديهم القوة الأعظم، لذلك مشى بينهم بالطول وبالعرض ومازال يسير بينهم بذلك الشكل الجميل الحكيم. فذهب إلى كل مساكن الجان إلا إلى ليندون لم يذهب، لأن غيل غالاد وإيلرون شكاً فيه وعظمه الجميل. مع ذلك فلم يعرفوا حقيقة ذلك الشخص الذي لم يدخلوه إلى أرضهم. لكن في مكان آخر فقد استقبله الجان بالترحاب والسرور. وأصغى بعضهم فقط إلى الرسل التي أتت من ليندون تحذر منه. لأن ساورون كان قد اتخذ لنفسه اسم أناتار، سيد الهدايا. وكسب الجان في البداية الكثير من صداقته. وقال لهم مرة، يالأسف على حالة العجز التي وصل إليها العظماء، الملك الهائل غيل غالاد والحكيم البارح في كل العلوم إيلرون، لحد الآن لم يساعدوني في عمالي. أأكون ذلك لأنهم لا يرغبون برؤية السعادة في الأراضي الأخرى مثل التي في أرضهم؟ لكن لماذا ينبغي أن تبقى الأرض الوسطى مقفرة ومظلمة أبداً. في حين أنه باستطاعة الجان أن يجعلوها جميلة مثل إيريسيا، بل مثل ثالينور؟ وما أنكم لن تعودوا إلى هناك، ربما. وألاحظ بأنكم تحبون هذه الأرض الوسطى، كما أحبها أنا. أوليس من واجبتنا العمل معاً لإغنائها ورفع سوية كل قبائل الجان التي تتجول هنا غير مدركة لقيمة القوة والعرفه التي يمتلكها أولئك الذين خلف البحر؟

كانت آراء ساورون مقبولة أكثر في إيريجين فقد امتضافوه بكل سرور، لأن رغبة تولدور في تلك الأرض كانت دائماً هي زيادة المهارة والدقة في أعمالهم. علاوة على أنه لم يكن السلام في قلوبهم. منذ أن رفضوا العودة إلى الغرب وهم راغبون بالبقاء في الأرض الوسطى التي أحبوها فعلاً. للتمتع بعد بالهناء الذي غادروهم، لذلك أصغوا لساورون وتعلموا منه الكثير من الأشياء، فقد كانت معارفه عظيمة. لذلك تجاوز إيداع حرفيو أوست آين إينذيل في تلك الأيام كل من سبقهم، وتخلوا من الفكر وهم من صنع خواتم السلطة. لكن ساورون كان يوجه أعمالهم، وكان على بينة بكل ما فعلوه. لأن رغبته تكمن بوضع روابط على الجمان وإيقاظهم تحت مراقبته.

صنع الجمان الكثير من الخواتم. لكن بالمقابل صنع ساورون بالسر خاتماً واحداً للسيطرة على بقية الخواتم، وقبضة قوة خواتمهم بقوة خاتمه، لتكون خاضعة كلياً له ومستمرة باستمراره. وضع ساورون في هذا الخاتم الأوحده الجزء الأكبر من قوته وخبثته. وبما أن قوة خواتم الجمان كانت كبيرة جداً، فيجب على الخاتم الذي يحكمهم أن يكون فائق الفعالية. صاغ ساورون هذا الخاتم في جبل النار في أرض الظل. وعندما كان يلبس الخاتم الأوحده كان بإمكانه إدراك كل الأشياء التي تعمل بواسطة الخواتم الأذن، وكان يمكنه أن يرى ويتحكم بأفكار أولئك الذين يلبسون الخواتم الأخرى.

لكن لم يكن الجمان بهذه البساطة ليتم القبض عليهم، فحالما يضع ساورون الخاتم الأوحده في إصبعه كانوا يدركون، ويعرفون من هو، ويعلمون بأنه أسرع منهم وبالتالي سيكون سيداً عليهم وعلى خواتمهم التي صنعوها. لذلك بسبب الغضب والخوف كانوا ينزعوا خواتمهم. أحس ساورون بأنه قد تعرض للخيانة لأن الجمان لم ينخدعوا، فامتلاً بالغضب وجاء ضدهم بالحرب المفتوحة طالباً منهم أن يسلموه كل الخواتم. لأن حرفيو الجمان ما كان لهم أن يبلغوا تلك المهارة لولا علومه واستشارته التي منحهم إياها. لكن الجمان فرّوا منه، وأنقذوا ثلاثة من خواتمهم، حملوها بعيداً وخبأوها.

آخر الخواتم التي صنعت كانت خواتم الجمان الثلاثة، وامتلكت أعظم القوى، النار والماء والهواء، كانت أمماؤها، ناريا (النار)، نينيا (الماء)، فايييا (الهواء). خاتم من النار، وخاتم من الماء، وخاتم من الهواء. مرصعة بالياقوت الأحمر والماس والياقوت الأزرق. ومن بين كل خواتم الجمان فقد رغب ساورون بامتلاك هذه الخواتم الثلاثة. لأنها تحتوي على الاستمرارية والبقاء وعدم الفساد بمرور الزمن، بالإضافة إلى أنهم يؤجلون ملل وإرهاق العالم. لم يستطع

ساورون اكتشفاهم، لأنهم مُسلموا إلى أيدي الحكيم الذي أخفاهم. ولم يحدث أن استعملوهم مرةً بشكلٍ مسافر، طالما بقي ساورون محافظاً على الخاتم الحاكم. لذلك بقيت الثلاثة صافية لا تشوبها شائبة، لأنهم صيغوا من قبل كيليبريمبور لوحده، ولم تمسهم يد ساورون أبداً، رغم أنهم كانوا خاضعين للخاتم الأوحده.

ومنذ ذلك الوقت لم تتوقف الحرب بين ساورون والجان. دُفنت إيريجين وتبددت، ودُبح كيليبريمبور، وأغلقت أبواب موريا. ولم يبق في ذلك الوقت للجان إلا معقل ومأوى إيلادريس. وهي التي يسميها البشر ريفينديل. حيث كان قد أسسها وأنشأها إيلرون نصف الجان، وصمدت لمدة طويلة. بالمقابل اجتمعت في يدي ساورون كل خواتم السلطة الباقية. فوزعهم على بقية شعوب الأرض الوسطى. كان يأمل بالتالي أن يجمع تحت هيئته كل أولئك الذين يرغبون بالقوة السرية للسيطرة. وبعد حساب حجم كل نوع فقد أعطى للأقزام سبع خواتم. وأعطى للبشر تسعة خواتم. لأن البشر أثبتوا في هذه المسألة كما في غيرها بأنهم أكثر قابلية للتشول تحت إرادته. ولأنه كان خبيراً فقد كان يسيطر على كل هذه الخواتم بسهولة أكثر لأنه شارك في صياغتها، وكلهم كانوا ملعونين. بالنهاية خدعت هذه الخواتم كل من استعملها. أثبت الأقزام صعوبة شديدة للترويض، لأنهم كانوا يستأوون من تحمل هيمنة الآخرين. ومن الصعب فهم أفكارهم، ولا يمكن أن يكونوا منقلبين إلى الظلال. لذلك فقد استخدموا خواتمهم من أجل الثروة فقط. لكن الغضب والجنح إلى الذهب أوقد في قلوبهم شراً مما فيه الكفاية لكي يكونوا هم مكاسب لساورون، ويقال بأن أساس الكنوز السبعة للملك الأقزام في القلعة كان خاتم ذهبي. لكن كل تلك الكنوز هُبت منذ زمن طويل والتهمتا الثنائين، وبعض الخواتم السبعة التهمتهم النيران والبعض استرجعها ساورون.

أثبت البشر بأنهم أسهل للترويض من غيرهم، فأولئك الذي استعملوا الخواتم، فقد أصبح التسعة جبارين بين الناس في أيامهم، وهم الملوك، والسحرة، والمحاربين القدماء. فقد حصلوا على الجحد والثروة العظيمة. ثم أدى بهم ذلك إلى خرابهم، فقد كان عندهم على ما يبدو حياة لا تنتهي. رغم ذلك فقد كانت حياة لا تطاق. كان بإمكانهم السير بين الناس غير مرئيين بكل العيون في هذا العالم تحت الشمس. بينما هم يستطيعون رؤية كل الأشياء، حتى تلك التي في العوالم المخفية بالنسبة للبشر الفانيين. لكنهم على الأغلب لم يروا إلا خيالات وأوهام ساورون. واحداً تلو الآخر، عاجلاً أم آجلاً، وطبقاً لقوتهم

الشخصية للخير أو للشر. وطبقاً لميول بداياتهم فقد سقطوا تحت عبودية الخاتم الذي حملوه وتحت سيطرة الخاتم الأوحده الذي كان بيد ساورون، فأصبحوا مخفيين عن أعين الجميع للأبد، إلا عن عيون من لبس خاتم السيطرة. ثم دخلوا عالم الظل، وأصبحوا نازغول، أشباح الخاتم، وهم أفضح خدم العدو. فأينما حلوا يحمل الظلام، وصرخاتهم تأتي مع أصوات الموت.

ازدادت شهوة ساورون وغطرسته حتى أنه لم يعد يعرف أية حدود، فعزم على جعل نفسه سيد كل شيء في الأرض الوسطى، وعلى تحطيم الجان واستيعاب سقوط نوميور إن حدث. فهو لا يطيق حرية ولا منافسة، وسمى نفسه سيد الأرض. مع أنه كان لا يزال باستطاعته ارتداء قناع الحكمة والجمال الذي خلع فيه عيون البشر، إلا أنه أراد أن يحكم بالخوف والقوة. إذا كانا ذا فائدة. وبالنسبة لأولئك الذين أدركوا انتشار ظله على العالم، فقد دعوه السيد المظلم، وسموه العدو. جمع تحت حكمته ثمانية كل الأشياء الشريرة الباقية على الأرض أو تحتها من أيام مورغوث. تكاثر الأوركس تحت قيادته مثل الذباب، هكذا بدأت السنين السوداء، والتي سماها الجان أيام الهروب. ففي تلك الأيام هرب الكثير من جان الأرض الوسطى إلى ليندون، ومن هناك ذهبوا إلى البحار ولن يعودوا إلى الأرض الوسطى ثانية، حيث قضى ساورون وعبيده على الكثيرين منهم. لكن في ليندون مازال غيل غالاد محافظاً على قوته، ولم يتحاصر ساورون لحد الآن على عبور جبال إيريد لوين ولا مهاجمة المرافئ والملاجئ، بفضل المساعدات التي قدمها النوميوريون إلى غيل غالاد. لكن في الأماكن الأخرى فقد ساد ساورون. ومن أراد الحرية فقد لجأ إلى أماكن محصنة في الغابة والجبل. وكانوا دائماً مطاردين بالخوف. أما في الشرق والجنوب فقد اقترب كثيراً من السيطرة على كل البشر. وأصبحوا أقياء في تلك الأيام وبنوا الكثير من البلدان والأسوار الحجرية. فكانت أعدادهم ضخمة وعنيفة في الحرب حيث تسلحوا بالحديد. وعند هؤلاء كان ساورون السيد والإله. وكانوا يخافونه كثيراً، لأنه يحيط منزله بالنار.

وبالتفصيل فقد توقف هجوم ساورون على الأراضي الغربية. كما أخبرنا في حاشية أكالايت، بسبب تمدي جيروت نوميور له. كانت قوة النوميوريين عظيمة جداً فظهروا أمام عبيد ساورون بأنهم القوة التي لا تقهر. لذلك عزم على إتخاذ أهدافه بالخيبة حين لا تستعفه القوة. لذلك ترك الأرض الوسطى لفترة وذهب إلى نوميور كرهينة مع الملك تار كاليون، وسكن هناك، حتى استطاع أخيراً وفي حرفيته من إفساد قلوب غالبية الشعب.

ووضعهم بحالة حرب مع الفالار. حتى أُنجز ذلك الخراب كما رغب بذلك منذ مدة طويلة. لكن ذلك الخراب كان أكثر فظاعة مما تخيله ساورون. لأنه كان قد نسي جبروت سادة الغرب في غضبهم. فتحطم العالم وابتلعت الأرض من كان فوقها وغمرتها البحار. أما ساورون نفسه فقد سقط إلى أسفل الهاوية، لكن روحه خرجت وعادت على ربح مظلمة إلى الأرض الوسطى تبحث عن بيتها. هناك في ستين غيابه نمت وازدادت مسلطة غيل غالاد، وأصبحت عظيمة جداً، وانتشرت على مناطق شاسعة من الشمال والغرب متجاوزة جبال الضباب والنهر العظيم حتى وصلت لحدود الغابة الخضراء العظيمة. وكانت تقرب من أن تكون من أكثر الأماكن القوية والأمنة للسكن. بعدها انسحب ساورون إلى قلعه في الأرض السوداء يفكر ملياً في الحرب.

في ذلك الوقت فإن النوميوريين الذين نجوا من الدمار، هربوا إلى الشرق كما أخبرنا عنهم في أكالايش. وكان زعيم أولئك إيلينديل الطويل وأبناءه إيسيلدور وأناريون، وكانوا من أقرباء الملك ومن أحفاد إيلروس، لكنهم مقاومين لآراء ساورون. وهم الذين رفضوا شرّ الحرب على سادة الغرب. فقد عززوا سفنهم بكل من بقي من المخلصين وغادروا أرض نوميون، قبل وقوع الخراب. كان هؤلاء النوميوريين رجالاً جبابرة ولهم سفن قوية وطويلة، لكن ضربتهم العواصف، وكانت تحملهم عالياً على تلال من الماء حتى أوصلتهم لحدود الغيم. ثم نزلوا على الأرض الوسطى مثل نزول الطيور من العاصفة.

رمى الموج إيلينديل على أرض ليندون، فتصادق مع غيل غالاد ومن هناك عبر بحر هون وأسس مملكته خلف إيريد لوين، وسكن شعبه في العديد من الأماكن في إيريدور حول بحاري هون وباراندوين. لكن مدينته الرئيسية كانت أنوميناس بجانب مياه بحيرة نينويال. سكن النوميوريون أيضاً في فورنوست على السفوح الشمالية. وفي كاردولان. وفي تلال رهوداورو، فنصبوا الأبراج على إميان بيريد. وعلى آمون سول. بقي هناك الكثير من التلال الترابية والأعمال المهدامة في تلك الأماكن، لكن أبراج إميان بيريد مازالت واقفة إلى الآن قبالة البحر.

انتقل إيسيلدور وأناريون للسكن بعيداً باتجاه الجنوب وفي النهاية وصلت سفنهم إلى بحر أندوين العظيم، الذي يتدفق من روفاتيون إلى البحر الغربي في خليج ييلفلاس. وأسسوا في تلك الأرض مملكة وهي التي سميت فيما بعد غوندور، وسميت المملكة الشمالية آرثور. فقبل فترة طويلة وفي أيام قوتهم كان قد أسس ملاحو نوميونو للمرافى والأماكن القوية حول

مصبات نهر أندوين. رغمًا عن أنف ساورون والتي تقع أرضه السوداء على مقربةٍ من جهتها الشرقية. وفي الأيام التالية لجأ فقط المخلصين من تومينور إلى هذا المرفأ الآمن. ولأن غالبية شعوب سواحل البحر في تلك المنطقة كانوا من أصدقاء الجان وشعب إيلينديل، فقد رحبوا بأبنائه. كانت أوسغيلياث هي المدينة الرئيسية في المملكة الجنوبية، يخرقها من الوسط النهر العظيم، بنى بها التومينوريون جسراً عظيماً يرتفع على أبراج وبيوت حجرية رائعة المنظر، دخلت السفن الطويلة قادمة من البحر إلى أرصفة المدينة. وبنوا أيضاً أماكن قوية أخرى على الجهة الثانية. وبنوا على كنف جبال الظل من الجهة الشرقية ميناس إيثيل برج شروق القمر، باعتباره كهديد لموردور. وعند سفح جبل ميندولوين من الجهة الغربية بنوا ميناس أننور، برج غروب الشمس. والذي يعتبر كدرع ضد البشر المتوحشين الذين يجوبون الأودية. كان بيت إيسيلدور في ميناس إيثيل، وبيت أناريون في ميناس أننور. لكنهما تشاركا في المملكة فيما بينهما، حيث كانت العروش موضوعةً جنباً إلى جنب في القاعة العظيمة في أوسغيلياث. تلك كانت مساكن النومينوريين الرئيسية في غوندور. لكنهم بنوا في الأرض أيضاً الكثير من الأعمال الرائعة والقوية في أيام قوتهم. في أرغونات. وفي أغلاروند. وفي إيرينخ. وفي دائرة أنغرينومست وهي التي يدعوها البشر أيسنغارد، فقد عملوا القمم من حجر أورثانك، وهي الأحجار غير القابلة للكسر.

جلب للنفيسون معهم من نومينور الكثير من الكنوز والإرث العظيم والمزايا الحسنة والأعاجيب. ومن بين تلك الأشياء الثمينة والأكثر شهرة كانت الأحجار السبعة والشجرة البيضاء. أما الشجرة البيضاء فهي التي نمت من فاكهة نيملوث الجميلة التي كانت تقف منتصبة في باحات قصور أرمينيلوس في نومينور قبل أن يحرقها ساورون. ونيملوث بدورها منحدره من شجرة تيريون الذي كان على صورة الأشجار القديمة في فالينور، صورة تيلديريون الأبيض الذي أوجدته ياقانًا لينمو في أرض الفالار، والشجرة هي نصبت تذكاري يرمز إلى إيلدار وضوء فالينور. كانت مزروعة في ميناس إيثيل أمام بيت إيسيلدور. بما أنه هو الذي ذهب وحى هذه الثمرة من الزوال. لكنهم تقاسموا الأحجار السبعة بينهم.

أخذ إيلينديل ثلاثة، وكل واحد من أبناءه أخذ حجرين. وضع إيلينديل الأحجار الثلاثة التي كانت من نصيبه على أبراج إميان بيرايذ وعلى أمون سول وفي مدينة أنوميناس. ولكن أولئك الأحجار التي كانت لأبنائه فكانوا في ميناس إيثيل وميناس أننور وفي أوسغيلياث وعلى قمم أورثانك. كانت ميزة هذه الأحجار، أنها تمكن الناظر فيها من رؤية الأشياء



البعيدة سواء كانت بعيدة في المكان. أو بعيدة في الزمان. وبالنسبة للجزء الأكبر من الناس فقد كانت تكشف فقط أشياء قريبة من حجر القبيلة الأخرى، لأن هذه الحجارة كانت متصلة ببعضها. لكن أولئك الذين يمتلكون قوة عظيمة من الإرادة والعقل قد يعلمون كيف يوجهون نظرهم إلى أي مكان يرغبون. فقد أدرك النوميوريون بواسطتها الكثير من الأمور التي كان يخفيها أعداؤهم. ولم يفلت من مراقبتهم في أيام قوتهم إلا القليل جداً.

يقال بأن أبراج إميان بيريد لم تبنى في الحقيقة من قبل منفيي نوميون، بل بناها غيل غالاد من أجل صديقة إيلينديل. وحجر رؤية إميان بيريد كانت موضوعاً في إيلوستريون البرج الأطول. الذي أصلحه إيلينديل ومن هناك كان ينظر إلى بحار الفصل، عندما كان حنين المنفى يحتاج قلبه، وكان يعتقد لرهة بأنه ينظر بعيداً حتى برج أقالوني على إيريسيا، حيث هناك موطن الحجارة الأصلي. فهذه الحجارة كانت هدايا إيلدار إلى أمانديل والد إيلينديل لراحة المخلصين في نوميون بأيامهم المظلمة. في تلك الفترة التي لم يعد الجان يأتون إلى تلك الأرض عندما كانت تحت ظلال ساورون. فأطلقوا عليها اسم باللاتيري، أي المراقبة عن بعد. لكن كل تلك الأحجار التي جلبت إلى الأرض الوسطى ضاعت فيما بعد.

هكذا أسس منفيو نوميون ممالكهم في آر نور وغوندور. ثم مرت عليهم سنين كثيرة قبل أن يعرفوا أن عدوهم ساورون عاد أيضاً. فقد عاد سراً، كما قبل، إلى مملكته القديمة في موردور خلف إيفيل دواث، جبال الظل. وتلك البلاد تتاخم غوندور من الشرق. هناك فوق وادي غورغورث بنى قلعته الواسعة القوية باراد دور، البرج المظلم. يقع في وسط تلك الأرض جبل ناري، يسميه الجان أورودروين. وهو السبب الحقيقي من وراء وضع ساورون لمسكنه في هذه الأرض، لأنه استعمل النار المتدفقة من قلب الأرض في سحره وصياغته. وفي وسط أرض موردور صمم ساورون الخاتم المسيطر. وبقي ساورون محضوناً في الظلام حتى يصنع لنفسه شكلاً جديداً. فقد أصبح مرعباً لأن جمال مظهره غادره إلى الأبد عندما سقط في الهاوية أثناء غرق نوميون. وقد أخذ خاتمه العظيم ثانياً. وكسا نفسه بالقوة والسلطة والحكم، والقلة من بين عظماء الإنس والجان يستطيعون تحمل النظر إلى عين ساورون المملوءة بالخبث.

استعد ساورون لشن حربٍ ضد إيلدار والبشر الغربيين، فأيقظ نيران الجبل ولهذا السبب أصبح دخان أورودروين يرى من بعيد. فيدرك من يراه بأن ساورون قد عاد. أطلق النوميوريون على ذلك الجبل اسماً جديداً وهو آمون أمارث والتي تعني جبل الهلاك. تجمع

لدى ساورون قوة عظيمة من عبيده القادمين من الجنوب والشرق. ومن بينهم كان بعض من الجنس العالي من نوميثور. لأنه في أيام زيارة ساورون لهم، كان قد أغوى الكثيرين منهم فاستداروا نحو الظلام. لذلك فغالبية النوميثوريين الذين أبحروا شرقاً في ذلك الوقت وبنوا المساكن والقلاع على السواحل كانوا ميلين لإرادة ساورون. فقد خدموه سابقاً بكل سرور ومازالوا يخدوموه لآن في الأرض الوسطى. ويفضل قوة غيل غالاد. فإن هؤلاء الخونة جبايرة القوة والشر. لم يبقوا في هذه الأرض لأن الجزء الأكبر منهم توافق مسكنه في الأراضي الجنوبية البعيدة. وبقي منهم هناك اثنان وهما هيرومور وفوينور اللذان استلما السلطة في هارادريم، الشعب الكثير والصلب الذي يسكن في الأراضي الواقعة جنوبي موردر خلف مصبات نهر أندوين.

عندما رأى ساورون بأن وقته قد حان، جاء بالقوة العظيمة ضد العالم الجديد في غوندور فاستولى على ميناس إيثيل وحطم الشجرة البيضاء التي زرعها إيسيلدور هناك، لكن إيسيلدور هرب بالسفينة عبر النهر وأخذ معه شتلات من الشجرة وزوجته وأولاده. وأبحروا من مصبات أندوين يتبعون إيلينديل. في هذه الأثناء شن أناريون هجوم من أوسغلياث ضد العدو، فطردهم باتجاه الجبال. استجمع ساورون قواته ثانية. وعرف أناريون بأن مملكته لن تصمد طويلاً إن لم تأت المساعدة.

في وقتها عقد كل من غيل غالاد وإيلينديل مجلساً تشاورياً، لأنهما أدركا بأن ساورون ينمو بسرعة وقوته تزداد وهو سيتغلب على خصومه الواحد تلو الآخر. فإذا لم يوحدا الصفوف فسيكون مصيرهم كمصير غيرهم. لذلك سموا ذلك الاتحاد الذي كان بينهم بالتحالف الأخير. زحفوا شرقاً فاجتمع في الأرض الوسطى جيش عظيم من الإنس والجنان. عرجوا لفترة على إيمادريس (ريفينديل). ويقال بأن ذلك الجيش الذي تجمع هناك، كان الأكثر جمالاً والأروع سلاحاً، ولم تشهد الأرض الوسطى مثله من قبل. فلا يوازيه إلا عظمة جيش الفالار الذي حشده أثناء ذهابهم ضد نانغورودريم.

خرجوا من إيمادريس (ريفينديل) وعبروا جبال الضباب عبر عدة ممرات، زحفوا نازلين إلى نهر أندوين. حتى وصلوا أخيراً إلى حيث تتجمع حشود ساورون في داغورلاد، معركة السهل. الذي يقع أمام بوابة الأرض السوداء. في ذلك اليوم تم تقسيم كل الكائنات الحية، من كل نوع، حتى البهائم والطيور. كانت موجودة في واحد من الجانبين. إلا الجان فهم الوحيديين الذين كانوا غير منقسمين، فكلهم تبعوا غيل غالاد، قاتل بعض الأقزام في ذلك

اليوم في هذا الجانب والبعض في الجانب الآخر. لكن قبيلة دورين من موريا قاتلت ضد ساورون.

كان النصر حليف غيل غالاد وإيلينديل، لأن جيوت الجان كان لا يزال عظيماً في تلك الأيام. أما النومينوريين فكانوا أقوياء وطوال القامه، وكان غضبهم مروعاً. فلم يقف أي شيء ضد آيغلوس<sup>١</sup> رمح غيل غالاد. وكان سيف إيلينديل يُشغل الأوركس والبشر بالخوف والرهبة. لأنه يشرق بضوء الشمس والقمر، وكان اسم ذلك السيف نارمبيل<sup>٢</sup>.

بعد ذلك زحف تحالف غيل غالاد وإيلينديل إلى موردور فأحاطوا بمعقل ساورون وحاصروه لسبع سنين. عانى التحالف في وقتها من الحسائر الشديدة بالنار والنبال والسهم. كان ساورون يرسل ضدهم الكثير من الغارات. وهناك في وادي غورغورث قُتل أناريون بن إيلينديل وكثير غيره. لكن أخيراً أُطبقوا الحصار على ساورون، فخرج بنفسه للقتال. فقاتل مع غيل غالاد وإيلينديل وذجهما كليهما، انكسر سيف إيلينديل (نارمبيل) تحتها عندما سقط عليه. حتى ساورون نفسه سقط أرضاً. عندها أمسك إيسيلدور بالقطعة المتبقية من السيف نارمبيل من جهة المقبض وقطع إصبع ساورون الذي يلبس فيه خاتم السلطة. ثم استولى إيسيلدور على الخاتم لنفسه. في ذلك الوقت هُزم ساورون وغادرت روحه جسمه هاربة إلى البعيد واختفت في أراضي القفر. ولم يتخذ أي شكل مرئي لسنوات طويلة.

هكذا بدأ العصر الثالث من عصور العالم بعد الأيام القديمة والسنين السوداء. وفي ذلك الوقت بقي الأمل وذاكرة من المرح. فأزهرت شجرة إيلدار البيضاء في قصور ملوك البشر. لأن الشتلة التي حفظها وصانها إيسيلدور. زرعها في حصن أننور كذكرى لأخيه أناريون. قبل أن يغادر من غوندور. وكان خدم ساورون قد دُحروا وتبعثروا رغم أنهم لم يتحطموا تماماً. مع ذلك فقد عاد الكثير من البشر وتركوا خدمة ساورون وأصبحوا خاضعين لسلطة ورثة إيلينديل. رغم ذلك مازال الكثيرون يتذكرون ساورون في قلوبهم ويكرهون ممالك الغرب. سوى البرج المظلم بالأرض لكن أساماته بقيت على حالها ولم ينساه النومينوريون. فقد وضعوا بالفعل حراسة على أرض موردور، لكن لم يجرؤ أحد على السكن هناك

<sup>١</sup> آيغلوس. Agelos. هو رمح غيل غالاد بالتأكيد أنه كان بجودته منذ مدة لكن لم يعرف عنه إلا في معركة التحالف الأخير. ومعناه نقطة اللجج أو نقطة الجليد. وهناك رأي آخر يقول بأن آيغلوس هو نبات شوكي يعيش في ياييراند وقد يكون معنى اسم الروح أن رأسه مثل شوكه هذا النبات.

<sup>٢</sup> نارمبيل. Narmil. هو سيف إيلينديل الذي صنعه تيليخار أعظم حرفي نوغريو في أو قبل العصر الأول، وقال عنه توكين ان اسمه مكون من جنتين مقطعين جند نار وتعني (الشمس) وجند إيسيل وتعني (القمر) أي أنه يرمز إلى الأضواء الساطعة العظيمة، انكسر هذا السيف إلى شظايا في معركة حصار بارد دور وجمعت شظاياها وأعيد دقه من جديد واستعمله آراغون اليسار وريث عرض إيسيلدور في حرب الخاتم.

بسبب ذاكرة الرهبة والخوف اللتين خلفهما ساورون في ذلك المكان. وأيضاً بسبب جبل النار الذي يقف بالقرب من باراد دور. هناك في وادي غورغوث المملوء بالرماد. مات الكثير من النوميرويين وحلفائهم من الجان في تلك الأيام. إمّا أيام الحصار أو أثناء المعارك، هناك قتل غيل غالاد الملك الأعلى وإيلينديل الطويل. ولن يحدث مطلقاً مرة ثانية اجتماع مثل هذا الحشد العظيم، بعدها لم يكن أي حلف أو اتحاد بين البشر والجان، فبعد أيام الصداقة والود في أيام إيلينديل وغيل غالاد أصبحوا الآن شعبيين متباعدين.

غاب خاتم السلطة عن المعرفة حتى عن حكماء ذلك العصر. على الرغم من أنه لم يُدَمَّر. لأن إيسيلدور رفض أن يسلمه إلى إيلرون وكيردان الذين كان واقفين بجانبه. ونصحاه بأن يذهب ويبرمه في أوردوروين حيث تمت صياغته والذي كان قريباً منهم ولمتناول في ذلك الوقت. لأن هذا الخاتم يجب أن يفنى وبذلك تضعف قوة ساورون إلى الأبد. لكي يبقى ساورون وحيداً في البرية كظل الحقد. لكن إيسيلدور رفض هذا الرأي قائلاً: هذا سيكون لي كما أخذ أبي وأخشي إلى الموت. أوليس أنا من ضرب العدو ضربته المميته. ونظر إلى الخاتم فبدأ إليه جليلاً للغاية. فقرر أن لا يؤذيه أو يسمح لأحد بتحطيمه. لذلك أخذه في بادئ الأمر وعاد إلى ميناس أننور وزرع الشجرة البيضاء هناك كذكرى لأخيه أناريون. لكنه سرعان ما غادرها وكان قد سلّم أمور الإدارة هناك إلى مينيلديل ابن أخيه. وتعهده إليه بكل مملكة الجنوب. أما هو فقد حمل الخاتم الذي سيكون إرث بيته وزحف من غوندور إلى الشمال على الطريق الذي جاء منه إيلينديل، وترك المملكة الجنوبية. لأنه كان مصمماً على استعادة مملكة أبيه في إيربادور، بعيداً عن ظلال الأرض السوداء.

لكن وفي الطريق انحالت عليه مجموعات كثيرة من الأوركس التي كانت تكمن في جبال الضباب، نزلوا فجأة على معسكر إيسيلدور بين الغابة الخضراء والنهر العظيم، بالقرب من لويغ نينغلورون الحقل البهيحة. فقد كان متهوراً ولم يضع حراسة على المعسكر. لأنه اعتبر بأن كل خصومه قد سقطوا. دُبح هناك تقريباً غالبية الشعب الذين كانوا برفقته. ومن بينهم كان ثلاثة من أبناءه الكبار، إيليندور، آراتان، وكيريون. لكنه كان قد ترك زوجته وابنه الأصغر فالانديل في إيملادريس (ريفينديل) عندما ذهب إلى الحرب. أما إيسيلدور نفسه فقد هرب بواسطة الخاتم. لأنه عندما لبسه أصبح مختفياً عن العيون، لكن الأوركس تعقبوه بواسطة الشم والرائحة، ولم يتركوا له إلا منفذاً إجبارياً. وتابعوه حتى وصل أخيراً إلى النهر وهبط فيه، هناك خانة الخاتم وانتقم لصاحبه فانزلق من أصبعه عندما كان يسبح،

ضاع الخاتم في الماء، فظهر إيسيلدور للاعين ثانية وهو يكافح في السيل، ففضروه بسهام كثيرة وكانت تماته. واصل فقط ثلاثة من شعبه مسيرهم عبر الجبال بعد تيهٍ طويل إلى إيملادريس. وواحداً من بين هؤلاء الثلاثة كان أوhtar المبحل الذي كان يعهد إليه إيسيلدور بحفظ شظايا سيف إيلينديل.

ووصل نارسييل في الوقت المناسب إلى يد فالانديل وريث إيسيلدور في إيملادريس، لكن نصله كان مكسوراً وضوءه مطفأ. ولم تُعد صياغته من جديد، فقد تنبأ السيد إيلرون بأن النصل لن تعاد صياغته حتى يظهر خاتم السلطة من جديد ويعود ساورون، لكن تأمل الإنس والجان بأن لا تحدث هذه الأشياء، فلا يظهر الخاتم ثانية ولا يعود ساورون.

اتخذ فالانديل له مسكناً في أنوميناس، لكن قومه كانوا يتناقصون. ولم يبق من النومينوريين ورجال إيربادور هناك إلا القليل من الناس الذين لم يكونوا كافرين لحماية الأراضي والأماكن التي بناها إيلينديل. ففي داغورلاد وفي موردور وعلى الحقول البهيجة مات كثيرون منهم. وحدث بعد أيام إياريندور الملك السابع الذي جاء بعد فالانديل. بأن انقسم البشر الغربيين ودونيدايين من الشمال، إلى ممالك وسلطات تافهة وصغيرة. فقتضى عليهم خصومهم الواحد تلو الآخر، وتضاءلوا مع مرور السنين حتى ذهب مجدهم. فتركوا التلال المحضرة بالأعشاب وحيدة. وبطول المدة فلم يبق منهم إلا شعباً غريباً يتحول خفية في السريري. ولم يعرف بقية الناس لا ييوتهم ولا أهداف رحلاتهم، ونُسي أسلافهم إلا في إيملادريس في بيت إيلرون. رغم ذلك فقد كانت قطع السيف معززة ومصانة لأجيال كثيرة من حياة البشر. من قبل ورثة بيت إيسيلدور، وبقيت سلالتهم من الأب إلى الابن دون انقطاع.

أما في الجنوب فقد صمدت مملكة غوندور، ولفترة من الوقت نمت عظمتها حتى أعادت إلى الأذهان ثروة وفخامة نومينور قبل السقوط. بنى شعب غوندور الأبراج العالية والأماكن القوية والكثير من مرافئ السفن. وبقي التاج المنحج تاج ملوك البشر معظماً بالرهبة، وتخضع لسلطانه الكثير من الشعوب، متعددة الأراضي واللغات، ولعدة سنوات نمت الشجرة البيضاء أمام بيت الملك في ميناس أننور. فقد جلب بذرة تلك الشجرة إيسيلدور الذي أخرجها من أعماق البحر، من نومينور. حيث كانت بذرتها قد أتت من قبل من أقبالوبي. وقبل ذلك جاءت من فالينور في يوم من الأيام عندما كان العالم لا يزال فتياً.

لكن أخيراً، وفي تعب السنوات السريعة من حياة الأرض الوسطى تضاءلت غوندور، وانتهت سلالة مينيلدليل بن أناريون بسبب اختلاط دم النوميوريين مع الكثير من دماء البشر الآخرين، وتناقصت قوتهم وحكمتهم، وأصبحت فترة حياتهم قصيرة. وضعفت مراقبتهم على موردور. وفي أيام تيلمينار وهو الملك الثالث والعشرين من سلالة مينيلدليل، جاء الطاعون على ربح سوداء مظلمة قادمة من الشرق. فغضب الملك وأبناؤه ومات الكثيرين من شعب غوندور. فهجرت الحصون التي على حدود موردور وميناس إيثيل كانت مفرغةً من سكانها. ودخل الشر ثانيةً بالسر إلى الأرض السوداء وأثر رماد غورغوروث كما لو أن ريحاً باردةً هبت عليه. لأن أشكالاً مظلمةً قد تجمعت هناك. ويقال في الواقع بأن هؤلاء كانوا أولاييري. وهم الذين يدعوهم ساورون نازغول. أشباح الخاتم التسعة الذين بقوا مخفيين لمدة طويلة. لكنهم عادوا الآن لتهيئة طريق سيدهم. لأنه بدأ بالنمو مجدداً.

وفي أيام إيارنيل كانت ضربتهم الأولى. فقد خرجوا بلبيل من موردور وأتوا عبر ممرات جبال الظل، فأخذوا ميناس إيثيل وسكنوها، وجعلوها مكاناً رهيباً لا يمرُّ أحد إلى النظر إليها. وفيما بعد دعيت ميناس مورغول، برج السحر. كانت ميناس مورغول بحالة حرب دائمة مع ميناس أننور في الغرب. أما أوسغيلياث فمع تناقص عدد سكانها أصبحت مدينة مهجورة، وخراباً فتحولت لمدينة أشباح. لكن ميناس أننور بقيت وصمدت واتخذت اسماً جديداً هو ميناس تبريث، أي برج الحراسة. فقد بنى فيها الملوك حصن البرج الأبيض، كان عالياً جداً وجيلاً. وكانت عيناه تتجه إلى الكثير من الأراضي. كانت وما تزال تلك المدينة قويةً وفحورةً. وفيها ما تزال الشجرة البيضاء تزهر لفترة أمام بيت الملوك. وهناك ما زالت بقية النوميوريين تدافع عبر النهر ضد إرهاب ورعب ميناس مورغول. وضد كل أعداء الغرب. أوركس ووحوش ورجال أشرار. وهكذا فقد حموا الأراضي التي تقع خلفهم، غرب أندوين من الحرب والدمار.

بقيت ميناس تبريث صامدةً حتى بعد أيام إيارنور بن إيارنيل آخر ملوك غوندور. الذي ركب لوحده وذهب إلى بوابة ميناس مورغول لمواجهة وتحدي سيد مورغول، فقابلته في النزال الفردي لكنه وقع في غدر نازغول وأخذ حياً إلى مدينة العذاب. ولم يره إنسان حي فيما بعد أبداً. لم يترك إيارنور أي وريث على العرش بعده. لكن عندما انتهت سلالة الملوك. قام الوكلاء من بيت ماردليل والذين هم من حزب المخلصين بحكم المدينة، فأصبحت فيما

بعد مملكة متقلصة منكشمة. وفقدت السيطرة على الكثير من أراضيها البعيدة. لذلك أتى إلى الأرض الحضراء من روهان فرسان الشمال الروهيريم. جاءوا وسكنوا فيها، وهي التي كانت تسمى من قبل كاليبارذون. فقد كانت جزءاً من مملكة غوندور. ساعد الروهيريم سادات المدينة في حروبهم، وفي الشمال خلف شلالات راوروس وبوابة أرغوناث، كان لديهم مدافعون آخرون عنها. لكن بسبب قلة معرفة البشر الحاليين عن القوى والسلطات القديمة، فلم يتحركوا ضد الأشياء الشريرة التي تتحرك أمامهم. حتى حان وقت اكتمال سيدهم المظلم ساورون، الذي يجب أن يظهر ثانية. وحتى ذلك الوقت، لم يحدث مرة أخرى مطلقاً بعد أيام إيارنور أن تجاسر النازغول وعبروا النهر أو خرجوا من مدينتهم بشكل مرئي إلى البشر.

في كل أيام العصر الثالث. وبعد سقوط غيل غالاد، سكن السيد إيلرون في إيملادريس (ريفينديل) واجتمع هناك الكثير من الجان. وأقوام من الحكماء والأقوياء من كل قبائل الأرض الوسطى. استمروا لأجيال كثيرة من حياة البشر بذكرى جميلة عن تلك الأيام. كان بيت إيلرون ملجأ لكل المضطهدين والمرهقين، وخرانة الموعظة الحسنة وتقاليدهم الحكمة. كان ذلك البيت يأوي ورثة إيسيلدور، من الصغير إلى الكبير. بسبب قرابة الدم مع إيلرون نفسه. فقد علم بحكمته بأنه سيأتي من هذه السلالة جزء عظيم مجهز للأعمال الأخيرة من ذلك العصر. وحتى ذلك الوقت. احتفظ إيلرون بشظايا سيف إيلينديل (نارسيل) عندما أظلمت أيام دونادان وأصبحوا شعباً تائباً.

في إيربادور كانت إيملادريس هي المسكن الرئيسي للجان العلويين. لكن في المرافئ الرمادية من ليندون، كانت تسكن بقية شعب غيل غالاد ملك الجان. وكانوا أحياناً يتحولون في أراضي إيربادور. لكن الجزء الأكبر منهم سكن بالقرب من شواطئ البحر، ينون ويعنون بسفن الجان. التي كانت تنقل البكر (الجان) الذين كانوا يكبرون ضحرين من هذا العالم، فيبحروا إلى أقاصي الغرب. وكان كيردان بناء السفن سيد المرافئ والهائل بين الحكماء.

حفظ الجان الخواتم الثلاثة التي لا تشوبها شائبة، ولم يتكلموا بخصوصها بين الحكماء، حتى أن قلة من إيلدار يعرفون لمن منحوا. بالرغم من أن قوتهم مازالت تعمل بعد سقوط ساورون. وحيث تتواجد هذه الخواتم كان يتواجد المرح غير ملوث بأحزان الزمن. لذلك أدرك الجان ومع نهاية العصر الثالث بأن خاتم الياقوت الأزرق كان مع إيلرون. في وادي ريفينديل الجميل، الذي تشرق على بيته نجوم السماء بشكل صافي جداً. بينما خاتم الماس

كان في أرض لورين حيث تسكن السيدة غالادريل، ملكة جان الغابات، زوجة كيليبورن من دوريات. هي نفسها التي كانت من تولدور وتحتفظ بذاكرة الأيام القديمة في ثاينور، وهي الجنة الأقدار والأصفي والأجمل الباقي في الأرض الوسطى. لكن الخاتم الأحمر بقي مخفياً عن أعين الجميع حتى النهاية. إلا عن إيلرون وغالادريل وكيردان، الذين يعرفون من هو حامل الخاتم الثالث.

وهكذا بقي نعيم وجمال الجان غير منقوص، بينما ما يزال العصر الثالث مستمراً. في إيلادريس وفي لولثورين، وفي الأرض المخفية بين كيلبيرانت وأندوين. حيث تحمل الأشجار زهوراً من ذهب. فلم يتجرأ لا الأوركس ولا أي شيء شرير آخر على الجنيء إليهم. رغم ذلك فقد سمع الكثير من الأصوات بين الجان تنذر بالشؤم. من أن ساورون سيعود ثانية وسيحدث أحد أمرين. إما أن يجد خاتم السلطة المفقود، أو أن أفضل أعدائه سيكتشفه قبله ويحطبه. لكن في أي من الاحتمالين يجب على السلطات الثلاثة أن تكف عن أداء وظائفها، وتلاشى كل الأشياء التي كانوا يحتفظون بها. بعدها سيغير الجان إلى الغسق. ويبدأ عصر سلطان البشر.

بالحقيقة ستحدث الأمور التالية: سيتم تدمير الواحد والسبعة والتسعة، أما الثلاثة فيغادروا، ومعهم سينتهي العصر الثالث. وأنداك ستكون حكايات إيلدار في الأرض الوسطى قد وصلت إلى نهايتها. تلك ستكون سنوات الذبول. وفيهم سيكون آخر تفتح وظهور للجان في شرق البحر، ويكون قد وصل إلى شتاءه. وفي ذلك الوقت سيبقى تولدور أقوى وأجمل أبناء العالم عشي في هيثير لاندس، وستبقى لغته مسموعةً بأذان البشر. وفي ذلك الوقت ستبقى الكثير الأشياء الجميلة والرائحة على الأرض. وأيضاً الكثير من الأشياء الشريرة المفزعة، مثل الأوركس والغيلان والتنانين والوحوش العنيفة، ومخلوقات غريبة وكبيرة وحكيمة في الغابات ذات الأسماء المنسية. والأقزام سيبقون يكدحون ويعملون في الجبال بأعمال الحرفة الصبورة من المعادن والحجارة، والتي لا يمكن لأحد أن ينافسهم فيها. لكن سلطان البشر مستعداً وكل الأشياء ستغير. حتى يظهر سيد الظلام ثانية في ميركود.

قديماً كان اسمها غرين وود العظيمة وقاعاتها الواسعة وممراتها التي كانت مسكناً للكثير من الوحوش والطيور المغردة. هناك كانت مملكة الملك ثراندويل تحت البلوط والزنان. لكن بعد مرور العديد من السنوات وعندما اقترب الثلث الأخير من ذلك العصر. تسلل الظلام



ببطء إلى الغاية من الجهة الجنوبية، وسار الخوف هناك في الفسحات الغامضة. ونزلت الوحوش لتضطاد، وكانت هناك مخلوقات شريرة تنصب أفضاخها. تغير اسم الغاية وأصبح اسمها ميركوود. لأنه كان ينمو فيها نبات عنب الثعلب ويمتد عميقاً هناك. والقليل من كان يتشجع ويعبر من هناك. إلا شعب ثرانديويل في الشمال فمازالوا يبعدون الشر عن الغار. وقد جاء البعض وأخبر، حتى قيل أن يكتشفه الحكيم بوقت طويل. أن ذلك هو ظل ساورون وإشارة عودته. لأنه خرج من أراضي القفر في الشرق وأوى نفسه جنوب الغاية. وببطء نشأ وتشكل هناك ثائنية، فجعل مسكنه في تل مظلم، كان يعمل فيه السحر. خاف كل الشعب من ساحر دول غولدور. وحتى ذلك الوقت لم يعلموا كم كان ذلك الخطر عظيماً.

عندما تم الشعور بالظلال الأولى في ميركوود. ظهر في غرب الأرض الوسطى إيستاري، وهم الذين دعاهم البشر بالسحرة. لم يعرف أحد في ذلك الوقت من هم هؤلاء السحرة ومن أين جاءوا. إلا لاكيردان في المرافئ وإيلرون وغالادريل فقد كشف لهم بأنهم أتوا من البحر. لكن فيما بعد قيل بين الجان بأنهم كانوا رسل سادات الغرب، من أجل مقاومة قوى ساورون. الذي سيظهر من جديد. ولتحريك الإنس والجان وكل الأحياء بالنية الحسنة إلى أفعال الشجاعة. ظهروا مشابهيين للبشر في الصورة. كشيوخ لكنهم مفعمون بالحيوية، يتغيرون قليلاً بفعل السنين، يتغيرون بالعمر لكن ببطء، على الرغم من كثرة الهومو الملقاة على عاتقهم. ويمتلكون الحكمة العظيمة. والكثير من قوى العقل واليد. لمدة طويلة سافروا بالطول والعرض منتشرين بين البشر والجان. فهم يتمكنون من التحدث مع الوحوش والطيور. وقد أعطتهم شعوب الأرض الوسطى الكثير من الأسماء. لأنهم لم يكتشفوا عن أسمائهم الحقيقية. وكان الأساسيان بينهم أولئك اللذان يسميهما الجان ميثراندير وكورونير. لكن البشر في الشمال سموها غاندالف وسارومان. ومن بينهم كان كورونير هو الأكبر وجاء بالمرتبة الأولى، بعده جاء ميثراندير ثم راداغاست، والآخريين من إيستاري ذهباً نحو شرق الأرض الوسطى. وليس لهم ذكر في هذه الحكايات. أما راداغاست فقد كان صديق كل الطيور والبهائم. وكورونير ارتحل أكثر بين البشر فكان بارعاً ومهذباً في الخطابة والحديث وماهراً في كل حيل ووسائل حرفة التعدين والصناعة. أما ميثراندير فكان أقرب بالصيحة والمشورة مع إيلرون وغان وغان وقد تحول بعيداً في الشمال وفي الغرب ولم يجعل له

مسكناً دائماً في أي مكان من الأرض. سافر كورونير إلى الشرق وعندما عاد مسكن في أورثانك في دائرة أيسنغارد التي بناها النوميوريون في أيام قوتهم. دائماً كان الأكثر يقظة بينهم هو ميثاندير، وهو أكثر من شك في ظلام ميركودود. لذلك فالكثيرون يعتبرونه بأنه كان معمولاً من أشباح الخاتم. فقد كان يخشى بالحقيقة من عودة الظل الأول لساورون. لذلك ذهب إلى دول غولدور، وهرب الساحر منه. فعاد السلام إلى هناك لفترة طويلة. لكن مع طول المدة فقد عاد الظل وازدادت قوته. وفي ذلك الوقت عمل أول مجلس للحكماء ودعي بالمجلس الأبيض. وفي ذلك المكان كان إيلرون وغلادريل وكيردان وسادة آخرون من إيلدار وكان معهم ميثاندير وكورونير، وتم اختيار كورونير (سارومان الأبيض) لكي يكون رئيس المجلس، لأنه أكثر من درس عن وسائل وحيل ساورون منذ القدم. أما غلادريل فقد تمت حقيقة أن يقود المجلس ميثاندير. لكن سارومان استكر عليه ذلك المنصب. لأن كبريائه ورغبة السيطرة لديه كانت تنمو بشكل كبير. لكن ميثاندير رفض المنصب، بما أنه لا يمتلك روابط ولا ولاءات إلا للذين أرسلوه. وهو لا يثبت في مكان ولا يخضع لأي استدعاء. لكن سارومان عكف الآن على دراسة علم حواتم القوة، صنعهم وتاريخهم.

أخذ الظل ينمو بازدياد وتوسع فأظلمت قلوب إيلرون وميثاندير. لذا ففي ذلك الوقت ذهب ميثاندير بمخاطرة عظيمة إلى دول غولدور فحفر ونقب عن الساحر، ليكتشف حقيقة مخاوفه فهرب عائداً إلى إيلرون وقال:

بالحقيقة أسف لأن تخميننا لم يكن صحيحاً، لأن هذا ليس أوليري كما افترض الكثيرين لمدة طويلة، بل هو ساورون نفسه الذي تشكل ثانيةً ويشتد من جديد، وقد جمع ثانيةً إلى يده كل الخواتم. وهو يريد خيراً عن الخاتم الأوحده. وعن ورثة إيسيلدور، إذا كانوا مازالوا يعيشون في الأرض.

أجابته إيلرون: في تلك الساعة التي أخذ فيها إيسيلدور الخاتم ولم يتنازل عنه. فإن هذا القدر كان معمولاً، لأن ساورون سيعود.

قال ميثاندير: رغم ذلك فقد ضاع الواحد، بينما ما يزال مخفياً. فإنه باستطاعتنا أن نقهر العدو إذا جمعنا قوتنا ولم نتلصكاً كثيراً.

استدعي المجلس الأبيض مجدداً. وحثهم ميثاندير على السرعة في العمل، لكن كورونير تكلم ضده ونصحهم بالانتظار لحد الآن والاكتفاء بالمراقبة فقط. وقال: لأنني لا اعتقد

بأن الواحد سيوجد أبداً في الأرض الوسطى فقد سقط في أندوين منذ عهد بعيد، وأرى بأنه قد أصبح في قاع البحر الآن، هناك سيبقى للأبد. حتى يتكسر العالم وتتراخ الأعماق.

لذلك لم يفعلوا شيئاً في ذلك الوقت، لكن قلب إيلرون كان متوجساً. وخطاب ميثراندير قائلاً: مع كل هذا فأنا تنبأت بأن الواحد سيتم إيجاده. وبعد ذلك ستكون حرب ثانية. وسينتهي هذا العصر في تلك الحرب. في الحقيقة سينتهي بظلام ثاني. ما لم تنجينا فرصة قليلة غريبة، أو أن عبوي لم تعد قادرة على الرؤيا.

فقال له ميثراندير: كثيرة هي الفرص الغريبة وهي من ضرائب العالم. وستأتي المساعدة غالباً من أيدي الضعفاء عندما يتعثر الحكماء.

هكذا قلق الحكماء، لكن لم يدرك أحد منهم بأن كورونير اتجه إلى الأفكار المظلمة وكان خائناً في قلبه. لأنه كان يرغب بأن لا يجد أحد سواه الخاتم العظيم. فهو قد يسيطر عليه ويأمر كل العالم بالخضوع لإرادته. فقد درس طويلاً طرق وأساليب ساورون آملاً في هزيمته. أما الآن فقد أصبح يحسده كمنافس ولا يكره أعماله الشريرة. واعتقد بأن ذلك الخاتم الذي كان لساورون سيبحث عن سيده مجدداً. وسيظهر للعيان مرة أخرى. لكن إذا طرد ثانية، فعندها سيستلقي الخاتم مخفياً. لذلك كان راغباً في اللعب مع الخطر وترك ساورون لفترة من الوقت. متآملاً بحرفته وحنكته القادرة على إحباط كلاً من أصدقائه والعدو. عندما يجب أن يظهر الخاتم.

لذلك وضع مراقبةً على حقول غالادين لكنه سرعان ما اكتشف بأن خدم دول غولدور كانت تفتش كل طرق النهر في تلك المنطقة. ثم اكتشف بأن ساورون كان مدركاً لطريقة موت وهماية إيسيلدور. لذلك فقد نما خوفه وانسحب إلى حصنه في أيسنغارد. ولم يعد يبحث أبداً في علم خواتم القوة وفنون صياغتها. لكنه لم يتكلم للمجلس عن شيء من ذلك. مع ذلك فقد تمنى بأن يكون أول من يسمع أخباراً عن الخاتم. ولهذا الغاية جمع لديه حشد عظيم من الجواسيس والكثير من الطيور، التي أعاره إياهم راداغاست لمساعدته. الذي لم يشك به يوماً. معتبراً أن هذا لم يكن سوى جزء من مساعدته في مراقبة العدو.

نما الظل عميقاً في ميركود، وتوجهت كل الكائنات الشريرة إلى دول غولدور، قدمت إليها من كل الأماكن المظلمة في العالم. وتوحدوا ثانية تحت إرادة واحده. وكان حقدهم موجهاً

ضد الجان والناجين من نوميونور. لذلك استدعي المجلس مرة ثانية، ونوقش فيه علم الخواتم كثيراً، لكن ميثراندير تكلم إلى المجلس قائلاً:

هو لا يحتاج إلى ذلك الخاتم الآن، فإنه سيحده مادام الخاتم موجوداً على الأرض ولم يتم تدميره بعد. منذ مدة وهو يسكن في الأرض بدون اسم ومازالت قوته حيّة. وسيكبر ساورون ولديه الأمل. صحيح أن قوة الجان وأصدقاء الجان أقل الآن مما كانت عليه في الزمن القديم. لكن عما قريب سيكون قوياً جداً حتى بدون الخاتم العظيم. لأنه يحكم التسعة، ومن السبعة استعاد ثلاثة، لذلك يجب علينا أن نضرب الآن.

وافق كورونير على هذا لأنه يرغب بدفع ساورون للابتعاد عن دول غولدور. القرية من النهر. فينخي أن يبحث هناك فلا يوجد لديه المزيد من الوقت. لذا فإنه لآخر مرة ساعد المجلس ووجدوا قوتهم وهاجوا دول غولدور، فطردوا ساورون من مكان سيطرته. وعادت ميركود لتكون مفيدة من جديد.

لكن ضربتهم كانت متأخرة جداً بسبب حدس سيد الظلام، حيث كان مستعداً لهم منذ مدة طويلة، فقد أعد له أولابري، خدمه التسعة، كل تمركاته وكانوا قد ذهبوا أمامه ليجهزوا لحيته. لذا فإن هرويه كان خدعة، فعاد قريباً، ولم يتمكن الحكماء من منعه ثانية من الدخول إلى مملكته. وفي موردور رفع ثانية الأبراج المظلمة لباراد دور. وفي تلك السنة اجتمع المجلس الأبيض لآخر مرة، فانسحب كورونير إلى أيسنغارد. ولم يتشاور مع أحد ثانية إلا مع نفسه.

تجمع الأوركس. وبعيداً في الشرق والجنوب كان البشر الممجين يتسلحون. ثم من وسط تراكم الخوف وإشاعة الحرب القادمة، فقد أثبتت صدق نبوءة إيلروند. بالحقيقة فقد وجد الخاتم الأوحده. عن طريق أكثر الصدف غراية حتى إن ميثراندير لم يكن يتوقعها. وكان خير إيجاد الخاتم مخفياً عن كورونير وعن ساورون. لأنه كان قد أخذ من أندوين منذ مدة طويلة قبل أن يسعوا إليه هناك. كونه وجد من قبل شخص من شعب صغير من صيادين الأسماك الذين يسكنون على ضفاف النهر. قبل سقوط ملوك غوندور. أخذه من وجدته إلى ما وراء البحث للاختفاء في الظلام تحت جذور الجبال، وسكن هناك، وبقي حتى سنة الهجوم على دول غولدور. وقتها كان قد وجد مرة ثانية من قبل مسافر. هرب إلى أعماق الأرض فاراً من ملاحقة الأوركس. وعبر إلى بلاد بعيدة جداً، حتى أرض بيريناث. الناس الصغار. الناس النصف. الساكنين غرب إيريدور. من يومهم كانوا منعزلين في بلدهم الصغير.

مستئين لصغرهم من حسابات الجان والبشر، حتى ساورون، ولا أي من الحكماء، إلا ميثراندير الذي قدم لهم دائماً النصح والاستشارة.

بفضل حظه ويقظته كان ميثراندير أول من علم بوجود الخاتم. قبل أن يعرف ساورون بأية أخبار عنه. لكنه كان مستاء ويشك، لأن قوة الشر سوف تكون عظيمة إذا ما استخدمه حكيم. ما لم يكن مثل كورونير الذي تمنى أن يصبح طاغيةً وسيداً للظلام بدوره. لكن لا يمكن للخاتم أن يبقى مخفياً عن ساورون للأبد. ولا يمكن لأي حرفة أو قوة من الإنس والجان أن تدمره. لذلك وبواسطة مساعدة دونادايين من الشمال، وضع ميثراندير مراقبةً على أرض بيرينانك وانتظر لفترة من الوقت. لكن ساورون كانت لديه الكثير من الآذان، وسرعان ما سمع إشاعة عن الخاتم الأوحده. الذي هو رغبته فوق كل الأشياء، لذلك بعث نازغول لجلبه. ثم أوقد الحرب وفي هذه المعركة مع ساورون انتهى العصر الثالث كما بدأ.

لكن أولئك الذين شاهدوا الأشياء التي حدثت في ذلك الوقت، من أعمال الشجاعة والأعاجيب. أخبروا عنها في حكاية حرب الخاتم في مكان آخر غير هذا الكتاب. وكيف انتهى كلاهما بالنصر وإفاء الحزن المتوقع منذ زمن طويل. أما هنا فيسمع لنا أن نقول مايلي. ظهر في تلك الأيام وريث إيسيلدور من الشمال. وأخذ شظايا سيف إيلينديل. الذي أعيدت صياغته في إيملادريس. وذهب إلى الحرب قائداً عظيماً من البشر. كان اسمه آراغون بن آراثون، وهو الوريث التاسع والثلاثين من السلالة الصافية لإيسيلدور. كان يشبه إيلينديل كثيراً. أكثر من كل الذين سبقوه. كانت هناك معركة في روهان، وخسر الخائن كورونير، وألقي به من أعلى أيسنغارد وانكسر. وحدثت معركة عظيمة على الحقول أمام مدينة غوندور. وكان قائد قوات ساورون وقتها هو سيد مورغول الذي عبر إلى الظلام في تلك المعركة. من ثم قاد وريث إيسيلدور جيش الغرب إلى البوابة السوداء لأرض موردور.

وفي تلك المعركة الأخيرة كان ميثراندير وأبناء إيلرون، وملك روهان ومسادات غوندور، وولي عهد إيسيلدور، ومعهم دونادايين من الشمال. كانوا قد شهدوا أخيراً الموت والهزيمة. فكل شجاعتهم كانت دون جدوى لأن ساورون كان قوياً جداً. رغم ذلك وفي تلك الساعة جاءت إلى البرهان كلمات ميثراندير التي قالها. عن أن للمساعدة ستأتي أخيراً من أيدي الضعفاء عندما يتعثر الحكماء. لذلك فالكثير من الأناشيده منذ ذلك الحين كانت تمجد

بيرمانانت. الناس الصغار. الساكنين في سفوح التلال والمروج. وهم الذين جلبوا النجاة للعالم.

لأن فرودو النصف، كما قيل، وبناء على طلب من ميثراندير عُهد له بأن يتحمل العبء بنفسه. ولوحده مع خادمه فقط عبرا من خلال كل الأخطار والظلام ووصلا أخيراً رغباً عن ساورون إلى جبل المهلاك، هناك رمى خاتم السلطة العظيم في النار التي صنع منها. ودمره هناك فاستهلك شره.

عندها سقط ساورون وهزم تماماً وانتهى كظل الحقد، فانهارت أبراج باراد دور وأصبحت خراباً، ارتعدت الكثير من الأراضي من إشاعة سقوطها. وهكذا جاء السلام ثانية، وتفتح ربيع جديد على الأرض. وتوج وريث إيسيلدور ملكاً على غوندور وأرنور. وارتفعت قوة دونادين وتجدد مجددهم. وفي باحات قصور ميناس أنور أزهرت الشجرة البيضاء ثانية. لأن الشتاء وجدت من قبل ميثراندير في ثلوج ميندولوين المرتفعة عاليةً بيضاء فوق مدينة غوندور. على الرغم من أنها مازالت تنمو هناك، فمازالت الأيام القادمة غير منسية من قلوب الملوك.

أُجرت كل هذه الأشياء، والفضل الأكبر في إنجازها كان بسبب يقظة ميثراندير وحسن مشورته. وفي الأيام القليلة الماضية ظهر كسيد وقور عظيم ملتف بالأبيض، كانت تلك هيته عندما ركب إلى المعركة. لكن لم يأت بعد وقته للمغادرة لأنه يعلم بأن لديه مهمة حراسة الخاتم الناري الأحمر. وهو الخاتم الأول بين الثلاثة التي أوتمن عليها كيردان سيد المرافىء والملاجئ، ومن ثم تنازل عنه إلى ميثراندير لأنه يعرف من أين أتى وإلى أين سيعود.

قال له: خذ هذا الخاتم لك لأجل أعمالك ولأجل هموك التي كانت ثقيلة. لكن كلتها كانت حسنة، ليدعمك ويدافع عنك ضد التعب. لأن هذا هو خاتم النار. مرفقاً بطيئات القلوب التي أحيتها بشجاعة العالم القديم الذي غى بارداً. لكن بالنسبة لي، فإن قلبي متعلق بالبحر، وأنا أقيم على الشواطئ الرمادية. أحرس المرافىء حتى تبحر السفينة الأخيرة. عندها سأكون بانتظارك.

كانت تلك السفينة بيضاء وقد أخذت مدة طويلة في بناءها. لمدة طويلة انتظر النهاية التي تكلم عنها كيردان. ولكن عندما حدثت كل هذه الأشياء، كان وريث إيسيلدور قد استلم سيادة البشر. وعبرت سيادة الغرب له. فبدا واضحاً بأن قوة الخواتم الثلاثة قد انتهت أيضاً. وأصبح عالم البكر (الجان) كبيراً وطاعناً في السن، وفي ذلك الوقت أبحر آخر نولدور

من المرافق تاركاً الأرض الوسطى إلى الأبد. وبالنهاية ركب حراس الخواتم الثلاثة مسافرين عبر البحر. وهناك في غسق الحريف أخذ السيد إيلروند السفينة التي جهزها كيردان وأبحر خارجاً من ميثلوندا. فارتفع حتى بدت بحار العالم تحته منخفضة ومنحنية، ولم تعد تزعجهم رياح السماء المستديرة أبداً. فقد نُحلت على الأجواء العالية فوق سحب العالم. وعبرت إلى الغرب القديم. ووصلت نهاية إيلدار من القصة والأغنية.

## ﴿ النهاية ﴾

دمشق في: ١٥ / حزيران / ٢٠١٥